

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية



آليات الحجاج في مناظرات الشيخ أحمد ديدات

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية
تخصص: اللسانيات واللغة العربية

إشراف الأستاذ الدكتور:

ليلى سهل

إعداد الطالب:

محمد الأمين مصدق

أعضاء اللجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	علي بخوش	أستاذ محاضر "أ"	جامعة بسكرة	رئيساً
02	ليلى سهل	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفاً ومقرراً
03	صالح حوجو	أستاذ محاضر "أ"	جامعة بسكرة	مناقشاً
04	لزهر كرشو	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مناقشاً
05	بلقاسم دفة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مناقشاً
06	جودي مرداسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مناقشاً

العام الجامعي:

1441/1440 هـ

2020/2019 م



قال عز وجل:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(طه/114)

صدق الله العظيم

شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

أشكر لصاحبة "اليد البيضاء" الأستاذة المشرفة
الدكتورة المفضالة "ليلى سهل" قبولها الإشراف على
هذا البحث، وأقدّر لها جهد تتبع كلياته وجزئياته،
وأثمن توجيهاتها القيّمة والنفيسة التي كانت نبراسا
استضّأنا به منذ كان البحث فكرة إلى أن سُبِكت
فصوله ومباحثه.

كما أشكر لأعضاء "اللجنة المناقشة" تفضّلهم
بقبول قراءة الأطروحة، وموافقهم على مناقشتي فيها.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق
أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتجبين.

ظفرت اللغة الإنسانية باهتمام العلماء والمفكرين منذ أقدم العصور، فجالوا في فضائها، ولم
يرحوا سبيل البحث فيها، وتأسيس النظريات المتنوعة التي تختص بها، فقدّموا حشدا من الدراسات التي
تجول في مدارها؛ لتسير أغوارها، وتبحث في جزئياتها، وتحاول وضع أقوم تحليل لتماهياتها، وترصد
تداعياتها، وتروم تحقيق أنجع آلة واصفة لها. ولقد فُتح باب الدرس اللساني الحديث على مصراعيه مع
فرديناند دي سوسير الذي نظر له، وقدم أسسه وركائزه التي حامت حولها المدارس اللسانية المختلفة في
أوروبا وأمريكا، ونهلت من معطاته النظريات اللغوية والفكرية الكثيرة؛ مما أثرى حقل المعرفة الإنسانية،
وسما بالبحث اللغوي وأسهم في رقيه وتطوره؛ حيث فُدمت في إطاره كثير من الدراسات والأبسطات
التي أثرته وأغنته، وسأيرت مقتضيات هذا العصر.

ومن مظاهر هذا العصر الثورة التكنولوجية الفائقة بخطى متسارعة وثيقة، والابتكار والاختراع،
والتطور المتواتر في جميع المجالات، وانتشار المدّ الحديثي، وتشعب الحقل المعلوماتي والثقافي، وتعدّد
المذاهب، وتشاكس وجهات النظر، وتناطح الرؤى، واختلاف الفلسفات؛ مما ولد آراء وآراء معارضة،
ونظريات ونظريات مقابلة، فأنشأ كلّ حزب في طريق تثبيت نفسه، والدفاع عن مقتضيات وجوده،
وأحقيته في الكينونة والاستتباب والوجود، يتدثر بالحجاج الذي يردّ به أفكار من يناكفه ويقابله وبضاده
في أطروحاته. وعلى الرغم من كون الحجاج قديم النشأة والظهور؛ ذا مسيرة حافلة وممتدة على مرّ
العصور؛ إلا أنه تجلّى في أوضح صورة، وبرز في ثوب قشيب حين ارتبط بالدرس التداولي.

ونظراً للمرونة الكبيرة التي يتمتع بها الحجاج، فقد اعتوره مجالات معرفية كثيرة، وتجاذبته حقول
فكرية عديدة، فضلا عن أنّ الباحثين اللغويين أنفسهم مختلفون في دراستهم له، وفي تناولهم إيّاه؛ تبعاً
لاختلاف الزاوية التي نظروا إليه من خلالها، والأسس التي استندوا إليها في تعاطيهم معه، والخوض فيه.
ومن جهة أخرى، فالخطاب الحجاجي في حدّ ذاته يمتاز بالتنوع والثراء، فمنه السياسي والاجتماعي،
والاقتصادي، والديني، والثقافي.... الخ، وفي خضمّ كلّ شكلٍ خطابيّ توظف أشكالاً متعدّدة من الآليات

الإقناعية المختلفة التي يحاول عن طريقها المحاججون الانتصار لأفكارهم، والدفاع عن مذاهبهم، وتسويغ توجّهاًهم، والتدليل على رؤاهم وفلسفاتهم.

ومن أشكال الحجاج المناظرات التي تعدّ خطاباً حجاجياً وإقناعياً مميّزاً؛ ولذلك اخترناها لتكون مداراً للدراسة في محاولة قائمة على المقاربة الحجاجية، لاستشفاف الآليات والتقنيات التي وظّفها الشيخ أحمد ديدات - في خمس مناظرات هي مدار الدراسة - مع العلماء والقسيسين المسيحيين، بغية تحديد دورها في سبك خطابه الحجاجي، وتقوية موقفه الإقناعي، ودعم استدلاله البرهاني، وترجيح كفته أمام خصومه، وتغيير منطلقات المحاججين النصاري، والتأثير في الجماهير الغفيرة التي حضرت هذه المناظرات، فجاء عنوان البحث كما يأتي:

"آليات الحجاج في مناظرات الشيخ أحمد ديدات"

ومن الأسباب الذاتية لاختيار الموضوع الشغف الكبير الذي يتأجج في خلد الباحث للبحث في أسرار اللغة العربية ومعرفتها عن قرب، وإعجابه الكبير بمناظرات الشيخ أحمد ديدات ومؤلفاته التي أدمن قراءتها.

أما الموضوعية فمردها إلى البعد الحجاجي الفيض الذي تضمنته مؤلفات الشيخ أحمد ديدات وخاصة مناظراته، إضافة إلى كون مناظرات الشيخ مدوّنة ثرية لم تحظ بالدراسة والعناية التي تستحقها، فضلاً عن ما تركته هذه المناظرات في نفس الباحث من أثر بالغ كان دافعاً قوياً للبحث في الظواهر اللغوية والفكرية والعقدية التي اشتملت عليها، بهدف تقديمها في شكل دراسة أكاديمية مقننة.

وينطلق البحث من إشكالية رئيسة: ما الآليات الحجاجية التي وظّفها الشيخ أحمد

ديدات في مناظراته؟

وتنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الجزئية، منها:

-هل يمكن تطبيق معطيات النظرية الحجاجية وفق آلياتها الإجرائية الحديثة على الخطاب الديني وعلى المناظرات خصوصا؟

-كيف يتمظهر ويتشكل الخطاب الحجاجي في مناظرات الشيخ أحمد ديدات؟

-إلى أي مدى وُفق المناظر المسلم في توظيف تقنيات الحجاج؟

-هل وُفق المحاجج المسلم في الإقناع والردّ والدحض؟

-ما الآليات التي اعتمدها المناظر المسلم في المدونة المدروسة استنادا إلى منهج المقاربة الحجاجية؟

-كيف يمكن استثمار الآليات الإجرائية للنظرية الحجاجية في تحليل مناظرات الشيخ أحمد ديدات من المنظور اللغوي والبلاغي والتداولي؟

-ما أقسام الحجج التي وظّفها المحاجج المسلم في مناظراته؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكاليات التي بُسّطت تمّ اتباع درب المنهج الوصفي المعضود بآلية التحليل؛ حيث يُمكن الوصف من تتبّع الظاهرة اللغوية ورصد مختلف تداعياتها ووسائلها، بينما يُستند إلى التحليل في وضع الظاهرة المدروسة على محكّ التجربة من أجل استخلاص النتائج، كما تمّ الاعتماد في البحث أيضا على آلية الإحصاء التي أُستند إليها في عملية التطبيق على المدونة المختارة؛ إذ لا بدّ من تقديم أرقام إحصائية تعضد الآراء والنتائج التي يصل إليها العمل.

واقترضت طبيعة البحث تقسيمه بعد هذه المقدمة إلى ستة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: المعنون "الحجاج، المفهوم، والنشأة"، وتناولنا فيه مفهوم الحجاج لغة واصطلاحًا، في المعجم العربي والأجنبي، كما تطرّقنا إلى ورود هذه المادّة في النصّ القرآني، كما تحدّثنا عن تاريخ الحجاج في الدرسين اللغويين الغربي والعربي قديما وحديثا.

الفصل الثاني: الموسوم "المناظرة، مفهوماً، ونشأتها في الفكر العربي"، وتطرقتنا فيه إلى مفهوم المناظرة لغة واصطلاحاً، والفرق بينها وبين الجدل، وأركانها، وشروطها، وضوابطها، وآدابها، كما تناولنا تأصيلاً تاريخياً للمناظرة في الفكر العربي، ثم تحدّثنا عن الشيخ أحمد ديدات فعرفنا به وبمناظراته التي خاضها مع العلماء المسيحيين.

الفصل الثالث: المعنون "الروابط والعوامل الحجاجية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات"، وتطرقتنا فيه إلى دور أهم الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في سبك الخطاب الحجاجي للمحاجج المسلم.

الفصل الرابع: الموسوم "حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات"، ومداره البحث عن القيمة الحجاجية التي يضيفها هذان الأسلوبان على الخطاب الإقناعي للمناظر المسلم.

الفصل الخامس: المعنون "السلام الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات" وتناولنا فيه السلام الحجاجية والأفعال الكلامية؛ نظراً لأهميتهما الكبيرة في دعم الخطاب الإقناعي للمحاجج المسلم.

الفصل السادس: الموسوم "أنواع الحجج في مناظرات الشيخ أحمد ديدات"؛ حيث تطرقتنا فيه إلى أقسام الحجج التي وظّفها المحاجج المسلم في إطار محاججته لخصومه المسيحيين، ودورها البرهاني الإقناعي.

وجاءت الخاتمة لتكون بوتقة جمعت أهم ما خلص إليه في البحث من نتائج.

ومن أجل مقارنة هذه المدونة حجاجياً جرى الاعتماد في البحث على مجموعة من المصادر

والمراجع العربية والغربية القديمة والحديثة، نذكر منها:



*الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة.

*أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية منذ أرسطو إلى اليوم لمجموعة من الباحثين.

*اللسان والميزان أو التكوثر العقلي لطف عبد الرحمن.

*الحجاج في الشعر العربي القديم لسامية الدريدي.

*بلاغة الإقناع في المناظرة لعبد العزيز عادل.

*الحجاج في البلاغة المعاصرة لمحمد سالم الأمين الطلبة

*القاموس الموسوعي للتداولية لأن روبول وجاك موشلار.

*العقل واللغة والمجتمع لجون سيرل.

*القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان لأوزفالد ديكر وجان ماري ستايشنفر.

وغيرها من الكتب المثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

ومن الصعوبات التي واجهت سبيل الباحث قلة المصادر والمراجع في حقل الحجاج، خصوصاً في الجانب التطبيقي، فضلاً عن تشعب الدرس الحجاجي وتنوع الأبسوطات التي قدمها الباحثون في إطاره؛ مما ولد اختلافاً في شقيه المصطلحي والإجرائي، وكذلك ندرة الدراسات التي تناولت أعمال الشيخ أحمد ديدات.

وفي الأخير أحمد الله عز وجل على رحمته بي وحسن توفيقه، ثم أتوجه بخالص امتناني إلى مشرفتي الأستاذة الدكتورة "ليلي سهل" لما لاقتني به من رحابة صدرٍ وحسن توجيهٍ وسديد رأيٍ، وعلى ما عانتته معي من تعب ومشقة، حتى يخرج هذا البحث إلى الوجود ويرى النور، فلها مّي جزيل الشكر والعرفان.

الفصل الأول : الحجاج، المفهوم، والنشأة

- مفهوم الحجاج
- الحجاج في الفكر القديم
 - الحجاج في الفكر الغربي القديم
 - الحجاج في الفكر العربي القديم
- الحجاج في الدرس الحديث

توطئة:

يدور الدرس الحجاجي في فلك التقنيات الإجرائية للغة وآلياتها، ومدار الأمر فيه استشفاف القيم والحقائق والأساليب الموظفة توظيفاً حجاجياً التي يُستند إليها من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه وفي آرائه، رغبةً في تغيير منطلقاته وتوجهاته.

وعلى الرغم من كون الحجاج في العصر الحديث آليّة تنصهر في بوتقة الدرس التداولي، إلا أنّ تاريخه ضارب في القدم، منداح في أقدم العصور؛ إذ يُروى أنّ صقليّة كان يحكمها حاکمان انتزعا الأراضي من أصحابها؛ لتوزيعها على جنودهما، وبعد أن أسقطت الثورة رؤوس الطغيان (467 ق.م) طالب المالكون باسترجاع أراضيهم المغتصبة، ما أفضى إلى رفع قضايا لا نهاية لها، ممّا دعا الثوّار إلى انتحاء طريقة معقلنة أمام المحكمة؛ فكانت الرسالة الأولى في الحجاج.¹

كما أنّ الدرس الحجاجي غدا أكثر المفاهيم تداولاً في العصر الحديث، وأكثرها عناية بالنصّ؛ فالدراسات المعاصرة صوّبت نظرها نحو الخطاب المحايث في ما يطلق عليه "التماهي في النصوص"؛ أيّ إنّ السمات المشتركة بين هذه النصوص وإن انتمت إلى حقول معرفية متباينة الروافد غدا شارة هذا العصر، ويعضد هذا المهيح تلك المرونة التي تتمتع بها المناهج المعاصرة.²

إنّ تلك المرونة التي تقلّدت بها المناهج المختلفة أتاحت للحجاج أن يتبوأ مكانة مرموقة في الدرس اللغوي؛ حيث كثر الحديث اليوم عن دوره الناجع في مقارنة مختلف الخطابات العلمية والإنسانية والثقافية؛ إذ تناولته كثير من البحوث والمقالات والدراسات، وخاضت في عبابه كثير من الملتقيات والندوات، وتنوّل من زوايا متعدّدة ومشارب متنوّعة أدبيّة، وسياسيّة، وسيميائيّة، ولسانيّة، واجتماعيّة... الخ

1- ينظر: كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص: 9.

2- ينظر: محمد رضا مبارك وزهار صبيح عنتاب، الفهم والتفسير نحو تحليل حجاجي للنصوص، مقارنة منهجيّة، مجلة الباحث الإعلامي، كليّة الإعلام، جامعة بغداد، ع 16، 2012م، ص: 7.

I- في مفهوم الحجاج:

يعدّ الحجاج من المفاهيم الملتبسة؛ نظرا لتعدّد مظاهر الحجاج وتنوّعها، وتعدّد استعمالات الحقل الحجاجي وتباين مرجعيّاتها: الخطابة، الخطاب، القضاء، الفلسفة، المنطق، التعليم... إضافةً إلى خضوع الحجاج في دلالاته لما يميّز ألفاظ اللّغة الطّبيعيّة من ليونة تداوليّة، وتأويلات متجدّدة، وطواعية استعمالية.¹

1- مفهوم الحجاج لغة:

للحجاج معانٍ مختلفة دارت في مادة (ح ج ج) في المعاجم العربية؛ لذلك سوف نحاول الوقوف عند الدلالات المستجلاة على ضوء هذه المادة في المعاجم العربية والغربية.

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور الأفريقي: «يُقَالُ حَاجَجْتُهُ أُحْجُهُ حِجَاغًا وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُهُ؛ أَي عَلَبْتُهُ بِالْحُجَجِ الَّتِي أَدَلَيْتُ بِهَا... وَالْحُجَّةُ الْبُرْهَانُ وَقِيلَ: الْحُجَّةُ مَا دُوْفِعَ بِهِ الْحُصْمُ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْحُجَّةُ مَا دُوْفِعَ بِهِ الْحُصْمُ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْحُجَّةُ الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الحُصُومَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مُحْجَاغٌ؛ أَي جَدِلَ وَالتَّحَاجُّ التَّخَاصُّمُ وَجَمْعُ الْحُجَّةِ حُجَجٌ وَحِجَاغٌ وَحَاجَجَةٌ مُحَاجَجَةٌ وَحِجَاغًا نَازَعَهُ الْحُجَّةَ وَحِجَّةً يَحُجُّهُ حَجًّا غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ».²

فالحجاج أن يغلب الشخص خصمه بالحجة؛ إذ جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ما نصّه: «الحُجَّةُ وَجْهٌ الظَّفَرِ عِنْدَ الحُصُومَةِ. وَالْفِعْلُ حَاجَجْتُهُ فَحَجَجْتُهُ. وَاحْتَجَجْتُ عَلَيْهِ بِكَذَا. وَجَمْعُ الْحُجَّةِ حُجَجٌ. وَالْحِجَاغُ هُوَ الْمُضْدَرُّ».³

1- عبد الجليل العشاوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص: 9.

2- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي ت 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 226/2. (مادة حجج).

3- الخليل الفراهيدي (أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليعقوبي ت 170 هـ)، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، (د.ط)، (د.ت)، 10/3. (مادة حج).

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

وهذا ما يؤكده الزبيدي في معجمه تاج العروس؛ إذ ورد في مادة (ح ج ج): «الحجُّ العَلْبَةُ بِالْحِجَّةِ يُقَالُ: حَجَّهُ يَحْجُّهُ حَجًّا إِذَا غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: "فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى؛ أَي غَلَبَهُ بِالْحِجَّةِ وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ: "فَجَعَلْتُ أَحْجُ خَصْمِي؛ أَي أَغْلِبُهُ بِالْحِجَّةِ"»¹.

وجاء في المعجم الوسيط في مادة (حج) ما نصّه: «حَجَّ فُلَانًا غَلَبَهُ بِالْحِجَّةِ. يُقَالُ حَاجَهُ فَحَجَّهُ... حَاجَهُ مُحَاجَةً وَحِجَاجًا: جَادَلَهُ... اِحْتَجَّ عَلَيْهِ: أَقَامَ الْحِجَّةَ... تَحَاجَّوْا: تَجَادَلُوا... الْحِجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ... المِحْحَاجُ: الَّذِي يُكْثِرُ الجَدَلَ»².

ويتّضح ممّا سبق أنّ بنية الحجاج لغةً مؤدّية معنّى النزاع والخصام بوجود أدلّة وبراهين وحجج.

والخطاب الحجاجي مقصودٌ أساسًا للمتلقّي؛ لكي يقتنع ويتأثّر به عن طريق تقنيات منها الجدل والمناظرة، وضرب المثل والشاهد والحوار فضلا عن الأساليب اللغوية التي يتضمّننها الخطاب، وغالبا ما يكون الحجاج بين طرفين يدلي أحدهما أو كلاهما برأيه قصد الدّفاع عن عقيدته وإقناع الآخر بها، وقد يكون الحجاج بالخير أو بالشر؛ لذلك حمل الخطاب الحجاجي الارتكاز اللّغوي المؤثر الذي يحمل بدوره أدلّة تثبت قضية ما، بمعنى أنه لا يوجد حجاج إذا لم يكن هنالك شيء مختلف عليه بين المرسل والمستقبل؛ حيث يحاول الأول إقناع الثاني والتأثير فيه وإقناعه.³

فالحجاج يكون لخصومة، وهذا ما دلّت عليه كلمة غلبة، وتكون الغلبة في الكلام والخطاب للذي يقيم حجّة وبرهانًا على صحّة ما يدّعي، وما دام هناك خصومة، فالجدال هو الذي يجسّد صورة الخطاب الحجاجي.⁴

1- المرتضى الزبيدي (محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت 1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: نخبة من العلماء، مطبعة حكومة الكويت، (د.ط)، (د.ت)، 460/5. (مادة حجج).

2- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، ط4، 1425هـ-2004م، ص: 157.

3- فاطمة كريم رسن، بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، العراق مج1، ع 204، 1434هـ-2013م، ص: 37.

4- عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خبضر، بسكرة، الجزائر، ع9، 2013م، ص: 268.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

والخصومة في هذا الباب نزاعٌ قائم على بسطِ جملة من البراهين والأدلة التي يمتلكها المحاجج في جرابه، وأصل الخصومة والنزاع عدم اقتضاء العداوة والبغضاء التي تؤدي إلى هلاك الشخص الآخر بالقتل؛ بل مقتضى حالهما اختلاف الرأي، وإذا كانا كذلك فأصل الحجاج الجدل والتي هي أحسن؛ أي لا يقتضي تصلبًا وتشنّجًا في الرأي.¹

والحجاج يؤسّس للدفاع عن الأفكار المعروضة من طرف المتكلّم، وأنّه يتجسّد في مجال النسبية لا مجال الأحكام المطلقة والمنطقيّة، وهو ما كان محور الدراسات اللسانيّة التداوليّة في تناولها لمفهوم الحجاج اللّغوي.²

وينبغي أن نشير إلى أنّ الحجج التي يستند إليها في المحاججة قد تكون قطعيّة، وقد تكون إقناعيّة؛ فأما القطعيّة فهي «الحجّة التي تفيد اليقين ولا يقصد بها إلّا اليقين بالمطلوب»، وأما الإقناعيّة فهي «الحجّة التي تفيد الظنّ بالمطلوب».³

وبعد أن دلفنا سريعًا في حدائق المعنى اللّغوي للحجاج من خلال أمّات معاجم اللّغة العربيّة الزاهية، أمكن الخلوّص في جماع القول إلى أنّ الجذر الاشتقائيّ العربيّ للحجاج يتفرّع إلى معانٍ واشتقاقات متنوّعة؛ فهو يعني: "المخاصمة، والدليل، والبرهان، والجدل، والمرء، واللّجاج، والمناظرة، والمحاورة، والمناقشة، ونحو ذلك"، أمّا من جهة الاشتقاق فنجد "الحجاج والتجاج والاحتجاج والمحاجة".

1- عبد الزهرة إسماعيل آل سالم، حجاجية القصص القرآني قصة نوح عليه السلام أنموذجا، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع 107، 2014، ص: 66.

2- محمّد عرابي، البنية الحجاجية في قصّة سيدنا موسى عليه السلام، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة السانبة، وهران، الجزائر، 2009 م، ص: 14.

3- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول نكري، دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تح: قطب الدين محمود بن غياث الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1975م، 14/2.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

1-1- الحجاج في النصّ القرآني:

تتمثّل معجزة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في القرآن الكريم الذي يخاطب به البشر (الناس أجمعين) لإقناعهم بالتخلي عن معتقداتهم والإيمان بالمعتقد الجديد. وقد تعدّدت مظاهر هذا الإقناع في القرآن، فهو إقناع مبني في جانب منه على اللّغة، وبالعودة إلى مضمون الكتاب المقدّس وأسباب النزول يمكن اعتبار القرآن خطابا حجاجيا؛ نظرا لكونه جاء ردّا على جملة خطابات سواء أكانت علنيّة أم ضمنيّة.

ويبسّط الحجاج في النصّ القرآني أمرا أساسيا قوامه وجوب الإيمان بالله الواحد الأحد، ويقدم الحجج المدعّمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة ضدّ ما يعتقد المتلقّون وما يقدمونه من حجج. ويعود التأكيد على الصبغة الحجاجية للقرآن الكريم إلى كون المقبلين والعازفين عنه لهم في غالب الأحيان حججٌ رغم ضعفها، وهؤلاء أيضا يأتون من مستويات مختلفة، وهذه سمة أساسية من سمات الخطاب الحجاجي.¹

ووردت لفظة "حجاج" في القرآن العظيم في تسعة عشر موضعا بصيغٍ صرفيّة كثيرة منها: "حجّة، حجّتنا، حجّتهم، حاجّ، حاجّوك، حاجك، حاجتكم، تحاجّون، يحاجّون، يحاجّوكم، أتحاجّوني، أتحاجّوننا، حاجّه..." منها ما يأتي:²

1- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّوْا بِرَبِّهِمْ فِي رَبِّهِ﴾³، والذي حاجّ إبراهيم هو الثّمروذ بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح⁴ «ومعنى حاجّه؛ أي ناظره وأدلى كلّ واحد بحجّته، والحجّة

1- ينظر: الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل أمّودجا، مجلة اللّغة والأدب، معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع 12، ص: 333.

2- ينظر: هادي سعدون هني العارضي، وسائل الحجاج في خطب علي بن أبي طالب، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، مج 1، ع 33، 2014، ص: 82-83.

3- البقرة/258.

4- ينظر: القرطبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر ت 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1427هـ-2006م، 287/4.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

هي الدليل والبرهان. وفي ربه؛ أي في ألوهيته، إبراهيم يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ وهذا ينكر الله رأساً - كما أنكره من بعد فرعون - وقال: أين الدليل على وجود ربك؟¹

2- ﴿هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ

عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾² «حَاجَجْتُمْ» جادلتم، «فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» يعني

في أمر عيسى وموسى وادّعيتم أنكم على دينهما، وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم ﴿فَلِمَ

تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^ج، وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً، وقيل

حاججتم فيما لكم به من علم يعني من أمر محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم وجدوا نعتة في

كتابهم، فجادلوا فيه بالباطل، فلم تحاججون في إبراهيم، وليس في كتابكم، ولا علم لكم به.³

3- ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁴؛ أي رسلاً «يبيشرون بالجنة من أطاع، وينذرون بالنار من عصى، وأراد تعالى

بالرسل أن يقطع احتجاج من يقول: لو بعث إليّ رسول لآمنت». ⁵

4- ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحِجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾^ج ⁶ «وحاجة قومه؛ أي جادلوه في

دينه، وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها. والمحاجة: المجادلة والمغالبة، وتطلق المحجة على ما

يدلي به الخصم لإثبات دعواه أو الرد على دعوى خصمه، والمحجة إما دامغة لا تقبل النقض، أو

1- محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1423هـ، 278/3.

2- آل عمران/66.

3- البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء ت 516 هـ)، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ط)، 1409هـ-1989م، 51/2.

4- النساء/165.

5- أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي ت 745 هـ)، تفسير البحر المحيط، تح وتعد ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م، 414/3.

6- الأنعام/80.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

داحضة واهية لا تثبت شيئاً، فتسمى شبهة. ﴿أَحْجُوتِي^ج﴾؛ أي أتجادلوني. ﴿فِي اللَّهِ^ج﴾ في وحدانية الله ﴿وَقَدْ هَدَانِ^ج﴾ تعالى إليها».¹

4- ﴿وَالَّذِينَ تَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ²﴾، «﴿وَالَّذِينَ تَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾... نزلت في طائفة من بني إسرائيل همّت بردّ الناس عن الإسلام وإضلالهم ومجادلتهم بأن قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، وديننا أفضل، فنزلت الآية في ذلك، وقيل: بل نزلت في قريش؛ لأنها كانت أبداً تجادل في هذا المعنى، وتطمع في ردّ الجاهلية، ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ معناه زاهقة، والدّحض الرّلق».³

وقد استوعبت ثلاثة من السور السبع الطوال وهي: الأنعام، والبقرة، وآل عمران، أكثر المقولات الحجاجية في القرآن الكريم (14 مقالة).⁴

وبعد هذه الجولة الغنّاء في حدائق الذكر الحكيم من خلال الحجاج، يمكن القول إنّ الخطاب القرآني حجاجي من الطراز الأول، يتخذ من الحوار والمجادلة والتي هي أحسن أسلوبا في الدعوة إلى الدين الحنيف، ويوظّف من أجل ذلك جميع أنواع الحجج، سواء كانت برهانية أو إقناعية، لذلك فقد جاء مشتتلا على جميع أنواع الأدلّة.⁵

1- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 1430هـ-2010م، 283/4.

2- الشورى/16.

3- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق الأندلسي ت 586 هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح وتع: الرحالة الفاروق وآخرون، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط2، 1428هـ-2007م، 508/7.

4- ينظر: لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية، مجمع اللغة العربية، دمشق، مج 81، ج 3، 2008م، ص: 516.

5- ينظر: علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله أنموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2010م، ص: 50.

1-2- مصطلح الحجج في المعجم الأجنبي:

يقابل مصطلح الحجج في المعجم العربي لفظة (Argumentation)، وتنبثق في الإنجليزية من هذا الجذر اللغوي مجموعة من الاشتقاقات التي تدور في المعنى نفسه، مثل: (Argumentative) وتعني جدلي وخلافي، (Arguable) قابل للجدل والمناقشة، (Argue) يجادل يناقش، يتجادل أو يتنازع مع، (Argufy) يقنع بالحجة، يناقش، يجادل، (Argument) تعني برهان ومناقشة وحجة وجدل، (Argumental) جدلي، (Argumentaion) جدل مناقشة ومناظرة، (Argumentatious) جدل ومولع بإثارة الجدل.¹

أما في الإنجليزية الحديثة، فإنّ لفظة (Argument) يشير استخدامها إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة إقناع الآخر بوجهة نظر معيّنة، وذلك بتقديم الحجج والعلل التي تكون داعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما.²

ولا تخرج المعاني التي يدلّ عليها هذا الجذر اللغوي في اللغة الفرنسية عمّا سبق ذكره؛ إذ ورد في معجم (Le Robert) أنّها تعني «القيام باستخدام الحجج، أو مجموعة من الحجج تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معيّنة».³

أما لفظة (Argumenter) فتعني «الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج».⁴

وخشية الإغداق والتمحّل في التنظير، وبعد هذه الجولة الماتعة في فضاءات مصطلح الحجج في شقّه اللغوي أمكن القول إنّ الأصل في مادة "حجج" موزّع بين ثلاثة فروع تمثّل عماده، وقوام

1 -Mounir Baalbaki Ramzi And Mounir Baalbaki, Al-mawrid Al-hadeeth, A modern English Arabic dictionary , Dar El-ilm Lilmalayin, Beirut, Lebanon, p. 75.

2 -Longmen, Dictionary of Contemporary English, Longman, 1989, p. 56.

3 -Le grand robert, Dictionnaire de la langue française, paris. 1989, p. 53.

4 - Ibid, p. 54.

الفصل الأول: الحجج المفهوم والنشأة

أمره؛ فالأول: المحاجج الحجج وهو صاحب الغلبة في الحجّة، والثاني: المحاجج الممحوج وهو المغلوب، والثالث: الحجج التي تدور على ألسنة المتناظرين.

2- مفهوم الحجج اصطلاحاً:

ينبغي في البداية أن نشير إلى أنّ مصطلح الحجج أعجمي النشأة انتقل إلى اللغة العربيّة عن طريق الترجمة، ومن الباحثين الذين اهتموا بترجمته ونقله إلى اللغة العربيّة "عبد الله صولة"؛ حيث ترجم المصطلح الفرنسي (Argumentation) بالحجاج،¹ مفاضلاً إيّاه على مصطلح الاستدلال مقدّماً حججه وبراهينه التي تسوّغ هذا الاختيار.*

وقد أشار رويبر في قاموسه إلى أنّ هذا المصطلح يعني في الفرنسية:

- القيام باستعمال المصطلح.
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معيّنة.²

واختلف العلماء في تحديد مفهوم واضح للحجاج، وذلك لتعدد مجالاته؛³ ولأنه يتميّز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله وتخوض في عبايه؛ «إذ نجده متواتراً في الأدبيّات الفلسفيّة والمنطقيّة والبلاغيّة التقليديّة، وفي الدراسات القانونيّة والمقارنات اللسانيّة والنفسانيّة والخطابيّة المعاصرة».⁴

1- ينظر: عبد الله صولة، الحجج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007 م، ص: 8.

*- ذهب الباحث إلى القول إنّ الحجج أشمل وأوسع من الاستدلال البرهاني الذي ظلّ بالرغم من انتقاله بين علوم مختلفة يحافظ على حدّه المنطقي الأول، فهو على العموم مجرد استنتاج قضية من أخرى استنتاج لزوم وتوقّف وضرورة؛ لهذا عُدّ في نظرية الحجج الحديثة نقيضاً للحجاج الذي ينطلق من مبدأ الحرّيّة ويعتمد على الحوار. ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- ينظر: الحبيب أعراب، الحجج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب: الحجج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010 م، 32/3.

3- ينظر: عبد الله صولة، الحجج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص: 8.

4- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005 م، ص: 6.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ولكن استقراء أغلب التعريفات التي مسّت الحجاج يجعلنا نتبيّن أنّها تصبّ في بوتقة عامة بعدّه علاقة تحاطبية أساسًا محورها المتكلم والمستمع ومجراها قضية ما؛ فالمتكلم يستند إلى جملة من الحجج والبراهين يعضد بها منطقته، مبتغيا التأثير في المتلقّي وتغيير تصوراتّه وإقناعه بصحّة ما يبسطه داحضًا المبسوط إليه، وهذا ما عبّر عنه الباحث طه عبد الرحمن في قوله: «كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها».¹

ويتداخل مصطلح الحجاج مع مصطلح آخر هو "الجدل"، وقد ذهب كثير من العلماء القدامى -وتبعهم بعض العلماء المحدثين- إلى عدم التفريق بينهما؛ فصاحب كتاب "المنهاج في ترتيب الحجاج" يعبّر عن هذا الاتجاه؛ إذ نلفيه يقول في مقدّمته: «أما بعد فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين...أزمت على أن أجمع كتابا في الجدل».²

وقد بيّن علماء آخرون أنّ هناك فرقا بينهما، فعلى الرغم من أنّهما يجتمعان في مبدأ المخاصمة؛ إلا أنّها مؤسّسة على الباطل في الجدل، في حين أنّها قد تكون مؤثّثة على الباطل وقد تكون معضودة بالحق في الحجاج.³

وذهب عبد الله صولة إلى أنّ المراوحة بين الجدل والحجاج بعدّها مترادفين في الاستعمال «من شأنه أن يضيّق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل من حيث هو صناعة منطقية...والحال أنّ الحجاج أوسع من الجدل».⁴ فإذا كان الجدل يمثّل القسم الإقناعي من الخطاب؛ فإنّ الحجاج هو جوهر الخطابة بعدّها فنّ الإقناع، والأهم من ذلك أن الحجاج لا يقتصر على الاستدلال العقلي

1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص: 226.

2- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1987م، ص: 7.

3- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984، 31-32، وينظر المرجع نفسه، 60/12.

4- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص: 8.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

بل يتجاوز ذلك ليشمل الحجاج اللغوي الخالص الذي ينبع من اللغة باعتباره خاصية كامنة فيها فيتشبع به نسيج النص.¹

فالحجاج هو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة؛ حيث إنّ الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج، ومعنى هذا أنّه يوجد على الأقل حججان: جدلي وخطابي.

أما الحجاج الجدلي فهو من قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه "الطوبيقا"، ومداره مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد، وتمثله في التراث العربي الإسلامي مناظرات علم الكلام؛ فالحجاج الجدلي فكري خالص، وعادة ما يكون بين شخصين يحاول كل منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة.²

أما الحجاج الخطابي فهو من قبيل ما عرض له أرسطو في كتاب "الخطابة"، وهو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة، والحجاج هنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي فقط؛ بل يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات وإرضاء الجمهور واستمالاته، ولو كان يتطلّب ذلك مغالطته وإيهامه بصحّة الواقع على نحو تصوير معه الخطابة من هذه الناحية من قبيل التخيل. وهذا القسم من الحجاج مجاله توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه، وهو حجاج موجه للجماهير.³

ومن خلال ما سبق يمكن أن نحصر مفاهيم الحجاج في ثلاثة اتجاهات، أولها: تجعله مرادفا للجدل، والثانية: تجعله جامعا بين الجدل والخطابة، وثالثها: وطيد الصلة بما وصلت إليه الدراسات الغربية في هذا المجال؛ أي دراسة الحجاج ومتعلقاته بما هو مبحث لغوي مستقل بذاته وفي إطاره

1- ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص: 25-26.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

تجلبب الحجاج بعباءة النظريات المعرفية الحديثة؛ إذ أصبح مُعطى لغويا صرفا طلق الجدل والخطابة، وتمت تبرئته من التهم التي أُصقت به.¹

والملاحظ أيضا أنّ جذوة الدرس الحجاجي قد توهجت بعد أفول في بداية خمسينات القرن العشرين؛ حيث شهدت مباحث الدراسات البلاغية صحة نوعيّة، فظهرت دعوة لما يُطلق عليه "البلاغة الجديدة"، وهي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها؛ فأصبحت تسعى لتكون علما واسعا يشمل حياة الإنسان كلّها في المجتمع. إنّها محاولة لوصف الخصائص الإقناعية للنصوص؛ إذ عملت اللسانيّات والتداوليّة ونظريّات التواصل على إنضاجها، والمناهج اللسانيّة الحديثة التي تأثرت بها البلاغة تنظر إلى اللّغة بعدها نسقا تتفاعل عناصره في إطار علائقيّ يرفض دراسة الكلمات في ذاتها.²

وسوف نحاول في ما يأتي الوقوف عند أهمّ مفاهيم الحجاج وتمفصلاتها ومشاربها عند العلماء الغربيين والعلماء العرب القدامى والمحدثين، من خلال تتبع سيرورته التاريخيّة؛ حيث إنّ المفهوم الاصطلاحي للحجاج عرف أبعادا انتقاليّة، ومرّ بمراحل متنوّعة. كما عرف الدرس الحجاجي بروزا وارتقاء حينا و أفولا وانحدارا أحيانا أخرى، فرضت كلّ ذلك ظروف معيّنة ومقتضيات عديدة، ثمّ إنّ استوى على سوقه في العصر الحديث واستجمع قوام أمره، ووقف منتصب الهامة في أوساط النصوص والخطابات الإنسانية الكثيرة، وصارت له قدم راسخة بين النظريات المعرفية واللّغوية.

1- ينظر: محسن بن عامر، البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عربشاه، الباب الثالث أمودجا، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 10، 11، جانفي وجوان 2015 م، ص: 288.

2- ينظر: عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 9، 2013 م، ص: 269-268.

II- الحجاج في الفكر القديم:

1- الحجاج في الفكر الغربي القديم: اندرج الحجاج قديماً في إطار ما يُعرف بالبلاغة والخطابة وفنّ الإقناع، وكثيراً ما ورد في الثقافتين الغربيّة والعربيّة بمعنى الجدل والتناظر والإلقاء وما إلى ذلك، انطلاقاً من مؤلّفات اليونان إلى أهم ما ورد عند العرب في هذا الشأن.

وقد مثّل التراث اليوناني التربة الخصبة التي نبت فيها هذا العلم وترعرع؛ فصار اليوم موضوع مصنّفات عديدة من وضع أئمة الفكر الحديث في اللّغة والفلسفة، وقد ظلّ ميدان الحجاج مستندا على البلاغة الكلاسيكيّة "أرسطوطاليس" أو البلاغة الحديثة "شايم بيرلمان"، أو يعتمد على المنطق الطبيعي "غرايس".¹

1-1- الحجاج عن السفسطائيين: السفسطائيون نسبة إلى السفسطة* التي هي حركة فكريّة واجتماعيّة نشأت وترعرعت في اليونان القديمة خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ورفعت شعار "الإنسان مقياس كل شيء"، وتنكّرت لكل القيم الموضوعية والمعايير الثابتة سواء في أمور الفكر والاعتقاد أو السلوك والأخلاق، فكان دعاة هذا الاتجاه يخاطبون النّاس قائلين إنّ الحقيقة ما يراه الفرد حقيقة، والفضيلة ما يبدو له فضيلة.²

وكان لهذا التّيار دورٌ في ميلاد صناعة الخطابة عند الغرب في صقليّة عام 465 ق. م؛ حيث جرى حدث سياسيّ بارز** عدّه الدّارسون السبب المباشر في نشوء "صناعة خطايّة أولى"،

1- ينظر: عبد القادر المهيري، مقدمة كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، (د.ط)، (د.ت)، ص: 6.

*- السفسطة في أصل معناها اللغوي اليوناني (Sophia) تفيد "الحكمة"؛ ومنه فالسفسطائي هو المنتسب للسفسطة؛ أي الحكيم، وقدما كان الحكيم يُراد به الناظر إلى حقيقة الوجود نظراً شمولياً.

2- ينظر: رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010 م، ص: 12.

**- في تلك السنة طرد الحكام الجدد "الجبابرة" (Les Tyrans)، وتحزّر القول وهبّ المواطنون مطالبين باسترجاع ما سُلب من ممتلكاتهم، واحتاجوا ألسنا تدافع عنهم، لكنّهم لم يظفروا بها؛ لأنّ مهنة المحاماة لم تكن في ذلك العصر موجودة. ينظر: مقدمة كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 6.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

وكانت تلك الحاجة الحجاجية الجماعية الملحة سببا مباشرا في تأليف أول خطابة في تاريخ الغرب، وهي خطابة سمّاها "بارت" "الخطابة الكوراكسيّة" (La rhétorique coracienne).¹

ويمكن أن نعدّ الخطابة الكوراكسيّة دليلاً عملياً فيه نماذج من الخطب بحثت نظام القول الخطابي وقواعده التي بتعلّمها وحذقها يصير المرء خطيباً، كما بحثت الأقسام الخمسة للخطبة وهي: الاستهلال، والقصّ، والاحتجاج، والاستطراد، والخاتمة.²

ومن ثمّ غدت لصقلية جامعة تعليمية كبرى يحجّ إليها السفسطائيون، ويعلمون فيها، وبرعوا في فنّ القول بما له تأثير على القضاة والجماهير، من أجل تحقيق النجاحات في الحياة، وكانوا ماهرين في كلّ الفنون والعلوم.³

وانتهى الأمر بهذا المذهب إلى التأكيد على مشروعية اللّجوء إلى الحيل والألاعيب الخطابية والقوليةّة إذا كانت نتيجته في نهاية المطاف تحقيق مصلحة شخصية راجحة، وبرعوا كثيراً في توظيف الأساليب البلاغية والخطابية، ومهروا في إبداع التقنيات اللغوية المفيدة في كسب تأييد الجماهير وحشد المناصرين في المعارك السياسية التي كانت أثينا مسرحاً لها، كما كانوا يقنعون المجتمع بضرورة حذق البيان لامتلاك أسباب اللسان وتلقّي دروس في ذلك، ولهم دورٌ كبير في تطوير الخطابة والبلاغة، بل يعدّهم الباحثون أساتذتها المبرزين.⁴

ويمكن أن نخلص إلى القول في ما يخصّ هذا الاتجاه إنّ الحجاج السفسطائي لا يقتنع بحججه؛ لأنّها لم تنشأ من "الأنا"، بل تنشأ خارجها، وغايته منها التأثير في الحجاج وإقناعه بها.

1- ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، (د.ط)، (د.ت)، ص: 248.

2- ينظر: علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله أمودجا، ص: 30.

3- ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص: 248.

4- ينظر: رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص: 13.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

1-2- الحجاج عند الفلاسفة العقلانيين:

لقد تضافرت جهود فلاسفة الاتجاه العقلاني "أرسطو، وأفلاطون" في بناء مشروع للحجاج بكلّ تصوّراته وتحليلاته، بغية تحصين المجتمع الأثيني ممّا ابتدعه السفسطائيون من أقيسة باطلة؛¹ حيث وجّهوا لهم نقدا صارما كان له أثر حاسم في المصير اللاحق الذي حاق بفلسفتهم؛ إذ ما فتئت أساسات مذهبهم تتضعع وتترهل، حتى فقدت هذه الحركة نفوذها الاجتماعي والسياسي،* ليحلّ محلّها منظور جديد مرتكز على انتفاء نسبيّة الحقيقة، مشدّدا على الدور الفاعل للعقل في اكتشافها بجهد التأملي الخالص.²

1-2-1- الحجاج عند أفلاطون:

لقد جاء أفلاطون ليقدم تصوّرا فلسفيا عقلانيا مجردا، ولكنّه تصوّر مثالي أعطى الأسبقية للفكر والعقل، بينما المحسوس لا وجود له في فلسفته المفارقة لكل ما هو نسبي وغير حقيقي، ولأفلاطون نسق فلسفي متكامل يضمّ تصوّرات متماسكة حول الوجود والمعرفة والقيم.

واشتهر بمعاداته القوية للبلاغة القائمة على الرأي، والآراء -حسب أفلاطون- غالبا ما تحيل إلى وقائع مزعومة تنتج غالبا من الأهواء والمصالح والظروف، وكلّ شخص يرى الواقع كما يشتهيّه، ويدعو واقعا ما يناسب أحواله الذاتية.³

وأقام أفلاطون بلاغته على أسس مناهضة لفكر السفسطائيين، ويبدو أنّ عوامل رفض أفلاطون للبلاغة عديدة، منها كون البلاغة اليونانية بلاغة حشود، وهذه الحشود تمثّل العنصر

1- ينظر: حامد ناصر الظالمي و عايده جدوع حنون، نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ع 73، 2015 م، ص: 10.

*- أصبحت السفسطة تطلق عنوانا لكلّ أشكال التفكير المتتوي والمخادع، وصارت صورة السفسطائي تركيبا لكل الأوصاف القدحّة، فهو ذلك الدجال المخادع الذي يلوّك الكلام، ويتحايل بلسانه ليمرّر على المخاطبين فكره الأعرج الباطل، واستدلالاته المغالطة.

2- ينظر: رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص: 14.

3- ينظر: محمد الولي، مدخل إلى الحجاج... أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلّة عالم الفكر، مج 40، ع 2، أكتوبر-ديسمبر 2011م، ص: 21.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

الأساسي في مقام الإغراء الذي تقيمه البلاغة، بالإضافة إلى أنّ الشكل الخارجي للبلاغة، أو الخطابة لا يسمح نهائياً بإنتاج المعرفة؛ حيث إنّه لا ينتج إلا الاعتقاد.¹

ويمكن أن نختزل التصور الأفلاطوني للبلاغة في أنه يقوم على رفض حاسم للبلاغة خصوصاً في محاورته الخالدة مع "جورجياس"، بسبب اعتمادها على الرأي العام الذي لا يقود إلى المعرفة بل الاعتقاد؛ إذ نلغ فيه يذهب طوراً إلى أنّ البلاغة لا أهميّة لها في المجتمع، ويؤكّد طوراً آخر أنّها ذات تأثير بالغ الضرر، ويذهب طوراً ثالث إلى القبول بنسق بلاغي أو خطاب يكون فيه المتخاطبان ندّين ومختصين في المجال المطروح للمناقشة، يستبعد فيها أيّ نوع من السّلطة القهرية، بمعنى أنّ المعرفة والتماس الحقيقة هو المقياس الوحيد الذي يُحتكم إليه.²

وإذا أردنا الوقوف على المساقات التي أثّرت الحجاج الأفلاطوني، فإنّنا نلغي منبته ذلك الجدل الذي حصل بينه وبين السفسطائيين، وهو الجدل الذي اتّضحت منه معالم فلسفته. وإنعام النظر في محاورات أفلاطون يقودنا إلى استجلاء إستراتيجية واضحة استند إليها في محاجتهم هي إستراتيجية "الكشف"؛ لأنّه رأى أنّ محاورته لهم تعدّ إلى حد ما عمليّة كشف للقناع، ورفع للستار عن أغاليطهم ومزاعمهم وتلاعبهم بالألفاظ، ومعظم النقد الذي وجهه إليهم كان يدور حول الحجاج ومقصده في ضوء قيمتي الخير والشر.³

إنّ محاورات أفلاطون مع السفسطائيين هي البوتقة التي حوت فكره الحجاجي؛ ففي محاورته مع "جورجياس" بحث موضوع الخطابة ووظيفتها، وبحث في شرعية قيام هذا القول، وفحص موضوع الخطابة في مقابلته (علم/ظن)، وذكر أنّ الإقناع نوعان: الأوّل يعتمد العلم، والثاني يعتمد الظنّ، والإقناع الثاني في رأيه هو مدار رحي الخطابة السفسطائية، فالعلم يقوم على مبادئ صادقة،

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 22.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 23.

3- ينظر: حامد ناصر الظالمي و عابده جدوع حنون، نشأة الحجاج، ص: 6.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

وثابتة، والإقناع من هذه الوجهة يكون مفيدا يُكسب الإنسان المعرفة، في حين نجد أنّ الظنّ يقوم على الممكن والمحتمل، وهو لا يكسب معرفة؛ بل ينشئ اعتقادا.¹

وفي مقطع آخر من هذه المحاورّة قيّم وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة (خير/لذّة)، وذكر أنّ هناك صنائع تحقّق الخير للإنسان وهي جسمه ونفسه، وذكر أنّ هناك ممارسات تختل الإنسان وتخدعه، فهذه الممارسات جمعها تحت اسم جامع هو "التملّق"، وهذه الكلمة تفيد اللذّة والخداع، وفي رأيه فالخطابة السفسطائية هي «قول يتناول الظاهر لا الحقيقة ويقصد تحقيق اللذّة لا الخير».²

وفي محاورته مع "فيدر" اعتمد المعارضة والموازنة، والنصّ الذي دارت حوله لم يكن خطبة بل كان نصّا حجاجيا في الحب، و«حلم فيها أفلاطون بخطاب يكون جديرا بالفيلسوف، خطاب يمكن أن يقنع الآلهة نفسها، والآلهة عنده كانت عنوانا للخير والحقّ والجمال؛ أي عنوان قيم أساسية لبناء الإنسان».³

وكان أيضا لقضيّة التأثير الشكلي للخطاب في المتلقين نصيب من النقد في الفكر الحجاجي الأفلاطوني؛ حيث إنّ السفسطائيين أعطوا للشكل قيمة كبيرة في الحجاج، لكن أفلاطون على العكس من ذلك رأى أنّ المبالغة في تحسين العبارة تخلخل علاقة اللّغة بالفكر في الخطاب، ومنه فالجمال عنده يبنّي على أساس نشدان الحقيقة والفضيلة وتلازم اللّغة والفكر.⁴

ويتبيّن لنا من خلال ما سبق أنّ أفلاطون يعتمد معياري الحقّ والخير أساسا لكلّ حجاج أو بلاغة ينتفع بها الفرد أو المجتمع على حد سواء، وبهذا يتّضح أنّ أفلاطون اهتم فقط بالحجاج

1- ينظر: هشام الرفي، الحجاج عند أرسطو، ص: 63.

2- المرجع نفسه، ص: 64.

3- حامد ناصر الظالمي و عابده جدوع حنون، نشأة الحجاج، ص: 6.

4- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008 م، ص: 28.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

الأخلاقي، وهو حجاج يتّسم بالمثالية، ولذلك فالخطابة عند أفلاطون "فعل قولي أخلاقي" من خلال قيادة المتلقي إلى عتبات الأخلاق السامية والشمائل الكريمة.

ولذلك فالخطابة التي ينبغي أن يضعها الفيلسوف في الحسبان - حسب أفلاطون - هي تلك التي تنضوي تحت مظلة الحقيقة؛ حيث تكون النتائج العملية التي ينبغي الوصول إليها من دراسة الوقائع هي نتائج تفرض نفسها على كل عاقل. وي طرح أحد الباحثين تساؤلاً حول جدوى هذا الصنف من الخطابة؛ لأنّه «في هذه الحالة لا يكون من حاجة بنا إلى الحجاج؛ إذ تكون الوقائع والحقائق أو على الأقلّ الأمور الممكنة الوقوع الخاضعة لحساب الاحتمالات قادرة على أن تظهر للعيان من تلقاء نفسها».¹

ونخلص إلى القول إنّ الفلسفة الأفلاطونية فلسفة مثالية مفارقة لعالم المادّة والحسّ تعدّد عالم المثل هو الأصل، بينما العالم المادي الحسّي هو عالم مخادع وزائف ومشوّه، فمنهج أفلاطون إذن منهج ديني مثالي يحارب الظنّ والمراوغة والتزييف، وتحقيق المآرب غير الشرعية بسلطة القول، ومنه فهو منهج غير سياسي؛ نظراً لما تبيحه السياسة من وسائل عديدة ملتوية من أجل تحقيق مآربها.²

1-2-2- الحجاج عند أرسطو:

يعدّ أرسطو عالماً موسوعياً؛ حيث كانت فلسفته تفتح على كل ضروب المعرفة؛ إذ يبحث في الطبيعة والميتافيزيقيا، والنفس، وعلم السياسة، والفنّ، والشعر، وفنّ الخطابة؛ وهو واضع المنطق الصّوري الذي كان له أثر كبير على كثير من الفلاسفة الذين أتوا بعده، كما بحث في الجدل وما يتصل به من أقوال حجاجية قبل أن يبحث في البرهان وخصائصه البلاغية عامة والعلمية خاصّة، كما يعدّ كتابه "الإقناع" أهمّ كتاب في الإقناع وأدواته؛ إذ درس فيه الجدل وعلاقته بالخطابة.³

1- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011 م، ص: 16.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 29.

3- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص: 21.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ويجمع كثير من الباحثين أنّ أرسطو كان متميّزا في بحثه، وقد خالف أستاذه أفلاطون؛ «إذ إنّه لم يخرج الممكن والمستند إلى الرأي من دائرة الحجاج لديه، بل حاول أن يوجد لذلك قواعد ينتظم وفقها، ومعايير يستند إليها في الحكم فيه، إذ بدا متميّزا في نظرتة تلك التي لم يسبقه إليها أحد».¹

وفكر أرسطو البلاغي هو المنطلق الذي انبثقت عنه أغلب النظريات اللغوية والبلاغية فيما بعد بشكل عام، ونظرية الحجاج بشكل خاص. وقد دخلت هذه البلاغة في صراع ونقاش حاسم مع بلاغة أستاذه "أفلاطون" وخصومه "السفسطائيين"، وعلى الرغم من أنّ البلاغة الأرسطية اتخذت لنفسها مسارا تحليليا حديثا، إلا أنّها احتفظت من كلتا البلاغتين ببعض المكونات البنائية خاصة من بلاغة أفلاطون.

وقد توصّل أرسطو نتيجة وعيه الفكري إلى أنّ الخطاب البلاغي الجدلي منفتح على الميادين المعرفية الأخرى، ويستفيد من الحقول المجاورة، في حين أنّ الفكر الأفلاطوني كان يعدّ هذا الضرب من البلاغة فاسدا؛ ذلك أنّ أفلاطون اهتمّ في خطابه التي جعلها صناعة أساسها الحجاج، في حين نجد أرسطو في انتقاده للسفسطائيين يركّز على إنتاج الحجاج عندهم وما يتعلّق به من آليات؛ حيث يؤكّد أنّ العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي، أمّا العالم المثالي فغير موجود والحقيقة لا توجد إلا في العالم الذي نعيش فيه.²

وعدّ أرسطو الجدل والخطابة توأمين، وأشار إلى الرابط الذي يجمعهما بقوله: «إنّ الخطابة فرع من الجدل، وأيضا فرع من علم الأخلاق يمكن أن يدعى بحق على السياسة».³ كما حدّد العلاقة بينهما بعبارته المشهورة (Antistrophos) التي اختلف العلماء والشراح والمترجمون قدامى

1- ليلي جغام، الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، أطروحة دكتوراه، مخطوطة، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 1434هـ-2013م، ص: 10.

2- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص: 32-33.

3- أرسطو طاليس، الخطابة، حقه وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، (د.ط)، 1979 م، ص: 30.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ومحدثون في اختيار العبارة الأكثر دلالة وموافقة لها؛ فابن سينا استعمل في شرحه كلمتين هما "المشاركة والمشكلة"، في حين اعتبر ابن رشد أنّ كليهما تؤمّان غاية واحدة هي مخاطبة الغير.¹

وعليه فالمفهوم الذي قدّمه أرسطو للحجاج يجعله قاسما مشتركا بين الخطابة والجدل؛ حيث ربط بين خاصية الكلام والإقناع؛ ذلك أنّ الخطابة أو الريطوريقا (La Rhétorique) بالمفهوم اليوناني كما ترجمها العرب القدامى هي فنّ الإقناع عن طريق الخطاب، «وأنّ الوظيفة الإقناعية هي وظيفتها الأساسية، كما أكّد الفارابي في قوله: الخطابة صناعة قياسيةّ غرضها الإقناع».²

وعليه فإنّ مذهب أرسطو يقوم على عدّ المرسل ساعيا إلى إقناع المرسل إليه اعتمادا على تعبير مقصود لذاته، «فالإنسان؛ لأنّه متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي حوي به من الطبيعة».³

إنّ الحجاج وفق المنطق الأرسطي يصبّ في رافدين: حجاج جدلي وحجاج خطابي؛ فالأوّل يقوم على المناقشة النظرية الصرفة التي تهدف إلى الإقناع العقلي المجرد، أما الحجاج الخطابي فهو حجاج مؤسس على ظروف معيّنة وسياقات خاصة قصد إثارة مشاعر وانفعالات جمهور معيّن،⁴ «فالناس يلجؤون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة، وكل إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجّة من الحجج أو يدعّمها».⁵

وبما أنّ الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل -على حد قول أرسطو- «فإنّ جوهر هذه الخطابة في بنيتها وأداء وظيفتها وقدرتها على التأثير في

1- ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 18.

2- ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص: 248.

3- أرسطو طاليس، الخطابة، تر: إبراهيم سلامة، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط2، 1953 م، ص: 24.

4- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كليلة ودمنة لابن المقفع، أطروحة دكتوراه، مخطوطة، قسم الآداب واللغة العربية، كليّة الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 1436هـ-2015 م، ص: 10.

5- أرسطو طاليس، الخطابة، ص: 75.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

المتلقي يقوم على توفير الأدلة الخطابية فيها، فالبراهين دعامة الفنّ الخطابي؛ إذ يسخر الخطيب ما بوسعه من وسائل الإقناع المتاحة»¹.

واستخدم أرسطو مصطلح التصديقات في قوله: «فأما التصديقات التي تكون بالصناعة فلا يخبرون عنها بشيء، وهذه إنما تكون من قبل التفكير...»²، ليشير بها على الأرجح إلى الأدلة والحجج التي يؤتى بها لإثبات أمر ما وإقراره، وهي إنما تتأتى من خلال إمعان الفكر في عرض الأمر أو الموضوع.³

وقد ميّز أرسطو بين ثلاث مستويات من الحجج "الإيتوس، الباتوس، اللوغوس" في علاقتها بالأركان الثلاثة للفعل الخطابي: الخطيب، المستمع، الخطاب.

أ-الإيتوس "Ethos" "الباث/الخطيب": يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه؛⁴ أي إنّ الخطيب ينبغي أن يكون موضع قبول عاطفي لدى المتلقي لحظة بثّ الخطاب وتلقيه؛ فالخطيب لا يمكن أن ينصح إذا لم يكن سديد رأي؛ إذ بماذا يمكن أن ينصح المختل أو المغفل؟ وينبغي أن يكون الإنسان فاضلا، فلا يمكن أن ينصح إن لم يكن فاضلا، فالأشعار لا ينصحون ولا يلتفت إلى نصائحهم.⁵

ب-الباتوس "Pathos" "المتلقي/المستمع": ويشكّل مجموعة من الانفعالات التي يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.⁶ ويمثّل هذا البعد أطرف وأخطر مستوى في كلّ بلاغة؛ إذ إنّ الغاية في النهاية هي التأثير في هذا الطرف، وفي الواقع فإن كافة المقومات الأخرى لا قيمة لها إن

1-عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 21.

2-أرسطو طاليس، الخطابة، ص: 6.

3-ينظر: ليلي جغام، الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ص: 10.

4-ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية و اللسانية، دار الناشر للثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص: 18.

5-ينظر: محمد الولي، مدخل إلى الحجاج... أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص: 28-29.

6-ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية و اللسانية، ص: 18.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

لم تجد الصدى المناسب والمطلوب لدى المتلقي. وتحدث أرسطو عن مجموعة من الصفات الطبيعية العاطفية* للناس أو ما يميلون إليه، وينبغي أن يكون الخطيب على علم بها حتى يستطيع التحكم في انفعالات المتلقي؛ مما يمكنه من قيادته إلى الجانب الذي يريده؛ بل يساعدنا على الإحاطة بالوسائل التي تعيننا في عملية الإقناع.¹

ج- اللوغوس "Logos" "الرسالة/الخطبة": هو الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلائي في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.² وهو ثلاثة أنواع "القياس، والمضمر، والمقارنة، أو الشاهد، والتفخيم"، وقد سمى أرسطو المضمر قياسا خطابيا، وسمى الشاهد استقراءً خطابيا، وكلّ الناس يعملون على إثبات ما، إما بالشاهد وإما بالمضمر، ولا يوجد غيرهما من أجل بلوغ هذه الغاية، فإذا كنّا في الاستنباط العلمي نجد أنفسنا أمام مثل هذه العبارات: "إذا كان أ = ب، وكان ب = ج، فإنّ ج = أ" التي تمثل البرهان المنطقي الذي يسمى قياسا، وهو يقوم على الانطلاق من مقدمة كبرى تليها مقدمة صغرى ثم الاستنتاج، أو أمام هذه العبارة التي تعدّ من قبيل العبارات المنطقية "كل إنسان فان، صالح إنسان، صالح فان". غير أنّ القياس قد يغدو خطابيا* يُعبّر به عمّا لا تنسحب عليه صفة الصحة بالضرورة.³

وقرّر أرسطو منذ زمن بعيد مشاركة الناس بدرجات متفاوتة في الجدل والخطابة من خلال محاولاتهم العديدة في نقد الأقوال أو تأييدها والدفاع عن أنفسهم،⁴ أو الشكوى من الآخرين، فقد

*- إنّ الباتوس الذي ينبغي للخطيب أن يكون على علم به لكي يتحكم بالانفعالات التي يجب إثارتها عند المتلقي هو: الغضب والسكينة، فالحب والكراهية، والخوف والثقة، الفخجل والاستهتار، فالإحسان والشفقة والسخط، فالحسد والمنافسة.

1- ينظر: محمد الولي، مدخل إلى الحجاج... أفلاطون وأرسطو وشايم بيرمان، ص: 29.

2- ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية و اللسانية، ص: 18.

*- من الأمثلة على هذا القياس المضمر الشعار الذي حمله الثوار الفرنسيون في نضالهم ضد النازيين خلال الحرب العالمية الثانية "الأقوياء ينتصرون (مقدمة كبرى)، نحن أقوياء (مقدمة صغرى)، إذن نحن منتصرون (نتيجة)"، وهذا مجرد احتمال فقط؛ لأنّ الأقوياء لا يحالفهم النصر دائما، وأدلّ مثال الهزائم النكراء التي تكبّدها فرنسا أمام الثوار الجزائريين على الرغم من كونها قوّة.

3- ينظر: محمد الولي، مدخل إلى الحجاج... أفلاطون وأرسطو وشايم بيرمان، ص: 30.

4- ينظر: محمد الولي، السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، 61/2.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

نظر إلى البلاغة كونها كشافا نظريا يقوم على نظام من الخطط يهدف إلى تعديل سلوك الناس ومواقفهم، وإقناعهم بوجهة النظر الخاصة¹.

وينبغي أن نشير إلى أنّ هدف أرسطو من هذا التعبير لوظيفة الحجاج والخطابة تخلص الخطاب ممّا قد يشوّهه من تزييف وتملّق وركاكة، فالقول عنده له مكانة كبيرة؛ لأنّ اللّغة هي من تقوم بوظيفة هامّة في بناء المجتمع والإنسان على حد سواء.

وهكذا نستنتج من هذه الوقفة القصيرة مع الحجاج الأرسطي أنّه رفض أطروحات أستاذه أفلاطون المبالغة في المثاليّة؛ حيث دعا إلى بلاغة يكون الحجاج عمادها، ونظر إلى الحجاج نظرة تكاملية شمولية تفاعلية مع مختلف حقول المعرفة الإنسانية في ذلك العصر.

2- الحجاج في الفكر العربي القديم:

لقد عانى الدّرس الحجاجيّ في الفكر الغربي ركودا تاريخيا دام مدّة طويلة بلغت خمسة عشر قرنا منذ عهد "كونتيليان" و"شيشرون" الرومانيين (منذ حوالي القرن الثاني الميلادي وإلى حدود عصر النهضة)، فكان اهتمام الدّارسين خلال هذه الفترة منصرفا إلى البحث في الجوانب البلاغيّة والأسلوبية.

غير أنّ هذا الخفوت في الدّرس الحجاجيّ في الفكر الغربي قابله ازدهار في الفكر العربي الإسلامي الذي احتضن هذا الدّرس في سياق انفتاح الثقافة العربية الإسلامية بدءا من القرن الثامن والتاسع على الثقافة اليونانية.* وإذا كان الدّرس الحجاجي الغربي قد نشأ من المنازعات

1- ينظر: محمد مفتاح، التلقّي والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994م، ص: 38.

*- تجلّى هذا الانفتاح في ترجمة كتب أرسطو (الجدل، والخطابة، والسفسطة)؛ حيث شرّحت شرحا وافيا من قبل المناطقة والفلاسفة المسلمين خصوصا (الفارابي ت 339 هـ)، و (ابن سينا ت 427 هـ)، و (ابن رشد ت 595 هـ)؛ مما ساهم في شيوع الأساليب الحجاجية في المدارس الإسلامية بمختلف توجّهاتها واختصاصاتها.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

حول ملكية الأراضي الزراعيّة وُبني على أسس ديمقراطيّة، فإنّ الحجاج العربي منشأه الشعر العربي، كما تحقق أيضا في المنافرات القبليّة والخطابة العربيّة قبل الإسلام.¹

وما من شك في أنّ إستراتيجية الإقناع عن طريق الحجاج بعد البعثة النبوية واضحة في القرآن الكريم وأقوال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،² ثم تنامت الخطابات التي تجسّد هذه الإستراتيجية وتبلورت في كثير من العلوم، كعلم الكلام والفقه والأصول؛ بل إنّ الدرس الحجاجي سيتّوج بقيام علم خاص يدرس الفعاليّة الحجاجيّة والحواريّة سميّ بعلم المناظرة وآداب البحث الذي عدّ نظريّة عربيّة أصيلة في الحجاج.³

2-1- الحجاج في الدرس البلاغي:

أولى علماء البلاغة للتخاطب قديما اهتماما كبيرا، فعمدوا إلى تقسيم وجوه الكلام ومناسباته وتناسبه مع متلقّيه أيّا كان، ومهما كانت طبقتهم «فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام... فالواجب أن تقسّم طبقات الكلام إلى طبقات الناس فيخاطب السوقي بخطاب السوقه والبدوي بكلام البدو... ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب».⁴

وهذا ما يؤكّد أنّ علماء البلاغة العربيّة القديمة وظّفوا الحجاج في مؤلفاتهم؛ إذ شكّل بنية أساسية في خطاباتهم؛ نظرا للطابع العقلي الذي شاع في عصرهم، ولعلّ كثيرين في الوقت الحاضر يظنون أنّ الهدف من البلاغة العربيّة هو الزخرفة والتزييق والتنميق في الكلام، إلّا أن المتصّحح لأهمّ

1- ينظر: حامد ناصر الظالمي و عايدة جدوع حنون، نشأة الحجاج، ص: 10-11.

2- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة المتحدّة، بيروت، ط1، 2004م، ص: 447.

3- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 231.

4- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ت 411-420 هـ)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1989م، ص: 39.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

مصادرها القديمة يكتشف أنّ الهدف منها هو الإقناع، فالغاية من البلاغة العربية هي غاية حجائية بالدرجة الأولى.¹

ولكنّ بعض الباحثين مثل حمّادي صمود* - وإن أقرّوا بأنّ البلاغيين القدامى تناولوا مسائل الحجاج في مؤلفاتهم منذ عهد الجاحظ إلى حازم القرطاجيّ - إلاّ أنّهم يرون أنّ هذا الاهتمام لا يفي بالغرض، ولا يحقق شيئاً مما تطمح إليه البلاغة اليوم من الاهتمام بمسائل الحجاج بوصفها البلاغة، وبوصفها الوجه الأهمّ من وجوه إعجاز القرآن الكريم، كما ذهب الباحث عبد الله صولة في كتابه "الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية".²

2-1-1- الحجاج عند الجاحظ:

لقد نحى الجاحظ طريقاً عبقرتياً وسلك مسلكاً حصصاً في فنّ القول، فهو مؤسس الخطابة العربية ومحكم خصائصها، وقد سعى إلى وضع أسس البيان العربي.³

كما يعد الجاحظ واحداً من أولئك الذين دعموا وأثروا البلاغة العربية بصفة عامة والدراسة الحجائية بصفة خاصة، ذلك لأنّه «تناول ما يجب أن يكون عليه الخطيب، وهو عنصر ضروري في العملية الحجائية، ثمّ نبّه إلى أهمّ الصفات التي تجعل الخطيب ناجحاً، وذلك بسلامة الخطيب من العيوب النطقية والعي». ⁴

1- ينظر: طالب عويد نايف الشمري وحسام قدوري عبد، نظرية الحجاج... الجذور والاستواء، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، ص: 14.

*- وجه الباحث نقداً للقدامى؛ لأنّهم حصروا موطن الإعجاز في الشكل والهيئة وتصاريف الكلام؛ حيث إنه لم يدر بخلدهم أنّ الإعجاز أيضاً يتأتّى من الحجج التي بينها، والسياسة المنتهجة في ترتيبها كي تتضافر مع الشكل والهيئة فيبلغ النص من سامعه قصده، فالجلود لا تقشعر من خصائص البنية اللغوية فحسب؛ بل تقشعر أيضاً من إحكام بنية الحجج والقدرة المنقطعة النظر على الإقناع. ينظر: حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999م، ص: 108.

2- ينظر: علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله أمودجا، ص: 50.

3- ينظر: عبد الجليل العشاوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 45.

4- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، قراءة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013م، ص: 30.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ورغم أنّ الجاحظ لم يُفرد بكتب تتحدث عن أساليبه بالوصف والتصنيف والتفسير، فإنّ الإشارات القليلة التي بثّها القدامى في ثنايا كتبهم في وصف خصائص نثره أو الحكم عليه يمكن عدّها - إذا وضعناها في سياق قراءة معاصرة- إسهاما في تشكيل البلاغة المعاصرة.¹

وعلى الرغم من تباين استراتيجيات القراءة وتعدد مناهج التحليل ومعايير الحكم، إلا أنّنا نستطيع أن نستخلص من هذا التواصل التاريخي الطويل بين القراء ونثر الجاحظ جملة من السمات والمكوّنات التي شكّلت نسيج بلاغة نثرية استطاعت أن تنافس بلاغة الشعر «وأن تستأثر بنظر القراء الذين أسهموا بشكل من الأشكال في وصفها وضبط حدودها وتقرّي آلياتها وأصولها».²

وليس غريبا أن يمتلك الجاحظ أدوات الإقناع وآلياته، فقد كان رجل محاجة ومناظرة، متكلمًا بارعا محيطا عارفا بتصاريف وجوه الكلام، ملما بالنحو واللغة والأخبار، والأديان والثقافات، كما أنّه عايش فترة مهمّة وخصبة في تاريخ الفكر العربي الإسلامي؛ حيث نضجت في عصره العلوم ونشطت الترجمة، وتمازجت الأجناس، وأطلّت الزندقة والشعوبية* والإلحاد بأوجهها القبيحة.³

كما كان رجلا غيورا على قومه وعلى لغتهم ودينهم وعاداتهم، فلم يكن ليقبل بالأباطيل التي جاء بها الشعوبيون؛ فانبرى للردّ عليهم وسحق دعاويهم بالحجّة الدامغة. كما أنّ الجاحظ أيضا دافع عن القرآن الكريم؛ إذ إنّ الشعوبيين غالوا في ثلب العرب حتى امتد أثر ذلك إلى

1- ينظر: علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله أمودجا، ص: 53.

2- محمد مشبال، التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، العدد 2، أكتوبر- ديسمبر 2011م، ص: 153.

*- الحركة الشعوبية هي تعصّب كلّ شعب لقوميّته وحضارته ضد العرب وقد نتجت عن تعدد الشعوب التي ضمّتها المجتمع العباسي، حيث تآلف ذلك المجتمع الذي جمع العرب والفرس والروم والزنوج الخ... في بوتقة واحدة هي بوتقة الإسلام، وبما أنّ العرب يمثّلون الأمة الحاكمة، فقد اتّجهت الشعوبية ضدهم، فحاول أبناء الشعوب الأخرى أن يثبتوا للعرب هويّاتهم ووجودهم، ويظهروا لهم أنّهم ليسوا أفضل من سائر الأمم. ينظر: علي بوملحم المناحي الفلسفية عند الجاحظ، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأخيرة، 1421-2000م، ص: 41.

3- ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 45.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

التشكيك في كون القرآن الكريم تحديًا للعرب؛ إذ رأوا أنه ليس للعرب بيان حتى يأتي القرآن ليتحداهم فيه.¹

ونظرًا للمكانة الراقية التي تبوّأها نثر الجاحظ، فإنّه من النادر أن نجد من القدامى من لا يشيد بأسلوبه وقدرته البيانية، حتى إننا نلّفي ابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) الذي ينتمي إلى أهل السنة والجماعة يطري على الجاحظ المحسوب على المعتزلة، وينوّه بأسلوبه وقدرته الفائقة على الحجاج والإقناع.²

ولكنّ هذا الوعي الذي تجلّى عند الجاحظ في عنايته بالحجاج وأهميته في البيان والتبيين، لم يتممّ به من جاء بعده من البلاغيين والنقاد الذين لم يعطوا للقضية حقّها من الدراسة والتحليل، وانشغلوا عنها بالتفكير في العبارة وما يتبعها من تقليبات ووجوه، حتى غدت البلاغة العربية بلاغة عبارة لا بلاغة نص.*

وتجلّى الصبغة الحجاجية بجلاء في الفلسفة البلاغية عند الجاحظ من خلال ما ذهب إليه مثلاً من القول إنّ «جماع البلاغة البصر بالحجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، وإذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربّما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر».³

1- ينظر: ليلي جغام، الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ص: 194-195.

2- ينظر: محمد مشبال: التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، ص: 155.

*- يذهب أحد الباحثين إلى أنّ مرّد ذلك يعود إلى مجموعة أسباب منها: 1- منبت الحجاج الغربي الذي لا يهتم عادة بالوسيلة؛ بل بالغاية فقط. 2- أنّ من اهتموا بدراسة قضايا الحجاج هم المتكلمون والمناطقة الذين استخدموها لإثبات معتقداتهم الباطلة غالباً. 3- ارتباط الدراسات البلاغية كثيراً بالنصّ القرآني، واستناد الحجاج إلى بعض الآليات المتسمة بالخطورة كالقياس والجدل. 4- أنّ العلماء تناولوا الحجاج بصورة مقتضبة وتحت مسّميات مختلفة، لأنهم درسوه في إطار نظرية البيان. 5- صعوبة تفنين الحجاج وتجزئته؛ لأنهم تناولوه بعدّه قضية واحدة. ينظر: علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله أتمودجا، ص: 54-56.

3- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري ت 255 هـ)، البيان والتبيين، تح وشر: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 88/1.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ويبدو جلياً من هذا التعريف أنّ الجاحظ يعطي للبلاغة وظيفة إقناعية، وهذا مدار الأمر في كتاب (البيان والتبيين)؛ حيث إنّه اهتم بثلاث وظائف: وظيفة إقناعية حجاجية، ووظيفة إقناعية، ووظيفة إقناعية¹.

كما اهتم الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" بالحجاج واستراتيجياته الإقناعية؛ حيث يعرف البيان بأنه «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محضه كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع؛ إنما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام، وأوضح المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»².

كما أشار إلى الخصائص النفسية للخطيب، واستشهد بما ورد في صحيفة "بشر بن المعتمر" التي يقول فيها: «خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرها وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطاء، وأجلب لكل عين وغيره من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أنّ ذلك أجدى مما يعطيك يومك الأطول بالكّد والمطاوله والمجاهدة، وبالتكلف والمعادة»³.

ولم يكتف بذلك؛ بل حاول ربط مفهومي البيان والبلاغة بالطبيعة النفسية للخطيب، فيقول: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوق»⁴.

كما أنّ الجاحظ اهتم بنظرية التلقّي منطلقاً في ذلك من واقع حال الخطابة العربية القديمة، فجاءت نظريته لحالها منسجمة مع ما تعتمده تلك الخطابة من الطلاوة والحلاوة وحسن الصياغة

1- ينظر: حامد ناصر الظالمي و عايدة جدوع حنون، نشأة الحجاج، ص: 13.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ-1998م، 76/1.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م، 98/1-99.

4- المرجع نفسه، 71/1.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

وجودة السبك والجلالة، وما لذلك من تأثير كالسحر في لبّ المتلقي، وتأكيدا على أهمية المقوم الصوتي في مقام الاحتجاج.¹

ومن أهم مقومات نظرية التلقي عند الجاحظ مراعاة المقال للمقام ومقتضى الحال؛ إذ يقول: «والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكلّ مقام من المقال».²

وإذا أردنا البحث في أهمّ السمات التي تتمتع بها نثر الجاحظ سنجد "التناقض"؛ حيث اقترن عنده بالمقدرة البيانية وقوة الإقناع، بغض النظر عن طبيعة الموضوع وقيّمته أو موقف المتكلم منه، فكلّ الأفكار يمكنها أن تكتسب الشرعية بالبيان؛ لأنّ الأمر يعود في النهاية إلى القدرة على امتلاك الخطاب والتحكم في أدواته.³

وقد تميّزت نصوص الجاحظ بالتنوع، كما أنّها عاجلت كثيرا من القضايا في البلاغة والفصاحة والخطابة، وعيوب اللسان، وغير ذلك من أمور اللّغة والنقد، ممّا عرف العرب وجاء في كلامهم وجرى في أخبارهم، كما تضمنت غير ذلك ممّا أخذه العرب عن غيرهم من الأمم من هنود وفرس وروم واستفادوا منه، وصاغ الجاحظ كل ذلك في قالب حجاجي متميّز عدّد وجوهه ومستوياته بحسب ما يقتضيه النصّ وما تملّيه ضرورة تبليغه للمتلقي؛ لذلك فمستويات الحجاج عنده ليست واحدة؛ بل اختلفت وتنوعت بين الحوار الذي يعدّ ركيزة أساسية لكل حجاج؛ بل لا يقوم الحجاج من دونه.⁴

ولقد طغى على البلاغة العربية بعد الجاحظ الجانب الإمتاعى بدل الإقناعى لسبب أو لآخر

وهذا لا يعني أنّه لا وجود لنظرات حجاجية في مصنّفات البلاغيين الذين جاؤوا بعده، ومنهم:

1- ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 45.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، 99/1.

3- ينظر: محمد مشبال، التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، ص: 155.

4- ينظر: ليلي جغام، الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ص: 118.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

2-1-2- الحجاج عند حازم القرطاجني: يُستشف مما ذهب إليه حازم القرطاجني في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" أنّ المراد من الكلام غايتان (إخبارية وحجاجية) وذلك في قوله: «لما كان كلّ كلامٍ يحتمل الصدق والكذب، إمّا أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال».¹ وقد أكّدت الدّراسات الحجاجية الحديثة ما ذهب إليه القرطاجني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه فرّق بين الحجاج والاستدلال، وهذا ما ركّزت عليه النظريات الحجاجية كثيرا، ولا سيما نظرية "شايم بيرلمان" الحجاجية.

ويبدو من قوله هذا أنّه أراد الاحتجاج بما يطلق عليه في الدّراسات الحجاجية الحديثة "الحجج شبه المنطقية"، وهذه الحجج عُدتّ جزءا من التقنيات في نظرية بيرلمان الحجاجية، أما الاستدلال فقد قصد به الحجج المنطقية التي تتألف من مقدّمتين صادقتين، ونتيجة ضرورية.²

كما ميّز حازم القرطاجني الحجاج في الخطاب بأنّه يكون أحيانا بالتمويهات والاستدرجات فضلا عن أنّه «يكون بتهيؤ المتكلم ببيئة من يقبل قوله، أو باستمالة المخاطب، واستلطافه له بتزكيته وتقريظه، وإحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول»³، وإذا ربطنا هذا بمباحث البلاغة العربية فإنّنا يمكن أن نعدّها نظرة شاملة للنظرية الحجاجية عند بعض علماء البلاغة العرب.

كما اهتم بصناعتي الشعر والخطابة اهتماما كبيرا، وذهب إلى أنّ الغاية منهما إمتاعية وإقناعية وكلتا الغايتين يوظفهما البلاغي بغرض «حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله واعتقاده»⁴، وهذه هي الغاية التي يروم تحقيقها الدّرس الحجاجي الحديث.

1- حازم القرطاجني (أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم ت 684 هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986 م، ص: 62.

2- ينظر: حامد ناصر الظالمي و عايده جدوع حنون، نشأة الحجاج، ص: 16.

3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 63.

4- المرجع نفسه، ص: 20.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ويلاحظ أنّ القرطاجني ركّز على الخطاب الشعري أكثر من غيره من أصناف الخطابات الأخرى، مبيناً أنّه يختلف باختلاف أنحاء التخاطب ومذاهبه، مبيناً نوعيّة الحيل المتضمّنة فيه، والجهات التي من خلالها تنهض النفوس منها «ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول له».¹

2-1-3- الحجاج عند ابن وهب: يعدّ ابن وهب من العلماء الأوائل الذين تناولوا الحجاج وحاولوا مقارنته بمفهوم البيان من خلال مؤلفه "البرهان في وجوه البيان" الذي قسّم فيه البيان إلى أربعة أقسام؛ حيث يقول: «البيان على أربعة أوجه: فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبين بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، ومنه البيان باللسان، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب».²

كما تحدّث ابن وهب عن القياس فهو عنده يكمن في «التمثيل والتشبيه، وهما يقعان بين الأشياء في بعض معانيها لا في سائرهما؛ لأنّه لا يجوز أن يشبه شيء شيئاً في جميع صفاته ويكون غيره، والتشبيه لا يخلو من أن يكون تشبيهاً في حدّ أو وصف أو اسم».³

وقد قدّم ابن وهب تعريفاً دقيقاً للجدل والمجادلة؛ إذ تناول المقصد من الجدل، ووقوعه في مسائل خلافية، يقول: «وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به لإقامة الحجّة في ما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، والتنصّل من الاعتذارات ويدخل في الشّعْر وفي النثر».⁴

1- المرجع السابق، ص: 346.

2- ابن وهب (أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر ت 335 هـ)، البرهان في وجوه البيان، تح: حفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 56.

3- المرجع نفسه، ص: 67.

4- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، العراق، ط1، 1967م، ص: 222.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ويُستشف من هذا القول أنّ الجدل خطاب تعليلي يرام من ورائه تحقيق الإقناع، فالجدل إنّما يقع بين سائر الأشياء المسؤول عنها. وينبغي للمجيب إذا سُئل أن يقنع، وأن يكون إقناعه ذلك الإقناع الذي يلزم السائل حجّة القبول.¹

كما قسّم ابن وهب الجدل إلى تصنيفات أخلاقية، وميّز بين الجدل المحمود والجدل المذموم «فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحقّ، ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة، وطلب به الرياء والسمعة».²

كما بيّن أيضاً أنّ العلماء وذوي العقول من القدماء قد اهتموا بقضيّة الحجاج وإقامة الحجّة؛ حيث قال: «وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته، وبيّن عن حقّه، واستنقاص من عجز عن إيضاح حقّه، وقصّر عن القيام بحجته».³ وقد اشترط بن وهب في المشتغل بأدب الجدل ما يأتي:⁴

- أن يحلم عما يسمع من الأذى والنيز.

- ألاّ يعجب برأيه وما تسوّله له نفسه.

- أن يكون منصفاً غير مكابر، وأن يطلب الإنصاف من خصمه، ويقصد بقوله وحجته.

- ألاّ يستصغر خصمه ويستتهين به.

ومن اللافت للنظر أنّ ابن وهب قد تنبّه إلى بعض المباحث التي تعدّ من صميم الدرس الحجاجي الحديث، ومثال ذلك ما ذهب إليه في قوله: «إنّما يقع الجدل في الحجّة»⁵، فهو مطابق

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 225-228.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 176.

3- المرجع نفسه، ص: 177.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 190.

5- المرجع نفسه، ص: 225.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

لما تذهب إليه النظرية الحجاجية المعاصرة؛ حيث ترى أنّ الكائنات البشرية صانعة علّة، ومستخدمة علّة، والوقوف على كيفية صناعة الناس للعلل واستخدامها هو وسيلة ضرورية من أجل بيان عملية تطوير الدعاوى ومنح الموالاتة، وإذا كانت العلّة في جوهرها في ما يقدم ردّا على السؤال "لماذا؟" فإنّ مدار أمر العلّة المقنعة في أن يمنح المستمع موالاته.

2-2- الحجاج في الدرس الأصولي والفلسفي والنحوي:

2-2-1- الحجاج في الدرس الأصولي (ابن حزم أنموذجا):

يعدّ علم الأصول من العلوم المستحدثة، فقد كان المسلمون في الصدر الأوّل من الإسلام يتفهمون أصول الدين وفروعه من كتاب الله وسنّة رسوله على فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ولغتهم التي نزل القرآن بها، فلمّا اتّسعت رقعة الإسلام ودخل فيه أشتات من الناس ضعفت الألسنة واختلفت الطبقات، فكان لا بد من تدوين الدين أصولا وفروعا، حرصا عليها استقرارا وذيوعا.¹

وبعدّ أن انتشر علم الأصول وشاع، نشأ اختلاف بين الأئمة المعبرين حول الأدلّة والمصادر والمراجع من أجل الوصول إلى المعنى، فنشأت المذاهب الفقهيّة المختلفة، ومن أشهر السّجلات الفقهيّة الأصوليّة ذلك الذي نشب بين ابن حزم وفقهاء عصره من المالكيّة، وحفظته الكتب، وتناقلته الرجال عبر الآفاق.

وظلّ المذهب المالكي منفردا في الأندلس والمغرب دون منازع حتى بزغت شمس القرن الرابع للهجرة، وفيه كان ابن حزم الظاهري الذي نشأ شافعيّا، ثم انتقل إلى مذهب الظاهرية، فأرسي دعائم مذهب الظاهرية ووطّد أركانه، وتعرّض في سبيل ذلك للنقد والأذى والسجن والنفي، وبعدّ

1- ينظر: عبد الله مصطفى المراغي، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، وزارة الأوقاف، مصر، 1366هـ-1947م، 5/1.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

المؤسس الحقيقي لمذهب الظاهرية بدفاعه عنه، وكثرة مؤلفاته فيه، حتى نُسب إليه وأصبح معروفًا لدى العلماء "بابن حزم الظاهري".¹

والإمام ابن حزم الأندلسي وقد مضى على خروجه إلى الدنيا ألف عام إلا أنه بقي جامعة متنقلة بين مشارق الأرض ومغاربها، وبين قاراتها الخمس بمؤلفاته ومدونات، ورسائله الكبرى والوسطى والصغيرة في جميع الفنون والعلوم الإسلامية، فهو موسوعة شاملة بمذاهبه وآرائه ونظرياته، ويعدّ أحد أئمة الإسلام المجتهدين في التفسير، والحديث، والفقه، وهو صاحب مذهب من مذاهب الأمة، له قواعده ومذاهبه وأهدافه، وله الأتباع والأنصار، ومؤلفاته تعدّ المرجع والحجّة منذ ألف سنة.²

ولذلك يلقّب ابن حزم الأندلسي بالمفكّر الحجاجي، فقد عرف بالسجال والحجاج والجدال والمناظرات، وأكبر دليل على ذلك موسوعته: "الفصل في الملل والأهواء والنحل" التي أورد فيها فصولًا حجاجية معتمدا على أدلة عقلية في الجمع بين المذاهب الكلامية، والفلسفية، واليهودية والمسيحية، والتزم فيها بالأمانة والمصداقية ولو مع خصومه، وهذا من باب المروءة والدين، فهو لم يكن يناظر حبا في المناظرة؛ وإنما كان يسعى دائما لإظهار الحق.³

كما تصدّى للخصوم في كثير من المسائل بكل ما يملكه من أدلة عقلية وهي المعول عليها في الكلام، والمعتمد عليها عند المتكلمين؛ لأنها هي التي ترشد إلى الحق، لا يهّمه في بيان ما يصل إليه رضا أحد أو غضب أحد، وكان عالي الهمة، لا ينماع في غيره، تزيده قوّة خصمه علواً، ولا يضعف، ولا يتبع إلا مصادر الشرع، يعلو على الشديد ولا يستسلم، ويعلو على المقاومة ولا يهنؤ

1-ينظر: محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عام الكتب، القاهرة، مصر، ط 5، 2006م، ص: 27.

2-ينظر: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، معجم فقه ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009 م، ص: 10-12.

3-ينظر: محمد آيت همو، ابن حزم فارس الحجاج في الغرب الإسلامي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1427هـ-2006م، ص: 127-129.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ولا يضعف، وكان مع كل ذلك فيه حدّة شديدة، فكان إذا ردّ قولاً رماه بالشناعة، ورمى صاحبه بالخروج عن الدين.¹

كما كان يعتمد كذلك خلال مناظراته على الأدلة العقلية الناصعة، وهي في نظر "ابن حزم" القرآن والسنة أو إجماع الصحابة، فهو يستبعد قطعاً أيّ اشتراك إنساني في المسلك الديني، ويؤكد بكل وضوح « أن الله إنّما كلّفنا اتباع القرآن وبيان الرسول الكريم الذي نقله إلينا أولو الأمر منا، على ما بيّنا فقط؛ ولأنّ أحكام الدين كلّها من القرآن والسنن لا تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما، إمّا وحي مثبت في المصحف وهو القرآن، وإمّا وحي غير مثبت في المصحف وهو بيان رسول الله ». ²

2-2-2- الحجاج في الدّرس الفلسفي (ابن سينا أنموذجاً):

لا بدّ للخطاب الفلسفي من أفعالٍ ينجزها وترتبط أسلوبيّته بها، ولا بدّ لهذه الأفعال من دافعيّة حجاجيّة تقوم عليها، وتستند إليها الأغراض والأهداف والغايات، وتؤسّس بها قواعد النظرات والمقولات، وقد ساهم البعد الحجاجي في تطوير الخطاب الفلسفي وتنوّعه، من خلال بناء الحجّة وهدم الحجّة المضادّة.³

وقد تطوّرت الفلسفة بسبب تشاكس الآراء وتعارض المذاهب، ووجود الرّأي والرّأي الآخر، بشرط الالتزام بحبوة التعليل، والتدثّر بجلباب المنطق، وحشد الأدلّة والبراهين من أجل إثبات النظريات ووجهات النظر؛ مما أثرى الدّرس الحجاجي الفلسفي العربيّ الذي برزت في فضاءاته أسماء رنانة لها قدم راسخة في الحقل الفلسفي، وعلى رأسهم الشيخ الرئيس "ابن سينا".

1-ينظر: المرجع السابق، ص: 129.

2-عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباحي، تر وتح وتع: عبد الصّبور شاهين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ-1986م، ص: 166.

3-ينظر: عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقارنة حجاجيّة للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1430هـ-2009م، ص: 125.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ولا شك في أنّ ابن سينا يعدّ من الفلاسفة المسلمين الذين ألهموا القدرة على التوفيق بين الفلسفة والدين بأسلوب حجاجي إقناعي؛ إذ هو واحد من رواد الفلسفة الطبيعية، وقد تأثر بفكر الفارابي الذي مهّد له الطريق وحدّد له القضايا،¹ وتميّز أسلوب ابن سينا بالتعليل، وطول النفس وكثرة الاستطراد في معالجة المسائل الفلسفية القائمة على "العلم بالوجود بما هو موجود"، وعلم المبادئ التي تقوم عليها العلوم الجزئية.²

ويرى ابن سينا أنّ الغاية من الفلسفة بشكل عام هي فهم طبيعة الوجود، فكانت فلسفته عقلية في أصولها ومبادئها، صوفية في ألفاظها وتعايرها، توفيقية في غاياتها وأهدافها، طابعها التوفيق بين الحكمة والشريعة؛ حيث كان يقرب الهوة في كثير من القضايا المتداولة بين الدين والفلسفة، بعد تجريدتها من كثير من حساسياتها، كي لا يفرط في اتجاهها العقلي، وكان يرى أنّ مصدر المعرفة الإنسانية هو فيض العقل الفعّال، وما البدن وحواسه إلا وسائل تهَيء العقل لقبول فيض العقل الفعّال.

وسمّا ابن سينا بالمنطق إلى قمة النشاط الإنساني، وجعله ممثلاً للعقل العملاق، وحدّه بأنّه «آلة قانونية عاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوّره ونصدّق به، وموصلة إلى الاعتقاد الحقّ بإعطاء أسبابه ونهج سبله»،³ وعلى هذا فالمنطق عنده هو كلّ ما أوصلك إلى حقائق الأمور عن طريق العقل الذي يتمّ بالشعور وهو أهمّ سماته،⁴ بعدّه حالة من الوعي أو الإدراك المصاحبة للإنسان في حركاته وسكناته الكثيرة والمتعدّدة.

كما يظهر تطوّر المنطق عند ابن سينا من خلال دراسته للتعريف الذي سار في طريقتين:⁵

1- محمد عبد الرحمن مرجبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، دار منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1982 م، ص: 474.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 480.

3- المرجع نفسه، ص: 488.

4- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2006 م، ص:

24.

5- ينظر: محمد عبد الرحمن مرجبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص: 490.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

1-أحدهما استنتاجي أرسطوطاليسي هابط يبدأ من المقولات المجردة وينتهي بالموضوع المحسوس، وكان ذلك عندما كان خاضعا لأرسطو في بداية حياته.

2-الأخر استقرائي سيناوي صاعد، ينطلق من الخواص المحسوسة في الموضوع إلى الماهية المعقولة، وتبدى ذلك بعد تمام نضجه واستقلاله، ومثال ذلك رؤيته في الأخلاق، وهي هيئة النفس الناطقة في علاقتها الفعلية والانفعالية مع البدن؛ فالبدن -بالقوى البدنية- يقتضي أمورا، والنفس -بالقوة العقلية- تقتضي أمورا عقلية لكثير منها، فتارة تحمل النفس على البدن وتارة تسلّم للبدن فيمضي في فعله؛ فالسعادة الإنسانية -عنده- لا تتحقق إلا بإصلاح الجزء العملي من النفس، وذلك بحصول ملكة التوسط بين الخلقين الضدين، أما القوى الحيوانية فبأن تحصل فيها هيئة الإذعان، وأما القوى الناطقة فبأن تحصل فيها هيئة الاستعلاء.¹

وهو بهذا التصور يرى أنّ النفس مجبولة على الخير في إطار الفضيلة، وكلّما كان السموّ بالنفس الناطقة كان التحكّم في قوى اللذات والشهوات، فرؤية ابن سينا المنطقية في الماديات والمعنويات تعتمد على العقل وتنطلق منه وتقيده بضوابط الشرع، الأمر الذي جعل منها ذات مبدأ وسطي بين الحكمة والشريعة.

2-2-3-الحجاج في الدرس النحوي (ابن مضاء أنموذجا):

الحجاج في النحو العربي ممارسة واضحة في أعمال النحويين، وإن كان التنظير لها في كتب أصول النحو باهتا؛ حيث مزج جمهور النحاة في أعمالهم الأحكام النحوية بحججها المتفق عليها والمختلف فيها، حتى بدت كالسياج الذي يحمي الأحكام من الاعتداء أو التبعض؛ بل يخاف على ملامح شخصية النحو العربي، أما كتب الأصول -باستثناء الخصائص لابن جني- فقد بقيت خارج السرب العام للنحو العربي؛ ذلك أنّها لم تحاول التنظير للنحو العربي من التجربة النحوية

1-ينظر: المرجع السابق، ص 586.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

نفسها، بل استعارت هيكلًا معرفيًا يتمثل في علم أصول الفقه مع تطعيمه بمنهج علم مصطلح الحديث أحيانًا.¹

وإن كانت التجربة النحوية العربية القديمة قد لقيت قبولًا واسعًا طوال خمسة قرون، ولم تؤثر فيها تلك المحاولات النشاز التي كانت تنطّ هنا وهناك ناقدة بعض الجزئيات، إلا أنّ هذه الرتبة انكسرت في القرن السادس للهجري بظهور أجرًا محاولة إصلاحية نحوية في الأندلس قادها القاضي "ابن مضاء القرطبي" (ت 592 هـ).

وكان وجود ابن حزم الأندلسي وقوة دفاعه عن المذهب الظاهري «دعوة إلى فهم النصوص بطريقة جديدة، وهزًا للمقلّدين الذين طال عليهم الأمد في اتباع غيرهم، ليفهموا ويستعملوا عقولهم، بدلًا من التقليد والتبعية».²

ولذلك كان عهد الموحدّين الذي عاصره "ابن مضاء القرطبي" في القرن السادس ردّ فعل على الاتجاه التقليدي المتجمّد، وإذكاء لتلك الجذوة التي أوقدها ابن حزم، وحاول الفقهاء والغوغاء جهدهم ما استطاعوا إطفاءها. وقد عاصر ابن مضاء أمراء دولة الموحدّين، وولي رئاسة القضاء ليوسف بن عبد المؤمن، ويعقوب بن يوسف، والثورة الفقهية في عنفوانها، وأغلب الظن أنه كان من قادتها، وقد امتدت ثورته من الفقه إلى النحو.³

ولم يصلنا من مؤلّفات ابن مضاء القرطبي إلا كتاب "الردّ على النحاة"، وهو يناقش فيه أصول النحو عند العلماء الأوائل، واتّخذ فيه لنفسه طريقًا لم يسلكه من سبقوه؛ محاولًا ابتداء منهج جديد يثور على الأفكار البالية التي وسمت مؤلّفات النحويين المتقدّمين، ومن هذا حذوهم من المتأخّرين «وإذن فالدعاء قديم وقد استفحل هذا الداء بعد الخليل، حتى أصبح ما لا نحتاج إليه في كتب النحو يزيد أضعافًا مضاعفة على ما نحتاج إليه؛ بل لقد أصبح ما نحتاج إليه في كتب

1- ينظر: حسن خميس الملّخ، الحجاج في الدرس النحوي، مجلّة عالم الفكر، مج 40، ع 2، أكتوبر وديسمبر 2011 م، ص: 122.

2- محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللّغة الحديث، ص: 27.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 30.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

النحو موضع الاهتمام والعناية من النحاة؛ لأنه الجانب المستغلق، ولأنه مكان الشبهة والنظر»¹، وكان قوام اجتهاده في النحو مستمدًا من روح الثورة الفقهيّة، من خلال طرح تقليد السابقين، واستقراء النصوص كما هي، وترك الظنون والفروض.²

وبعد أن استقصى ابن مضاء واقع الدرس النحوي الموروث وجد أنّ مردّ بلاياه كلّها يعود إلى نظرية العامل، هذا الأخير الذي يعدّ العمود الفقري للنحو العربي، وأساسه الذي عُقد به، أو قُلّ القطب الذي دارت عليه رحاه، وهاله أنّ هذه الرحي لا تطحن إلّا تعسّفات من تقديرات وتعليقات، وقلمًا طحنت شيئًا نافعًا فيه بلاغ للناس، حينئذ أَلّف كتاب "الرد على النحاة" مناديا فيهم أنّ حطّموا نظريّة العامل، والتقديرات، والأقيسة والعلل، حطّموا التمارين غير العمليّة، حطّموا ما لا نفيد منه في صحّة الأداء، ولا صوابا في اللسان.³

وعليه فقد دعا إلى تحطيم نظرية العامل ونبذها والتخلّص منها؛ حيث يقول: «فمن ذلك ادعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي، وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا (ضرب زيدٌ عمرًا) أن الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمر إنّما أحدثه ضرب... فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب، وذلك بيّن الفساد».⁴

وحاول أن يسوّغ لرأيه هذا محتجًا بكلام ابن جني في كتاب الخصائص؛ حيث يقول: «وأما في الحقيقة ومحصل الحديث فالعمل من النصب والرفع والجزم؛ إنّما هو للمتكلم نفسه لا

1- ابن مضاء القرطبي (أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن مضاء اللّخمي القرطبي ت 592 هـ)، الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1366 هـ-1947 م، ص: 5.

2- ينظر: محمد عبد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللّغة الحديث، ص: 27.

3- ينظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص: 5.

4- المرجع نفسه، ص: 76.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

لشيء غيره»¹. وعلّق قائلاً: «فأكّد المتكلم بنفسه ليرفع الاحتمال، ثم زاد تأكيداً بقوله: لا لشيء غيره. وهذا قول المعتزلة، وأما مذهب أهل الحقّ فإنّ هذه الأصوات؛ إنّما هي من فعل الله تعالى، وإنّما تنسب إلى الإنسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية»². وهذا تماماً عكس مذهب أبي الفتح بن جيّ الذي يوافق النحاة في القول بصحّة نظرية العامل؛ بل إنّه يراها حكماً في تفسير الظواهر النحويّة³.

ويواصل ابن مضاء نقده لنظرية العامل مستنداً إلى جملة من الحجج والبراهين التي تعضد مذهبه؛ إذ نلفيه يقول في موضع آخر: «إنّ الفاعل عند القائلين به، إما أن يفعل بإرادة كالحیوان، وإما أن يفعل بالطبع كما تحرق النار ويبرد الماء، ولا فاعل إلاّ الله عند أهل الحق، وأمّا العوامل النحويّة فلم يقل بعملها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيها؛ لأنّها لا تفعل بإرادة ولا بالطبع»⁴.

ومن الأمور التي ثار عليها ابن مضاء أيضاً مبدأ الإضمار والتقدير؛ حيث إنّ هذه الفكرة لا تماشى والمذهب الظاهري الذي يعتنقه ويدافع عنه، وعليه فقد ميّز بين ثلاثة أقسام من المحذوفات: «محذوف لا يتم الكلام إلا به حذف لعلم المخاطب به... والثاني محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تامّ دونه وإن ظهر كان عيباً... وأما القسم الثالث مضمّر إذا ظهر تغیر الكلام عما كان عليه قبل إظهاره...»⁵ ومن هنا فقد ذهب إلى قبول الإضمار في الحالة الأولى فقط دون غيرها؛ لأنّ ذلك من باب البلاغة والإيجاز، في حين يرفضه في الحالتين الثانية والثالثة؛ لأنّه ليس هناك دليل على اللفظ المضمّر إلاّ ادّعاء أن كلّ منصوب يلزمه عامل لفظي⁶.

1- ابن جيّ (أبو الفتح عثمان ت 392 هـ)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، 109/1-110.

2- ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص: 77.

3- ينظر: ابن جيّ، الخصائص، ص: 196 / 1.

4- ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص: 77.

5- المرجع نفسه، ص: 79-80.

6- ينظر: المرجع نفسه، ص: 81.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ولم يسلم القياس أيضا من النقد، وكان من المسائل التي اجتاحتها ثورة ابن مضاء القرطبي على الرغم من أهميته الكبيرة في الدرس النحوي بإجماع البصريين والكوفيّين؛ إذ نلفي أبا عثمان المازني (ت 274 هـ) يقول في شأنه: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب؛ ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك كلّ اسم كل فاعل ولا مفعول، وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره، فإذا سمعت قام زيد أجزت ظرف بشر وكرم خالد».¹ ويقول أبو الحسن الكسائي (ت 189 هـ) إمام مدرسة الكوفة:²

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعُ *** وَبِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ

وقد رأى ابن مضاء أنّ التوسّع في القياس مذموم؛ لأنّ «العرب أمة حكيمة، فكيف تشبّه شيئا بشيء، وتحكم عليه بحكمه، وعلّة حكم الأصل غير موجودة في الفرع، وإذا فعل واحد من النحويّين ذلك جهل، ولم يقبل قوله، فلم ينسبون إلى العرب ما يجهل بعضهم بعضا».³ واحتجّ لخلط مذهب النحويّين ببعض الأمثلة، منها ما ذهبوا إليه في قياس سقوط التنوين في الفعل على سقوطه في الاسم الممنوع من الصرف لعلّة الثقل، حيث يقول: «والوجه عندهم لسقوط التنوين من الفعل ثقله، وثقله لأنّ الاسم أكثر استعمالا منه، والشيء إذا عاوده اللسان خفّ، وإذا قلّ استعماله ثقل، وهذه الأسماء غيرها أكثر استعمالا منها فثقلت، فمنعت ما منع الفعل من التنوين وصار الجزر تبعاً له. وليس يُحتاج من هذا إلا معرفة تلك العلل التي تلازم عدم الانصراف، وأما غير ذلك ففضل، هذا لو كان بينا فكيف به وهو ما هو في الضعف؛ لأنه ادّعاء أنّ العرب أرادته، ولا دليل على ذلك إلا سقوط التنوين، وعدم الخفض».⁴

1- ابن جيّ، الخصائص، 1/ 357.

2- ابن السراج الشنتريني (أبو بكر محمد بن عبد الملك النحوي ت 550 هـ)، كتاب تنبيه الألباب على فضائل الإعراب، تح: عبد الفتاح الحموز، دار عمار، عمان، ط1، 1416هـ-1995 م، ص: 46.

3- ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص: 134.

4- المرجع نفسه، ص: 136.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ويمكن أن نخلص إلى القول إنّ ابن مضاء القرطبي مثل الثورة النحويّة الحجاجيّة التي انتهجت مبدأ الشكّ وإخضاع الموروث للتمحيص والدراسة والغربلة وعدم الاتّباع الأعمى لما قاله القدامى، وعلى الرغم من ذلك، فإنّنا نجدّه قد تساقق مع منهجهم في قضية الاستشهاد مثلاً، ومن خلال القيام بعملية إحصائية للشواهد النحويّة التي وردت في كتابه نجد أنّ عدد الشواهد الشعرية قد بلغ أربعين شاهداً؛ مما يدلّ على احتدائه حدو من سبقوه في الإكثار من الشاهد الشعري على حساب غيره.

III- الحجاج في الدرس الحديث:

مرّ الحجاج بفترة عصيبة تلتخّ فيها بالسلبية ووُصِم بالنبذ، وتمّ اتّهامه بالمغالطة ومخافة الحقائق، وتصوير الباطل في صورة الحق والعكس صحيح. ولكنّ العصر الحديث فتح له باب المجد على مصراعيه وأعاد له اعتباره؛ حيث تمّت إعادة بثّ وإحياء الدرس الحجاجي والإقناعي عن طريق تأسيس نظريّات جديدة، قامت بعضها على أنقاض الفكر الحجاجي القديم، واستفادت بعضها من الأطروحات التي قدّمتها.

وينبثق سليل الدرس الحجاجي الحديث -حسب ما يرى الباحثون- من رافدين أساسيين، الأول: تمثله النزعة التداوليّة في اللّغويات المعاصرة، والثاني: تمثله أعمال الخطابة الجديدة من خلال رائديها "بيرلمان" و"تيكيتاه"؛ إذ إنّ الحجاجيات اللّسانيّة مثّلت تحاوزاً لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارها، لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه، يروم الوصول إلى نضج نظري يُخرجه من دائرة النظريات الفلسفيّة ليلحقه بالممارسة العلميّة التي نادت بها اللسانيات.¹

1- ينظر: رشيد الراضي، الحجاجيات اللّسانيّة والمنهجية والبنويّة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، 79/2.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

1- الحجاج عند أنسكومبر وديكرو:

نظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع كثير من النظريات والتصوّرات الحجاجية الكلاسيكية التي تجعل الحجاج منتسبا إلى البلاغة الأرسطية الكلاسيكية، أو البلاغة الحديثة، أو منتميا إلى المنطق الطبيعي.¹

وتهدف نظرية الحجاج التي وضعها كل من "جان كلود أنسكومبر" Jean claud "anscombe" وأزوالد ديكرو "Azwald ducrot" إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة، فهما يريان أنّ الحجاج يكمن في اللغة دون سواها؛ ولذلك فإنّ مدار اهتمام النظرية التي حبكاها هو الوسائل اللغوية، وإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوقّر عليها المتكلم، وذلك قصد توجيه خطابه في اتجاه ما، كي تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، وهي تنطلق من فكرة أساسية مفادها أننا «نتكلم عادة بقصد التأثير».²

وذهب أحد الباحثين إلى القول إنّ جذور نظرية الحجاج اللغوي التي اشتهر بها "أنسكومبر وديكرو" تعود إلى نظرية الأفعال اللغوية التي أسّسها أوستن (J.L. Austin) وسيرل (J.R. Searle)، وقام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستن بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج.³ ممّا يعني أنّ الحجاج في رأيه لغوي لساني، وعليه فقد قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم التكليم (التلفظ) أو الإنجاز بأنّه «فعل موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية؛ أي مجموعة الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار، والقيمة الحجاجية

1- ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1427هـ-2006م، ص: 55.

2-Oswald Ducrot/Jean Claud Anxombre, L'argumentation dans la langue, Pière Mardaga, Editeur 2, Galerie des princes, 1000 Bruxelles, P.7.

3- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 1426 هـ-2006 م، ص: 15-16.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميته واستمراره»¹.

ويذهب الباحثان إلى رفض الرأي القائل بأنّ هناك فصلا بين الدلالة والتداوليّة؛ حيث إنّ «بمجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجّلة في أبنية اللّغة، وتوضيح شروط استعمالها الممكن»².

وهذا يعني أن التداولية المدججة في الدلالة لا تُعنى بالبحث عن الجوانب التداولية خارج إطار اللّغة؛ وإنما تبحث عنها داخل بنية اللّغة نفسها، وبالتالي «فالموقف المبدئي من التداولية المدججة، هو أنّ اللّغة تحقّق أعمالا لغويّة، وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون، وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون»³. ومنه فالباحثان يعدّان اللّغة في حدّ ذاتها أساس البحث في الدلالة التداوليّة.

2- الحجاج عند بيرلمان وتيكتاه:

قبل الولوج إلى الحجاج عند بيرلمان، ينبغي أن نشير إلى أنّ الخطابة قد عرفت انكماشاً وانحساراً وحرباً ضروساً شتّى عليها أحد أكبر العقول في القرن السادس عشر، وهو الفيلسوف الفرنسي الشهير والمفكّر الفدّ رونييه ديكارت "René Descartes" الذي هدم ركنا مهمّاً برفضه الاحتجاج انطلاقاً من مقدّمات معروفة مشهورة ومحتملة* ويوجد إلى جانب ديكارت فلاسفة

1- المرجع السابق، ص: 16.

2- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللّغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، (د.ط)، (د.ت)، ص: 351.

3- المرجع نفسه، ص: 354.

*-اشتهر رونييه ديكارت بفكرة الشكّ المنهجي؛ إذ يرى أن الحقيقة لا يمكن أن تكون إلا بديهية، وبالتالي فهي واحدة، فإذا وقع الاختلاف حول أمرين فإن أحدهما صائب والآخر خاطئ بالضرورة، أو كلاهما خاطئان، وعليه فلا يمكننا البتة أن نحتجّ لأمرين أو متناقضين، وهو ما يحدث في الجدل والحجاج.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

آخرون ساهموا في تقليص دور الخطابة؛ بل في حملها على التراجع وخاصة الفلاسفة العقلانيون الإنجليز الذين جعلوا التجربة الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحقيقة.¹

لقد تأسست البلاغة الجديدة أو الخطابة الجديدة منذ سنة 1958م مع رجل القانون التشيكي "شايم بيرلمان" (Chaim perelman) واللّسانية البلجيكية "لوسي أولبريخت تيتيكاه" (Lucie Olbrechts -Tyteca) اللّذين أصدرتا كتابهما (مصنّف في الحجاج- البلاغة الجديدة)²، وتبلورت هذه النظرية أيضا عند ستيفن تولمين في "استعمالات الدليل أو الحجة"، و"شارل هاميلان" في كتابه "الأوهام".

وجعل كثيرون عنوان مؤلف شايم بيرلمان "مصنّف في الحجاج-البلاغة الجديدة-" بدلا من "رسالة في الحجاج". ويعدّ كتاب "إمبراطورية الخطابة" تلخيصا لكتاب "مصنّف في الحجاج- البلاغة الجديدة-"، وهو عرض مختصر لنظريته في الحجاج التي بسطها بشكل مسهب في هذا الأخير، فإذا كان مصنّفه الذي وضعه مع تيكيتاه عبارة عن أبحاث متفرّقة في مقالات وكتب أخرى لهما؛ فإنّ كتاب "الإمبراطورية" الذي ألفه قبل ست سنوات من وفاته يعدّ عصارة وخلاصة أعماله، سواء السابقة لصدور المصنّف أو اللاحقة له، فكلّ أعماله هي إمّا روافد تصبّ فيه أو امتدادات له.³

وينبغي أن نعلم أنّ هذا المؤلّف أعاد بثّ روح الحجاج؛ ولكنه لم ينطلق من العدم، بل يعدّ امتدادا للبلاغة الأرسطيّة رغم الاختلاف معه في كثير من النقاط؛ «فالبلاغة الجديدة تواصل بلاغة أرسطو من حيث توجّهها إلى جميع أنواع السّامعين. إنّها تحتضن ما يسمّيه القدامى "فنّ الجدل"؛ أي "طريقة الحوار والنقاش عبر الأسئلة والأجوبة، المهتمّة خاصّة بالوسائل الظنيّة"، وهو ما حلّله

1- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 1432هـ-2011م، ص: 19.
2-Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, L'argumentation : la nouvelle Rhétorique, Bruxelles, Editions de l'université de Bruxelles, 2009. Et Le champ de l'argumentation, Bruxelles, Editions de l'université de Bruxelles, 1969.

3- ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، مارس 2014م، ص: 28.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

أرسطو في كتابه الطوبيقا الذي يعرض التفكير الذي وسمه أرسطو بالجدلي الذي يميّزه عن التفكير التحليلي للمنطق الصوري»¹.

إذن فالإنجاز الأهمّ الذي قام به شايم بيرلمان -إذا أردنا أن نلخص أعماله في جملة واحدة- إعادته الطابع الفلسفي للخطابة الذي حُرمت منه عبر قرون على يد أفلاطون الذي عدّها مجرد سفسطة، وبمساهمة من أرسطو نفسه الذي أبعدها عن الفلسفة حين فصلها عن الجدل، بهذا الإنجاز أصبح بيرلمان -دون أدنى شك- أكبر مجددي الفكر الإنساني المعاصر.²

وحاول الباحثان إعادة صياغة مفهوم الحجاج على عكس المفهوم الذي كان شائعا عند أرسطو، فبعدما ظلّ حجاجه مرتبطا بالخطابة والجدل وصرامة المنطق، ربط الباحثان الحجاج بالحوار وحرية العقل؛ لذلك فالحجاج عندهما معقوليّة وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورّة ومن أجل حصول التسليم برأي الآخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك أنّ الحجاج عكس العنف بكل مظاهره.³

وعلى هذا يرى هذان الباحثان أن موضوع الحجاج هو درس تقنيات الحجاج التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض لها من أطروحات، أو أن تزيد من حجم درجة ذلك التسليم؛⁴ فالخطاب الحجاجي عندهما خطاب واعٍ يرتكز على منتج الخطاب أساسا، وعلى مدى قدرته على بناء نص حجاجي من خلال توظيفه لآليات الحجاجيّة المختلفة؛ إذ إنّه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسّد في الباث والمتلقي وفق تقنيات معيّنة يحاول بواسطتها كلّ منهما إقناع الآخر وإفحامه بحجج منطقيّة وعقلائيّة.

1- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008 م، ص: 15-16.

2- ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص: 28.

3- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتبكيته، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، (د.ط)، (د.ت)، ص: 298.

4- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص: 8.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

وعليه فيمكن القول إنّ أهميّة النظرية عند شايم بيرلمان وتيكيتاه هو استعراض الحجج المتناقضة والمتعارضة ذهنيا، واستجلاء منطلقاتها المنطقية والاستدلالية لمعرفة طابعها الإقناعي؛ أي اختيار الحجج المقنعة والمناسبة في موقف معيّن، وقد حاول بيرلمان قراءة مجموعة من النصوص المختلفة في الحقل السياسي، والاجتماعي، والفلسفي، والقضائي، بحثا عن الإقناعي والحجاجي، وآليات الحجاج وتمظهرات الخطاب الحجاجي، والبحث عن مختلف الوسائل الحجاجية التي تتضمنها النصوص المختلفة في علاقتها ببنياتها الخطابية. ومن أهم أفكار بيرلمان أنّه يعد الإقناع الوظيفة الأساسية للبلاغة وليس التأثير، وفي هذا السياق يقول بيرلمان: «نقصد بالحجاج المؤثر، ذلك المتوجه إلى مستمع خاص، وبالإقناعي المصوّب نحو كائن عاقل، فالفرق دقيق ورهين بمفهوم العقل أساسا».¹

3- الحجاج عند ماير:

يمكن القول من خلال ما سبق إنّ أفكار بيرلمان الحجاجية تدور في الفلك الإشكالي التساؤلي فقط؛ أما ماير فينطلق من الحقل الفلسفي الإبيستيمولوجي، وهذا العالم اللساني ما يزال عطاؤه مستمرا حتى اليوم، ناهيك عن مصنّعاته الكثيرة التي تدور في فلك الحجاج والبلاغة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر "المنطق، اللّغة والحجاج" وكتاب "أسئلة البلاغة" أيضا، وكتاب "علم المسألة"، وهناك كتب أخرى تدور حول الفلسفة.²

ويعدّ ماير مؤسس نظر فلسفي عميق حول نظرية وضع أسسها، وهي نظرية المسألة أو البروليماتولوجيا (La Problémarologie)، وهو يرسى بذلك مشروعاً ميتافيزيقياً معاصراً. والحقيقة أن تصوّر ماير للخطاب اللغوي وطبيعته ووظيفته ركن أساسي من أركان عملية التفلسف

1 - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, -L'argumentation : la nouvelle Rhétorique, p.36.

2- ينظر: سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، السور السبع الطوال أمودجا، مذكرة ماجستير، مخطوطة، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011 م، ص: 19.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

لديه؛ بل لعلّه منطلق عملية التفلسف ذاتها فهو الذي به تكون ثمّ تنشأ لتستقرّ قاعدة الصرح الفلسفي العامّ الذي هو بصدد بنائه، وهو صرح يشمل مجالات فلسفيّة عديدة.¹

ومن هنا فماير يعدّ أحد منظّري البلاغة المعاصرة؛ حيث أحدثت دراسته الأخيرة طفرة نوعيّة في تحليل الخطاب في مجال التواصل والإقناع، انطلاقاً من وجهة نظر فلسفيّة – كما سبق وذكرنا – تعتمد على البعد الافتراضي وتستند إلى الاختلافات الإشكالية في التأويل والفهم.²

وقد ذهب ماير إلى تعريف الحجاج بأنّه: «دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمانيّه».³ إذن فالحجاج عنده يقوم على الصريح والضماني، وهذا ما يضمن وجود الحوار بين طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه)، كما يضمن استمرارية الخطاب في حدّ ذاته، فيتأسس بذلك الحجاج على العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وباطنه، وتصبح الحجّة «جواباً أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدرّ يستنتجه المتلقي ضمناً في الجواب، ويكون ذلك بطبيعة الحال في ضوء المقام وبوحي منه».⁴

والحجاج وفق هذا المنظور هو دراسة التقنيات الخطائية المؤسسة لبنية الخطاب، مع مراعاة كلّ من ظروف المرسل والمرسل إليه، ومدى وعي كلّ منهما. ولكن أهمّ ما يمكن رصده في العملية الحجاجيّة و«يكاد ماير يختصّ به في صياغته لمفهوم الحجاج»،⁵ هو ربطه نظرية الحجاج بنظرية المسائلة فالحجّة عنده هي عبارة عن جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدرّ يستنتجه

1- ينظر: محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسائلة لميشال ماير، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 388.

2- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا للنشر، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2006م، ص: 194-195.

3- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص: 37.

4 - Michel Meyer, logique : Langage et Argumentation, Edition Hachette université, Paris, 2^{eme} édition, 1982, p. 137.

5- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص: 38.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

المتلقي ضمناً من ذلك الجواب، أو يمكن أن نقول إنّ الحجّة هي عبارة عن جواب لسؤال ضمني يستخرج من الجواب نفسه.¹

وقد استطاع ماير اعتماداً على منطلقات معرفيّة ومرتكزات فلسفيّة أن يؤسس منهجاً تساؤلياً يقوم على مبدأين اثنين:²

1- مبدأ الافتراض في تحليل الأقوال:

تقوم كلّ الأقوال على العمليّة التخاطبية على مبدأ الافتراض المؤسّس على الجواب والسؤال المفترضين انطلاقاً من مجموعة من المقوّمات التي تحكّم العمليّات التواصلية، كالسياق، والمعلومات الموسوعيّة، والتجربة الذاتية، والقدرات الفكرية، والتأويليّة، والتخييليّة؛ إذ يصبح كلّ قول "خبر، إنشاء، سؤال، تعجّب، أمر، نهي" افتراضاً لشيء ما داخل سياقٍ تخاطبي معيّن؛ أي جواباً عن سؤال سابق لجواب لاحق، فيعبّر الافتراض عن انتظارات متعددة ومختلفة تقتضيها العلاقة الإنسانيّة لتحقيق أهدافها ومراميها.³

2- مبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال:

يرتكز هذا المبدأ على طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال، ويهدف إلى تحقيق وظيفة القول تواصلًا أو إقناعاً، وهذه الاختلافات هي الميزة الحقيقيّة في العمليات التخاطبيّة، ليس بعدها تنوعات قوليّة في الشكّل والمضمون، بل بعدها اختلافات تحكّمها ضرورات ترتبط بالمعارف والخلفيات السياقيّة والثقافيّة، التي يتوفّر عليها الذهن البشري.⁴

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 38.

2- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص: 196.

3- ينظر: مليكة غبار، ومحمد رويض، وأحمد أمزيل، وعلي أجوز، الحجاج في درس الفلسفة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م، ص: 101.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 106.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

وجعل مايير الخطابة الأرسطية مصدرا نظريًا هامًا في تعميقه لدراسته علاقات الخطابات المتصلة بالحجاج، فهو ينطلق من وسائل الاستمالة الخطابية الثلاث التي حددها أرسطو:¹

أ- الإبتوس: وهو مجموع الخصال المتصلة بالخطيب والمؤدية إلى إحلال الثقة في الجمهور ويعبر عنه بالأخلاق.

ب- الباتوس: وهو ما ينبغي أن يثيره الخطيب في الجمهور من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تحقق اقتناعه وتسليمه مستوى الخطاب.

ج- اللوغوس: وهو الخطاب نفسه، ويعبر عنه اللغويون المحدثون بالرسالة التي يلعب فيها الأداء اللغوي دورا حاسما في تحقيق هذه الاستمالة بجمالية الخطاب أو بسطوة الحجاج العقلي، أو هما معا.

4- الحجاج عند طه عبد الرحمن: يعدّ طه عبد الرحمن من الدارسين الذين اهتموا بالحجاج اللغوي من منطلق فلسفي جدلي، وحدّد مفهومه لطبيعة الحجاج وآلياته، وقدمها في مصنفين: "في أصول الحوار وتحديد علم الكلام"، و"اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"؛ حيث حاول من خلالها إيجاد رابط منطقي لغوي طوّعه في سبك نظرية حجاجية تجمع بين قوّة المنطق وسلامة اللغة؛ لذلك تميّزت نظريته للحجاج بطابع فلسفي.

ويعرّف الحجاج بأنّه «كلّ منطوق موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»²؛ فالحجاج يتعدّى المعرفة المبسّطة فيما نطق به المتكلّم لتتعلق بما يقتضيه المنطوق؛ أي ما هو متضمّن فيه.

1- ينظر: محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسألة لميشال مايير، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، (د.ط)، (د.ت)، ص: 398.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 226.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

ويذهب إلى أنّ الحجاج يتضمّن « فعالية تداولية وجدلية، فهو تداولي؛ لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخباريّة وتوجهات ظرفية... وهو أيضا جدلي؛ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات الضيقة».¹

وذلك باعتبار الاستدلال الذي يشمل مجالي البرهان لتحقيق الإقناع الذي يهدف إليه الحجاج، كأن تُبنى الانتقالات فيه على الصور مع مضامينها مجتمعة، لا على صور القضايا وحدها، وأن تحمل الانتقالات ضمنا الكثير من المقدمات والنتائج، وأن تحمل هذه الانتقالات ضمنا الكثير من المقدمات والنتائج، وأن يفهم المتكلم المتلقي إثباتا أو إنكارا، كلّما تحقق ذلك داخل السياق الاجتماعي نفسه.²

ونظرا لقيمة الجدل والحوار في الخطاب الفلسفي، فقد سلك أفلاطون طريق المحاورّة في عرض آرائه الفلسفيّة، وعليه فهو جدلي تحاوري أكثر منه برهاني، وهذا ما أشار إليه طه عبد الرحمن في قوله: «لما كانت الفلسفة خطابا طبيعيا، فلا يفيدتها تقليد أهل البرهان في صنع استدلالات صوريّة لا هي ارتقت بها إلى درجة اليقين الرياضي، ولا هي هديّة إلى سبيل التوجيه إلى العمل، والحقّ أنّ الفلسفة الواعية بأصولها الطبيعيّة والتداوليّة لا تبغي إلّا مسالك الحجاج بديلا».³

كما عقد بابا في كتابه "اللّسان والميزان" سمّاها "الخطاب والحجاج"؛ إذ يرى أنّ الأصل «في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية والحجاجية المجازية، بناء على أنّه لا كلام بغير خطاب، ولا خطاب بغير حجاج، ولا حجاج بغير مجاز».⁴

1- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص: 65.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 65.

3- المرجع نفسه، ص: 60.

4- طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 137.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

وتناول مصطلح الدليل؛ إذ بيّن أنّه أُستعمل مرادفاً للفظ الحجّة عبد بعض الباحثين، وغلب على آخرين استعماله بشكلٍ أخص. ¹ ويذهب إلى القول إنّ للحجة وجهين تختص بهما دون الدليل وهما: ²

أ- إفادة الرجوع أو القصد:

ذلك أن الحجّة مشتقة من الفعل "حجّ"، ومن معاني هذا الفعل "الرجوع"؛ فتكون الحجّة بهذا المعنى أمراً نرجع إليه أو نقصده، ولا نرجع إليه أو نقصده إلا للحاجتنا إلى العمل به، فالحجّة بهذا المعنى هي الدليل الذي يجب الرجوع إليه للعمل به.

ب- إفادة الغلبة:

ذلك أن الفعل "حجّ" يدل أيضاً على معنى "الغلبة"، فيكون مدلوله إلزام الغير بالحجة، فيصير بذلك مغلوباً؛ وتبيّن من هذا المعنى أنّ الحجّة ترد في سياق الجدل والمناظرة؛ إلا أنّ ورودها في هذا السياق قد يكون بقصدتين: إما بقصد طلب العلم ونصرة الحق، وقد ينتج عن هذه النصرة غلبة الخصم، وإما بقصد طلب الغلبة ونصرة الشبهة، من غير أن ينتج عن حصول الغلبة حصول العلم. ويجتمع لنا من المعنيين السابقين للحجّة أنّها بالذات الدليل الذي يُقصد للعمل به، ولتحصيل الغلبة على الخصم، مع نصرة الحقّ أو نصرة الشبهة.

وتحدّث طه عبد الرحمن عن نماذج التواصل، وأنواع الحجاج، ومراتب الحجاج، وركّز على دراسة السّلم الحجاجي، والاستعارة بعدها من أقدّر الأساليب التعبيرية في إمداد الخطاب بقوة التفرّع والتكوثر.

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 213.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 137.

الفصل الأول: الحجاج المفهوم والنشأة

خلاصة الفصل:

نخلص في ختام هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

- الحجاج يقوم على توظيف الأدلة والبراهين ابتغاء التأثير في الآخرين، وتغيير قناعاتهم.
- يتداخل مصطلح الحجاج مع مصطلحات أخرى، مثل مصطلح "الجدل".
- الحجاج قديم قدم الإنسان؛ حيث يعود تاريخه إلى أقدم العصور.
- يمكن القول إن التراث اللغوي العربي حجاجي بامتياز.
- تنطوي الخطابات المختلفة على أبعاد حجاجية بدرجات متفاوتة.
- يعدّ الحجاج أنجع المقاربات في تحليل النصوص والخطابات.
- شهد الحجاج حقبة طويلة من الخفوت والاضمحلال، وأعيد له الاعتبار في العصر الحديث.
- ارتوى الدرس الحجاجي الحديث من معين رافدين أساسيين: النزعة التداولية والخطابة الحديثة.
- برزت أسماء كبيرة في فلك الدرس الحجاجي الحديث مثل: بيرلمان، وديكرو، ومايير.

الفصل الثاني: المناظرة، مفهومها، ونشأتها في

الفكر العربي

- مفهوم المناظرة
- أركان المناظرة
- شروط المناظرة
- ضوابط المناظرة
- آداب المناظرة
- المناظرة في الفكر العربي

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

توطئة:

المناظرة في جوهرها حوارٌ بين شخصين أو فريقين يسعى كلٌّ منهما إلى إعلاء وجهة نظره حول موضوع معيّن، والدفاع عنه بعدّة وسائل علميّة منطقيّة، واستخدام الأدلّة والبراهين على تنوّعها والاقتراسات والأسانيد، محاولاً في الوقت نفسه تفنيد آراء الطرف الآخر، وبيان الحجج الداعية للتحقّظ عليها، أو عدم القبول بها.¹

ومن البديهي أنّ كلّ مناظرة تتطلّب قضيّة ما، وهذه القضية يجب أن تتسم بالجدليّة وتكون هي أساس المناظرة، فقد تكون القضية على سبيل المثال: "يعتقد المجلس أنه من الأفضل أن تكون ذكياً من أن تكون طيباً"، أو "يعتقد المجلس أنّ الأمم المتحدة قد فشلت".²

وتعود نشأة المناظرة كجنس خطابي إلى القرن الثاني للهجرة، وقد كانت لها علاقة وطيدة بالمحاورات الإغريقيّة التي عرفت قبلها واللاتينية التي تلتها، بالإضافة إلى ذلك فهي على علاقة وطيدة بالأنواع الأدبيّة التي عاصرتها في المشهد الثقافي العربي.³

ويهتمّ الحجاج بدراسة مجمل الاستراتيجيّات التي يستعملها المتكلّم من أجل الحصول على إذعان المتلقّي أو الزيادة في درجة إذعانه، ويقوم على تضافر مجموعة من المعطيات النفسيّة واللغويّة والاجتماعية، وكلّ ما يسهم في عملية الإقناع التي تبني على ردود طرفيه "المحاجج، والمحاجج" اللذين يسعى كلّ واحد منهما إلى إقناع خصمه بفكرته والسّير على طريقته.⁴ ومن هنا يمكن عدّ

1- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعيّة الحجاجيّة، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 1433هـ- 2012 م، ص: 467.

2- سامعون كوين، المرشد في فن المناظرة، تر: عبد الجبار الشرفي، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، دولة قطر، 2010 م، ص: 15.

3- مختار الفجاري، الفكر العربي الإسلامي، من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم، عالم الكتب الحديث، تونس، ط 1، 2009 م، ص: 43.

4- ينظر: عبد القادر شطبية، الحجاج في كتاب عيون المناظرات لأبي عمر السكوني، رسالة ماجستير، مخطوطة، قسم اللغة والأدب العربي، كليّة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2016 م، ص: 69.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

المناظرة شكلا من أشكال الخطاب الحجاجي؛ حيث إنّها تقوم على الحوار بين طرفين يحاول كل منهما بسط حججه وإقناع خصمه، بما لديه من أفكار باستخدام أساليب وآليات معيّنة.

1- مفهوم المناظرة:

1-1- المناظرة لغة: المناظرة مصدر على وزن "المفاعلة"، وفعله "ناظر"، وتعود لفظة المناظرة إلى

أصل ثلاثي صحيح هو "النون والطاء والراء".

وقمنا باستقصاء المعاجم اللغوية العربية لاستجلاء المعاني التي تحيل إليها مادة (نظر) ومشتقاتها فألفيناها تدلّ على معنى النظر الحسّي والمعنوي.

فقد جاء في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة "نظر" ما نصّه: « النَّظْرُ: حِسُّ الْعَيْنِ

نَظْرُهُ يَنْظُرُهُ نَظْرًا وَمَنْظَرًا وَمَنْظَرَةً وَنَظَرَ إِلَيْهِ. وَالْمَنْظَرُ: مَصْدَرٌ نَظَرَ. اللَّيْثُ: الْعَرَبُ تَقُولُ نَظَرَ يَنْظُرُ نَظْرًا.... وَإِذَا قُلْتَ: نَظَرْتُ إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِالْعَيْنِ. وَإِذَا قُلْتَ: نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ تَفَكُّرًا فِيهِ وَتَدَبُّرًا بِالْقَلْبِ».¹

وورد في معجم العين للخليل الفراهيدي: «نَظَرَ إِلَيْهِ يَنْظُرُ نَظْرًا... وَتَقُولُ: نَظَرْتُ إِلَى كَذَا

وَكَذَا مِنْ نَظَرَ الْعَيْنِ وَنَظَرَ الْقَلْبِ».²

وإذا انتقلنا إلى المعاجم الحديثة، وليكن المعجم الوسيط أنموذجا فقد ورد في المادة نفسها:

«نَظَرَ إِلَى الشَّيْءِ نَظْرًا، وَنَظْرًا: أَبْصَرَهُ، وَتَأَمَّلَهُ بِعَيْنِهِ، وَ- فِيهِ تَدَبُّرٌ وَتَفَكُّرٌ. يُقَالُ: نَظَرَ فِي الْكِتَابِ، وَنَظَرَ فِي الْأَمْرِ».³

1- ابن منظور الأفرريقي، لسان العرب، 215/5-217. (مادة نظر).

2- الخليل الفراهيدي، معجم العين، 154/8. (مادة نظر).

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص: 931.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وجاء في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: «النظر تغليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية، يقال: نظرت فلم تنظر؛ أي لم تتأمل ولم تتروّ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹؛ أي تأملوا. واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عن الخاصة»².

ويؤكد ابن الأثير فكرة أنّ «النظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان للأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني»³.

وذهب ابن تيمية إلى تقسيم النظر قسمين: طلبي، واستدلالي؛ فالنظر «تجريد العقل من الغفلات، وقيل: هو تحديق العقل نحو المرئي. والأول هو النظر الطلبي، وهو طلب ما يدلّه على الحق، والثاني: النظر الاستدلالي، وهو النظر في الدليل الذي يوصله إلى الحق، وهذا الثاني هو الذي يوجب العلم»⁴.

والنظر يدلّ أيضا على معنى التصوّر «ومن أمثلته: تشخيص الطبيب لعين المريض، فهو تصوّر له بعد بحث وتأمل ونظر»⁵.

وفي القرآن الكريم نجد آيات كثيرة وردت في معنى النظر بالبصر تارة، والنظر بالقلب والبصيرة تارة أخرى، ومّا جاء في المعنى الأوّل قوله تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ

1- يونس/101.

2- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل ت 502 هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ط)، (د.ت)، 642/2-643.

3- ابن الأثير (أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الشيباني الجزري ت 606 هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: أحمد بن محمد الخراط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (د.ط)، (د.ت)، 4189/9.

4- ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام النميري الحراني ت 728 هـ)، النبوات، تح: عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1420 هـ، 657/2.

5- محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، تح: سعود بن عبد العزيز العريفي، عار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، (د.ط)، (د.ت)، 15/1.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا¹، ومّا جاء في المعنى الثاني قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾²، وفي الجمل آيات وعبر لمن تأمل³.

وبالانتقال من الجذر الثلاثي لمادة "نظر" إلى مشتقاته سنجد الفعل "ناظر" المزيد بالألف يدلّ على المشاركة في أداء العمل نفسه، وفي الوقت نفسه، كما يفترض التناظر بين شخصين من حيث الإمساك بناصية الحوار.⁴ كما أنّه يدل على معاني التجاور فنقول: «حيّ حلال ونظر: متجاورون ينظر بعضهم إلى بعض»⁵ ويدلّ على معنى الانتظار «يقولون: نظرتة؛ أي انتظرته»⁶.

وفي معنى المناظرة ورد في المعجم الوسيط: «ناظر فلانا: صار نظيرا له، وباحثه وباراه في المحاجة»⁷ وتناول الخليل تعريف المناظرة في معجمه حيث نلفيه يقول: «والمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معّا كيف تأتياه»⁸. وفي الفرق بين النظر والمناظرة يمكن القول إنّ «كلّ مناظرة نظر، وإن كان ليس كلّ نظر مناظرة»⁹ إذ «ليس كلّ ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف غيره به، فلهذا كان النظر أوسع من المناظرة، فكل ما يمكن المناظرة به يمكن النظر فيه، وليس كلّ ما يمكن النظر فيه يمكن مناظرة كلّ أحد به»¹⁰.

1-البقرة/259.

2-الغاشية/17.

3-ينظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 474/5.

4-ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، دار كنور المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1438 هـ-2017م، ص: 36.

5-ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ت 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)، 444/5.

6-المرجع نفسه، 444/5.

7- مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص: 931.

8- الخليل الفراهيدي ، معجم العين، 154/8.

9-رفيق العجم، موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1998 م، 1568/2.

10-ابن تيمية، دره تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1411هـ-1991 م، 171/7.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

ويلخص العلامة الشنقيطي جماع معنى المناظرة في اللغة بأنّها: «المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كلٌّ منهما ينظر بمعنى يفكر، والفكر هو المؤدي إلى علم أو غلبة ظن».¹

1-2- المناظرة اصطلاحاً: المناظرة تكون عادة بصيغة الردّ ودحض الأدلّة، وتفنيده الحجج، وإبطال البراهين، والجدل العقلي، والميل إلى الإقناع، أو الدفاع عن قضية أو وجهة نظر معيّنة.²

وتحتل المناظرة حيزاً كبيراً في تراثنا العربي ولها أهميّتها في صقل مواهب المتعلّم، وتعويده على حذق فنون القول، والجدل الرامي إلى بلورة الرأي في إطار احترام الرأي الآخر، ولو كان مخالفاً.³

ويعرّف العلامة محمّد الأمين الشنقيطي المناظرة بقوله: «المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحقّ، فكأنّها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتها في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة ظنّ ليظهر الصواب».⁴

ولا يتعد باحث آخر كثيراً عن هذا المعنى بقوله: «المناظرة: هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره».⁵

وعرّفها طه عبد الرحمن بأنّها: «النظر من جانبيين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها»⁶، ويضيف بأنّها تمتاز عن الحوار كونها «تقيم تقابلاً يتوجه فيه المعارض والمعترض، ولا يمنع

1- محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 139/2.

2- قحطان صالح الفلاح، مدخل إلى الحوار والمناظرة، المعرفة، مجلّة ثقافيّة شهرية، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ع 551، شعبان 1430هـ- أوت 2009 م، ص: 100.

3- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعيّة الحجاجيّة، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 467.

4- محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 139/2.

5- عبد الرحمن حسن حبتكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، صياغة للمنطق وأصول البحث متمشيّة مع الفكر الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط 4، 1414هـ-1993م، ص: 371.

6- ينظر: عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص: 46.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

اختصاص كل منهما فيه بحقوق وواجبات معيّنة من حضورهما معا في إنشاء نص المناظرة منطوقا ومفهوما»¹.

كما عرّفوا المناظرة بأنّها تردّد الكلام بين شخصين يقصد كلّ واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كلّ منهما في ظهور الحق؛ فهما يتشاركان في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة ظنّ ليظهر الصواب، «وخلاصة القول إنّ المناظرة تتضمن حوارا بين فريقين كل منهما يتبنى وجهة نظر مختلفة بشأن موضوع أو قضية جدلية، ويقوم كلّ فريق بإعداد ملخص للأفكار والآراء التي يبني عليها وجهة نظره يعرضه رئيس الفريق، وبعد ذلك يفتح باب المناقشة من قبل أعضاء الفصل لكل فريق حول مسوّغات موقفه. وبعد أن يتم تناول كلّ جوانب الموضوع تنتهي المناظرة»². والمناسبة بين المعنى اللّغوي، من حيث النظر بالبصيرة بإعمال الفكر من كلا الجانبين، وبين المفهوم الاصطلاحي واضحة، والمناظرة على وزن مفاعلة، وهذا الوزن يقتضى الاشتراك³ والمناظرة هي الجدل بالتي هي أحسن⁴.

وتشترك أكثر التعريفات في التأكيد على شيء مهم وهو هدف المناظرة الذي يتمثل في إظهار الحق، بعيدا عن الجدل الذي يهدف إلى المغالبة. أمّا بناء المناظرة على النظر فإن ذلك فيه الدلالة على أصل الاشتقاق، وعلى ما ينبغي أن يكون عليه كل من المتناظرين من العلم بموضوعهما، وعلى أن المناظرة إنّما تكون فيما فيه نظر، وليست في الضروريات أو البديهيات أما "قصد إظهار الحق" ففيه الاحتراز من الجدل الذي يقصد فيه الإفحام والغلبة، كما أن هذه العبارة تتوجّه إلى المناظرة ذاتها وليس إلى قصد المتناظرين⁵.

1- المرجع السابق، ص: 47.

2- حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 467.

3- ينظر: عبد الرحمن حسن حبيكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 371.

4- ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 3/1.

5- ينظر: إبراهيم بن صالح الحميدان، أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام، دراسة تحليلية تقويمية للمناظرات التي جرت في أمريكا الشمالية في الفترة من 1400 إلى 1410 هـ، أطروحة دكتوراه، مخطوطة، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1414هـ-1994م، ص: 7.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وينبغي أن نشير إلى أنّ الإنسان قد يكون صاحب نظر، ولا يكون صاحب مناظرة؛ لأنّ الناس يتفاضلون في الذكاء وجودة العقل وحضور الجواب، وهذه منح إلهية يمنّ بها الله عزّ وجلّ على من يشاء من عباده، فقد اشتهر محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ) -رحمه الله- بأنّه كان صاحب مناظرة وحجاج حتى قال هارون بن سعيد الأيلي: «لو أنّ الشافعي ناظر على أنّ هذا العمود الحجر خشب لغلب، لاقتداره على المناظرة».¹ وليس كل من عرف الحقّ تأتّى له أدأؤه للناس ومجادلته لهم، فمحاكاة الناس ومجادلتهم وتعريفهم بالحق موهبة من الله.²

2- بين المناظرة والمجادلة:

جاء في معجم لسان العرب في مادة "جدل" ما نصّه: «الجدل: اللدّد في الخُصومةِ والقُدرةِ عَلَيْهَا. وَقَدْ جَادَلَهُ مُجَادَلَةً وَجِدَالًا... وَيُقَالُ: جَادَلْتُ الرَّجُلَ فَجَدَلْتُهُ جَدَلًا أَيْ: غَلَبْتُهُ. وَرَجُلٌ جَدِلٌ إِذَا كَانَ أَقْوَى فِي الْخِصَامِ. وَجَادَلَهُ أَيْ: خَاصَمَهُ، مُجَادَلَةً وَجِدَالًا، وَالْإِسْمُ الْجَدَلُ، وَهُوَ شِدَّةُ الْخُصُومَةِ».³

ويذهب الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات في غريب القرآن" إلى أنّ الجدل «أصله من جدلتُ الحبلَ: أيّ أحكمتُ فتلته، ومنه الجديل، وجدلتُ البناءَ أحكمتُهُ، ودِرْعٌ مجدولةٌ، والمجدلُ القصرُ المحكّمُ البناءِ».⁴

وورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «الجِيمُ وَالِدَالُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مِنْ بَابِ اسْتِحْكَامِ الشَّيْءِ فِي اسْتِرْسَالٍ يَكُونُ فِيهِ، وَامْتِدَادِ الْخُصُومَةِ وَمُرَاجَعَةِ الْكَلَامِ».⁵

1- شمس الدين الذهبي (عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت 748 هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1402 هـ، 1982 م، 50/10.

2- ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، دار ابن حزم، بيروت، ط 2، 1425 هـ-2004 م، ص: 308.

3- ابن منظور الأفرقي، لسان العرب، 105/11. (مادة نظر).

4- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 643-642/ 2.

5- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 433/1.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وهو اصطلاحاً: «طريقة المناقشة والاستدلال»¹، ويدلّ في أصله على الخصومة؛ أي «دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجّة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة»².

وهو عند سقراط: مناقشة تقوم على حوار سؤال وجواب.

وعند أفلاطون: منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع.

وعند منطقة المسلمين: قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات.

وعند كانط: منطق ظاهري في سفسطة المصادرة على المطلوب وخدع الحواس.

وعند هيغل: انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما، ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق.³

ويعدّ ابن حزم الجدل «إخبار كل واحد من المختلفين بحجّته، أو بما يقدر أنّه حجّته، ولا سبيل أن يكونا معاً محقّين في ألفاظهما ومعانيهما»⁴، ويبدو من هذا التعريف أنّ الجدل ينطوي على مراتب تبعا للحالة التي يكون عليها المتجادلان؛ فإمّا أن يكون كلاهما على باطل أو أحدهما على حق، والآخر على باطل، أمّا إذا كان كلا المتجادلين على حق فلا تجوز المناظرة في هذه الحالة؛ لأنّ صاحبها ليسا بطالبي حقيقة مع اختلاف في رؤية الأشياء؛ فإنّهما على صواب ولا يحتاجان إلى تبيّن أو تبيين.⁵

1- مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص: 111.

2- الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني ت 816 هـ)، معجم التعريفات، تح ودراسة: محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 67.

3- ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982 م، 393/391/1.

4- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ت 456 هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 45/1.

5- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 36.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

والجدل قدس قدم قدم البشر، وطبيعة الإنسان الجدل كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾¹؛ ولكنَّ الإنسان مسبوق بمخلوقات قبله أيضا تجادل، فيإبليس جادل ربّه عنادا وتكبّرا ومعصية لما أمره بالسّجود لآدم؛ وليس إبليس أوّل من جادل، فقد سبقته الملائكة بالجدال قبل خلق آدم، ولكن جدالها كان استرشادا وطلبا للمعرفة والكشف عن مكامن الحكمة.²

وقد عُني علماء الإسلام بالجدل والمناظرة عناية شديدة، من يوم أن نشب الخلاف الفكري بين العلماء ورجال الفكر في هذه الأمة، وانتهت عنايتهم بوضع قواعد لتنظيم الجدل والمناظرة، لكي يكونا في دائرة المنطق، والفكر المستقيم أسمى علم الجدل، أو علم أدب البحث والمناظرة.³

ويستخدم بعض العلماء لفظ المجادلة بمعنى المناظرة، ومن الذين ماثلوا بين المناظرة والمجادلة نجم الدين الطوفي، في كتابه "علم الجدل في علم الجدل" في أكثر من موضع؛ إذ يقول في تعريفه اصطلاحا: «هو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث عن الخطأ والصواب على وجه يدفع عن نفس الناظر والمناظر الشك والارتياب».⁴

ومنهم أبو الوليد الباجي* في "المنهاج في ترتيب الحجاج"؛ حيث يقول: «أما بعد فيأتي لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين في ما لم يبلغهم علمه، ولم يحصل لهم فهمه... أزمعت على أن أجمع كتابًا في الجدل يشمل على جمل أبوابه وفروع أقسامه وأقسام أسئلته».⁵

1-الكهف/54.

2-ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 23.

3-ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1934م، ص: 5.

4- الطوفي (نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصي ت 716 هـ)، علم الجدل في علم الجدل، تح: فؤاد هارت

هاينريشس، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، (د.ط)، 1408 هـ-1987 م، ص: 7.

*-يستعمل الباجي الجدل مرادفا للحجاج. ينظر الفصل الأول من هذا البحث.

5- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ص: 7.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

ويذهب العلامة ابن خلدون إلى المماثلة بين الجدل والمناظرة؛ حيث ورد في مقدّمته حول الجدل: «معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهيّة وغيرهم».¹

ويلحظ على هذا التعريف أنّه يطلق الجدل ويريد به المناظرة، فهو لا يجعله مخصوصا بطائفة دون غيرها، فكل مناظرة ومجادلة بين فريقين هي من قبيل المناقشة، والمجادلة، والمناظرة.

ويذهب أحد الباحثين المعاصرين هذا المذهب حيث يقول: «ولا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع، وإن فرّق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللّغة؛ وذلك أن الجدل في اللّغة مشتق من غير ما اشتق منه النظر».²

بينما يتّجه باحث آخر إلى التوسّع أكثر في مفهوم المناظرة؛ حيث يرى أنّ التراث الإسلامي العربي يزخر بالدراسات التي انشغلت بمسألة النظر والتناظر، ويورد مسمّيات عدّة لها، وهي: علم آداب البحث، وعلم آداب الحوار، وعلم صناعة التوجيه، والحجاج، وعلم الجدل أو الجدل، وغيرها من المصطلحات التي أدى بعضها إلى الاختلاف وتباين وجهات النظر.³

ويذهب الإمام محمد أبو زهرة إلى التفريق بين المناظرة والجدل في كتابه "تاريخ الجدل"؛ حيث يقول: «تدور على الألسنة عبارات المناظرة والجدل ... وأحيانا تطلق إحداها في موضع الأخرى، وفي الحق أن بينهما اختلافا واضحا في الاصطلاح، فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المناقشين فيه، والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال».⁴

1- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ت 808 هـ)، المقدّمة، دار البلخي، دمشق، ط 1، 1425هـ-2004م، 111/2.

2- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، 1568/2.

3- ينظر: حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2004 م، ص: 18.

4- محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 5.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

ويمكن القول إنّ المناظرة -انطلاقاً من البسط السابق- هي جدال بالتي هي أحسن وتظاهر على الحق، وتبصير لطالب الحقيقة بعيداً عن التعصّب والانفعال، الذي يسيء إلى ما تحمله المناظرة من قيم.¹

والجدل في الشرع جاء على معنيين واضحين، «أحدهما محمود وهو ما كان في تقرير الحق، وباستعمال الأدب، قال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾²، والثاني مذموم، وهو ما كان بسوء أدب، أو بجهل، أو في نصرة باطل، قال تعالى: ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾³». ⁴

ونشير -ابتغاء الفائدة- إلى أنّ لفظة المناظرة لم ترد في القرآن الكريم قط؛ وإنما استخدم لفظ الجدل في تسعة وعشرين موضعاً، منها خمسة وعشرون موضعاً كان الجدل فيها مذموماً، ومنها أربعة مواضع فقط كان فيها الجدل محموداً*، وهذا يعني أنّ أغلب الجدل والجدال مذموم يؤدي إلى المنازعة وليس فيه فائدة، كما يعني هذا أنّ من الجدل ما هو مفيد ومستحسن، وذلك إذا تجرّد من الأهواء وحبّ التصدّر والأنانيّة؛ ولذلك فإنّ مدح الجدل لم يرد في القرآن إلا مشروطاً بالتي هي أحسن، هدفاً وأسلوباً.⁵

1- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 38.

2- النحل/125.

3- غافر/5.

4- حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 11.

* 1-الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوُزَكُمْ﴾ (المجادلة/1).

-الموضع الثاني في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت/46).

-الموضع الثالث في قوله عزّ وجل: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل/125).

-الموضع الرابع في قوله عزّ من قائل: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ نُجِدَلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود/74).

5- ينظر: إبراهيم بن صالح الحميدان، أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام، ص: 11.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وفي خصوص الحكم الشرعي للجدل والمناظرة، فقد أفرد الطوفي مبحثاً مخصوصاً في شأنه وعدّ المقصود من المناظرة أن يكون قطع الخصم أو إظهار الغلبة حيث كان، أو إظهار الحق فقط كيف كان أو هما جميعاً، منتصراً للحالة الأخيرة التي تتحقّق فيها شروط الجدل الحميد.¹

وناقش سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام هذه المسألة فقال: «إن قصد كل واحد [من المتناظرين] بمناظرته إرشاد خصمه إلى ما ظهر له من الحقّ، فهما مأجوران على قصدهما ومناظرتهما؛ لأنّهما متسببان إلى إظهار الحق. وإن قصد كل واحد منهما أن يظهر على خصمه ويغلبه سواء كان الحقّ معه أو مع خصمه فهما آثمان. وإن قصد أحدهما الإرشاد، وقصد الآخر العناد، أجز قاصد الإرشاد، وأثم قاصد العناد».²

أمّا ممارس الجدل فيشترط فيه حسب الإمام الجويني أن «يصدر فيه عن أدب إسلامي أصيل عماده خشية الله»³ فالجدل عنده له أصالة إسلامية من حيث مضمونه وأدبه، وفي هذا تعليم وإرشاد للناس بضرورة التزام المنهج الإسلامي، وإعماله في حال المناظرة.

وعليه فمن الضروري التأكيد على الاعتبارات الأخلاقية فيها، ومن أهمها احترام الفريق المعارض وعدم تسفيه آرائه، والأمانة في سوق الأدلة والبراهين؛ ولكي يتحقق هذا يجب أن تتم المناظرة في مناخ يسوده التسامح وليس التنافس.⁴

واستناداً إلى البسط السابق يمكن أن نلخص أبرز الفروق بين المناظرة والجدل في ما يأتي:

- 1- ينظر: نجم الدين الطوفي، علم الجدل في علم الجدل، ص: 7.
- 2- العز بن عبد السلام (أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السلميّ الشافعي ت 660 هـ)، القواعد الكبرى، تح: نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق، (د.ط)، (د.ت)، 196/1-197.
- 3- الجويني (أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوة ت 478 هـ)، الكافية في الجدل، تقدم وتح: فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، (د.ط)، 1399 هـ-1979 م، ص: 73.
- 4- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 469.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

-تهدف المناظرة إلى إظهار الحق وفي هذا احتراز من الجدل الذي يهدف إلى الإفحام والمغالبة، والظهور على الخصم وبزّه.

-تستند المناظرة إلى الدليل البين والحجّة القاطعة وصحّة الأدلة والبراهين، بينما قد يستند الجدل إلى حجج قاطعة أو باطلة.

-للمناظرة ضوابط وآداب يحتكم إليها المتناظران، بينما قد يخرج الجدل عن الآداب والضوابط، من أجل المنازعة والمخاصمة.

3-أركان المناظرة:

المناظرة حوار يراد به بلوغ الحق أو جلاء الصواب،¹ ولا يمكن أن تنعقد إلا بوجود عدّة أطراف؛ لأنّ أصل لفظ المناظرة من حيث المنظور اللّغوي من "المفاعلة" الذي يدلّ على المشاركة بين اثنين فأكثر.² ومن هذا المنطلق يلزم أن نحدّد الأركان التي بوجودها تنعقد المناظرة وبغيابها تنعدم، وهما ركنان أساسيان:

3-1-الركن الأوّل:

موضوع تجري حوله المناظرة، وهو القضية التي ستجري حولها، وتكون صورته مشخّصة في ذهن كلّ من المتناظرين، محدود المعالم، معيّن الأهداف. والمراد بالموضوع المسألة أو نقطة البحث، لا الموضوع المنطقي الذي يقابله المحمول.³

1-ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 49.

2-ينظر: أيمن أمين عبد الغني، الصرف الكافي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 52.

*-مثل المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان التي جرت بين أحمد ديدات والقسّ جيمي سواغارت، وكان موضوعها: (هل الإنجيل كلمة الله؟).

3-ينظر: عبد الرحمن حسن حبّكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 374.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

والموضوع إما أن يكون متعلّقاً بالعميقة* مثل المسائل التي خاض فيها علماء الكلام، أو متعلّق بأحكام فقهيّة، مثل المسائل التي خاض فيها الأئمة والسلف الصالح،** أو موضوعات بين هذه وتلك كموضوعات الخلافة ونظام الحكم.¹

ولعلّه من المفيد أن نشير إلى أنّ أولي النهى يرون أنّ العلم الصحيح هو ما التزم بالنصّ القرآني ومتعلقاته، ويذمّون أهل البدع والأهواء من المتكلّمين المشتغلين بالمنطق.² والصنف الأخير من الموضوعات يستعمل فيه الأدلة والحجج المنطقيّة، أما الموضوعات الفقهيّة سواء أكان منصوصاً عليها واحتاجت للاجتهاد، فإن أكثر هذه الموضوعات تحكمها قواعد أصوليّة مستقاة من علم أصول الفقه.³

3-2-الركن الثاني:

وجود طرفين* يتغيان الوصول إلى جادة الحق⁴ يتحاوران ويولّدان أسئلة ويرتّبانها، ويسلكان سبيل بناء الحجج والأدلة حول الموضوع المبسوط للمناظرة، أحدهما مدّع أو ناقل للخبر، والآخر معترض عليه؛ لذلك كان على المتناظرين** أن يمتلكوا مهارة السؤال (لياقة وصياغة)، ومهارة بناء الحجّة (استدلالاً وترتيباً).⁵

*- مثل المناظرات التي جرت بين ابن حزم الظاهري وأبي الوليد الباجي المالكي. ينظر: عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، تر وتو: عبد الصبور شاهين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1406 هـ-1986 م.
**- مثل المناظرة التي جرت بين العزّ بن عبد السلام وابن الصّلاح حول صلاة الرغائب. ينظر: مساجلة علميّة بين الإمامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصّلاح، تح: ناصر الدين الألباني ومحمد زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1405 هـ.
1- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 49.
2- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 43.
3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 50.
*- متناظران أو فريقان (على سبيل المثال المناظرات التي جرت بين أحمد ديدات من جهة، وجيمي سواغرت، وستانلي شويبرج، وأنيس شروش، وروبرت دوغلاس، وإيريك بوك، وجاري ميلر، وفلويد كلارك من جهة أخرى).
4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 50.
**- من أفضل المناظرات في هذا المجال في العصر الحديث المناظرة التي جرت بين أحمد ديدات والقس جيمي سواغرت.
5- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعيّة الحجاجيّة، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 467.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

فإن كان الموضوع تعريفاً أو تقسيماً، سُمِّيَ المعترض عليه "مستدلاً"، وسمي صاحب التعريف أو التقسيم "مانعاً".¹ وإن كان الموضوع (تصديقاً) - أي قضية منطقية سواء أكان مصرّحاً بها أو مفهومة من ضمن الكلام - فالمعترض عليه يسمّى "سائلاً"، وصاحب التصديق ومقدمه يسمّى معلّلاً. ويكون "المعلّل" في الأصل هو البادئ بالكلام، ثم يوجه "السائل" عليه اعتراضه، وقد ينعكس الأمن ضمن المناظرة؛ وذلك إذ يتحول "السائل" إلى مقدّم تصديق جديد، فيكون حينئذٍ (معلّلاً)، ويكون مقابله الذي يعترض عليه "سائلاً"، وهكذا كلّما تحوّل السائل إلى مقدّم تصديق جديد.²

ويرى طه عبد الرحمن أنّ المناظر إمّا أن يكون "عارضاً" أو "معترضاً" «وكان لعارضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعياً وراء الإقناع والافتناع برأي، سواء ظهر صوابه على يد هذا أو على يد محاوره».³

4- شروط المناظرة: للمناظرة أربعة شروط:

4-1- الشرط الأول: أن يكون المتناظران على علم بموضوع المناظرة،⁴ حتى يتكلّم كلّ منهما ضمن الوظيفة المأذون له بها في قواعد المناظرة وضوابطها، فإذا تكلم لم يخبط خبط عشواء، ولم يناقش في البديهيات بغير علم، وإذا ألزم الحق ألزم دون مكابرة.⁵ وجهل الطرفين بموضوع المناظرة المتنازع فيه يحوّلها حتماً إلى جدال متطفل بغير علم، تجعل صاحبها يخوض في المسألة دون التسلح بالعدّة المعرفية والعتاد المنهجي الذي يحول له أن يكون نظيراً للطرف الأول ونداً له، بعيداً عن المكابرة والتخبط في المتاهات.⁶

1- ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 160/2.

2- ينظر: عبد الرحمن حسن حبيكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 374.

3- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص: 46-47.

4- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 50.

5- ينظر: عبد الرحمن حسن حبيكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 375.

6- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 46.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

4-2-الشرط الثاني: أن يكون المتناظران على معرفة بما يحتاج إليه من قوانين المناظرة وقواعدها،¹ حول الموضوع الذي يريدان المناظرة فيه،² وهذا يستدعي تمكن المتناظرين مما تستوجبه المناظرة من أصول وضوابط استدلالية، كأن لا يكون الاثنان طالبي حقيقة ومريدي بيان؛ فالذي هو على يقين من مسألته بما توفر له من برهان قاطع وحجج دامغة، غايته إثبات الحقيقة للطرف الثاني الذي يشك فيها ويغالط، وإذا كان المتناظران جاهلين بقوانين المناظرة وشروطها، فهي مناظرة غير حميدة.³

4-3-الشرط الثالث: أن يكون الموضوع مما يجري التناظر فيه⁴ (الفكرة أو مضمون الرسالة الاتصالية)⁵ ضمن قواعد هذا الفنّ وضوابطه؛ فالبدهيّات والمسلمات لا يجري التناظر فيها؛⁶ بل إنّ الخوض فيها يعدّ ضرباً من الكسل والترف العلمي.⁷

ولذلك وجب التخلّص من النظرات الانفعاليّة والقناعات المسبقة التي تستند إلى مواقف سطحيّة لا تتركز على عمق النظرة أو شمول الدراسة، فينبغي أن تدور المناظرة في فلك عمل عقلي موضوعي ترصد فيه دقائق الفكرة ومفرداتها، وتناقش طبيعتها وتعمّق في دراسة أبعادها، وخلفياتها لتصل من خلال البحث إلى تعميق الوعي وتوضيح الصورة وشمول النظرة للمسألة على أكثر من صعيد، ومن أكثر من زاوية.⁸

- 1- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 50.
- 2- ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 375.
- 3- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 45.
- 4- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 50.
- 5- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعيّة الحجاجيّة، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 471.
- 6- ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 375.
- 7- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 47.
- 8- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعيّة الحجاجيّة، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 471-472.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

4-4-4-الشرط الرابع: أن يجري المتناظران مناظرتهما على عرف واحد،¹ فإذا كان الكلام "المعلّل" جاريا مثلا على عرف الفقهاء، فليس "للسائل" العارف بذلك، أن يعترض عليه استنادا إلى عرف النحاة، أو الوضع اللغوي، أو عرف الفلاسفة، أو نحو ذلك.² فالمناظرات التي جرت مثلا بين ابن حزم الظاهري وأبي الوليد الباجي المالكي جرت على عرف الفقهاء؛ وانتهج فيها ابن حزم مبدأ الأخذ بظاهر النصوص رافضا التأويل والقياس والاستحسان وعمل أهل المدينة، وهي كلها مسائل أصولية انتصر لها الباجي، فكانت مناظراتهما فقهية بين منتصر للظاهرية متمسكا بها، وبين متشبّث بالباطنية آخذا بمبدأ العلة.³ ويرى الدكتور طه عبد الرحمن أن شروط المناظرة تمثل في ما يأتي:⁴

- لا بدّ لها من جانبيين.

- لا بدّ لها من دعوى.

- لا بدّ لها من مآل يكون بعجز أحد الجانبين.

- لكلّ من الجانبين آداب ووظائف.

بينما يرى حمد العثمان أنّ للمناظرة خمسة شروط، هي كالاتي:⁵

1- أن تكون المسألة المتناظر فيها خلافية، وهذا الشرط بديهي الوضوح؛ لأنّ المتفق عليه ليس بمحل للنزاع أصلا، وحقيقة المناظرة أنّ كل واحد من المتناظرين يضاد الآخر في مذهبه.

1- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 50.

2- ينظر: عبد الرحمن حسن حبتكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 375.

3- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 47.

4- ينظر: عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 74.

5- حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 314-321.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

2- أن يتساوى المتناظران في الرتبة، وذلك بأن يناظر العالم عالما مثله؛ لأنّه إذا اختلفت الرتبة بين المتناظرين، لا سيما إذا كان الاختلاف كبيرا، فإنّ ناقص العلم والفهم والرتبة إذا ردّ إلى بعض مسائل وفروع المسألة المتناظر فيها، أو ردّ إلى مباحث وجزئيات علميّة دقيقة متعلقة بالمسألة المتناظر فيها لا ينتبه لها، أو قد لا يحيط بها علما وإدراكا، فلا يحصل الانتفاع من مناظرته.

- أن يتساوى المتناظران في أسباب القيام بالحجّة، فلا بد من استواء المتناظرين في كل أسباب القيام بالحجّة، ولا بد من العدل والإنصاف، فإذا لم يستويا في أسباب القيام بالحجة وانفرد أحد المتناظرين بمزية دون الآخر، فإنّ ذلك ربما أوجب له رجحانا على خصمه، وإن لم يكن محقا.

- اتّفاق الطرفين في الكليّات التي يردّ إليها التنازع، وهذا الشرط إن لم يقيم لم يُتّفع بالمناظرة، وتعطلت ابتداءً؛ لأنّ المناظرة في الوجوه والمسائل الجزئية لا بد أن ترد إلى كليّات متفق عليها، وإذا لم يكن المتناظران متّفقين على الكليّات تعطلت المناظرة وصارت شغبا.

- نصب حاكم يقضي بين المتخاصمين، وبمنع اللّجاج إذا استرسل المتناظران في العناد والمكابرة والتدافع، فيقطع الشجار عند اختلاف الأنظار.

5- ضوابط المناظرة:

الضوابط تميّز المناظرة عن الجدل المذموم والسفسطة،¹ وهي التي تصونه عن أن يتحوّل إلى ممارسة بعيدة تشذ عن الحقيقة أو إلى مشاحنات أنانيّة ومشاغبات ومغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب، ويهيّج النفوس، ويورث التعصّب، ولا يوصل إلى الحق،² ومن هنا وضع العلماء ضوابط للمناظرة، أهمّها:

1- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 50.

2- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعيّة الحجاجيّة، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 472.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

1- البعد عن التعصّب،¹ وتخلّي كلّ فريق عن وجهة نظره المسبقة والاستعداد لتقبل الحقيقة، وإعلانهما الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها، سواء كانت هي وجهة نظره السابقة، أو وجهة نظر من يحاوره، أو وجهة نظر أخرى.²

2- الامتناع عن الإيذاء والسخرية، والالتزام بالقول المهذب البعيد عن كلّ تجريح أو سخرية أو احتقار، قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ و قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾،³ فينبغي أن يسلك المناظر مع خصمه طريق الإنصاف والملاطفة في القول، وتأتيه من جهة المناصحة، ليكون ذلك أدعى لسكونه، وقبوله الانقياد.⁴

3- افتراض صحّة الجانب الآخر، فإنّ المناظرة تفقد قيمتها إن ظنّ كل طرف أنّه على حق والآخر على باطل، فيلزم كلّ منهما حججه رافضا التسليم، وتصبح المناظرة سفسطة تدور في حلقة مفرغة، ولا تحقّق الهدف الأساسي منها وهو الوصول إلى الحق.

4- التزام الأدلة الأصوليّة أو العقليّة، ثم إنّ المناظرة في مسألة ما تحتم على الطرفين أن يكونا ممسكين بتلايب الشيء الذي هما بصدد التناظر فيه، متبحّرين فيه، عاملين بمحدوده، وأقسامه.⁵ وعلى المتناظرين تقديم الأدلّة المرجحة والمثبتة للأمر المدعاة، وإثبات صحة النقل للأمر المروية، وهذان الأمران هما المقصودان بالقاعدة المعروفة عند علماء وأدباء البحث والمناظرة؛ إذ يقولون "إن كنت ناقلًا أو مدّعيًا فالدليل".⁶

1- ينظر: فرج الله عبد الباري، مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2004 م، ص: 132.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 472.

3- الحجرات/11.

4- ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 529.

5- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 50.

6- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعيّة الحجاجيّة، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 473.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

5-التسليم بالمسلّمات،¹ فلا ينبغي المجادلة في الأمور التي تعدّ من المسلمات الأولى أو من الأمور المتفق بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها، أما الإصرار على إنكار المسلمات، فهو ممارسة، والممارسة مرفوضة في أصول المحاورات الجدلية السليمة.² ولا مرء في أنّه لا بد من قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة.³

6-آداب المناظرة:

لقد تحدّث العلماء عن أدب الجدل والمناظرة، وجعلوا لها آداباً ينبغي لكل متناظر أو مجادل أن يتقيّد بها، وقد لمسنا في جدل القرآن الكريم* الأدب الرفيع الذي لو تأملناه جيّداً لوجدنا فيه الأسس القويمة لآداب الجدل بالحق.⁴ وحرّي بمن قصد المناظرة أن يتأدّب بأدب أهل العلم عموماً، وأدب المختلفين والمتناظرين خصوصاً، يلزم أمر الله في محاجّة غيره ومعاملة مخالفه، بما يقتضيه الشرع وطاعة لله، وحتى يحصل مقصوده من معرفة الحق وإظهاره ولزومه، وتحقيق المجادلة بالتي هي أحسن.⁵

ومن آداب الجدل أن يتعاون الفريقان المتناظران على معرفة الحقيقة، بتبصير كل منهما صاحبه بالأماكن المظلمة عليه، والتي خفيت عنه، وذلك حين لا يكون أحدهما واقفاً على الحقيقة وقوفاً قطعياً غير قابل للنقض، والجدال النزيه الذي هدفه الوصول إلى الحقيقة يكون بتبصير الواقف عليه أخاه المناظر، والأخذ بيده في طرق الاستدلال الصحيح لإبلاغه وجهة الحقّ المشرق، وكأنه جاهل به، خالي الذهن عنه.⁶

1- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 50.

2- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 473.

3- ينظر: فرج الله عبد الباري، مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، ص: 135.

*- قال عزّ وجل: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل/125).

4- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 472.

5- ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 314-321.

6- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 472.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وقد وضع علماء فن آداب البحث والمناظرة* جملة من الآداب ألزموا بها المتناظرين، محافظة على سلامة المناظرة، وتحقيقا للغرض منها،¹ ومن الآداب ما ينبغي للخصمين أن يستعملاه في مناظرتهم، ومنه ما يشتركان فيه جميعا، ومنه ما يختص بكل واحد منهما.² ونذكر فيما يأتي أهمها:

1-مراعاة قدر المناظر فلا يلتزم حالة واحدة مع من يناظرهم، فيميّز بين العالم ودونه، وبين المتحري للحق والمتعنت، وبين السني والبدعي، وبين المناظر والمتطفل.³

2-أن يجتنب المناظر مجادلة ذي هيبة يخشاه،⁴ فهيبة العالم أو السلطان تحمل البعض على ترك الاعتراض أو إيراد السؤال، أو حتى التجرؤ على التخطئة؛⁵ فلا يقوم بأداء حجته كما ينبغي،⁶ ممّا يؤدي به إلى التساهل والتسليم له خشية منه.⁷

3-ألا يهاب ولا يحقر،⁸ وألا يستصغر خصمه ويتهاون به، وإن كان صغير المحل في الجدل، وقد أوصى العلماء بالاحتراس من العدو وعدم استصغاره.⁹ وهذا ما يفعله بعضهم إذا ناظره صغير أو غير نحير؛ إذ يظنّه ضعيفا حقيرا قليل الشأن؛ فيقطعه ويغلبه من حيث ظنّ ظهوره عليه،¹⁰ وغلبة القرن الحقيير، أشنع من غلبة القرن العظيم.¹¹

*-يعدّ ابن حزم الأندلسي من أوائل العلماء الذين اهتموا بأدبيات التخاطب، وسنوا قواعد لا يجيد عنها إلا ظالم مشعّب جاهل.

1-عبد الرحمن حسن حبيكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 372.

2-نجم الدين الطوفي، علم الجدل في علم الجدل، ص: 13.

3-ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 527.

4-ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 274/1.

5-ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 534.

6- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 50.

7- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 51.

8-ينظر: المرجع نفسه، ص: 51.

9- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 474.

10-ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 536.

11-ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 274/1.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

4- ألا يظنّ خصمه أقوى منه بكثير، فإنّ الإفراط في التوقّي من الخصم يبعث روح الخذلان في النفس، ويولّد التخاذل والانتكاس، فيضعف المناظر عن تقديم حجّته على الوجه المطلوب.¹

5- ألا يكون في حالة قلق نفسي واضطراب، أو في حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي، فينبغي للمناظر أن لا يناظر غيره مع عدم اعتدال طبعه ومزاجه،² أو في الأوقات التي يتغيّر فيها مزاجه، وتخرجه عن حدّ الاعتدال؛ لأن المزاج إذا زاد على حد الاعتدال في الحرارة كان معه العجلة، وقلة التوقّف ودم الصبر وسرعة الضجر، وإذا زاد في البرودة على حدّ الاعتدال أورث السهو، والبلادة، وقلة الفطنة، وبطء الفهم.³

6- أن يتقابل المناظران في المجلس، ويصير أحدهما الآخر إن أمكن، ويكونا متماثلين أو متقاربين علما ومقدارا.⁴

7- ينبغي للمناظر أن يتجنّب اللّهُو والمقاطعة⁵ ويتعدّد عن التسرّع الذي يقصد به إسكات خصمه في زمن وجيز؛ لأنّ ذلك يفسد عليه رؤيته الفكرية، ويبعده عن منهج المنطق السديد، والتفكير في الوصول إلى الحق، فإذا شرع الطرفان في المناظرة، وبدأ أحدهما بذكر حججه، فالواجب على الطرف الآخر الإنصات وعدم المداخلة على المتكلم حتى يأتي على آخر كلامه.⁶

8- أن يقصد المناظر الوصول إلى الحق، سواء أكان لديه أم على يدي خصمه،⁷ فيرى منافسه رفيقا له لا خصما، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له طريق الحجّة، ويسلم ولا يماري ويلتوي.⁸

1- ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 538.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 545.

3- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 474.

4- ينظر: عبد الرحمن حسن حبيكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 372.

5- ينظر: سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، ص: 51.

6- ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 552.

7- ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 1/274.

8- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 473.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

والإنصاف دليل على حسن القصد وتلمّس الحق، وطلبه ولو على لسان مخالفك.¹

9- تجنّب الغضب والضجر؛ لأنّه يذهب بلبّ المناظر، بل من الناس من يشتد غضبه حتى يستغلق عليه، فلا يدري ما يخرج من رأسه، والغضب يحول بين المناظر وبين كمال وصوله إلى مبتغاه، ولهذا فمن يتحايل في مناظرته يغضب مخالفه، حتى يحول بينه وبين معرفته للحق.²

10- ألاّ يستهزئ المناظر بمنافسه ويسخر منه،³ وألاّ يجاري في مشاغبه إن شاغبه، ولا يردّ عليه إن أربى في كلامه، بل ينتهج معه سبيل الهدوء والوقار، قاصدا وضع الحجّة في موضعها.⁴

11- أن يلتزم المتناظران بموضوع المناظرة؛ فيكون بسطهما يدور في متعلقاتها، ولا يخرج عمّا هما بصدد التناظر فيه.⁵

12- أن يتجنّب الاختصار المخلّ، والإطالة التي لا فائدة منها؛⁶ فبعض المناظرين يطيل الكلام إذا كانت له المناوبة في الكلام، فتراه يكثّر من الحشو ويعدّ عن ذكر المقصود، ويطيل بذكر ما لو تركه لكان هو المحمود، وحشو الكلام لا فائدة فيه، وهو دليل على قلة فقه المناظر.⁷

13- أن يتجنّب غرابة الألفاظ وإجمالها؛⁸ فالألفاظ المجملة التي تحتمل معاني عديدة من غير ترجيح أحدها هو المراد.⁹

1- ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 549.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 546.

3- ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 274/1.

4- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 474.

5- ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 274/1.

6- ينظر: المرجع نفسه، 274/1.

7- حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 568.

8- محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، 274/1.

9- عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 373.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

14- عدم الطعن في أدلة المجادل إلا ضمن الأمور المبنية على المنطق السليم، والقواعد المسلّم بها لدى المتناظرين.¹ ويعتقد بعض المتناظرين أنّ الأفضل البدء بالدليل الأضعف إلى الأقوى، والأولى البداءة بالأقوى والأوضح؛ لأنّ المقصود إظهار الحق وتبينه، كما ينبغي أن لا يورد المتناظر دليلا غير مختبر وممتحن؛ لأنّه قد يكون سببا في قطعه وهزيمته.²

15- أن يقبل كلّ منهما الحق الذي هداه إليه مناظره، أو يعترف بأنّ قوّة دليله تقدّم ترجيحها لوجهة نظره، أو لمذهبه حتى يكتشف شيء آخر يضعف دليله ويجعله غير صالح للترجيح.³ أما الإصرار على الرفض فمكابرة ممنوعة، وأمّا المراوغة فتهمّز وضعف وانسحاب من مجلس المناظرة. ومتى وجد المتناظر مراوغة من هذا القبيل فمن الخير له أن يقطع المناظرة، ويلزم خصمه بالهروب والانسحاب. وليحذر كلّ الحذر من أن يستدرجه إلى موضوع آخر، ثم آخر، وهكذا دواليك، فتتحوّل المناظرة إلى ما يشبه المصارعة التي ليس لها قواعد ولا ضوابط، وهذا يعدّ جدالا محظورا.⁴

7- المناظرة في الفكر العربي:

المناظرة بين شخصين هي صورة لمنازعاتهما الفكرية، ولا يمكن معرفة المناظرة عند أمة دون معرفة عقليتها، وما عرض لها من منازع. وفي ما يخصّ العرب فقد انقسم العلماء في حديثهم عنهم بين معلّ لهم، ومغال في الحطّ من شأنهم، فالجاحظ يجعلهم نظراء للفرس والروم واليونان والهند؛ بل أعظم، وابن خلدون يقول عنهم بأنهم أبعد الناس عن العلوم؛ لأنّ العلوم ذات ملكات، والعرب يفتقرون إليها.⁵

1- ينظر: حسن شحاتة، الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، ص: 473.

2- ينظر: حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص: 561-563.

3- ينظر: عبد الرحمن حسن حبيكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 373.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 373.

5- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 12.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وقد عرف العرب المناظرات منذ العصر الجاهلي بما يتلاءم مع ظروفهم الاجتماعية وموضوعاتها تدور في شقين: الأول أدبي لغوي يتمثل في جملة من المساجلات الفنية والمحاورات الأدبية، وقد نقلت لنا كتب النقد القديمة شيئاً من تلك المحاورات التي كانت تقوم بين شاعر وآخر في تفضيل بيت على بيت، وبين ناقلين في تفضيل شاعر على شاعر آخر،¹ كما لا يخفى على أحد تلك المحاورات الموثقة في ثنايا القصائد التي كانت تنشأ بين الحبيب وحببته؛ إذ يصف الاثنان شدة الاشتياق ولوعة الهوى.²

أما الشق الثاني فيرتبط بالمعتقدات الدينية حول وجود الله وغيرها من معتقدات الديانة الإبراهيمية؛³ قد كانت البلاد العربية مرتعا فسيحا لكثير من الديانات، والملل والنحل، وعندما يجتمع رجالان من دينين مختلفين لا مناص من وقوع احتكاك بينهما؛ فذو نواس اليهودي مثلاً كان يحاول نشر اليهودية بالسيف بين نصارى نجران بعدما فشل في استمالتهم بالحجة والبرهان، وأما النزال بالبيان، والجدال باللسان فقد كان كثيراً، ومنها ما كان يحدث بين العرب والنصارى الذين يحاولون دعوتهم للنصرانية، والمنافسات والمنازعات التي كانت تجري بين اليهود والعرب المشركين، والجدال الذي حدث بين المشركين مع الحنفاء وأشهرهم زيد بن عمرو بن نفيل.⁴

وإذا انتقلنا إلى العصر الإسلامي فإننا نجد العقيدة الإسلامية انطبعت بخاصية المناظرة، وُئيت على أسس جدالية، كما شكّلت دعوة تحاورية تعاونية تستدلّ وتطالب بالبيّنة، وتقيم أثقل الوزن للبلاغ المبين في إنشاء الاعتقاد، ومن ثم حثت على التشاور ونبذت الإكراه ونادمت الكلمة بالسواء.⁵

1- ينظر: حسين صديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، دار نوبار، القاهرة، مصر، ط1، 2000 م، ص: 101.

2- ينظر: محمد عبيد الحمزاوي، فنّ الحوار والمناظرة في الأدبين الفارسي والعربي في العصر الحديث، دراسة مقارنة، تح: محمد زكي العشماوي، مركز الإسكندرية للكتاب، ط1، 2001 م، ص: 195.

3- ينظر: حسين صديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص: 101.

4- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 34-37.

5- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1434 هـ-2013 م، ص: 132.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وقد آمن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه كما أمرهم الدين الحنيف بالأنبياء السابقين، فخالفوا بذلك اليهود والنصارى الذين لا يريدون أن يعترفوا بغير اليهودية أو النصرانية ديناً، وقد دعا الدين الجديد الناس إلى الإيمان بحياة أخرى، فيها يجزى الإنسان في الآخرة بما كسب في حياته الدنيا، وخالفت شرائع الإسلام وآدابه كثيراً مما طبع الحياة الجاهلية، وبمجرد أن نادى رسول الله بدعوة الحق، صارت الجزيرة تتحدث في شأنه وتتجادل في أمره، بين منكر ومضطرب؛ بل إنَّ الجدل في شأن الدعوة الإسلاميَّة تجاوز رقعة البلاد العربية إلى الحبشة* والروم.¹

ويمكن حصر الجدل في عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يمكن القول إنَّه تجلَّى في ثلاث نواحٍ:

- 1- جدل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المشركين، مثل المحاورة جرت بينه وبين النضر بن الحارث.²
- 2- جدل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اليهود، مثل المحاورة التي جرت بينه وبين عبد الله بن سلام.
- 3- جدله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع النصارى، مثل المحاورة التي جرت بينه وبين نصارى نجران الذين وفدوا عليه في شأن عيسى عليه السلام.³

وبعد موت رسول الله اختلف الصحابة في بداية أمرهم حول موضع دفن نبيِّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم في شأن الخلافة؛ حيث جرت المناظرة الشهيرة حول من سيتولَّى شؤون الخلافة بين أبي بكر وعمر من جهة والأنصار من جهة أخرى في سقيفة بني ساعدة، واختلف الصحابة

*-مثل المحاورة الشهيرة التي تناظر فيها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمرو بن العاص رضي الله عنه أمام ملك الحبشة.

1-ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 40-42.

2-ينظر: أبو علي السكوني (عمر بن محمد بن حمد بن خليل ت 717 هـ)، عيون المناظرات، تح: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، (د.ط)، 1976 م، ص: 138.

3-ينظر: المرجع نفسه، ص: 126-127.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

رضي الله عنهم في مسألة إنفاذ جيش أسامة الذي تولى رسول الله عقد لوائه قبل أن يُقبض، واختلافهم في قتال المرتدين من بني حنيفة الذين رفضوا أداء الزكاة.¹

وينبغي أن نشير إلى أنّ الأمر استتب في عهده الخليفين الأولين؛ لكن عقد الوحدة الإسلامية بدأ ينفرد بظهور الفتن في عهد الخليفة الثالث، حيث اتّبع أصحاب الأهواء هواهم، وانشقت الوحدة الإسلاميّة، وانشعبت من غير تلاقٍ، وقامت فتنة شعواء انتهت بمقتل الخليفة الصابر عثمان بن عفّان بعد نزاع شديد بينه وبين الذين أرادوا خلعه محتجّين بمجموعة من الحجج الواهية؛ حيث إنّ أعظم أسباب هذه النكبة كان وجود طائفة من الناقلين على الإسلام، الكائدين له، الزائغين عن الحق، ممّن غرّتهم الحياة الدنيا.²

وقد وقعت مناظرة بين عثمان والمطالبين بخلعه تدثّر فيها عثمان بالحق ودافع عن نفسه، وناظرهم على بينة، لكنّهم لم ينتهوا عن غيِّهم وبهتانهم. وحدثت في عهد عليّ بن أبي طالب مناظرات كثيرة بينه وبين الخوارج، منها المناظرة التي وقعت بعد صفّين؛ حيث إنّ الخوارج افتتنوا بعد مسألة التحكيم وكفّروا الصحابة، فناظرهم عليّ وغلبهم بالحجّة القاصمة، ومنها المساجلة التي جرت بين عبد الله ابن عبّاس والخوارج، فقد أرسله عليّ بن أبي طالب لمناظرهم، كما تناظر أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص على المشكل بين عليّ رضي الله عنه ومعاوية.³

وجاء العصر الأموي بعد استتباب أمر الخلافة لمعاوية، وانقلب الحكم ملكا عضوضا، وماجت الدولة الإسلامية بفتن هوجاء، فهي وإن كانت سكنت في ظاهرها إلا أنّها كانت كالنار المتأجّجة تحد الرماد، وفي ظلّ وضع سياسي مضطرب اندلع جوّ فكري لا يقل عنه اضطرابا،

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 157-160.

2- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 82-99.

3- ينظر: أبو عليّ السكوني، عيون المناظرات، ص: 165-190.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وامتاح كل واحد منهما من الآخر، واستمد منه عنفوانه وأسباب بقاءه، وكثرت المسائل المتنازع عليها، حيث إنّ الفرق ابتدأت خلط السياسية بغيرها من أمور الدين والفكر.¹

ومع بداية أفول الدولة الأموية وبسبب النشاط المتزايد للمتكلمين وانخراطهم في تطارح القضايا العقائدية الخلافية، ونظرا لكثرة الملل والنحل، نزعت موضوعات المناظرات نحو الطابع الكلامي²؛ فالخوارج والشيعة والمرجئة، والقدرية، والمعتزلة، نما غرسهم، واستغلظ نبتهم في ظل التنافس السياسي، والتقاتل على السلطان، وتميّز الخوارج بالمناظرة في هذا العصر، فقد كانوا يتمتّعون بفصاحة اللسان وطلاقته، وسعة الاطلاع على الكتاب والسنة وأشعار العرب، وكانت فيهم رغبة شديدة للمنازعة والمجادلة.³

ومن صور المناظرات في هذا العصر الجدل الذي حدث بين واصل بن عطاء المعتزلي والحسن البصري في مسألة مرتكب الكبيرة، ومناظرته لعمرو بن عبيد أيضا، ومنها المناظرة التي وقعت بين الخليفة عمر بن عبد العزيز مع من تبقى من الخوارج في الموصل، وله مناظرة موجزة مع القدرية القائلين بأنّ الله لا يشاء المعاصي،⁴ ولعمر بن عبد العزيز مناظرات مع الشيعة أيضا، وهناك مناظرات كثيرة وقعت بين السنة، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والخوارج، والسبئية، وغيرها من الفرق،⁵ مثل المناظرة التي جرت بين ربيعة بن عبد الرحمن وغيلان القديري،⁶ كما وقعت جدالات أيضا بين الفقهاء من أهل الرأي في جهة وأهل الحديث في الجهة الأخرى حول الفروع.⁷ وفي ظلّ هذا الوضع المشحون ظهر فنّ شعري جديد عُرف بالنقائض، تمخّض عن

1- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 113-116.

2- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 139.

3- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 161-166.

4- ينظر: أبو عليّ السكوني، عيون المناظرات، ص: 194-205.

5- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 166-195.

6- ينظر: أبو عليّ السكوني، عيون المناظرات، ص: 205.

7- ينظر: المرجع نفسه، ص: 219-221.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

الحياة السياسية والاجتماعية السائدة، وقد عرف انتشارا واسعا وملحوظا، ونبع في هذا الفن الأدبي جرير، والفرزدق، والأخطل، والبعيث.

ولقد عرف أسلوب المناقضة تطورا حتى جعل فنّ النقائض في العصر الأموي فنا قويا إلى درجة كبيرة، فهو يجبر الشاعر المناظر أن ينفذ كلام خصمه بالاعتماد على الوزن نفسه والقافية نفسها، ناقضا معاني القصيدة واحدا تلو الآخر.¹

وجاء العصر العباسي الذي تميّز باختلاط العرب مع غيرهم من الأمم، واتصلهم بالموالي، ونال الفرس حظوة بالغة عند العباسيين؛ نظرا لوقوفهم معهم في قتالهم مع بني أمية. كما شهد هذا العصر حركة علمية واسعة، وفشو كثير من النحل والملل، وانتشار المجالس والحلقات العلمية والفقهية، وانبثاق المذاهب النحويّة، كما كثرت المدونات، وازدهرت الترجمة، ودخلت الفلسفة والمنطق إلى علوم العرب.²

وقد ازدهرت في هذا العصر المناظرات الكلامية، وهيمن فيها المعتزلة الذين يعدّون أصحاب جدل ورؤوس خطابة، لا سميا خلال حكمي المأمون والمعتصم؛ بل إنّ الفضل الكبير في تطوّر المناظرة يعود لاشتغال المتكلمين بها.³ وظهر في هذا العصر الأئمة الأربعة وكانت لهم مناظرات كثيرة مع مختلف الطوائف والمذاهب، وعلى رأسهم أبو حنيفة الذي كان سيفا مسلّطا على الدهريّة، وله مناظرات مشهودة مع الزنادقة، والخوارج، والملحدّين، والجهميّة، وحتى مع بعض أهل السنّة والجماعة في مسائل الفروع.⁴

1- ينظر: عبد الرحمن عبد الحميد علي، الأدب العربي في العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1426 هـ-2005 م، ص: 42.

2- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 228-231.

3- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 139.

4- ينظر: عبد الملك الزغبى، أصول المناظرة وروائع المناظرات، دار التقوى للنشر والتوزيع، شبرا الخيمة، ط1، 1432 هـ-2011 م، ص: 122-134.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

كما برز في هذا العصر الإمام "أبو الحسن الأشعري" الذي حمل راية الموحّدين وأدحض ضلال الملحدين، فعضد بحجاج العقل ما أورد بطريق النقل، وكان مقارعا شديدا للقدرية والمعتزلة، وكانت أكثر مناظراته مع الجبائي المعتزلي، وكانت له أيضا مناظرات مع الملاحدة، والنصارى، والزنادقة.¹

كما شهد هذا العصر اختلافا بين المجتهدين منذ بداية القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع، ورغم أنّ العلماء يتفقون في أنّ السّنة ثاني أصل في معرفة أحكام هذا الدين، إلّا أنّهم اختلفوا في أوصاف الأحاديث؛ فاختلفوا في القياس والرأي والإجماع.²

وقد برز الإمام الشافعي ليكون فارس المناظرة المغوار وسيفها البتار، يخوض غمارها بثبات ويلج غبارها بقوة وصدق، وكانت المناظرات من الوسائل التي بلورت أفكار الشافعي وأثرت علمه، فكان الشافعي هو رائد علم الأصول وواضع أركانه، وقد ناظر الشافعي أصحاب أبي حنيفة، كما ناظر أستاذه مالكا، وكانت له مساجلات مستمرة من المناظرة خصوصا مع تلميذه أحمد بن حنبل، وناظر إسحاق بن راهويه، ومحمد بن الحسن الشيباني، وكانت له أيضا مناظرات مع الزنادقة.³

وكان للخلفاء العباسيين حضور لافت في المناظرة بين شهود لها وحكام لها، وكانوا أحيانا طرفا فيها، وعلى رأسهم المأمون الذي كثرت المناظرات في مجلسه حتى عيب عليه ذلك؛⁴ حيث رُوي عنه أنّه ناظر رجلا مجوسيا ثنويا وغلبه، وحدثت في مجلسه مناظرة بين العتابي وأبي فروة النصراني.⁵

1- ينظر: أبو عليّ السكوني، عيون المناظرات، ص: 223-236.

2- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 291-294.

3- ينظر: عبد الملك الزغبى، أصول المناظرة وروائع المناظرات، ص: 162-185.

4- ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص: 238.

5- ينظر: أبو عليّ السكوني، عيون المناظرات، ص: 212-213.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

واستفاد المعتزلة من الحظوة البالغة التي نالوها عند الخلفاء في تقوية مذهبهم، وجرت مناظرات كثيرة بينهم وبين خصومهم أمام الخلفاء، ومن أشهرها المناظرة التي جرت بين بشر المريسي المعتزلي وعبد العزيز المكي أمام الخليفة المأمون، والمناظرة التي جرت بين المعتزلة بزعامة ابن أبي دؤاد وبشر المريسي وبين إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل الشيباني في حضرة المعتصم حول مسألة خلق القرآن.¹

وعلى الرغم من أنّ السيادة في المناظرة كانت للمتكلّمين، إلّا أنّ هذا لم يحل دون انفتاحها على قضايا أخرى ثقافية، وفلسفية، وعلمية، وأدبية، ولغوية خلال العصر العباسي حتى تفكك أواخر الدولة في القرن الرابع الهجري وما بعده.²

ومن أشهر المناظرات المحاورة التي كانت تجري أمام يحيى البرمكي حول العشق التي -في العصر العباسي الأول-، وقد تأثر فيها المتحاورون بمأدبة أفلاطون التي تحاور فيها سقراط وبعض المتفلسفة في عاطفة الحب،³ والمناظرة الحادة التي قامت بين أبي سعيد السّيرافي ومثي بن يونس في مجلس الوزير ابن العربي في المفاضلة بين المنطق اليوناني والتّحو العربي، والمناظرة التي جرت بين أبي سليمان المنطقي مع أبي العباس البخاري حول العلاقة بين الشريعة والفلسفة اليونانية.⁴

كما أنّ هذا العصر شهد ظهور المدرستين النحويتين "البصرة والكوفة"، وجرت مناظرات وخلافات بين رجالهما، وكانت هذه الخلافات في بداياتها عفيفة، ولكن بعدما قرّب العباسيون الكسائي وتلاميذه وخصّوهم بتربية أبنائهم وأغدقوا عليهم، أصبحوا يقفون بالمرصاد في وجه

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 194-205.

2- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 139.

3- ينظر: عبد الله خليفة السويكت، البنية الحجاجية في المناظرات الأدبية، مناظرة الأمدي بين صاحبي أبي تمام والبحثري أمودجا، دراسة تداولية، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، ع 7، يونيو 2015-شعبان 1436 هـ، ص: 43.

4- ينظر: أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس البغدادي ت 414 هـ)، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 6/2-17.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

البصريين الذين يفوقونهم علما، فحالوا بينهم وبين نباحهم المادي والمعنوي، وقد تميّز الكوفيون بالحدّة والعصبية وحب النيل من المنافس؛ لأنهم علموا أنّ علمهم قليل إزاء علم البصريين.¹

وقد دارت رحى الحوار والجدال بين الفريقين، وتأجّجت نارها، واتّسع مجالها، واستفاد منها النحو، وغنم التصريف كثيرا، وكانت أشهر الخلافات تدور حول منهج دراسة النحو، والسماع، والقياس.² ونشأ عن اختلاف النحاة في الأصول اختلاف في الفروع، ما دعا "ابن الأنباري" إلى تأليف كتاب في خلافتهم سمّاه "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيّين" عدّ فيه مائة مسألة واثنين اختلف فيها البصريون والكوفيون.³

ومن أشهر المناظرات تلك التي جرت بين أبي الحسن الكسائي وسيبويه في مجلس يحيى بن خالد البرمكي في بغداد، والتي أطلق عليها مسمّى "المسألة الزنبورية"، وكانت سبب موت سيبويه من الغم،⁴ كما وقعت مناظرات بين الكسائي والأصمعي، وبين الكسائي واليزيدي في حضرة الرشيد أكثر من مرّة، وجرت مناظرات بين المازني والنحاة الكوفيّين، وبين ثعلب والزجاج،⁵ وجرى خلاف بين ثعلب والمبرد أدكى ناره انتماؤهما لمدرستين مختلفتين، فقد كان ثعلب كوفيّا والمبرد بصريا.⁶

أما حضرة الأندلس فقد شهدت رقيا أدبيا ونموا فكريّا؛ حيث ما إن استتب أمر الحكم حتى أخذ الخلفاء في توسيع دائرة العلم، وكان أوّل ما وجهوا همّتهم إليه أن شجعوا علماء المشرق

1- ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1407هـ-1987م، ص: 176-177.

2- ينظر: محمد آدم الزاكي، النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، عرض ونقد، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، مخطوطة، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1405هـ-1985م، 1/5-13.

3- ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2003م، 2/296.

4- ينظر: ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ت 681 هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 3/464.

5- ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص: 178-193.

6- ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 319/4.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

على الهجرة إلى الأندلس، فهرع كثير منهم إليها واستطابوا معيشتها، وعكفوا على مزاولة وتطوير ودراسة العلوم والفنون التي اقتبسوها من المشرق.¹

وعرفت مجالس العلم والأدب رواجاً كبيراً، وإقبالاً واسعاً من الناس؛ لأجل الاستماع والبحث في مسائل العلم واللغة والأدب، وكان من أهل العلم والأدب الوزراء، والكتاب، والقضاة والخلفاء، وكانت المجالس تضمّ الصّفوة الراقية من أساطين العلم والأدب لعرض أفكارهم، فكانوا قدوة جمهور الأدباء.²

وقد تميّزت الأندلس بأنّها لم تكن مرتعاً للنحل المختلفة والفرق المتباينة، كما كان الحال في المشرق؛ بل كانت جمهرتها الغالبة على مذهب أهل السنّة والعقائد، وسيطر عليها مذهب الإمام عبد الرحمن الأوزاعي مدة قرنين قبل أن ينحسر لصالح مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس - رحمه الله - بعد أن نقله إليهم تلميذه يحيى بن يحيى الليثي، وصارت الفتيا عليه، ولم يشدّ عنه منهم إلا قليل.³

ثمّ إنّ مالكية الأندلس تعصّبوا في مسائل الفروع، وخاصموا باقي المذاهب السائدة آنذاك، بما فيها المذهب الشافعي، غير أنّ الخصومة بعد ذلك انحسرت بين المالكية والظاهرية بزعامة ابن حزم الذي منذ أن مال إلى القول بالظاهر، ودعا للمعارضة بين المذهبين، حتى دخل في مناظرات شرسة مع كثير من فقهاء الأندلس.⁴

وكان لابن حزم خصوم كثيرون بسبب ظاهرته التي خالف بها باطنية المالكية، وهو المذهب الذي أقرّه السلطان في الأندلس، وعمل خصومه على إيغال صدر السلطان عليه غيلة وحسداً،

1- ينظر: عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 27-28.

2- ينظر: محمد بن لخضر فورار، الشعر الأندلسي في ظلّ الدولة العامرية، دراسة فنية موضوعية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص: 60.

3- ينظر: عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص: 31.

4- ينظر: عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباغي، ص: 16.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

فشنّوا عليه وأغروا به، وأظهروه بمظهر المعجب بفقهاء المعتصّب لمذهبه. والحقّ أنّ ابن حزم كان شديداً على خصومه المبطلين كالأصمّ والنظام، ولكنّه كان منصفاً مثنياً على الدّ خصومه أبي الوليد الباجي، ولم ينتقصه في دينه أو خلقه.¹

وبعدما تصدّر ابن حزم للتعليم الظاهري في جزيرة ميورقة، تمّ عقد مجالس جدلية في قصر الوالي ابن رشيق مع جمع من فقهاء المالكية الذين أوقعهم سوء حظّهم في مغبّة التناقش مع هذا العالم الفطحل الذي لا يشق له غبار، ولم يستطع أن يقوم له واحد منهم، وآخرهم محمد بن سعيد الذي رأى أنّه من الأوفق الاستعانة بأبي الوليد الباجي الذي كان يعيش في أحد شواطئ إسبانيا.²

ولا شكّ أنّ الاحتكاك العقدي في الأندلس قد أسهم في ظهور المناظرات العقديّة بين أهل الملل المختلفة؛ كما سيسهم أيضاً في إغناء الحركة الفكرية والثقافية في الغرب الإسلامي الذي مثّل محورا للاتصال بين العقائد والملل المختلفة (اليهودية، المسيحية، الإسلامية)؛ حيث إنّ مصنّفات المؤلّفين المسلمين واليهود استخدمت بوصفها ذات أهمية علمية عالية القيمة بالنسبة لللاهوتيين الكاثوليك، وبدورها ترجمت مؤلفات اللاهوتيين الكاثوليك إلى العربيّة، واستخدمت في المجادلات والمناظرات الكلاميّة.³

وترك ابن حزم رسالة يردّ فيها على "ابن النغريلة" اليهودي الذي عرف عنه تشغييه، وتدليسه وخبثه، وعدم تورّعه عن نقد الأديان على ما كان يتميّز به من حلم، وفهم، ودكاء، ورزانة، ودهاء، وكان اليهود أنفسهم يتشاءمون منه. وقد تصدّى له العلامة ابن حزم وبينّ فساد مذهبه

1- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 56.

2- ينظر: عبد الحميد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، ص: 16.

3- ينظر: أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، تر: خلف الله محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1996 م، ص: 46.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وتحافته؛ إذ أَلَّف ابن النغيلة كتابا رام فيه -باطلا- أن يبيّن تناقض كلام الله مستقويا من أموال أخذها بطرا وخداعا من الناس، مستغلا تقربه من الحاكم الضعيف.¹

وينبغي التنويه إلى أنّ علماء الأندلس كانوا سبّاقين ميدان التأليف في علم المناظرة؛ حيث يعدّ كتاب "عيون المناظرات" لأبي عليّ السكوني الإشبيلي (ت 717 هـ) المصنّف الوحيد الذي أفرد اختصاصا للمناظرة، وأورد عدداً من نصوصها في التراث العربي الإسلامي، وعليه فيمكن اعتباره المجمع الأول للمناظرات،² فهو يجوي مائة وستين مناظرة، بدأها بمناظرة الملائكة مع إبليس وأنهاها بمناظرة بين وهيب بن الورد وسفيان الثوري.³

8- أحمد ديدات رائد المناظرات الدينيّة في العصر الحديث:

8-1- نبذة عن حياة الشيخ أحمد ديدات:

وُلد الشّيخ أحمد ديدات عام 1918 في مدينة بومباي بولاية كجرات غرب الهند لأبوين مسلمين هما: حسين ديدات، وفاطمة بنت حافظ. وبومباي هذه مدينة كبيرة يزيد عدد سكانها على مليوني نسمة، تقع على الساحل الغربي للهند المحاذي لبحر العرب.⁴ وللمسلمين في هذه المدينة تاريخ عريق، حكمها حكام الهند من المسلمين المغول، فانتشر فيها الإسلام، وأقبلت عليه طوائف كبيرة من الهندوس، وأصبحوا فيما بعد حملة الإسلام ودعاته.⁵

وكان مولد أحمد ديدات في الهند وقد غدت مستعمرة إنجليزية، يسيطر فيها الإنجليز على كل شيء، وأدّت سياستهم في اضطهاد المسلمين إلى إفقارهم وتجهيلهم، فغدا المسلمون فيها فقراء،

1- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، ص: 121-122.

2- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 143.

3- ينظر: أبو عليّ السكوني، عيون المناظرات، ص، ص: 15-303.

4- ينظر: حمزة مصطفى ميغا، الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة وأهم مجالاته التطبيقية الممكنة مع دراسة تمهيدية موسّعة عن الإسلام والمسلمين في جنوب إفريقيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1373 هـ-2005م، ج1، ص: 173.

5- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، دار الضياء، عمان، ط1، 1410 هـ-1990م، ص: 5.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وكانوا من قبل هم الأغنياء، وغدا المسلمون فيها أجراء، وكانوا من قبل هم الأغنياء، وغدا المسلمون فيها أجراء، وكانوا من قبل هم الأمراء.¹

وبعد تسع سنوات قضاها أحمد ديدات في أحضان المجتمع الزراعي التحق بوالده في جنوب إفريقيا عام 1927م، وعاش الأب والابن في "درين"؛ حيث كان يعمل والده.² وكان والده غادر إلى جنوب إفريقيا في وقت مبكر من طفولة نجله، وفي السنة التي فارق فيها أحمد ديدات أمه وأخته في بلاد الهند للحاق بأبيه توفيت والدته عليها الرحمة.³ وبعد مرور خمس سنوات والشيخ حسين ديدات يعاني من وطأة ذكريات فقيدته الوفية، معزياً نفسه بجمال العشرة وسعادتها، استطاع أن يقاوم ما تعرّض له من هزّة في مصابه الجلل، وربما بمساعدة حركة الزمن التي عملت على التخفيف من حجم الصدمة وشدتها، فقرّر عام 1936 أن يتزوَّج للمرة الثانية.⁴

وهكذا نشأ الطفل أحمد ديدات في بلد أجنبي عنه تحكمه اللّغة الإنجليزية، وديانته الرسمية هي المسيحيّة، والسياسة الرسمية هي التفرقة العنصرية، التي انقشعت مظالمها عن الدنيا بأسرها ما عدا في هذه الدولة التي يسيطر عليها الأوروبيون في جنوب القارة الإفريقية.⁵

ولم يتلقّ الشيخ تعليماً رسمياً قبل التاسعة، فبدأ يحضّر لدور سيؤديه في العقود اللاحقة من غير إدراك منه، وفي مقاومة الجهل استطاع أحمد ديدات بذكائه أن يتجاوز حاجز اللّغة؛ بل تفوّق في تعليمه؛ لكنّ نقص الدعم المادي أعاقه عن إكماله، فاكتفى بالمرحلة السادسة ابتدائي.⁶

1- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، ص: 5.

2- ينظر: المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القس سوبجارت والشيخ ديدات، تقدم وتح وتع: محمود علي حمادة، مكتبة النافذة، الجزيرة، مصر، ط2، 2005 م، ص: 17.

3- ينظر: حمزة مصطفى ميغا، الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة وأهم مجالاته التطبيقية الممكنة، ص: 173.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 173.

5- ينظر: أحمد ديدات، العرب وإسرائيل، شقاق أم وفاق، نقله إلى العربية: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ص: 7.

6- ينظر: أحمد ديدات، الاختيار بين الإسلام والنصرانية، نقله إلى العربية: أكرم ياسين الشريف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1429 هـ- 2008م، ص: 7.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وفي سنة 1934 غادر الطفل ديدات المدرسة؛ حيث عمل في محلات الدولة، ثم سائقاً لدى مصانع الأثاث، وكان ذلك في بداية الأربعينيات، وقد قدّر له أن يقضي ما يقرب من اثني عشر عاماً عمل خلالها كاتباً ثم موظفاً بالبريد، ثم بائعاً في أحد الفروع التجارية، وأخيراً مديراً في مجال الأثاث.¹

وكان عمل أحمد ديدات في دكان رجل مسلم بجوار معهد لتعليم اللاهوت النصراني على ساحل ناتل الجنوبي سبباً في دخوله في مواجهات مع المبشرين المسيحيين المتدربين، الذين كانوا يزورون الدكان بين حين وآخر.²

وكان المبشرون يطرحون عليه أسئلة يجد صعوبة كبيرة في الإجابة عنها -آنذاك- من قبيل: "الإسلام انتشر بالسيف، تعدد زوجات الرسول، الحدود والقصاص، القرآن منقول من المسيحية واليهودية"³؛ مما أوقد في نفسه جذوة البحث عن الحجج التي تدفع مزاعمهم الباطلة.

ولقد تحقّق للطفل أحمد ما رامه بما أودع الله في نفسه من حبّ شديدٍ للقراءة يصل إلى حدّ النهم، فكان يقرأ كلّ ما تصل إليه يده، مهما كان موضوعه.⁴ وفي إحدى الليالي العاصفة كان الطفل أحمد ينظّف ركناً من أركان الدكان الذي يعمل فيه، وفجأة «ارتطمت قدماه بجسم مجهول على الأرض، فرفعه بيديه ليكتشف أنه كتاب ملقى في ثنايا الصناديق المهملة... ولقد كان اسم ذلك الكتاب هو "إظهار الحق".⁵

كانت قراءة الطفل ديدات لكتاب "إظهار الحق" للعالم الهندي المسلم رحمة الله الكيرواني نقطة تحوّل في مسيرة حياته، فقد كان له أثر في توجّه أحمد ديدات إلى قراءة كتب النصراني،

1- ينظر: المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القس سويجارت والشيخ ديدات، ص: 17.

2- ينظر: أحمد ديدات، الاختيار بين الإسلام والنصرانية، ص: 8.

3- ينظر: المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القس سويجارت والشيخ ديدات، ص: 18.

4- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، ص: 7.

5- جهاد الثرياني، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى، القاهرة، ط1، 1431 هـ-2010 م، ص: 414.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وبحماس شديد اشترى أول كتاب مقدّس، وبدأ يعقد أولى مناظراته ومناقشاته مع المبشرين المتدريين، وعندما أصابت هؤلاء الهزيمة على يد أحمد دُعي شخصيا من قبل أساتذتهم وحتى من قبل القسيسين في المناطق المجاورة.¹

وكانت ثقافة أحمد ديدات الإسلامية والعامية معتمدة على جهوده الذاتية، وقد فاق بعلمه كثيرا من أولئك الذين تلقوا علومهم في الجامعات، وحصلوا على أعلى الدرجات العمليّة. وانطلق الشيخ أحمد ديدات في طريقه الدعوي متسلّحا بالعلم الذي حصده بجهد العصامي؛ علم جعله يتقن كثيرا من اللغات، وملّمًا بعدد من كتب الديانات، يجعله أهلا لمناظرة أصحابها وجدالهم بالتي هي أحسن.²

ودفعت هذه النجاحات الشيخ أحمد إلى طريق الدعوة، ولم يكن زواجه وإنجابه الأطفال، وإقامته في باكستان مدّة ثلاث سنوات بعد استقلالها ليحمد أو يثني من عزيمته في الدفاع عن الإسلام من التشويهات المحرّفة مع المبشرين النصارى.³ وتمكّن أحمد ديدات بدافع وحماس إلى إظهار حقيقة وجمال الإسلام من أن يقوم بأنشطة عديدة؛ حيث أسس في دوربان مركز الدعوة الإسلاميّة، وقام بنشر أكثر من 20 كتابا ووزع ملايين منها مجانا. وكان كل ما يملكه عند التأسيس ثلاثة جنيهاً وبضعة شلنات، وكان بيت هذا المركز مسجد المدينة، وتطور الأمر حتى غدا المركز قلعة إسلاميّة له رجاله وفروعه، وله تأثيره الواسع بين الناس، وله سمعته العالية في عالم الإسلام وعالم الديانات الأخرى.⁴

وخاض الشيخ أحمد ديدات طوال مشواره الدعوي كثيرا من المناظرات مع القساوسة والمبشرين، وبلغ الحضور في بعد المناظرات ثلاثين ألفا، حتى إنّه دعا البابا يوحنا بولس الثاني إلى

1- ينظر: أحمد ديدات، الاختيار بين الإسلام والنصرانية، ص: 8.

2- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، ص: 7-8.

3- ينظر: أحمد ديدات، الاختيار بين الإسلام والنصرانية، ص: 8.

4- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، ص: 8.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

المناظرة؛ حيث كان هذا الأخير يدعو المسلمين إلى إجراء حوار بين الطرفين.¹ ولم يأت أي ردّ في المرة الأولى، فأرسل الشيخ أحمد ديدات دعوة ثانية، وجاء الردّ لمقابلته في سكرتارية البابا الخاصة في الفاتيكان، فردّ عليه الشيخ أحمد بأنّ الحوار يجب أن يكون في مكان عام* حتى يتمكن أكبر عدد ممكن من الناس من مختلف الديانات مراقبة الحوار بين طرفين يمثلان الإسلام والنصرانية، ولم يأتته جواب رغم إرساله برقيات ورسائل أخرى.²

وتقديرًا لإنجازات الشيخ أحمد ديدات مُنح جائزة الملك فيصل العالمية عام 1986م، وهي جائزة لها مكانة مرموقة في العالم الإسلامي، وحقيقة فإنه لا توجد هناك جوائز يمكن أن توفي هذا الرجل حقّه نظير ما بذله من جهد لرفع راية الإسلام.³

توفي الشيخ أحمد ديدات عام 2005 م بعد مرض عضال أقعده الفراش منذ سنة 1995م، بعد أن صرف حياته في خدمة الإسلام والذبّ عن مقدّساته، والذود عن حماه، واعتنق بسببه الآلاف الإسلام، فقد كان صمصاما يترقّب الباطل، ويدحض دعاوى المغرضين، وطودا أشمّ تنكسر في عظمته افتراءات أعداء الإسلام وخصومه. فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء وأسبل على قبره نعمة السكينة، وأنزل عليه شأيب الرحمة.

8-2-أهم مؤلفاته: ألف الشيخ أحمد ديدات كتباً كثيرة نذكر منها:

-المسيح في الإسلام.

-القرآن معجزة المعجزات.

1- ينظر: أحمد ديدات، بين الإنجيل والقرآن، تر وتبع: محمد مختار، المختار الإسلامي، القاهرة، ص: 55.

*-أرسل الشيخ أحمد ديدات رسالة إلى البابا يقول فيها: (يسعدنا أنكم ترتبون للقاء معنا، ولكننا نتمسك بأن يكون مثل هذا اللقاء علنياً، كما كان في خطابنا المفتوح إليكم والذي اقترحنا فيه مثل هذا اللقاء، وذلك من أجل البلايين المؤمنة بالمسيحية والإسلام، من أجل الحقيقة وإرضاء الرب...)، ينظر: المرجع نفسه، ص: 55.

2- ينظر: أحمد ديدات، ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد صلى الله عليه وسلّم، تر وتبع: وليد عثمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط 1، 1410 هـ-1990 م، ص: 14.

3- ينظر: أحمد ديدات، الاختيار بين الإسلام والنصرانية، ص: 9.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

- المسلم في الصلاة.
 - محمد الخليفة الطبيعي للمسيح.
 - من دحرج الحجر.
 - ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد.
 - الاختيار بين الإسلام والنصرانية.
 - شيطنة الآيات الشيطانية.
 - الخلاف الحقيقي بين المسلمين والمسيحيين.
 - الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية.
 - مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء.
 - العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق؟
 - من الممعدانية إلى الإسلام.
 - خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس.
- 3-8- مناظرات الشيخ أحمد ديدات:**

لقد نحاض الشيخ أحمد ديدات كثيرا من المناظرات، حيث إن علماء النصارى حاولوا التصدي له في مناظرات أمام جمهور يتم تسجيلها على أشرطة كاسيت وعلى أشرطة فيديو، وكان نجاح أحمد ديدات فيها منقطع النظير، وانزعج لذلك كثير من علماء المسيحية المتعصبين وسعوا إليه

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

جيدة وذهابا من أجل استدعائه لعقد مناظرات معه أمام جمهور، فكان يقبل الدعوة دون أدنى تردد، وظهرت إلى الوجود مناظرات فعلية في مقارنة الأديان.¹

ومدار دراستنا يدور في فلك خمس مناظرات سنحاول أن نخوض في غمارها بغية الوقوف على الآليات الحجاجية التي استندت عليها.

8-3-1- المناظرة الأولى: أخطر المناظرات.

8-3-1-1- أطراف المناظرة: الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك.

8-3-1-2- نبذة موجزة عن البروفيسور فلويد كلارك:

يعدّ البروفيسور فلويد كلارك (Floyd E Clark) من أكبر علماء اللاهوت المسيحي، ويعمل أستاذا في كلية جونسون لللاهوت في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنّه مبشّر مسيحي يتجول كثيرا في جميع أنحاء العالم، وهو يقطن حاليا في ولاية تينيسي.²

وقد عمل البروفيسور فلويد كلارك أستاذا محاضرا لمدة تسعة أشهر في كلية آدمز للتبشير في جمهورية جنوب إفريقيا،³ وهذه الكلية هي التي كان طلابها يضايقون أحمد ديدات حين كان صبيا صغيرا، ويوجهون إليه أسئلة مضمونها مطاعن في الإسلام لم يكن يجد لها إجابات في ذلك الوقت.

وقضى البروفيسور فلويد كلارك حسب قوله ثمانية وأربعين سنة في بحث قضية صلب المسيح. وجمعت بينه وبين الشيخ أحمد ديدات مناقشة في جنوب إفريقيا سنة 1963م في مبنى

1- ينظر: أخطر المناظرات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، تر: علي الجوهري، دار البشير، القاهرة، ص: 7.

2- ينظر: مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقسّ الدكتور أنيس شروش، تر: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ص: 6.

3- ينظر: أخطر المناظرات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، ص: 18.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

البلدية بجوهانسبورج، وبعد سنتين جرت مناقشات قويّة وصاخبة بين الطرفين استمرت مدة ست عشرة سنة.¹

8-3-1-3- موضوع المناظرة وظروفها:

تعدّ هذه المناظرة أوّل المناظرات العلنيّة التي فتحت الباب الواسع أمام الداعيّة أحمد ديدات لخوض غمار المناظرات الكبرى مع علماء النصرانيّة. وكان موضوعها "هل مات المسيح على الصليب؟" (was christ crucified?). وهو موضوع حسّاس وعقائدي أساسي في النصرانيّة، بل إنّ العقيدة النصرانية تقوم أساساً على هذا الاعتقاد.²

وبعد المناقشات الحادّة التي جرت بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك في مدّة ست عشرة سنة تمّ إجراء هذه المناظرة يوم الأحد الموافق للسابع من جويلية عام 1985م على الساعة السادسة والنصف مساءً³ في قاعة ألبرت الملكية بالعاصمة البريطانية لندن (The royal El-bert hall) التي تتسع لثمانية آلاف كرسي ثابت، واستمرّت مدة ثلاث ساعات، واختار البروفيسور فلويد كلارك أن يكون أول المتحدثين فيها.⁴

وقد اهتمّت الأوساط الإسلاميّة في لندن بهذه المناظرة، وحرص كثيرون على حضورها، كما اهتمت بشكل مماثل الأوساط النصرانيّة في إنجلترا بها، فهرعت أعداد غفيرة للاستماع إليها، فاتّخذت اللجنة المنظمة قراراً بتجزئة القاعة إلى نصفين، يجلس المسلمون في النصف الأيمن ويجلس النصارى في النصف الأيسر.⁵

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 19-20.

2- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، ص: 32.

3- ينظر: أخطر المناظرات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، ص: 14.

4- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، ص: 32.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 32.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وقد تجلّى في هذه المناظرة انتصار الحقّ في جانب الشيخ أحمد ديدات الذي استطاع أن ينال من إعجاب الجماهير وتصفيقهم الشيء الكثير، وكان أدائه مبهرًا جدًّا، وأظهر اطلاعًا واسعًا ومعرفة كبيرة بالدين المسيحي.

8-3-2- المناظرة الثانية: مناظرة العصر.

8-3-2-1- أطراف المناظرة: الشيخ أحمد ديدات والقسّ الدكتور أنيس شروش.

8-3-2-2- نبذة موجزة عن أنيس شروش:

أنيس شروش مبشر مسيحيّ إيرلندي من أصل عربي، ولد في الناصرة في فلسطين وحصل على الشهادة الثانوية العامة من غزّة سنة 1948 م، هاجر إلى الأردن ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية.¹ وكان متخصصًا في الطبّ النفسي، ثم تخصص بعد ذلك في الدراسات الإنجيلية؛ حيث حصل على درجة الليسانس في الآداب، وعلى درجة الماجستير ثم الدكتوراه في اللاهوت المسيحي من جامعة ميسيسيبي الأمريكية،² وهو يجيد اللّغة العربيّة بعدّها لغته الأم، كما يجيد اللّغة الإنجليزيّة واليونانية القديمة واللاتينية؛ لأنّه حاصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت المسيحي من جامعة ألاباما ولا يُتصوّر أنّه حصل عليها دون الإلمام بهذه اللّغات.³

8-3-2-3- ظروف المناظرة وموضوعها:

كان الدكتور أنيس شروش موجودًا أثناء المناظرة التي جرت بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، وقام بتوجيه سؤالين إلى العلامة ديدات في الفقرة المخصّصة لأسئلة الجمهور، مع أنّ المسموح به هو سؤال واحد فقط.⁴

1- ينظر: أخطر المناظرات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، ص: 10.

2- ينظر: أحمد ديدات، بين الإنجيل والقرآن، ص: 61.

3- ينظر: مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقسّ الدكتور أنيس شروش، ص: 7.

4- ينظر: أخطر المناظرات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، ص: 10.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وبدا جلياً أنّ أنيس شروش لم يأت من الولايات المتحدة الأمريكية إلى المملكة المتحدة من أجل توجيه الأسئلة فقط إلى المتناظرين؛ فبعد انتهاء المناظرة تحدّى الشيخ أحمد ديدات أن يواجهه أمام الجمهور في مناظرة علنية مسجلة؛ إذ كان يظن أنه يستطيع الانتصار، وقيل أحمد ديدات التحدي دون تردد.¹

وأتفق الطرفان على أن يكون موضوع المناظرة المحدّد "هل عيسى إله؟" "Jesus A Is God".² وحدد لها موعداً يوم الخامس عشر من شهر ديسمبر عام 1985م في قاعة ألبرت الملكية في لندن، وهي القاعة نفسها التي جرت فيها المناظرة السابقة التي جمعت بين أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك.³

وتعرض القسّ أنيس شروش لهزيمة ساحقة، حتّى أنّ أمه في مقابلة صحفية أجرتها بعد هذه المناظرة، قالت بالحرف الواحد: إنّ تصرّفات ابني جعلتني أخاف على حياته. ومن جانب آخر فقد ادّعى أسقف برمينغهام مايك سانتور (Mike Santor) أنّ المناظرة كانت مفبركة وأنّ هناك اتّفاقاً مسبقاً بين الطرفين على هزيمة شروش مقابل مبلغ من المال، وقام مركز الدعوة الإسلامية في مدينة "كوفان تري" بدعوة الأسقف سانتور إلى مناظرة الشيخ ديدات؛ لكنّه جبن ورفض وتبيّن زيف وبطلان دعواه.⁴

8-3-3- المناظرة الثالثة: المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان.

8-3-3-1- أطراف المناظرة: الشيخ أحمد ديدات والقسّ الأمريكي جيمي لي سواجارت.

1- ينظر: مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقسّ الدكتور أنيس شروش، ص: 6.

2- ينظر: محمد عبد القادر الفقي، قال لي ديدات، حوار ساخن مع داعية العصر، مكتبة القرآن، القاهرة، ص: 57.

3- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، ص: 43.

4- ينظر: محمد عبد القادر الفقي، قال لي ديدات، ص: 57.

8-3-3-2- التعريف بالقسّ جيمي سواجارت:

جيمي لي سواجارت (Jimmy Lee Swaggart) قسّ أمريكي من مواليد سنة 1935م في فيريداي التابعة لولاية لويزيانا، وهو القسّ المفضّل عند المسيحيين، والأكثر شهرة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ نظرا لبرامجه الدينية المذاعة في التلفزيون، والأنشطة الكبيرة في إدارة الكنائس والجمعيات الدينية. والمعروف أنّ ما لا يقلّ عن خمسمائة مليون مشاهد في مختلف أنحاء العالم يتابعون إرشاداته وخطبه الدينية بواسطة التلفزيون.¹

وقد تمتّع القسّ جيمي سواجارت بسمعة غير حميدة بسبب تطاوله المستمر على القرآن الكريم، وسبّه لشخص النبي صلّى الله عليه وسلّم، ودعايته المغرضة في حق الإسلام والمسلمين. ففي إحدى أحاديثه التلفزيونية التي يشاهدها أكثر من مليوني شخص في الولايات المتحدة وتصل لأكثر من مائة وأربعين بلدا، قال سواجارت بأنّ الخطر الذي هدد الحضارة الغربية حاليّا ليس الشيوعيّة أو الاتحاد السوفياتي؛ إنّما الإسلام الذي يغزو بلاد الغرب، وتعرض للرسول صلّى الله عليه وسلّم بكلمات بذيئة وجارحة وأكاذيب ملقّقة.²

ويتميّز القسّ جيمي سواجارت بقدره فذّة على الصياح، والبكاء، والهمس، والغناء في الميكروفون، وقد أثارت بعض تصريحاته جدلا كبيرا في الأوساط المسيحية خاصة عندما اتّهم الكاثوليكية الرومانية بأنّها "عقيدة مزيفة"، واتّهم المجلس الأعلى والكونغرس الأمريكي بأنّها من المؤسسات التي يلعنها الله.³

وقد وصف الشيخ أحمد ديدات القسّ سواجارت بأنّه «رجل أعمال يجيد التمثيل كما يجيد الكذب أيضا، فضلا عن إجادته فنّ التملّص من الأسئلة المعجزة».⁴ واستطاع سواجارت أن

1- ينظر: المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القسّ سواجارت والشيخ ديدات، ص: 15.

2- ينظر: أحمد ديدات، بين الإنجيل والقرآن، ص: 45.

3- ينظر: المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القسّ سواجارت والشيخ ديدات، ص: 15.

4- محمد عبد القادر الفقي، قال لي ديدات، حوار ساخن مع داعية العصر، ص: 37.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

يحصّد أكثر من 140 مليون دولار سنويًا، ويعتبر من أكثر المنصّرين نفوذًا في العالم. كما أنفق على بناء مجمع له في مدينة "باتن روج" ما قيمته 123 مليون دولار، راح معظمها في شراء الأراضي وأعمال التشييد، ويحتوي المجمع على كليّة الإنجيل، وإرساليات ومراكز خدمات طبيّة، ويعمل بالمجمع موظّفون كانت تصل مستحقّاتهم إلى 16 مليون دولار.¹

وتورّط هذا القسّ المثير للجدل في فضيحة جنسية كبرى هزّت كيانه ومركزه الاجتماعي، فقد تمّ ضبطه في وضع مشين مع إحدى الساقطات، والتقطت له صور سافرة جعلته يظهر في التلفزيون نادما معترفا، وراح يبكي أمام ملايين المتفرّجين. وبدأ التحقيق معه في مقرّ الكنيسة في "سبزينغفيلد"، وبعد اجتماع دام أربع ساعات وصفت الكنيسة بأنّ موقفه "حرج"، ويؤثّر على مكانته وأهليته للعمل في الكنيسة.²

وأسهمت هذه الفضيحة في تشويه سمعة كثير من القساوسة الذين تورّطوا في أعمال مشبوهة؛ إذ تمّت ملاحظتهم ومقاضاتهم من طرف المحاكم المتخصصة؛ ممّا تسبّب في هبوط معدل التبرعات والمشاهدين، وجعلت جمهور المسيحيّين يشكّون في حقيقة وجود رجل دين أمين في العالم المسيحي.

8-3-3-3- موضوع المناظرة وظروفها:

كان القسّ الأمريكي جيمي سواجارت يزعج المسلمين كثيرا في الولايات المتحدة، وكان شغله الشاغل زيارة الجامعات والكليات التي يوجد بها أعداد كبيرة من الطلبة المسلمين، ويعلن عن عقد محاضرات ومناقشات لهم في مكان محدّد بهذه الكلية أو ذلك المعهد في زمان محدّد. وكان يحضر ويحاضر ويصوّل ويجول ويطلب أن يناقش شخصًا مسلمًا؛ فقام الطلبة المسلمون في

1- ينظر: أحمد ديدات، بين الإنجيل والقرآن، ص: 48.

2- ينظر: المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القسّ سواجارت والشيخ ديدات، ص: 15-16.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

الولايات المتحدة باستدعاء الشيخ أحمد ديدات لمناقشة سواجارت في أقواله، من أجل الردّ على افتراءاته ودحضها.¹

وجرت وقائع هذه المناظرة العالمية الشهيرة في قاعة المحاضرات الكبرى بجامعة لويزيانا في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وبدأت في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الثالث من نوفمبر سنة 1986 م، وحضرها جمهور فاق عشرة آلاف رجل وامرأة.²

وكان موضوع المناظرة المثير هو من جلب إليها أعدادا كبيرة من الحضور بين صفوف المسلمين والنصارى، وكان عنوانها "هل الكتاب المقدّس كلمة الله؟" (Is the Bible God's Word?).³

وبعد هذه المناظرة اتّهم القس جيمي سواجارت أحمد ديدات وأتباعه زورا وبهتانا بأنّهم عبثوا بالشرائط التي سجّلت فيها المناظرة، وتوعّدهم برفع دعوى قضائية في حقّهم. ولكنّ شيئا من ذلك لم يكن، وهذا الادّعاء الذي خرج به سواجارت ما هو إلّا أثر لعدم تقبّله الهزيمة الساحقة التي مُني بها أمام الشيخ أحمد ديدات.⁴

كما طلب القسّ جيمي سواجارت عقد مناظرة أخرى في أبو ظبي، خاصة وأنّ هناك عددا كبيرا من المواطنين يرغبون في عقدها هناك، وبالفعل تمّ حجز الفندق، وتوفير كل التسهيلات اللازمة، بما في ذلك عرض المناظرة مباشرة على الهواء في التلفزيون، وأرسل تلكسان بذلك إلى سواجارت، وكُتب له مرات عديدة، لكنّه لم يردّ كما فعل البابا قبله.⁵

1- ينظر: أخطر المناظرات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، ص: 7.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 4.

3- ينظر: أحمد الجدع، أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، ص: 35.

4- ينظر: محمد عبد القادر الفقي، قال لي ديدات، حوار ساخن مع داعية العصر، ص: 38.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 37.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

8-3-4- المناظرة الرابعة والخامسة: مناظرتان في ستوكهولم.

8-3-4-1- أطراف المناظرتين: الشيخ أحمد ديدات والقسّ ستانلي شويبرج.

8-3-4-2- نبذة موجزة عن ستانلي شويبرج:

استانلي شويبرج (Paster Stanley Sjöberg) من مواليد 17 فيفري عام 1936م في بروكلين بنيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، و يطلق عليه لقب "باستر" الذي يعني في اللغة السويدية كبير القساوسة.¹ وكان شويبرج قسًا شهيرًا في مدينة ستوكهولم عاصمة السويد، وقضى سنوات طويلة في كثير من الأقطار الإسلاميّة، وإضافة إلى وظيفته الدينية كمبشّر فهو مهتم أيضا بالخدمات الاجتماعيّة والطبيّة.²

8-3-4-3- ظروف المناظرة وموضوعها:

إنّ الفشل الذريع الذي مُني به القسّ جيمي سواجارت أزعج غيره من علماء اللاهوت المسيحي، ومنهم القسّ السويدي الشهير استانلي شويبرج، فأرسل شريط فيديو إلى الشيخ أحمد ديدات يدعوه فيه إلى مناظرته، وقد قام الشيخ أحمد ديدات بشكر القسّ ستانلي على صنيعه.³

واتّفق الطرفان على حوض غمار المناظرتين التي جرت أحداثها في مدينة ستوكهولم عاصمة السويد في 27 و 28 أكتوبر عام 1991، وكان موضوع المناظرة الأولى: "هل الإنجيل كلام الله؟" "Is The Bible The God's Word?". أمّا موضوع المناظرة الثانية: "هل عيسى إله؟" "Is Jesus A God?".⁴

1- ينظر: مناظرتان في ستوكهولم بين داعية العصر أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد ستانلي شويبرج، تر: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ص: 5.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 14.

3- ينظر: أخطر المناظرات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، ص: 9.

4- ينظر: مناظرتان في ستوكهولم بين داعية العصر أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد ستانلي شويبرج، ص: 5.

الفصل الثاني: المناظرة مفهومها ونشأتها في الفكر العربي

وتعرّض القسّ استانلي للهزيمة شأنه في ذلك شأن من سبقوه، لكنّ هزيمته كانت أشنع وأقبح، فكان أفضل مناظر واجهه الشيخ أحمد ديدات على الإطلاق؛ حيث غلب عليه طابع الانفعال، والمبالغة في الإلقاء، والخروج عن الموضوع، ومحاولة استمالة الجماهير المسيحية وتهميج عواطفهم، ولم يستطع أن يقدم أي دليل واضح على دعواه التي يتشدّق بها، وجميع النصوص التي استند إليها كانت حجّة عليه لا له.¹

خلاصة الفصل:

نخلص في ختام هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

- مدار المناظرة حوار مؤطر قائم بين طرفين (شخصين أو فريقين) بحثًا عن الحقيقة.
- يتداخل مصطلح المناظرة ويتقارب مع مصطلحات أخرى، مثل: المجادلة، والمحاورة.
- تهدف المناظرة لاستلهاام الصواب عن طريق توظيف حشد من الحجج والبراهين المتنوعة.
- وضع العلماء للمناظرة أركانًا، وشروطًا، وضوابط، وآدابًا ينبغي احترامها والاحتكام إليها.
- تمثل المناظرة شكلاً حجاجيًا غنيًا بالآليات والوسائل الإقناعية التي يوظفها كلاً المتحاورين.
- عرفت المناظرة حضورًا بارزًا في التراث العربي والإسلامي تنظيرًا وتطبيقًا.
- كان للمناظرات الدينية السطوة مقارنة بغيرها؛ نظرًا لتشاكس الفرق والمذاهب.
- يعدّ أحمد ديدات رائد المناظرات الدينية الكبرى في العصر الحديث، وأشهرها خمس.
- كان النصر حليفَ المحاجج المسلم في جميع مناظراته باعتراف القاصي والداني.

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 6.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل

الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

■ الروابط الحجاجية

○ لكن

○ بل

○ لأنّ

■ العوامل الحجاجية

○ عامل النفي

○ عامل القصر والحصر

○ عامل الشرط

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

توطئة:

من المفيد أن نشير ونحن بصدد الانطلاق في الدراسة التطبيقية إلى أنّ المدونة المختارة غربية في لغتها إسلامية في مذهبها؛ فالشيخ أحمد ديدات داعية إسلامي هندي الأصول تعلم اللغة الإنجليزية؛ لأنّها اللغة الرسمية في جنوب إفريقيا، الدولة التي نشأ وترعرع وتزوج فيها، أما معرفته باللغة العربية فليست كبيرة، ما خلا إتقانه لتلاوة الآيات القرآنية بشكل جيّد.

وفي ما يخصّ خصائص إنجليزية أحمد ديدات فهي بسيطة سهلة قريبة المأخذ، ولكن هذه البساطة الكبيرة لم تسلب منها كفايتها التواصلية في تحقيق الهدف الذي يرومه في إفحام المناظرين النصارى وإلجامهم. وقمنا بالعودة إلى المناظرات المسجلة على الفيديو التي تمت دبلجة بعضها، في حين تُرجمت أخرى محاولين استسقاء المبتغى من مورده، وتحقيق مبادئ المنهج الوصفي في معاينة الظاهرة اللغوية الحيّة التي يتلفظها المتكلم.

واعتمد البحث بشكل أساسي على الترجمات العربية للمناظرات الخمس المقصودة بالدراسة التي قام بها نخبة من الباحثين العرب. ومن نافلة القول أنّ ما تراه العين في المخاطب وقت تكلمه ليس كالذي تراه في المادة المكتوبة، والإطار التواصلية في المناظرات -شأنها شأن خطابات أخرى- لا يقف عند الملفوظات فقط؛ بل يتعدّها إلى أصناف تواصلية أخرى، مثل: إشارات اليد وملامح الوجه.

ولا تهمّنا الحجج التي استخدمها المحاججون النصارى، فتركيزنا منصب فقط على الحجج التي استخدمها المحاجج المسلم؛ أي إنّ مدار مقارنتنا التطبيقية متعلّق بالخطاب الحجاجي عند أحمد ديدات فقط؛ نظرًا لكون المحاججين النصارى يسفّسطون ويروغون غالبًا، ولا يمكن بناء أطروحات ديباليكتيكية انطلاقًا من حجاجهم؛ نظرًا لتسيبه وانقطاعه وغياب رؤية واضحة حوله، وهذا لا يمنع من الإشارة عند اللزوم إلى بعض أسس النصارى في تضاعيف وثنايا البحث.

*آليات الحجاج اللغوي:

ينصهر الحجاج اللغوي في بوتقة الدرس اللساني الذي تأسس في عشرينيات القرن الماضي، واللسانيات «هي الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري؛ أي دراسة تلك الظاهرة العامة والمشاركة بين بني البشر والحديرة بالاهتمام، بغض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى التي لا تعدّ من صلب اهتمام اللسانيين».¹

ويعود الفضل في تبلور علم "اللسانيات" إلى العالم اللساني السويسري "فيرديناند دي سوسير" (Ferdinand De Saussure) الذي وضع حجر الأساس لهذا العلم. ولم تنبثق النظريات اللغوية الحديثة إلا بعد ظهور كتابه المعنون: "محاضرات في اللسانيات العامة" الذي تم نشره بعد وفاته؛ ففرّخ الدرس اللغوي جملة كبيرة من النظريات التي اختلفت في طريقة تناولها للظاهرة اللغوية انطلاقاً من جوانب عديدة "بنويّة، وسياقيّة، ونصيّة، وسلوكية... الخ"، لكنها لم تحدد عن الغاية والهدف؛ إذ سعت جميعاً إلى خدمة اللغة وتقديم الإضافة إلى المعرفة الإنسانيّة.

ويعدّ الحجاج فعلاً لغوياً أو عمليّة لسانيّة اتّصاليّة الغاية منها هو الإقناع، ويعتمد وسائل منطقيّة ولغويّة واضحة لتحقيق هذه الغاية؛² فاللغة - بلا شك - من أهمّ آليات الحجاج نظراً لما تحمله من أساليب ووسائل إقناعيّة؛ حيث تنطوي على صبغة حجاجيّة في مستوياتها المختلفة النحويّة والصرفيّة، والتركيبية والدلاليّة، وأغلب الحوارات الجارية بين المتخاطبين تهدف إلى التأثير والإقناع وتغيير المنطلقات والأفكار*.

1- حولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، ص: 9.

2- ينظر: عبد الجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2016م، ص: 143.

*- ليس الغرض الأساسي المتحقق من وراء الخطابات المختلفة هو الإقناع فقط، بل هناك وظائف أخرى، لكنّ جميع الحوارات الجارية بين طرفي المناظرة المهدف منها هو الإقناع، وكسب تأييد المتلقّي، والتغلّب على الخصم وإفحامه.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

ويعود الفضل في زرع بذور التحليل اللساني للحجاج إلى "إميل بنيفست" الذي رأى أنّ اللغة لا يمكن أن تتحقّق فعليًا إلا من خلال التلقّظ،¹ غير أنّ أوزفالد ديكره أعطى هذا التحليل بعدا أعمق؛ حيث رأى أنّنا نتكلّم عامة بقصد التأثير،² فموضوع الحجاج في اللغة حسب ديكره «هو بيان ما يتضمّنه القول من قوّة حجاجية تمثّل مكوّنًا أساسيًا لا ينفصل معناه، يجعل المتكلّم في اللحظة التي يتكلّم فيها يوجّه قوله وجهة حجاجية ما»،³ وهذا التأثير المنشود والحمل على الإذعان والافتناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات؛ إنّما يحصل «بالوسائل اللغوية وبإمكانيات اللغة الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلّم»⁴.

وليست الوسائل اللغوية هي الحجج بعينها، «كما أنّها لا تستوعبها كلّها؛ وإنّما هذه الأدوات هي قوالب تنظّم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق».⁵

I- الروابط الحجاجية:

1- مفهوم الرابط الحجاجي، وأقسامه، وأهميته:

تطرح قضية الترابط الحجاجي إشكالية أساسية مدارها البحث في "بنوية الخطاب المثالي"، فهي تقوم على التساؤل عن القواعد والأسس التي تجعل من سلسلة الأقوال متماسكة مترابطة، وعن القيود والشروط اللغوية التي تحكم هذا الترابط،⁶ حتى يكتسب الخطاب الحجاجي صفة التراتبية والانسيابية، ويتعد عن مطبّات التفكّك والتهافت والتناقض.

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 143.

2- ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 56/1.

3- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 352.

4- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 56/1.

5- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 477.

6- ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 371.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

والرابط في أبسط تعريفاته هو «كل لفظ يمكن من ربط قضيتين، أو جملتين، أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة»¹. وبما أن اللغة تتميز بوظيفة حجاجية - كما سبق الذكر - فالتسلسلات الخطابية محدّدة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر التي تمّ تشغيلها، واللغات الطبيعية تتميز باحتوائها على مؤشّرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلا تحتوي عددا كبيرا من الروابط الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة إلى قيمتها الحجاجية، مثل: لكن، بل، إذن... الخ.²

ويقسّم التداوليّون الروابط الحجاجية إلى روابط منطقية، مثل: (و، أو...)، وروابط غير منطقية، مثل: (بل، لكن...). وقد دعا كثيرون إلى إلغاء هذا التصنيف؛ لأنّ الروابط غير المنطقية تُردّ عموما إلى المنطقية من وجهة النظر الدلالية.³

وإضافة إلى كون الروابط الحجاجية تسهم في ترتيب الحجج، والربط بينها، وترسيخها في ذهن المتلقي، فهي تسهم أيضا في تماسك الخطاب، ولقد أشار ديكرود إلى دورها الخطابي حين أعطى أهمية خاصة للعلاقات التي تعبّر عن نفسها محاجة واستخلاصا، «فهي لا تنظّم فقط الجمل التي يكون فيها المقطع الثاني معطى بوصفه تبريرا أو بوصفه نتيجة للمقطع الأوّل، وهذا ما يطلق عليه في الفرنسية الروابط المساوقة لـ "Car-لأنّ"، و لـ "Donc-إذن". وإثما لتدخل في دلالة "لكن"، أو بالأحرى اللتان تفرضان توجّها مضادّا للمحاجة».⁴

ولا ريب في أنّ كلّ رابط يتمّ توظيفه في الخطاب الحجاجي يحمل سمة معيّنة يمكن ضبطها واستشفافها أثناء الاستعمال. كما أنّه لا يمكن معرفة قيمة هذه الروابط الحجاجية إلا من خلال

1- آن روبول وحاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003م، ص: 265.

2- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 26.

3- ينظر: آن روبول وحاك موشلار، التداولية اليوم، ص: 265.

4- أوزفالد ديكرود، جان ماري سشايغر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (د.ط)، (د.ت)، ص: 505.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

دورها في الربط الحجاجي بين قضيتين، على أن تكون هاتان القضيتان حجاجًا في الخطاب، ووجود الرابط الحجاجي لا يكفي وحده للنهوض بالدلالة الحجاجية برمتها، ما لم تكن ثمة علاقة بين القولين.¹

2- الروابط الحجاجية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

2-1- الرابط لكن:

"لكن" عند النُّحاة حرفٌ ينصب الاسم ويرفع الخبر، وفي معناها ثلاثة أقوال: «أحدهما وهو المشهور: أنه واحد وهو الاستدراك، وفُسِّر بأن تنسب حكما مخالفا لحكم ما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدّمها كلام مناقض لما بعدها... والثاني أنّها ترد تارة للاستدراك وتارة للتوكيد... والثالث أنّها للتوكيد دائما...».²

وفي الدرس الحجاجي تعدّ "لكن" أداة حجاجية تميّز بين قولين متفاوتين في القوّة؛ إذ بيّن ديكر و أنسكومبر أنّها تأتي لاستعمالين: حجاجي وإبطالي،³ فتتعلّق "لكن" الحجاجية بما يعرف بالإضراب الانتقالي؛ حيث يتم الانتقال من غرض إلى آخر ليس على سبيل الترك - كما هو الحال مع الإبطالية -، بل على سبيل الاستدراك.⁴

ولنتقل الآن إلى الجزء التطبيقي من أجل استشفاف مدى ورود الرابط الحجاجي "لكن" في مناظرات الشيخ أحمد ديدات.

1- ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على الصور المكتبة، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1436هـ-2015م، ص: 71.

2- ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ت 761 هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1411هـ-1991م، 320/1.

3- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 57.

4- ينظر: سعيّدة علي زبيد، تحليل الخطاب الحوارية في نظرية "النحو الوظيفي"، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2015م، ص 186.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-1-1-المثال الأول: «مجازاً نحن أطفال الله وعياله، الطيبون منا والأشرار، وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون عيسى أقرب منا في البنية إلى الله؛ لأنه أكثرنا إخلاصاً لله أكثر من أيّ واحد منا. من هذه الناحية قد نقبل أن ننظر إليه باعتباره ابناً لله، ولكننا لا نقول بما يقوله المسيحيون من أنه "الابن الوحيد المولود لله"، وأنه "ولد الله" وليس خلق الله»¹.

ينطلق المحاجج المسلم في بداية مناظرته ملتزماً بموضوعها، ومبتعداً عن الهذر الذي تدثر به خصمه الذي انطلق متهافتاً في حديث جانبي ضيّع فيه بعض الدقائق المخصّصة له، ضارياً على وتر عاطفة الجماهير ليستميلها منذ البداية. فالشيخ أحمد ديدات في هذا المثال استخدم الرابط الحجاجي "لكن" الذي توسّط قضيتين متناقضتين، الأولى: إقراره بأنّ عيسى عليه السلام قد يُقبل مجازاً أن يعدّ ابناً لله من منطلق أنّه أذكى وأتقى، فهو الرسول المختار والنبّي الحكيم الذي أيّده الله بالمعجزات الخارقة، ولكنّ النتيجة التي تحيل إليها الحجّة الأولى تنقضها النتيجة التي تحيل إليها الحجّة الثانية؛ حيث إنّ المسلمين لا يقبلون هذا القول الذي تكاد السماوات تنفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً، فليس المسيح ابناً لله، بل هو عبده ورسوله، وخلق من خلقه اصطفاً واختاره، وتعالى الملك القدوس العظيم أن يكون له ولد أو صاحبة وهو الواحد الأحد الصمد.

2-1-2-المثال الثاني: «وبالطبع سوف أكون غير حدير بالقيام بواجبي إن لم أقرأ عليكم ذلك الثناء والتقدير؛ لأنّ الأخ سواجارت متيّم بنسخة الملك جيمس وأنا كذلك... وكل استدلالاتي التي أقدمها سوف أقتبسها من رواية ونسخة الملك جيمس، وأنا أحبّ لغتها لكنهم الآن قد تخلّصوا من مصطلحات وتعبيرات معيّنة لا تناسب المسيحيين...»².

يستمرّ الشيخ أحمد ديدات في النيل من خصمه بحجج دامغة؛ فالقس جيمي سواجارات خلال الوقت المخصّص له كان يستند في تدعيم آرائه من الكتاب المقدس على نسخة الملك

1- المناظرة الكبرى، ص: 95.

2- المرجع نفسه، ص: 98.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

جيمس التي هي أفضل النسخ المتوفرة من نسخ الإنجيل الكثيرة جدًا؛ حيث تمّ انتقاء هذه النسخة وتنقيحها وتدقيقها، لكنّ هذا التدقيق المفرط جعلهم يحدفون منها سبعة أسفار كاملة؛ مما يحيل إلى التساؤل عن مدى قدسيّة هذا الكتاب الذي سمح من يدعون التدينّ به لأنفسهم أن يحدفوا منه هذه الأسفار؟!

وقد احتوى هذا المثال على قضيتين متناقضتين؛ حيث يشير النصّ إلى أنّ إنجيل الملك جيمس أرفع النسخ وأعلاها وأسمقها حسب القسّ جيمي سواجارت، ولكن العلماء الذين اجتهدوا في ترجمة وتنقيح هذه النسخة غيروا وحوروا فيها كثيرا من التعبيرات التي لا تناسب المسيحيين. وهنا يتجلى ذكاء الشيخ أحمد ديدات الذي قال بأنّه "يجب لغة هذه النسخة"، ولكنّه يستغرب ويتعجب كيف يجوز أن يُعبث بنصوصها ومفرداتها، وعليه فهو يوجّه الخطاب الحجاجي إلى مستوى آخر، فيجعل من الحجّة الثانية غاية في القوّة حتى يدحض الحجّة الأولى وينقضها، فلا يمكن أن تنسحب صفة القداسة على النصّ إذا كان عرضة للتحريف والتغيير والزيادة والنقصان، والعجيب أنّ من اتّفقوا على العبث بكتابتهم المقدّس هم اثنان وثلاثون من أرفع علماء المسيحية قدرا يساندهم خمسون من الطوائف المسيحية المختلفة، والكارثة أنّ هؤلاء المنقّحين يصرّحون بأنّ هذه النسخة تشوبها عيوب كثيرة.

2-1-3-المثال الثالث: «إنّهم يقولون: -وأنا أقتبس قولهم من هذا التقرير الموجود معي الآن، وهو تقرير قام بطبعه ونشره مؤتمر الكنائس العالمي- إنّهم يقولون: إنّ الآب The Father إله، وأنّ الابن The son إله، وأنّ الروح القدس The holly spirit إله. ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة، بل هم إله واحد. One God»¹.

1-مناظرة العصر، ص: 64.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

لا يشكّ ذو عقل سليم أن من له «مسكة من عقل يجب عليه أن يحول نفسه عن اعتقاد هذا الإفك الغثيث البارد السخيف الرذيل الفاسد»¹ فكيف يستقيم أن يكون كل واحد من الثلاثة إلهًا بصفة مختلفة "أب، وابن، وروح قدس" ثم لا يُقبل إيمان المسيحي إذا لم يعتقد أنّهم إله واحد؟ أم أنّ لهذه الأقانيم الثلاثة القدرة على الانصهار والتشكل في ذات واحدة؟ فما أشدّ هذا التناقض وما أوهن هذا الكلام، وتهافته، وضعفه.

وفي هذا النصّ ينقل الشيخ أحمد ديدات كلام الطوائف المسيحية من أسفار أناجيلهم المختلفة؛ حيث استخدم الرابط الحجاجي "لكن" بين قضيتين متناقضتين تلقي الثانية بالأولى بعيدا، وترميها في غياهب الطرد والرد؛ إذ لا يستقيم لفكر ذي لبّ أن يتعاطى ومعها ويتقبلها، فالاستدراك الذي وقع في ما جاء بعد "لكن" جعل ممّا بعدها كلاما سخيفا ضعيفا واهنا، فكأنّ متلقي الكلام يتوقع بعد أن تمّ ذكر الأقانيم الثلاثة وصفاتها أن تذكر وظائفها وهيئاتها ومراكزها والتفاوت الحاصل بينها، ولكنّه يفاجأ بجملة: "ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد"، ليستغرق في التعجب والاستفهام الذي يجعله يبحث في دفاتر المنطق عن محلّ إعرابي لهذه الحجّة الواهنة الساقطة التي بدل أن تُجلي المعنى وتدعم البراهين والإثباتات، تنقضها وتهدّها وتضعف من موقف المسيحي القائل بها، الذي سيحار جوابا إذا ما طُلب منه أن يُنحّفنا بتفسير لها.

2-1-4-المثال الرابع: «...ولكن التثليث المسيحي، والإخلال بترتيب الأقانيم كفر لدى المسيحيين. ولكن من وجهة النظر الإسلامية نجد أنّه لم يرق أحد من البشر ليصبح إلهًا على الإطلاق»².

في هذا النصّ قضيتان متناقضتان توسطهما الرابط الحجاجي "لكن"، والقضية الأولى هي صورة الشرك التي تغور فيها الطوائف المسيحية المختلفة؛ حيث إنّهم يقولون «باسم الآب والابن

1- عبد الله المايورقي، تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب، تقدم وتنع: محمود علي حمادة، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د.ت)، ص: 83.

2- مناظرة العصر، ص: 64.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

والروح القدس. ومن الكفر والتجديف على الله في نظر المسيحيين أن يقول أحد: "باسم الروح القدس والآب والابن"، أو يقول آخر: "باسم الابن والآب والروح القدس"... ذلك أنهم يعتبرون المسيح الأقنوم الثاني من أقانيم التثليث المسيحي»¹.

فالمسيحي عليه أن يؤمن بالتثليث، ولكن هذا التثليث يبني على قواعد أهمها "الرتبة"، فالمسيحي في دعائه عليه أن لا يقدم الابن على الأب، ولا الروح القدس على الابن. وهنا نطرح التساؤل: إذا كان الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة، فما الضير في تقديم وتأخير ترتيبهم إذا كانوا في النهاية يعبرون عن ذات واحدة؟ وينبغي أن نشير هنا إلى أن المسيحيين يعتقدون أن عيسى هو ابن الله "وأن له طبيعتين" ناسوتية ولاهوتية" «وتلك الطبيعتان صارتا شيئاً واحداً، فصار اللاهوت إنساناً محدثاً تاماً مخلوقاً، وصار الناسوت لها تاماً خالقاً غير مخلوق»².

أما القضية الثانية فهي نقيض الأولى؛ حيث إن هذا الاعتقاد الأخير باطل ومرفوض في العقيدة الإسلامية، فقد خلق الله بشراً كثيرين واصطفى أنبياء ورسلاً مختارين، ولكنه لم يجعل واحداً منهم في مرتبة الإلهية التي انفرد بها عز وجلّ وحده، فلا ينازعه فيها أحد، وما عيسى عليه السلام إلا عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها على مريم، ولكن المسيحيين غلوا فيه غلواً كبيراً، فجعلوه شريكاً لله عز وجلّ.

2-1-5-المثال الخامس: «فيجوز لكم أن تعتبروا أنّ القرآن الكريم يمكن أن نطلق عليه وصف العهد الأخير، وبالطبع سيقول لي باستر استانلي: لقد سمعنا عن العهد القديم The Old Testament وسمعنا عن العهد الجديد The new Testament، ولكننا لم نسمع عن العهد الأخير The last Testament»³.

1-المرجع السابق، ص: 65.

2-عبد الله المايورقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص: 83.

3-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 16.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

في هذا المثال يطرح المحاجج المسلم قضيتين متناقضتين حيث افتتح حديثه منوها بشريط "الكاسيت" -الذي وصفه بأنه يضحّ بالحب والحنوّ- الذي أرسله إليه القس استانلي شويرج؛ حيث طلب من خلاله أن يتم عقد لقاء في العاصمة السويدية ستوكهولم، بما أنّ نتيجة المناظرة التي جرت بين ديدات والقسّ جيمي سواجارات لم تعجبه.

وكعادته يستخدم الشيخ أحمد ديدات ذكاه الكبير في نصب هذه الحجّة، فقد اختار أن يطلق على القرآن الكريم اسم "العهد الأخير" باعتباره الكتاب الحق الذي نسخ كلّ الشرائع التي جاءت بعده، وحوى بين دفتيه الدستور الذي ارتضاه المولى عزّ وجل، لتتضوي تحت لوائه الجماعة المسلمة، فتأتمر بأوامره وتجتنب نواهيه.

وأولى القضيتين المتناقضتين هي تسليم المحاجج المسلم بأنّ خصمه -بعده كبير قساوسة السويد وعالما من علماء المسيحية- لن يخفى عنه أن الإنجيل ينقسم إلى عهدين "قديم وجديد"، ولكنه بالضرورة سينكر معرفته بالعهد الأخير -وهي التسمية المستحدثة التي اختارها أحمد ديدات للقرآن-، وهذا ما يمثّل القضية الثانية التي تناقض القضية الأولى؛ فالقس استانلي مطّلع على العهدين القديم والجديد الذين قضى فيهما عمره مدارس وتلقينا، ولكنه سينكر معرفته بالعهد الأخير الذي قدّم الشيخ له نسخة منه هديّة، ورجا من الحضور: «أن يعتبروا القرآن الكريم يمكن أن يعتبر بمثابة "العهد الأخير"».¹

2-1-6-المثال السادس: «لقد أدرك العربيّ والعبريّ تلك الخاصية في لغته؛ لكن عندما خرج الأمر إلى أمة أجنبية فإنّ الأجنبيّ لم يكن يعرف كيف يلفظ عبارة "الحمد لله ربّ العالمين"».²

وظّف المحاجج المسلم الرابط "لكن" بين قضيتين على سبيل الاستدراك الحجاجي ليربط بين قضيتين، ومدار الأولى أنّ العرب واليهود لم يجدوا صعوبة في فهم لغتيهما الساميتين (العربية

1-المرجع السابق، ص: 16.

2-المناظرة الكبرى، ص: 122.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

والعبرية) بكل ما فيهما من خصائص إعرابية واشتقاقية تبدو صعبة وبعيدة المآخذ، وبالتالي لم تعترضهم صعوبة في فهم آيات كتبهم المقدسة، ثم يأتي الاستدراك الذي يحدّد أنّ تلك السهولة التي يجدها العرب واليهود لا يجدها الأجانب الذين لا يعرفون خصائص اللغة؛ ولذلك فقد وقعوا في الأخطاء، وهذا السبب الذي دفع عثمان بن عفان إلى جمع القرآن في مصحف واحد، لتفادي التحريف، وتجنّب التزييف.

2-1-7-المثال السابع: «لو طلبتم منا أن نؤمن بأية أقوال يكون المسيح قد قالها بحق نقبل

ذلك، ولكننا لا نستطيع أن نقبل ذلك التثليث الذي لم يقل به المسيح عيسى بن مريم»¹.

سبب المحاجج المسلم في هذا المثال خطابه المحجّاجي عن طريق الحرف "لكن" الذي وظّفه بين قضيتين متناقضتين؛ الأولى مجالها قبول وتسليم، والثانية مبناهما رفض وردّ، أما المقبول فهو الكلام الذي قاله النبي عيسى بن مريم وتلقاه من ربه رسالة ووحيا يبلغه إلى الناس لكي يهديهم من الضلالة إلى النور، وللأسف فهذا القسم من الأقوال قليل أو معدوم، أما المرفوض فذلك الذي نُسب زورا وبهتاناً للمسيح من أقوال وأفعال، وعلى رأسها مسألة "التثليث" التي هي حجر الزاوية في الفكر المسيحي. ونلاحظ هنا أنّ الشيخ أحمد ديدات يبدي استعداداه التام لقبول الحق، والانصياع لكل ما عليه دليل وبرهان من أقوال عيسى الصحيحة المنقولة نقلاً موثقاً، أمّا ما يحاول المسيحيون ترويجه من أكاذيب وأغاليط، فلا يقبلها المسلمون على الإطلاق، ولا يعدونها كلام الله.

2-2-الربط بل:

"بل" هي إحدى حروف العطف التي تعمل على الربط بين أجزاء القول، وإيجاد علاقة تعمل على تحقيق التماسك بين هذه الأجزاء، وهي تأتي حسب النحاة «للإضراب عن الأوّل

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 164.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

منفيًا أو موجبا، كقولك: جاءني زيد بل عمرو، وما جاءني بكر بل خالد».¹ «فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إما الإبطال... وإما الانتقال من غرض إلى غرض آخر».²

وفي الدرس الحجاجي بناءً على ما أشار إليه أبو بكر العزاوي تعدد "بل" رابطا يستعمل للإبطال والحجاج، مثله مثل "لكن"، وله حالان:

1- أن يقع بعد مفرد: فإما أن يتقدمها أمر أو إيجاب، فيجعل الأول كالمسكوت عنه، ولا يحكم عليه بشيء، ويثبت الحكم لما بعده. وإما أن يتقدمه نهي فيكون لتقرير حكم الأول، وجعل ضده لما بعده.

2- أن يقع بعد جملة: فيكون للإبطال والانتقال من غرض إلى غرض.³

ولنتقل الآن إلى الجزء التطبيقي من أجل استشفاف مدى ورود الرابط الحجاجي "بل" في مناظرات الشيخ أحمد ديدات.

2-2-1-المثال الأول: «ونجد أن المترجم المفسر يشرح ذلك في الهامش السفلي بقوله: ليس المقصود هو مجرّد قولهم إنهم نصارى، بل المقصود هو أنّهم مسيحيون مخلصون في تدبّرتهم إلى حدّ أنّهم يلحظون ويتفهّمون فضائل ومزايا الإسلام».⁴

في هذا المثال توسّط الرابط الحجاجي "بل" حجّتين، والشيخ أحمد ديدات هنا في معرض حديث عن رأي القرآن في المسيحيين الطيبين، ويدعو الجماهير إلى البحث في ترجمة القرآن الكريم

1- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ت 538 هـ)، المفصل في علم العربية، تح: سعيد محمود عقيل، دار الجليل، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م، ص: 396.

2- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، 1/130.

3- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 61-62.

4- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 17.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

التي تُنسب إلى العالم "محمد يوسف علي" وهي أفضل الترجمات على الإطلاق، وتقع في نحو ألفي صفحة، وشبَّهها الشيخ أحمد بدائرة المعارف "Encyclopedia".

ويستشهد الشيخ بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا^ط وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى^ج ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ^ط وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ^١﴾^١، لبيّن بعد ذلك أنّ صاحب ترجمة القرآن ذيل هامش ترجمته السفلي بالقول إنّ هؤلاء الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا هم من النصارى، وهي الحجّة الأولى التي سبقت الرابط الحجاجي، وهو الأداة "بل" التي جاءت بمعنى "حتى"؛ إذ إنّ الحجّة التي تلتها جاءت لتعضد الحجّة التي سبقته، فهؤلاء النصارى المقصودون هم من المخلصين في تديّتهم الذين يعرفون الحقّ ولا يتنكّرون له.

وقد تحقّق في هذا النصّ التساوق الحجاجي بين الحجج المبسوطة من خلال إيراد حجّة أكثر كثافة إقناعية، وأوضح وأجلى دلالةً في دعم القضية الموضوعية في طاولة النقاش والحوار، وأسهم الرابط الحجاجي "بل" في تحقّق التماسك والاتّساق؛ مما أضفى على كلام المحاجج المسلم صفة القوّة والإحكام والفاعليّة والإقناعيّة.

2-2-2-المثال الثاني: «ولم يتوقّف عدم الالتزام بدقّة الترجمة بالنسبة لأوّل جملة بأول إصحاح بأول سفر من أسفار التوراة عند لفظ الجلالة وحده، وهي الجملة التي تقول: "في البدء خلق الله السماوات والأرض"، بل نجد أنّ الأناجيل تتضارب، وتختلف في ترجمة الاسم الدال على "السماوات" بين الأفراد والجمع بعضها يقول: "في البدء خلق الله السماوات والأرض"².

1-المائدة/82.

2-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 21.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

في هذا المثال أيضا جاء الرابط الحجاجي "بل" بمعنى "حتى"؛ حيث تحققت المساواة الحجاجية بين حجتين؛ إذ تناول المحاجج المسلم مسألة التحريف الذي أصاب الكتاب المقدس عند المسيحيين. فقد أكد الشيخ أحمد ديدات أنه اطلع على مجموعة من النسخ فوجد بينها تفاوتاً كبيراً، وتضارباً واضحاً، ومثلاً لذلك بنسختين متطابقتين من حيث الشكل والعنوان بعدد نسختي محققتين مصححتين من الإنجيل، لكنهما تختلفان مضموناً، فيطرح الشيخ على خصمه سؤالاً حول أيّ النسختين يختار، وعن أولى النسختين بالاعتبار؟

ثم يمضي الشيخ أحمد ديدات في توجيه الضربات إلى خصمه حين تناول مسألة التحريف الذي وقع في ترجمة بعض المصطلحات، ومن بين تلك المصطلحات التي وقع التحريف فيها لفظة الجلالة "الله" التي تمّ مجافاة الدقة والأمانة فيها؛ حيث نجد في الأناجيل الحديثة بصيغة المفرد، لكنها في النسخة الأصلية بصيغة الجمع، وهذا التحريف الذي وقع في أول سفر من أسفار التوراة لم يمسّ لفظ الجلالة فقط التي هي الحجّة الأولى التي يدعم بها الشيخ أحمد ديدات موقفه في تأكيده على مسألة التحريف التي تعرّض لها الإنجيل؛ بل يسوق حجّة أخرى أقوى وأكثر حين يؤكّد أنّ هذا التحريف مسّ ألفاظاً أخرى مثل لفظة "السما" التي تضارب ورودها بين صيغتي الأفراد والجمع في الأناجيل الحديثة.

2-2-3-المثال الثالث: «والتناقض في رواية الكتاب المقدس عن صلب المسيح أيضاً واضح في مدّة بقاء المسيح بقلب القبر؛ حيث إنّها ليست ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ مثلما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ؛ بل يظهر لنا الحساب الدقيق لمدّة بقائه حيّاً في القبر أنّها لم تتجاوز ليلتين ويوماً (نهاراً) واحداً حسب أقوالهم في الكتاب المقدس لديهم».¹

يتناول الشيخ أحمد ديدات قضية هامة ومركّبة في مناظرته من القس فلويد كلارك؛ حيث أشار إلى التناقض الكبير في الروايات التي وردت في الأناجيل "لوقا، متى، حنا، مرقس"؛ إذ إنّها لا

1-أخطر المناظرات، ص : 56.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

تتفق في تصويرها لمسألة صلب المسيح وموته، وكذلك هناك تناقض واضح بين الادعاء بموته على الصليب، ودفنه وبقائه ميتا ثلاثة أيام وثلاث ليال من رؤية مريم له، وكذلك حول مسألة عودته واجتماعه مع الحواريين، وتناوله الطعام معهم في الحجرة نفسها التي كان يأوي إليها بصحبته قبل الإمساك به وصلبه.

ومن صور التهافت والجهل عند المسحيين قولهم أنّ المسيح بقي في قبره ثلاثة أيام مثلما بقي النبي يونس ثلاثة أيام في قبر الحوت، وهذا هو المتفق عليه عند جمهور المسيحيين وقساوستهم، والمفاجأة أنّ هذا مجاف لدلالة النصّ الذي ورد في أسفار الأناجيل حين تناولت هذه القضية؛ حيث تتفق جميعها على أنّ "يسوع" دُفن ليلة السبت، وظلّ جسده موجودا في القبر يوم السبت وليلة الأحد، وفجر يوم الأحد ذهبت مريم إلى قبره فلم تجد جسده، وعليه فمدّة بقاء المسيح في قبره لا تتجاوز يوما واحدا وليلتين.

والحجّة الأولى التي أوردها الشيخ أحمد ديدات في هذا المثال هي قضية التناقض الذي يشوب رواية الإنجيل في مسائل مختلفة من بينها مسألة صلب المسيح، ليورد بعدها حجّة مساوقة أقوى وأكثر إقناعا، مدارها عملية حسابية بسيطة قام بها المحاجج المسلم جعلته يكتشف - بعد أن نَقَّب وبحث بجدية في نصوص الأناجيل المختلفة- أنّ المدّة التي قضاه المسيح في قبره لا تتجاوز يوما وليلتين على الأكثر؛ ممّا يرجّح كفته في كسب جولة من جولات هذه المناظرة صعبة المراس.

2-2-4-المثال الرابع: «إنّهم يقولون شخص وشخص وشخص لكنّهم ليسوا ثلاثة

أشخاص؛ بل شخص واحد».¹

1-مناظرة العصر، ص : 63.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

يتناول المحاجج المسلم هنا عقيدة التثليث التي هي ركن من أركان الديانة المسيحية، ولا يمكن أن يُقبل إيمان المسيحي إن لم يعتنقها ويسلم بها ويدافع عنها، حتى وإن لم يقبلها عقله ويستسغها فكره، ويحاول -الشيخ- أن يهدّها ويبيّن انصداع أساساتها، والهفات الكبيرة التي تشوبها؛ ممّا يجعلها مرفوضة ومرذولة.

وفي هذا المثال ورد الرابط الحجاجي "بل" بمعنى "حتى"؛ حيث عمل على تحقيق مساوقة حجاجية بين حجّتين؛ إذ استقى الشيخ الحجّة الأولى من التقرير الذي أصدره مؤتمر الكنائس العالمي، وتضمّن عبارة عجيبة غريبة قوامها التناقض والتهافت والهزال، حين عدّ الآب* شخصا والابن شخصا، والروح القدس شخصا، ولكنهم ليسوا ثلاثة أشخاص.

ثمّ تأتي الحجّة الثانية الأقوى التي تجزم بما لا يدع مجالا للشكّ بأنّهم شخص واحد. ليتساءل الشيخ أحمد عن معنى هذا الكلام الذي لا لجام له ولا خطام حيث يقول: «أية لغة هذه؟ هل هذه لغة إنجليزية؟ إنّ هذه ليست لغة إنجليزية! شخص وشخص وشخص، ولكنهم ليسوا ثلاثة أشخاص، بل هم شخص واحد! قولوا لي وأنتم معشر الإنجليز والأمريكيين أصحاب اللغة الإنجليزية- قولوا لي ما إذا كانت هذه لغة إنجليزية، إنّها تبدو كما لو كانت لغة إنجليزية ولكنّها ليست كذلك!»¹.

2-2-5-المثال الخامس: «إنّكم تقرؤون الإنجيل وتعرفون أنه يوجد بالإنجيل أطنان من أبناء الله. ليس لله ابن واحد، بل له أبناء. قد قرأتم مثلا في إنجيل يوحنا أن الخطاب موجّه إلى جماعة المخاطبين: "لَا تَتَعَجَّبُوا أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: يَنْبَغِي أَنْ تُوَلَدُوا مِنْ فَوْقِ"»².

*- كلمة الآب بمدّ الهمزة ونطق الباء المخففة هي كلمة عبرانية تساوي كلمة الأب بجمزة مفتوحة في اللغة العربية. ينظر: أحمد حجازي السقا، أقانيم النصارى، بيان ونقد، مكتبة الناظدة، الجزيرة، ط1، 2006م، ص: 33.

1-مناظرة العصر، ص: 63.

2- المرجع نفسه، ص: 64.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

يتناول الشيخ أحمد ديدات إبان مناظرته مع القس الفلسطيني "أنيس شروش" مسألة هامة وفيصليّة في الاعتقاد المسيحي الذي يرى أنّ "يسوع" ابن الله؛ حيث يؤكد الشيخ أنّ الكتاب المقدّس يتحدّث عن كم كبير من الأبناء قياسا على أنّ إنجيل متى وردت فيه عبارات من قبيل "أبي، أبوك، أبوكم"؛ مما يؤكّد على أنّ الناس في ذلك الزمان كانوا يعتبرون الله عز وجلّ أبا لهم على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة، فهو راعيهم ورازقهم والرحمان الرحيم اللطيف بهم، ولكنّه تعالى عزّ وجلّ عن الصاحبة والولد، فلم يلد ولم يولد.

وفي هذا المثال وردت "بل" رابطا حجاجيا يسبك حجّتين متّسقتين متساوئتين أولاهما تأكيد الشيخ أحمد ديدات على مسألة أنّ عيسى عبد الله ورسوله ومصطفاه، ولكنّه ليس بكل حال من الأحوال ابنه الذي ولده، فلا يجوز أن ننسب لله عزّ وجلّ هذا العمل الحيواني؛ لأنّ الولادة نتيجة علاقة جنسية بين الذكر والأنثى، وهي خاصيّة دنيّة بعيدة عن جلاله الله وعظّمته وقدرته.

وجاءت الحجّة الثانيّة أقوى في الدلالة؛ حيث إنّ ما ورد في إنجيل متى يؤكّد أنّ البنوّة لله لا تقف على المسيح فقط في ذلك الزمان، بل على جميع الأخيار الأبرار، ولكن المسيح أقربهم إليه لأنه أكثرهم براءً وتقوى وزكاة، بل هو رسوله إليهم لهدايتهم وإرشادهم. ولو جاز أن نطلق البنوّة على هذا الأساس لنسبنا إلى المولى عزّ وجلّ أبناء أكثر لا حصر لهم.

2-2-6-المثال السادس: «إنّه [أيّ عيسى عليه السلام] من المقربين ليس ماديا ومكانيا بل روحيا بقدره ومنزلته».¹

يتطرّق الشيخ هنا إلى قضية التصوّر الإسلامي في شأن عيسى عليه السّلام، ويشرح قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

مَرِيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ¹ في معرض دفعه للشبهة التي قد تنطرق لذهن النصراني الباحث عن أيّ مخرجٍ يجعل يسوع ربًا، فيوظف الرابط الحجاجي "بل" للانتقال من غرض إلى آخر، فهو ينفي بتاتًا أن يكون معنى التقريب ماديًا ومكانيًا كما يتصوّر النصارى الذي يصوِّرون عيسى جالسًا إلى جانب العرش، فجاءت الأداة العاطفة لتقوم بدور الإبطال ولتسوق المعنى الصحيح للتقريب الذي يتعلّق بالمنزلة العظيمة التي سما إليها عيسى بعدّه نبيا عظيما ورسولا كريما بلّغ الرسالة والأمانة، وقد نجّاه الله ورفعهُ وأنقذه من بطش الكائدين.

2-2-7-المثال السابع: «إنّه أولاً لم يقرأ من النسخة التي أعطيتها له، بل قرأ من الطبعة المنقّحة من الإنجيل».²

يستحضر المحاجج المسلم في هذا النصّ الحادثة الشهيرة التي جرّت بينه وبين القسّ جيمي سواجارت حين تحدّاه الشيخ أحمد ديدات أن يقرأ نصوصًا إباحية من سفر حزقيال؛ لأنّه يريد أن يردّ الاعتبار لنفسه ويبيّن الخداع الذي قام به القسّ الأمريكي؛ لذلك فقد وظّف الحرف الحجاجي الإبطالي "بل" الذي توسّط جملتين ينفي في الأولى أن يكون القسّ جيمي سواجارت قرأ من النسخة التي أعطها له وحدّد فيها النصوص المقصودة بدقّة، فيبطل منتقلا إلى الغرض الآخر الذي هو موثّق الحجّة وأسّ البرهان ليوضّح حقيقة ما حدث ويجليه، ولا يترك مجالًا لتأويلات المتأولين، فالمحاجج المسيحي قرأ من إنجيل آخر مخالف تماما؛ لأنّه أصيب بحرج كبير، وأراد الهروب من هذا الموقف، فضلا عن كونه «كان يقرأ بسرعة كبيرة جدّا، تصل إلى ستّين ميلا في الساعة».³

1-آل عمران/ 45.

2-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 174.

3-المرجع نفسه، ص: 174.

2-3- الرباط لأنّ:

يتكوّن الرباط الحجاجي (لأنّ) من حرفين هما: لام التعليل، وأداة التوكيد "أنّ"، فهو إذن يجمع بين دالتين لا غنى للمحاجج عنهما؛ إذ لا بد له وهو يسوق الحجة أن يأتي بالعلل التي تجعل خصمه يدعن ويسلم له وينصاع لحجّته، وأن يعمد إلى تأكيد كلامه حتى يزيده قوّة ويرفع عنه اللبس والغموض والإبهام. ويكثر ورود هذا الرباط في المناظرات المختلفة نظرا لأهميته الكبيرة في الربط بين الحجج والبراهين المختلفة.

ولا شكّ في أنّ المحاجج المسلم في معرض مناظرته لخصومه المسيحيين بحاجة إلى توظيف هذا الرباط الحجاجي من أجل سبك حججه، وتحقيق التضافر والترصيف بين أجزاء أقواله، حتى يتحقق له ترجيح كفته في ميزان الإقناعية، وكسب تأييد الجماهير كي تسلّم له بتفوّقه وعلوّ كعبه في معركته الشرسة مع مناظريه الذي يحاولون بشتى الوسائل دحض أبسوطاته وردّها وتفنيدها. وفي ما يأتي ستناول جملة من الأمثلة التي ورد فيها هذا الرباط الحجاجي من خلال المدوّنة المدروسة.

2-3-1-المثال الأول: «ولذا فإنّ يسوع يستحيل أن يكون هو الآب ويستحيل أن يكون هو الله؛ لأنّه كان ليسوع لسان وشفقتان وتكلم مع اليهود، وكانت له عينان، والعينان في وجه الله، واللسان يمتد من البلعوم، وكانت له أمعاء، وباختصار كان إنسانا وله جسم الإنسان، ولم يكن إلها بأبي حال»¹.

في هذا المثال يستخدم المحاجج المسلم الرباط الحجاجي "لأنّ"، وقد كان مورد الحجّة الأولى ما نقله الشيخ من كلام مناظره شروش الذي أبدى شكره وامتنانه لابن بلدته "يسوع الناصري" الذي فداه بنفسه وحزّره من الخطايا، ومات من أجله.

1-مناظرة العصر، ص: 66.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

ويؤكد الشيخ على حقيقة أن عيسى -عليه السلام- بشر وليس إله، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفِكُونَ﴾¹.
وعليه فيستحيل أن يكون يسوع هو الآب ويستحيل أن يكون هو الله، فكيف هو هذا الإله الذي استمرأ بنو إسرائيل أن يرموه بالحجارة، ويهربوا من طريقه متخذين طرقا أخرى، وكانوا يسخرون منه ويصفونه بأبشع الصفات وأقبحها وأشنعها؟

ويسط الشيخ فرش الحجاج داعما حجته بحجج أخرى أقوى وأكثر إقناعا؛ حيث جزأ القضية التي انطلق منها إلى حجج فرعية؛ فاستخدم حرف التعليل والتفسير "لأن" الذي تلتته حجج مبناها أن "يسوع" كان له لسان وشفتان هما آلتا الكلام الذي فصح به وحاور الناس ووعظهم، ولقن به تعاليم المسيحية لحوارييه الذين أزروه ونصروه، وكانت له عينان يبصر بهما طريقه التي يمشي فيها، ويلمح بها الأشياء والناس، والعينان لا توجدان إلا في وجهه، وعيه فللمسيح وجه بشري ترتسم فيه ملامح الآدمية التي تجعله إنسانا شأنه في ذلك شأن أي بشري، وكانت له أمعاء وبطن، فقد كان يأكل ويشرب ويجوع ويعطش.

وباختصار فإن جماع الحجّة وقوام المعنى أن من يدعي "شروش" والمسيحيون أنه "إله" ليس إلا بشريا. ولا تتوفر في المسيح الصفات التي تجعله يتميز عن البشر، وليس الرسل من غير طينة البشر؛ بل هم منهم إلا أنه مصطفون ومختارون بالرسالة، أما الله -عز وجل- فليس كمثله شيء، وهو السميع العليم.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-3-2-المثال الثاني: «وكان لا يزال حيًا باتفاق المسلمين؛ لأنّ قصّة يونان موجودة في القرآن الكريم باعتبار أنّها قصّة سيدنا يونس الذي يشار إليه في القرآن أيضا باعتبار أنّه "ذو النون": أي صاحب الحوت».¹

مدار الأمر في هذا المثال مرجعه إلى حديث المناظر المسلم عن قضية سبق تناولها في حديثنا عن أداتي الربط الحجاجي السابقتين "لكن-بل"، وهي مسألة صلب المسيح، ومدّة مكوثه في قبره التي يراها المسيحيون ثلاثة أيام وثلاثة ليال، بينما هي في الحقيقة لا تتجاوز يوما وليلتين قياسا على الحساب الذي قام به الشيخ أحمد ديدات انطلاقا من النصوص التي وردت في أسفار الأناجيل.

وينبغي أن نشير إلى أنّ اليهود قد جاؤوا إلى المسيح عيسى بن مريم وطلبوا منه أن يريهم آية، فوصفهم بأنهم جيل شرير وفاسق، وبيّن لهم أنّهم لن يروا أيّ آية سوى آية كآية "يونان" النبي*، والثابت أنّ النبي يونان بعدما ركب البحر ووقع ما وقع؛ حيث تمّ إلقاؤه فيه التقمه الحوت، فمكث في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليال.

وهنا يتفق اليهود والمسيحيون بناء على ما ورد في أسفارهم في المدّة التي مكث فيها "يونان" في بطن الحوت، كما يتفقون في مسألة كونه كان حيًا حين التقمه الحوت، ويوافقهم فيها المسلمون بدليل أنّه بقي يسبح ويستغفر وهو في بطنه، قال تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.²

وعليه فقد جاء الرابط الحجاجي التعليلي "لأنّ" ليربط بين الحجّة الأولى، وهي كون المسلمين يؤمنون بأنّ يونس كان حيًا في بطن الحوت شأنهم في ذلك شأن اليهود والمسيحيين، أما

1-أخطر المناظرات، ص: 52.

*-هو نبي الله يونس -عليه السلام- الملقّب بذي النون؛ أي صاحب الحوت.

2-الأنبياء/87.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

الدليل الذي يفسر هذه الحجّة ويجليها ويعلّل صدقها وحقيقتها فهي إشارة القرآن إلى ذلك في آياته، ومنها الآية التي ذكرناها آنفا. وعلى ذلك فقد تحقّق الربط الحجاجي بين أجزاء القول، وتمتّ المساوقة بينها لإثبات صدق القضية التي يدافع عنها المحاجج المسلم.

2-3-3-المثال الثالث: «ولذلك كان ما قاله عيسى عليه السلام هو الحق وكان ما فعله هو الصواب؛ لأنّه كان وفقا لما أمره به ربه الذي أرسله. ربما تكون لكم طريقة أخرى في الفهم، ولكنني أضع رأسي تحت مقصلة لو أطلعتُموني على نصّ واحد قال عيسى بنفسه "أنا إله"، أو قال: "اعبدوني"¹.

مورد هذا المثال بحث الشيخ مسألة ألوهية المسيح مع خصمه استانلي شوبيرج؛ حيث انحال المحاجج المسلم على مناظره المسيحي بجملة من الحجج الوازنة؛ إذ نقل له من الإنجيل نصوصا قطعية الدلالة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ المسيح لم يقل أنّه إله، ولم يدّع أنه إله، وما يقوله المسيحيون عن ذلك لا يقوم على أساس ولا يستند على حقيقة؛ بل هو محض افتراءات باطلة، وأكاذيب مختلفة، واعتقادات واهنة منطلقها يد التحريف التي طالت هذا الكتاب، واستمرء قساوسة المسيحيين ترجمة "الإنجيل" بما يتوافق وهوامهم، ويتماشى مع أغراضهم في تضليل الجماهير، وكسب ودّ القطيع.

وقد استخدم الشيخ في هذا المثال الرابط الحجاجي "لأنّ"؛ حيث سبقته حجّة يؤكّد فيه أحمد ديدات أنّ المسيح -عليه السلام- قد استندت أقواله وأفعاله على ما أمره به ربّه، فهو يعترف بأنّ أباه الذي في السّماء أعظم منه، وأعظم من الكلّ، ويقرّ بأنّه عبد ضعيف ليس له حول ولا قوّة، أمّا ما ورد من نصوص تؤلّه المسيح فأساسها ما نقله القديس "بولس" في رسائله إلى العبرانيين أو الكورنثيين وغيرهم. وعليه فقد جاء الحرف التعليلي والتفسيري "لأنّ" ليؤكّد حجّة ما قام به المسيح، وحكمة ما فعله؛ لأنّه مستقى من الأوامر التي أمره بها ربه، والوحي الذي نزل

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 138.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

عليه، وأمر بتبليغه إلى الناس. كما يؤكّد الشيخ هنا أنّه على استعداد تام ليضع رأسه تحت المقصلة إذا تمكّن جمهور المسيحيين بقضّهم وقضيضهم أن يقدّموا له آية واحدة فقط تتضمّن نصّاً صريحاً يقول فيه المسيح بأنّه إله، وهيئات هيئات.

2-3-4-المثال الرابع: «فأنا أتحدّث الإنجليزية أفضل من أيّ لغة أخرى... ولكن ليس بإجادة الأخ سويجارت، فقد شاءت الظروف أن تكون الإنجليزية لغتي القوميّة؛ لأنني أحلم بالإنجليزية، وأقسم بالإنجليزية، وأن أجعلها لغتي القوميّة حسب آراء علماء النفس».¹

معرض ورود هذا النصّ بين أسطر حديث الشيخ عن نسخة إنجيل الملك جيمس التي هي أرقى النسخ وأفضلها حسب المسيحيين؛ حيث بُذلت جهود كبيرة لتنقيحها وتصحيحها، وتخليصها من العيوب والشوائب، حتى أنّهم عدّوها واحدة من أعظم الآثار الأدبية - مع التحقّظ على هذا المصطلح - في النثر الإنجليزي. وقد عبّر منقّحوها عنها بأجمل العبارات وأزكى الألفاظ، وتاهوا في حسن صياغتها، وخلبهم تركيبها الآسر، وموسيقاها الرنانة، وإيقاعها اللبق، هذا على ما فيها من جلاله وعنفوان.

وعليه فقد كان لهذه النسخة الأثر الكبير في الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية التي هي مدينة لها؛ لأنّها قدّمت لها كتابها المقدّس في أجمل صورة، وأبهى حلّة، وهنا يؤكّد الشيخ أحمد ديدات بأنّه ينبغي أن يكون ممتناً؛ لأنّه يتكلّم الإنجليزية، ويستطيع أن يقرأ هذه النسخة، مع أنّ الأمر برمّته مرده إلى الصدفة، ولكن إنجليزته ليس بجودة إنجليزية خصمه سواجارت، فهو لم يختر أن تكون الإنجليزية لغته الأصليّة، ولكنّها رغم ذلك لغته القوميّة، وهذه هي الحجّة الأولى التي سبقت الرابط الحجاجي "لأنّ" الذي تلتها حجّتان فرعيتان تعلّان وتفسرّان الحجّة السابقة؛ فالسبب الذي يجعل الإنجليزية لغة الشيخ القوميّة هو كونه يلحّم بها ويقسم بها، ويتحدّث بها، وقد تحقّق الربط

1- المناظرة الكبرى، ص: 10.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

والتساوق من خلال هذا الرابط بين الحجج التي بسطها المحاجج المسلم في معرض معركته لكسب تأييد وتعاطف الجماهير.

2-3-5-المثال الخامس: «هل هددكم المسلمون إذا لم تحذفوا هذه الكلمة من الإنجيل فلن يزودكم بالبتروول؟ هل هددوكم؟ هل هددكم العرب بقطع البتروول إذا لم تحذفوا هذه الكلمة من الإنجيل؟ لماذا حذفتموها إذن؟ لأنها كلمة دخيلة؛ لأنها ليست كلمة من الله».¹

من صور التحريف التي وقعت في إنجيل الملك جيمس تغيير "كلمة" "Begotten" التي تعني "ولد ولم يخلق"، بل إنها تعني أنّ الله ولده، ويذكر الشيخ أنّه سأل مجموعة من المسيحيين عن معنى الكلمة فلم يعرفوها، وحين شرحها لهم، ووضّح معناها وجلّى غموضها، سألمهم مجددا عن مدى إيمانهم بأنّ هذه الكلمة "أنجبه الله" هي الحقيقة التي تعبّر عن اعتقاد المسيحيين في الميلاد المعجز ليسوع، فأجاب معظمهم بلا.

أما الكلمة التي استبدلوها بها فهي "Unique" التي تعني "فريد أو متفرد"، وهي الكلمة التي يستخدمها القسّ جيمي سواجارات؛ نظرا لأنها الكلمة الواردة في إنجيل الملك جيمس الذي يتعبّد به ويقسم عليه، ويؤمن جازما بأنّه كلمة الربّ التي لم يطلها تغيير وتحريف، فكيف جاز للعلماء الذين ختموا بصحّة إنجيل الملك جيمس -على الرغم من أنّهم اعترفوا بوجود هنات فيه- أن يحذفوا كلمة "أنجبه" الله ويضعوا مكانها كلمة "متفرد"؟

وهنا يستخدم الشيخ عبارات ساخرة متسائلا ما إذا كان العرب والمسلمون هددوا الغرب بقطع البتروول عنهم -كما فعل الملك فيصل بن عبد العزيز- إذا لم يحذفوا هذه الكلمة التي تناقض ما ورد في القرآن. ويستخدم الرابط الحجاجي لأنّ في موضعين فبعد أن تساءل المحاجج المسلم عن سبب التحريف علّل وفسّر السبب؛ إذ إنّّه عائد إلى أنّها ليست كلمة الله وليست وحيا

1-المرجع السابق، ص: 103.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

من الله؛ بل هي عبث سَوَّغَه لأنفسهم القساوسة الذين لم يستنكفوا أن يكتبوا الكتاب بأيديهم، ويتَّخذوا دينهم هزواً.

2-3-6-المثال السادس: «لستُ أعرف كيف أبسط لك الأمر أكثر من هذا؛ لأنَّ الأمور نصوصٌ مختلفة، سبعة أسفار من الموجود هنا غير موجود هنا».¹

يوظّف المحاج المسلم الرابط الحجاجي "لأنَّ" من أجل أن يفسّر ويوضّح للمسيحيّ استنفاذه كلّ وسائل الشرح والتقريب، فلا ينبغي له أن يعاند ويماري، فالعلّة في الاختلاف الحاصل بين القول بقداسة القرآن وعدم قداسة الإنجيل كون الأوّل ثابت النصوص كما أنزله الله على نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم، أما الإنجيل فقد تمّ العبث به وتغيير نصوصه، وحذف كثير منها، وهو في هذا النصّ يضرب مثلاً بسبعة أسفار موجودة في بعض الأناجيل، في حين هي تغيب عن أناجيل أخرى، وهذا ما لا يقع في القرآن مطلقاً؛ حيث وصلت إلينا نصوصه دون تبديل أو تحريف.

2-3-7-المثال السابع: «حذفوه؛ لأنّه كان من صياغة بعض رجال الدين القساوسة Pastors في القرن السادس الميلادي».²

يتحدّث المحاجج المسلم عن عقيدة التثليث التي تعدّ بؤرة الدين المسيحيّ، والمسيحيّون يدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوّة، ويوظّف الرابط الحجاجي "لأنَّ" حتى يسبّك خطابه ويرصف أجزاءه، وكي يعلّل ويبيّن السبب الذي دفع أرفع العلماء والقسيسين من شتى الطوائف المسيحيّة إلى حذف شعار التثليث المسيحي، فهو لم يكن موجوداً في النصوص الأصليّة والنسخ القديمة للإنجيل؛ أي إنّّه زيادة باطلة استمرّ النصارى وضعها في القرن السادس للميلاد من أجل تسوية معتقدتهم. وتعدّ هذه حجّة قويّة جدّاً تصب في مصلحة المحاجج المسلم؛ حيث يثبت من خلالها

1- المناظرة الكبرى، ص: 142.

2- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 165.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

هذا التحريف الذي لا يمكن أن يقبل حصوله عاقل في كتابٍ يُدعى أنه مقدّس؛ فالمقدّس يبقى ثابتاً على حاله، لا يمسه تغيير ولا يشوبه تزوير.

II-العوامل الحجاجية:

1- مفهوم العامل الحجاجي، وأقسامه، وأهميته:

إنّ أغلب الدراسات التي تكتسي الصبغة الحجاجية لم تتعرّض للعوامل الحجاجية بشكل جوهري، بل تناولتها بطريقة عرضية وغير مقصودة وغير متأنية. وتحتصر أغلب التعريفات التي تناولت العوامل الحجاجية في ثلاثة اتجاهات:¹

1- اتجاه اعتبرها عنصراً مساعداً لإظهار المنحى الحجاجي في اللغة لتحقيق جلال وظائفها.

2- اتجاه اعتبرها أدوات تسهم في تحقيق عملية الإقناع.

3- اتجاه اعتبرها العماد في عملية التواصل.

أمّا دور العوامل الحجاجية فيختلف عن دور الروابط في كونها لا تربط بين متغيّرات حجاجية؛ أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما.

وقد أورد ديكرو مفهوم العامل الحجاجي لأول مرّة في مقاله المعنون: " Note sur l'argumentation et l'acte d'argumenter " الذي تم نشره سنة 1982، ثم فصل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983، والذي يحمل عنوان: " Operateurs argumentatifs et visée argumentative ".²

1- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2011م، ص: 15-17.

2- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 28.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

وتتمثل فعالية العامل الحجاجي بتدعيمه لصلاحيّة القاعدة العامة، باعتبارها سمة ضمنية لهذا الخطاب أو ذاك؛ فهي موجودة في الوعي وكامنة فيه، ويعمل العامل على إبرازها وتجليتها، وتسيط الضوء عليها ضمن هذا الوعي، وذلك من أجل إثبات صحّة قضية ما، مع ضرورة أن يكون العامل الحجاجي منصهرا في بوتقة القول الواحد.¹

وتضم مقولة العوامل الحجاجية في اللغة العربية جملة من الأدوات مثل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلا... التي تندرج في جملة من الأساليب اللغوية، مثل: الحصر، والتوكيد، والاستثناء، والنفي، والشرط.² ومن بين العوامل الحجاجية التي حفلت بها خطابات الشيخ أحمد ديدات وأسهمت في ترصيع مناظراته ما يأتي:

2- العوامل الحجاجية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

2-1- عامل النفي:

يمثل النفي مبحثا مشتركا بين البلاغيين والنحاة، وقد عدّه البلاغيون وتحديدًا أهل المعاني منهم شقا للإثبات في الخبر، فعالجوا علاقته بالإثبات، والنحاة عالجوه من منطلق مغاير ذي أساس بنيوي فاعتنوا به وأحصوا حروفه وأدواته ومقولاته.³ وممن تناوله بالتعريف من العلماء القدامى ابن يعيش الذي قال في شأنه: «اعلم أنّ النفي إنّما يكون على حسب الإيجاب؛ لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما، إلا أنّ أحدهما نفي، والآخر إيجاب».⁴

1- ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على الصور المكتبة، ص: 101.

2- ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، ص: 36.

3- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص: 47.

4- ابن يعيش (أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا الأسدي ت 643 هـ)، شرح المفصل، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، 31/5.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

أمّا الحجاجيون فيعدّون النفي عاملاً حجاجياً يحقّق عن طريقه المتكلم وظيفة اللّغة الحجاجية المتمثّلة في إذعان المتقبّل وتسليمه عبر توجهه بالملفوظ إلى النتيجة الذي يبتغيها.¹ وقد خصّص ديكرو في نظرية السلام الحجاجية للنفي نصيب الأسد في تحديد وجهة الخطاب الحجاجية معتبراً إياه أدقّ العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السّلم الحجاجي.²

وحروف النفي في العربية ستّة: ما، ولا، ولم، ولما، وإن.³ ولكلّ حرف منها دلالة حجاجية تستنبط من خلال السياق الخطابي الذي ترد فيه.

2-1-1-1- عامل النفي لا: الوظيفة الأساسية للحرف "لا" هي النفي المطلق؛ «أي نفي الوقوع؛ لأنّها تدخل على الجملة فتحول معناها من الإثبات إلى النفي».⁴

ولا ريب في أنّ للنفي غرضاً حجاجياً يسعى المحاجج من خلاله إلى الدحض والإبطال والردّ الذي لا يتحقّق فعلاً، ولا يصدق حالاً إلاّ باستخدام حجج تدعم هذا العامل وتؤيّدّه، وسوف نحاول استشفاف مدى إسهام عامل النفي في تدعيم الخطاب الحجاجي الديداتي من خلال جملة من الأمثلة.

2-1-1-1- المثال الأوّل: «انظروا أنا أمسك بيدي الإنجيل الذي لا يعترف به الأخ سواجارت... وكثير من البروتستانت لا يعترفون بأنه كلمة الله»⁵.

يستخدم المحاجج المسلم أداة النفي "لا" التي تلاها "فعل مضارع" مشحون بدلالة الحال والاستقبال من منطلق أنّ خصمه دائب على تبنيّ الفكرة التي بسطها، مريداً بذلك دحض

1- ينظر: عايد جدوع حنون وثائر عمران شهدان، العوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أوروک، بغداد، مج 9، ع 4، 2016م، ص: 13.

2- ينظر: أطفاف إسماعيل أحمد الشامي، العوامل الحجاجية في شعر البردوني النفي أمودجا، مجلة كلية العلوم الإنسانية، بغداد، ع 43، ذو الحجة 1436هـ- سبتمبر 2015م، ص: 425.

3- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ص: 31.

4- محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م، ص: 887.

5- المناظرة الكبرى، ص: 96.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

وإبطال فكرة اعتراف محاججه المسيحي القسّ جيمي سواجارت وجمهور البروتستانت بإنجيل "دوي" الذي رفعه الشيخ بيده أثناء المحاضرة؛ حيث يستبعدون منه سبعة أسفار. واعترف القسّ جيمي سواجارت أثناء حديثه الذي سبق حديث ديدات بأنه لا يعترف بها؛ لأنها حسبه ليست كلمة الله. ويؤكد الشيخ هذه الفكرة في موضع آخر حيث يقول: «لذلك فهذه النسخة لا يقبلها المسيحيون البروتستانت على أنها كلمة الله. هل أنا محقّ؟ هذه النسخة ليست كلمة الله، إذا نظرناها جانبا».¹

2-1-1-2-المثال الثاني: «ويدين القرآن الكريم فكرة أنّ الله قد صدر عنه ولد؛ لأن الولادة بطبعها عمل حيواني ينتمي إلى أحطّ الوظائف الحيوانية، وهي "الجنس"، وهذا ما لا يمكن أن ننسبه إلى الله...»².

يبتل الشيخ من خلال استخدامه لأداة النفي "لا" التي تلاها فعل الكينونة في صيغة المضارع الفكرة المنكرة التي يؤمن بها سواجارت والمسيحيون الذين يدعون بأنّ المولى عزّ وجلّ له ولد معللاً استحالة ذلك؛ لأنّ الولادة عمل حيواني يوضع في قائمة أحطّ الوظائف الحيوانية التي يقوم بها الإنسان، والله عزّ وجلّ ليس كمثل شيء، فكيف ننزله إلى منزلة البشر وننسب إليه هذا الفعل الحيواني المنحط (الجنس) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والملاحظ أنّ أسلوب النفي الجدالي الذي استعمله الشيخ ديدات جاء بعده فعل مضارع بصيغة الجمع، فهو لا يبتل الفكرة ويقذف بها بعيداً إلى مزابل الرفض من خيط نفسه فقط، بل يؤكد أنّ كل عاقل ينبغي عليه أن يرفضها ويردّها وينقضها.

1- المرجع السابق، ص: 97.

2- المرجع نفسه، ص: 102.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-1-1-3-المثال الثالث: «..ولكنّه وهو في تلك الحالة قال بعض الأباطيل بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. قال إنّّه ينكر أنّ المسيح هو عيسى بن مريم... إنّ رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم لا ينكر أنّ عيسى بن مريم هو المسيح»¹.

في المناظرة الأولى التي جرت بين أحمد ديدات والقسّ استانلي شوويرج أنّهم هذا الأخير محمّداً عليه الصلاة والسلام بأنّه لا يعترف بأنّ المسيح هو عيسى بن مريم، وبأنّه أنكر قيامته وموته وبعثه في محاولة منه لتشويه صورة النبيّ صلى الله عليه وسلم. فاستخدم الشيخ أحمد ديدات في هذا المثال النفي الجدالي ليدحض به الفرية التي أوردتها خصمه ويردّها؛ لأنّها مبنية على أساس باطل، فأيات القرآن المحكمة الكثيرة التي نزل بها الروح القدس على قلب محمّد صلى الله عليه وسلم، والأحاديث الشريفة الكثيرة تؤكّد أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يؤمن بأخيه عيسى النبيّ، ويؤمن بأنّه نجا من الصلب، وبأنّ الله رفعه وسيرده في معاد علمه عنده، قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾².

2-1-1-4-المثال الرابع: «وهل يجهل الإله فصول السنة وموعد جني الثمار؟ وهل يجوع الله. ما رأيكم بإله جوعان؟ أنا لا أسخر من إلهكم يا سيّدي. الإنجيل هو الذي يقول ذلك ولست أنا الذي أقوله»³.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 133-134.

2-النساء/ 157-158.

3-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 143.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

يستخدم الشيخ أحمد ديدات النفي الجدالي عن طريق الحرف "لا"، ليناقض الفكرة التي أوردها عن طريق الاستفهام. فالظاهر من دلالة الاستفهام أنه يتضمّن معنى الإنكار والسخرية من فكرة الإله الذي يجوع ويعطش ويجهل ويصلب، لكنّ المحاجج المسلم يؤكّد أنّ وصفه لإله النصارى المزعوم بتلك الصفات ليس من بنات أفكاره؛ بل مورده إلى أسفار أناجيلهم التي وردت فيها نصوص كثيرة تؤكّد هذا المعنى. ويحاول الشيخ عن طريق هذا الحجج استمالة الجماهير التي حضرت المناظرة، والتي أبدت استغرابها وتعجبها من هذه القضية، فالغالب على عموم النصارى جهلهم بكتابتهم، وقلة إحاطتهم بالنصوص الواردة فيه؛ مما يجعلهم يتفاجؤون كلّما تجلّى لهم وجه القصور والتحريف فيه.

2-1-1-5-المثال الخامس: «كلّ هذه التناقضات تجعل من حقنا نحن المسلمين أن نرفض بكل حسم ولا نقبل مزاعم إخواننا المسيحيين سواء في ما يتعلق بزعمهم ألوهية المسيح أو زعمهم موته على الصليب وقيامته بين الموتى بعد ثلاثة أيام وثلاثة ليال»¹.

يرفض الشيخ أحمد ديدات التسليم بمعتقدات النصارى قياساً على التناقض الكبير الذي تحفل به الأناجيل المختلفة؛ إذ تتضارب فيها الروايات حول مسألة صلب المسيح، وما إذا كان مات على الصليب أم لا، كما تختلف حول مدّة بقائه في القبر قبل أن يعود إلى الحياة، بل إنّها حسابياً مخطئة وبعيدة عن الصواب تماماً.

وبناء على هذه المقدمات والحجج النقلية التي استقاها الشيخ من كتب النصارى يصل إلى نتيجة جماعها أنّ كلّ هذا التناقض والتضارب يجعل له وللمسلمين كلّ الحق في مجافاة عقيدة النصارى والطعن فيها؛ لأنّها لا تقوم على أساس متين، ولا تستند إلى حقائق واقعية، فيستخدم حرف النفي "لا" ليبتل احتمالية حدوث تقارب وتلاقح بين العقيدتين النصرانية والإسلامية،

1-أخطر المناظرات، ص: 56.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

فالمسلمون لا يقبلون أبدا المزاعم النصرانية الباطلة التي تضمّ بين طياتها سخائم تزري بالذات الإلهية، وتنسب لربّ الجلالة من الصفات القبيحة ما نزه نفسه عنها.

2-1-1-6-المثال السادس: «إنّ الله هو الخالق ولكنه لا يمكن أن يخلق خالقا آخر! شريكا له في ملكه. إنّ الله هو الخالد ولكنّه لا يمكن أن يخلق مخلوقا آخر تكون له صفة الخلود»¹.

يستخدم الشيخ أحمد ديدات النفي الجدالي عن طريق الحرف "لا" في موضعين لإبطال ما كان خصمه القس الفلسطيني أنيس شروش قد بسطه حين ادّعى أنّ الله بإمكانه أن يفعل كلّ شيء، ويدخل في كلّ شيء حسبه أن يموت لمدة ثلاثة أيام ثم يُبعث من جديد، فلو كان إله فكيف يجوز أن يصلب ويموت ويدفن؟ ومن يصرف شؤون الحياة حين مات الله؟

ويمحق الشيخ خصمه ويفحمه حين يضرب له مثلا عمّا لا يدخل في نطاق الاستطاعة المزعومة، فهل يتصوّر أحد ما أنّ الله يخلق خالقا آخر يزاومه في ملكه وهو القائل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ آلهةٍ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾²، وهل يتصوّر بشر أنّ هناك أحدا خالدا غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي قال في محكم تنزيله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾³.

2-1-1-7-المثال السابع: «أنا أقول لكم: إنكم لا تقرؤون الإنجيل»⁴.

1-مناظرة العصر، ص: 69.

2-الأنبياء/ 22.

3-الفصص/ 88.

4-المناظرة الكبرى، ص: 125.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

يستخدم الشيخ أحمد ديدات عامل النفي عن طريق الحرف "لا" التي عضدها بفعل مضارع ليبيّن جهل النصارى بكتابهم الذي لا يقرؤونه ولا يفهمونه ولا يعرفون كثيرا مما جاء فيه، ويطلقون أحكاما جزافية لا يعضدها دليل ولا يقوم بها برهان، وهو بالتالي يستنكر ويحتقر في الأوان نفسه، وما دفعه لاستخدام النفي في هذا الموضوع ادّعاءات خصمه الذي يرى العظمة لعيسى دون محمد صلوات الله وسلامه عليه، والسبب الرئيس في أفضلية عيسى حسبه هي معجزاته، والإنجيل نفسه يثبت أنّ المسيح قد تنبأ بظهور أناس بعده يأتون بمعجزات لكنهم كاذبون ودجالون، وعليه فالنفي هنا قام بدور حجاجي كبير.

2-1-1-8-المثال الثامن: «لا يوجد شيء اسمه التثليث في أقوال سيدنا عيسى عليه السلام أو الإنجيل الذي أنزله الله على سيدنا عيسى المسيح عليه السلام»¹.

يوظّف المحاجج المسلم في ختام إجابته الطويلة على أحد الأسئلة عامل النفي عن طريق الحرف "لا" مريدا به التنفيذ المطلق والتكذيب التام الذي خلّص إليه نتيجة بعد مسار حجاجي طويل حشد فيه جملة متنوّعة من البراهين حتى يقنع الجماهير الحاضرة بما يبسطه من حجج، فهو ينفي عقيدة التثليث ويُطلّها، ويؤكد تهديم أساساتها، وتصدّع بنياؤها؛ لأنّ النصارى اختلقوها وابتدعوها، على الرغم من عدم وجود أيّ دليل نقليّ أو عقليّ عليها في المخطوطات القديمة، والنسخ الكثيرة المعتمدة من الإنجيل.

2-1-2-عامل النفي لم:

لم حرف نفي وجزم وقلب، وهي «تنفي الحكم المثبت سابقا للفعل الذي تدخل عليه، وتقلب معنى المضارع من الحاضر إلى الماضي»². وقد وظّف الشيخ أحمد هذا الحرف التائي القالب

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 165.

2-محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص: 931.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

في مناسبات عديدة من أجل خدمة بسطه الحجاجي، والردّ على الافتراءات التي أثارها خصومه المسيحيون، وتبيان تناقض القضايا التي يدافعون عنها.

1-2-1-2-المثال الأول: «ولقد كان حديثه ذلك من السموّ؛ بحيث لم يفهموا قصده الحقيقي»¹.

جاء هذا الكلام في سياق ردّ الشيخ أحمد ديدات على الفرية التي أثارها القسّ "أنيس شروش" الذي اجتزأ فقرة من إنجيل يوحنا ليوهم بها الحضور ويقنعهم بأنّ المسيح يسوّي نفسه بربّ العزّة والجلالة، وبأنه قال لحوارييه بأنه والآب شيء واحد.

فيجئح المحاجج المسلم إلى إيراد جملة من النصوص من الإنجيل نفسه ليدلّل بها على حقيقة أنّ الوهم وقع عند الحواريين الذين لم يفهموا قصده الحقيقي؛ إذ أولوا كلامه وفسّروه على غير معناه الذي أراده رسول الله عيسى بن مريم، وينفي الشيخ ديدات عن طريق أداة النفي "لم" ويبتل هذه الفرية ويردّها، فالمسيح بريء ممّا ينسبه إليه من كتبوا الإنجيل وجعلوه إلها يُعبد، والذنب ذمهم والوزر عليهم، وعلى من تبعوا نهجهم ورضوا بالضلالة.

1-2-1-2-المثال الثاني: «قلت: تعالوا نحسب سوياً: دُفن المسيح ليلة السبت، وكان جسده موجوداً بالقبر يوم السبت، وليلة الأحد، وفجر يوم الأحد ذهبت مريم المجدلية إلى القبر ولم تجد به جسد المسيح»².

يستخدم الشيخ أحمد ديدات عامل حجاجياً هو حرف النفي "لم" ليبطل مسألة أن تكون مريم المجدلية قد وجدت جسد المسيح في القبر فجر يوم الأحد؛ حيث قام من قبره كما تقول به كتب النصرى. وإذا وافقنا هذا القول -على أنّنا نحن المسلمين لا نؤمن بأنّ المسيح صلب ودفن

1-مناظرة العصر، ص: 75.

2-أخطر المناظرات، ص: 55.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

وقام من قبره- فستكون المدّة التي قضاها المسيح في قبره ليلتين ويوما واحدا، لكنّ المسيح قال لهم بأنّهم سيرون معجزة كمعجزة يونان؛ أي إنّه سيمكث في قبره ثلاثة أيّام وثلاث ليال كما مكث يونس في بطن الحوت. لكن ذلك لم يحدث، فقد مكث في القبر ليلتين ويوما واحدا قبل أن تكتشف مريم المجدلية بأنّه غير موجود في قبره !!! ومن هنا فقد تناقض النصارى مع أنفسهم وتهافتت أناجيلهم المحرّفة، وأنتشت بذور فنائها من نصوصها التي يدّعون عصمتها وقداستها.

2-1-2-3-المثال الثالث: «ولقد ذكر الأخ شروش أنّ المسيح كان قد عرف "موعد" ساعة قيام القيامة ونهاية العالم محاولا أن يعارض ما يقرره القرآن بشأن قيان الساعة. ولم يكن الدكتور "شروش" يدري أنّه يعارض الإنجيل أيضا»¹.

كان أداء القسّ أنيس شروش ضعيفا أثناء مناظرته للشيخ ديدات، حيث كانت أغلب حججه واهنة ومتهافتة إلى درجة أنّه يناقض الكتاب المقدّس الذي يدافع عن قداسته، ومن ذلك ادّعاؤه أنّ المسيح عيسى يعلم كلّ شيء باعتباره إلهًا، فلا يخفى عنه حتّى علم الساعة التي لا يعلمها إلّا الإله الحق، قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾².

وهنا يسقط القسّ في مطب كبير؛ حيث ينفي الشيخ هذه الفرية جملة وتفصيلا باستخدام عامل النفي الجدالي الإبطالي عن طريق الأداة "لم" مؤكّدا جهل وقلة اطلاع خصمه، منطلقا ممّا ورد في نصّ إنجيل مرقس الذي ورد فيه نصّ صريح يقرّر فيه المسيح حقيقة بشريته؛ إذ ردّ على من سألوه حولها بالقول إنّّه لا يعلمها إلّا الله (الآب).

1-مناظرة العصر، ص: 70.

2-لقمان/ 34.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-1-2-4-المثال الرابع: «أنا أريد الدليل على أنني قلت إن موسى أعظم من عيسى. لم أقل ذلك. هات نص كلماتي بالضبط. لقد قلت إن "معجزة موسى" أعظم من معجزة عيسى". والفرق كبير بين التعبيرين»¹.

كثيرا ما يلجأ المحاجج المسيحي الضعيف الحجّة إلى تقويل خصمه ما لم يقل، وهنا يدّعي القسّ استانلي شويبرج خلال المناظرة الثانية في ستوكهولم أنّ الشيخ أحمد ديدات قال بأنّ موسى أفضل من عيسى، ليضرب على وتر عاطفة الجماهير المسيحية ويؤلّبها على الشيخ المسلم. لكنّ الشيخ أحمد ديدات بكل ذكاء تفتّن إلى هذه الحيلة الخسيسة، فهو بما متّع الله من ذاكرة لا ينسى ما قاله ونطق به؛ حيث نفى مستخدما حرف النفي "لم" هذا الادّعاء الباطل والفرية الممجوجة؛ بل أعاد سرد ما قاله متحدّيا خصمه أن يقدّم الدليل على صحّة دعواه خلال الوقت الذي سيخصص له، وبالطبع سيفشل القسّ استانلي في ذلك؛ لأنّه يعلم بأنّه كاذب ومفتّر.

2-1-2-5-المثال الخامس: «في الإنجليزية بلغتكم أنتم، إنه مكتوب بصيغة الغائب. ولم يكتبه الرب أو موسى، ولو كان موسى هو الذي كتبه لقال: لقد قال لي الرب، وقلت أنا للرب...»².

يتناول الشيخ أحمد ديدات بالحجاج في هذه الفقرة مسألة "اليد البشرية في الكتاب المقدّس"؛ حيث يؤكّد لخصمه جيمي سواجارات أنّ علماء الإنجيل أنفسهم يعترفون أنّ الأسفار الخمسة من العهد القديم في الكتاب المقدّس "التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والثنية" لم يكتبها موسى؛ بل كتبها غيره، ولذلك فإنّ العبارات التي وردت فيها جاءت بصيغة الغائب، ولم تتضمن نصّا صريحا واحدا من قبيل "قال موسى للرب"، و"قال الرب لموسى". وعليه فالشيخ أحمد ينفي تماما عن طريق الحرف "لم" فكرة أن يكون الله عزّ وجل قد كتبها والأمر نفسه ينطبق على

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 144.

2-المناظرة الكبرى، ص: 108.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

النبي موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾¹.

2-1-2-6-المثال السادس: «وأنا أقول: إن اليهود لم يكونوا يعرفون الصفر حينما سَطَرُوا الكتاب. إن إخوتي العرب هم الذين أخذوه عن آبائي في الهند. وقدّموه إلى كلِّ العالم. أعني الصفر. اليهود لم يعرفوا الصفر»².

يستخدم المحاجج المسلم عامل النفي عن طريق الحرف "لم" في موضعين محاججا ومبطلا للقضية التي طرحها خصمه جيمي سواجارت حين ادّعى أنّ التباين الذي ورد في الإنجيل حول مسألة مرابط الخيل التي كان يملكها نبيّ الله سليمان بين أربعة آلاف وأربعين ليس شيئا يذكر وأنّ الفارق بينهما صفر فقط.

ويؤكّد الشيخ أحمد أنّ التضارب الواقع في هذه القصّة يعدّ سقطة من سقطات الإنجيل الكثيرة؛ لأنّه ليس كتاب الله الذي أنزله على نبيّه عيسى عليه السلام وأمره بتبليغه إلى اليهود، من أجل هدايتهم إلى الطريق المستقيم، ومحاربة البدع وتقويم الاختلالات الحاصلة في المجتمع، بل هو قياسا على ما سبق مجموعة من النقول البشرية التي يعتريها النقص والخلل والتحريف، وقراءة بعض نصوص الإنجيل تدلّ على ذلك.

وينفي الشيخ فكرة أن يكون اليهود الذين سَطَرُوا الكتاب يعرفون الصفر؛ لأنّ العرب هم من أضافوا الصفر إلى علم الجبر آخذين إياه من عند الهنود، وعليه فقد كان اليهود يجهلونّه، واضطروا لكتابة الأرقام التي تحتوي صفرا ببيئة الحروف.

1-البقرة/ 79.

2-المناظرة الكبرى، ص: 112.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

ومنه فهذا التضارب في هذه القصة هو تناقض كبير يشوب قدسيّة الكتاب الذي يراه سواجرات كلمة الله، ويدافع عنه طاعنا في القرآن الكريم ونبيّه الكريم، و متمحّلا في صياغة حجج لا تمت إلى موضوع المناظرة بصلة.

2-1-2-7-المثال السابع: « [يقول عيسى]: "مِنْ بَيْنِ مَا وَلَدَتْهُ النِّسَاءُ لَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا المَعْمَدَانِ". ومع ذلك لم يأتِ بمعجزة... لم يحدث ذلك»¹.

يوظّف الشيخ أحمد ديدات عامل النفي الحجاجي عن طريق الحرف النافي الجازم القالب "لم" في موضعين حين نقل نصّا من الإنجيل يقول فيه عيسى عليه السلام إنّ يوحنا المعمدان واحد من أعظم الرجال الذي ولدته النساء؛ بل هو الأعظم على الإطلاق حسب النصّ، ومع ذلك فهو لم يأتِ بمعجزة قطّ في حين إنّ رجالا عاديين أتوا بمعجزات، فالشيخ يكرّر أسلوب النفي حتى ينسف ذلك التصوّر الذي قد يتبادر إلى ذهن النصراني في ربط المعجزة بالعظمة؛ وانتفاء مسألة إتيان يوحنا بمعجزة مسوّغ واضح ودليل بيّن على أنّ المعجزات ليس مناط العظمة، وهو بهذا ينتصر للنبيّ محمّد صلوات الله وسلامه عليه؛ إذ إنّ النصراني ينتقصون من قدره؛ لأنّه حسب تصوّراتهم لم يأتِ بمعجزة كمعجزة يسوع.

2-1-2-8-المثال الثامن: «لم يستطع باستر استانلي أن يأتي بهذا الذي راهنت عليه برقبتي. وأشكر الله أن أنقذ رقبتي»².

وظّف المحاجج المسلم عامل النفي الحجاجي عن طريق الحرف النافي الجازم "لم" حتى يفنّد مسألة إتيان المحاجج المسيحي بالنصّ الذي كان قد طلبه منه استجلابه، والأمر متعلّق بنصّ واحد فقط يدّعي فيه عيسى عليه السلام أنّه "إله" أو يقول فيه للناس "اعبدوني". فقد يتبادر إلى ذهن المحاجج النصراني أنّه أتى بما يقارب ذلك النصّ، أو ربّما يظنّ أنّ الشيخ نسي هذه المسألة، فيعمد

1-المرجع السابق، ص: 126.

2-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 162-163.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

أحمد ديدات لتذكيره بفشله الذريع، ويبيّن له حقيقة كونه لم يأتِ بالنصّ المطلوب، حتى يخرجه أمام الجمهور بأسلوب فيه سخرية وتهكم حين يشكّر الله الذي أنقذ رقبته؛ لأنّ باستر استانلي شوبيرج الذي جاء يدافع عن المسيحية بكل شراسة لم يستطع أن يجد نصّاً واحداً يؤيد مسألة مركزية في هذه العقيدة.

2-1-3- عامل النفي ليس:

ليس فعل ماضٍ جامد ملازمٌ لصيغة الماضي غيرُ بارحٍ لها،¹ وهي إحدى أخوات كان من النواسخ التي تدخل على الجملة الاسمية فتغيّر حكمها. أمّا فائدتها فهي النفي؛ أي نفي حكم الخبر عن المبتدأ.²

ولا جرم أنّ الشيخ أحمد ديدات قد وظّف هذا العامل الحجاجي في خضمّ مناظراته التي كثر فيها ردّه وإبطاله لحجج خصومه النصارى الذين تمخّلوا ما تمخّلوا، وكذبوا ما كذبوا، وجاؤوا بكلام باطلٍ ما أنزل الله به من سلطان.

2-1-3-1- المثال الأول: «من الذي ينشئ الكلام ويقول لم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم؟ إنّه شخص ثالث. ليس الله. ليس سيّدنا موسى عليه السلام».³

يستخدم الشيخ عامل النفي الحجاجي عن طريق الفعل الماضي الجامد "ليس" ليدحض قضية متواترة لن يتوقّف الحديث عنها طوال هذا البحث؛ حيث ستتواتر وتتقاطع في شكل مسائل جزئية أساسها مسألة عامّة مدارها التحريف الذي طال الكتاب المقدس عند النصارى؛ مما سحب عنه صفة القداسة والعصمة.

1- ينظر: سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ-2003م، ص: 13.

2- ينظر: أيمن أمين عبد الغني، النحو الكافي، دار التوقيفية للتراث، القاهرة، (د.ط)، 2010م، ص: 13.

3- أخطر المناظرات، ص: 22.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

وقد ورد النصّ السابق في سياق تناول الشيخ أحمد ديدات نصّا ورد في سفر التثنية -الذي هو أحد أسفار العهد القديم في الكتاب المقدّس- يشير إلى أنّ موسى مات في أرض موآب ودفن هناك، ولم يعرف أيّ إنسان قبره حتى اليوم، ليتساءل المحاجج المسلم عن سرّ مجيء النصّ بهذه الصيغة نافية أن يكون هذا من التوراة؛ مما يعني أنّ من كتبها ليس موسى عليه السلام، وبالطبع ليس الله عزّ وجلّ تعالى الله عزّ وجلّ أن يحقّق بكتبه التحريف والتزوير.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ اليهود لا يختلفون عن النصارى في استحلالهم لتحريف الكتب ونسبتها إلى الله عزّ وجلّ انطلاقاً من نظرهم السمجة للذات الإلهية، فهؤلاء يرون أنّ الله يلد وينجب ويصلب ويموت، وأولئك يرونه يغضب ويفرح ويندم ويخطئ. وقد قال تعالى في شأن اليهود الذين يحرفون كتابهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تُحَرَّفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾¹.

2-1-3-2-المثال الثاني: «هذه الكتب ليست متطابقة، إنّها تبدو من حيث الشكل والمظهر الخارجي متطابقة، ولكنها ليست في حقيقة الأمر متطابقة»².

يستند الشيخ أحمد ديدات في هذا النصّ إلى توظيف العامل الحجاجي ممثلاً في النفي الإبطلائي عن طريق الفعل "ليس" في موضعين، فبعد أن كان وجه جملة من الأسئلة لخصمه المسيحي في اللقاء الأول المخصّص له، جاءت إجابات القس شوبيرج بعيدة عن الفلك الذي تدور فيه الأسئلة، ومدتّرة بالسفسطة والجمعجة المعروفة عنه وعن أمثاله من القساوسة الذين يبرعون في فنّ الخطابة الكاذبة التي تعتمد على ترصيع الكلمات وتنميق العبارات.

1-البقرة/75.

2- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 64.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

والأمر هنا يتعلّق بالأناجيل الكثيرة التي أراد الشيخ من خصمه أن يحدّد له أيّها أحقّ بأن يكون كلمة الله «إنجيل الكاثوليك؟ أم إنجيل الملك جيمس؟ أم إنجيل سكوفيلد؟ أم الطبعة المنقّحة من الإنجيل؟»¹ ليسفست خصمه ويلتوي في الإجابة، فيجيب الشيخ أحمد بنفسه ناسفا صفة القداسة عن جميع هذه الأناجيل التي تتشابه من حيث شكلها ومظهرها الخارجي، لكنّها متشاكسة ومتضاربة في محتواها، حتى إنّ بعضها مختلفة في المصدر الذي استقت منه مادّتها التي صاغت على أساسها فحواها!

2-1-3-3-المثال الثالث: «لا يا سيّدي إنّ هذه الكلمة عبرية وليست يونانية...»²

في هذه الفقرة المقتضبة انكشفت العورة الفكرية للقسّ السويدي باستر ستانلي شويرج الذي طلب منه الشيخ أحمد ديدات أن يساعده في معرفة الكلمة اليونانية التي تقابل كلمة "God"؛ أي "إله" بالإنجليزية، فجاءت الإجابة صادمة تنمّ عن جهل مبطن؛ حيث كانت إجابة القسّ المتباهي "إلهيم" التي هي كلمة عبرية وليست يونانية.

وقد استخدم المحاجج المسلم عامل النفي عن طريق الفعل الجامد ليس ليبطل ويفنّد بها ادّعاء خصمه الذي تسرّع في إجابته، وأخذته العزّة بالإثم، فقادته غروره وحمقه إلى الوقوع في مطبّ كبير سيزري به ويرجّح كفة المناظر المسلم، فكيف لقسّ متمرّس يحمل شهادة الدكتوراه أن يخطئ في الإجابة عن سؤال بسيط مثل هذا؟

ومن خلال تتبّع المناظرة المسجّلة نلاحظ أنّ المحاجج المسيحي قد أصيب بالضيق والإحراج، وزاد من إحراجه وصعوبة موقفه التصفيقات والتصفيرات التي جاد الجمهور المسلم في القاعة التي جرت فيها المحاضرة.

1- المرجع السابق، ص: 63.

2- المرجع نفسه، ص: 136.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-1-3-4-المثال الرابع: «هل تعرف لماذا؛ لأنّ "متى" لم يوقعه باسمه و"لوقا" لم يوقعه باسمه، و"مرقس" لم يوقعه باسمه، و"يوحنا" لم يوقعه باسمه، فهذه الكتب مؤلّفوها مجهولون، كُتِبَ عُقْلٌ من أسماء مؤلّفيها ثم تنسب إلى الله... ولذلك أقول إنّ هذا ليس الإنجيل».¹

ديدن المحاججين النصارى واحد في الاحتكام إلى حجج واهية لا تخدم القضية التي هم بصدد الدفاع عنها؛ بل تهدّها وتنقضها، فالقس جيمي سواجارات يفتخر أثناء كلامه بأنّ الإنجيل كُتِبَ اعتمادا على أربعة وعشرين ألف مخطوط، متناسيا أنّ العلماء النصارى أمثاله يعرفون ويؤكّدون أنّه من المستحيل أن نجد تطابقا حرفيا بين نسختين في خضم هذا الكمّ الهائل من المخطوطات التي تزيد مسألة التسليم بقُدسيّة أحدها تعقيدا؛ بل تحكّم بتحريفها وتزييفها وبشريتها.

والشيخ أحمد يستخدم النفي الحجاجي ليطل قضية نسبة الإنجيل الذي دافع عنه سواجارات إلى الله؛ لأنّ المؤلّفين الأربعة الذين تنسب إليهم الأناجيل المعترف بها "لوقا، ويوحنا، ومرقس، ومتى" ليس عليها توقيعهم الشخصي، فأنت تجد في فهرس الكتاب المقدّس عبارة "الإنجيل كما رواه متى، والإنجيل كما رواه مرقس، والإنجيل كما رواه لوقا، والإنجيل كما رواه يوحنا"؛² ممّا يدل على أنّ هؤلاء لم يكتبوها شخصيا، بل كتبها غيرهم وفق منهج متضارب؛ لأنّ الناس يختلفون في درجة استيعابهم ونقلهم وأمانتهم.

2-1-3-5-المثال الخامس: «إنّ كلّ ما يهّم الفكر المسيحي هو خلاص المسيحيين عندما يفتدي يسوع خطايا البشر وآثامهم بدمه هو! وبآلامه هو! وهامهم أولاء لا يزالون يعتقدون أنّ المسيح يجب أن يموت من أجلهم كيّاله! وليس كإنسان!».³

1- المناظرة الكبرى، ص: 114.

2- ينظر: الكتاب المقدّس، دار المشرق، بيروت، ط3، 1988م، ص: 4.

3- مناظرة العصر، ص: 68.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

تبدو فكرة الخلاص فكرة جذابة عند النصارى الذين يرون أنّ المسيح يجب أن يموت من أجلهم. وهذه العقيدة البائسة تفتح باب الخطيئة على مصراعيه دون حساب أو عقاب؛ لأنّ يسوع قد افتدى خطايا البشر وآثامهم بدمه، وتأمّم وتحملّ عذاب الصلب من أجل ذلك؛ ولذلك فإنّ القسّ أنيس شروش يبدو سعيدا جدّا؛ لأنّ عيسى فداه بدمه وخلصه من عقاب الاحتراق في الجحيم هو وكل من آمن بالمسيح على هذه الشاكلة!

ويستخدم الشيخ أحمد ديدات الفعل الجامد "ليس" ليدحض ويبتل به قضية أن تكون عقيدة الخلاص ترى أنّ يسوع المخلص لم يكن إنسانا حين ضحّى بنفسه بعدما خاناه أحد حواريه؛ بل هو إله تم صلبه فمات جراء هذا الصلب، ودفن كما يدفن جميع الأموات من البشر في المقبرة، وهذا ما لا يقبله عقل متزن، ولا ينطلي على ذي لب، ثمّ تمتّ عملية بعثه من قبره التي يشوبها الغموض قياسا على ما ورد في الأناجيل من تهافت وتناقض في الأسفار التي وردت فيها أحداثها وحيثياتها.

2-1-3-6-المثال السادس: «حقيقة الأمر أنّه ليس كلمة الله، وأنّ الكتب قد حُرّفت وأنّ التوراة التي تتحدّث عنها ليست العهد القديم».¹

يوظّف المحاجج المسلم عامل النفي عن طريق الفعل الجامد "ليس" في موضعين في إطار مناظرته للقسّ الأمريكي جيمي سواجارت؛ وجاء النفي الأوّل لتفنيد كون الأسفار الإباحية في سفر حزقيال كلام الله؛ لأنّ المحاجج المسيحي تجنّب قراءتها حتى الآن أمام الجمهور، وإعراضه عن قراءتها تجعله يدّعي أنّه أقدس من الله، فالأسفار المذكورة لغتها فاسقة جدا، ولا يمكن لشخص يحترم نفسه أن يقرأها، أما مقصدُ النفي الثاني فمرتبط بالتوراة التي رأى النصارى لأنفسهم حقّا في ضمّها إلى كتابهم المقدّس، وهي تحتلّ جزءا كبيرا منه، في حين أنّها هي الأخرى تعجّ بالتحريفات التي سنشير إلى كثيرٍ منها في الفصول اللاحقة، ولهذا فالشيخ وظّف النفي انطلاقا ممّا استبان له

1- المناظرة الكبرى، ص: 132.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

من حجج، وتفتق له من براهين ساطعة تؤكّد التحريفات الكثيرة، والسقطات الكبيرة التي تشوب كتاب النصارى المقدّس.

2-1-3-7-المثال السابع: «إنّما ليست لغة إنجليزية تلك التي يتكلّمونها إنّما لغة شيطانية تلك التي يتحدّثونها».¹

مجال النفي الذي وظّف في إطاره المحاجج المسلم الفعل الماضي النافي الجامد "ليس" متكرّر في أكثر من موضع، وفي أكثر من مناظرة، وهو متعلّق بقضيّة العبارة الشهيرة والعجيبة التي أصدرها المؤتمر العالمي الكنسي «شخص وشخص وشخص؛ لكنّهم ليسوا ثلاثة أشخاص بل هم شخص واحد»²، والمحاجج المسلم ينفي أن تكون هذه العبارة منتمية للغة الإنجليزية؛ لأنّ اللغة الإنجليزية دقيقة في التعبير عن المعاني، ويصدر هذا الحكم بالنظر إلى كونه واحدا من الأشخاص الذين يتحدّثون اللغة الإنجليزية في هذا العالم، ولم يسبق له أن قرأ أو سمع عبارة فيها هذا الكم من الدجل والاختلال والسفسطة؛ ولذلك فهو يستبعد تمامًا أن تكون هذه الجملة إنجليزية.

2-2-عامل القصر والحصر:

القصر هو «تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص»³، وله أربع طرق مشهورة، ومعروفة هي:⁴

أ-النفي والاستثناء: وهنا يكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء.

ب- إنّما: ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 163.

2-المرجع نفسه، ص: 163.

3-محمد صالح العثيمين، شرح البلاغة، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم، السعودية، ط1، 1434هـ، ص: 169.

4-ينظر: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 217-218.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

ج-العطف بلا، أو بل، أو لكن: فإن كان بلا كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها، وإن كان العطف ببل، أو لكن كان المقصور عليه ما بعدهما.

د-تقديم ما حقه التأخير: وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم.

ويسمى القصر عند البلاغيين أيضا بالحصر،¹ ويوجه هذا الأسلوب إلى ثلاثة أصناف من المخاطبين؛ حيث إن هذا المخاطب «إما أن يكون معتقدا عكس الرأي الذي نرتبته، أو شاكا فيه، والحالة الثالثة أن يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر في هذا الحكم»².

أما القصر في الدرس الحجاجي فهو «عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض»³، وأثناء الحجاج يقوم القصر عن طريق طرائقه المختلفة بمهمة تخصيص وتقييد الحجّة بالنتيجة، كما يوجه المتلقي إلى استنتاج تلك النتائج اعتمادا على إمكانات الحصر والتقييد الوارد في النص الحجاجي.⁴ وسوف نحاول في ما يأتي استشفاف أصناف الحصر والقصر المختلفة الواردة في المدوّنة المدروسة.

2-2-1-القصر بإنما:

إنّما بكسر الهمزة مكوّنة من حرفين "إنّ" و"ما" الزائدة التي «كفتها عن العمل وأبطلت اختصاصها بالأسماء، تسمّى كافة ومكفوفة، ويطلق عليها عادة أداة حصر أو قصر، والمقصود عليه هو المتأخّر دائما، الذي لا يليها مباشرة سواء أدخلت على الجملة الاسميّة، أو على الجملة الفعليّة»⁵.

1-ينظر: محمد صالح العثيمين، شرح البلاغة، ص: 169.

2-فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها، علم المعاني، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ-1997م، ص: 364.

3-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 520.

4-ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلبلة ودمنة لابن المقفع، ص: 270.

5-علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، ط2، 1414هـ-1993م، ص: 93.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

وقلّ حضور هذه الأداة في الظهور في مناظرات الشيخ أحمد ديدات ما خلا مواضع قليلة نتناولها في ما يأتي من أسطر بالتحليل والدراسة. وبالرغم من قلة الحضور إلا أن الفعل حاضر، فقد أضفت على الخطاب الحجاجي الديداتي سمة القوة عن طريق تصحيح الأغاليط التي يحاول المهاجمون النصارى تمريرها وخداع الناس بها.

2-2-1-1-المثال الأول: «ولو افترضنا صدق رواية يوحنا اللاهوتي وأن هذه كانت كلمات عيسى فإن هذه المقولة إنما كانت ضمن حلم كان قد ارتآه يوحنا اللاهوتي»¹.

وردت هذه الفقرة ضمن سياقٍ حجاجيٍّ في ابتداء كلام الشيخ أحمد خلال المناظرة التي جرت بينه وبين القسّ الفلسطيني "أنيس شروش"؛ حيث إن عبارات كثيرة وردت في إنجيل يوحنا مدارها أنّ المسيح يقول بأنه "الألف والياء" و"الأول والآخر"، والقسّ أنيس يرى عبارات مثل هذه كفيّلة بالحكم على كون المسيح إلها يُعبد، مع أنّها لا تحمل لفظاً صريحاً يقرّ فيه عيسى عليه السلام بأنه ربّ أو إله يعبد.

ويستخدم المهاجم المسلم أسلوب القصر عن طريق الأداة "إنّما" ليحاجج خصمه ويصحّح له القضية التي كان قد طرحها، ويوجّهها توجيهها السليم ويخرّجها تخرّيجها القويم، فهذه الروايات التي يتغنّى بها القسّ "أنيس شروش" من الإنجيل كما رواه يوحنا وردت في سياق حلم طويل جدّاً يستحيل أن يكون رآه يوحنا في ليلة واحدة. والمهاجم المسيحي مسلّم بعكس هذا؛ حيث يراه دليلاً كافياً لتسويغ صدق قضيتته.

وعليه فالعبارات المذكورة لم تأت لتقرّ وتفصح بألوهية المسيح وتجعله شريكاً لله في حكمه هذا من جهة، ومن جهة ثانية فسياق ورودها جاء في خضم حلم لا تُعرف صحّة حدوثه من

1-مناظرة العصر، ص: 61.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

عدمها، نظرا للتحريف الكبير الذي طال الروايات. وقد اتهم عبد الله المايورقي "يوحنا" بأنه واحد من أفسدوا دين عيسى بالزيادة والنقص والتبديل.¹

2-2-1-2-المثال الثاني: «ولقد أفادهم أن قيامة الموتى عندما تقوم القيامة إنما هي قيامة أرواح خالدة، وليست قيامة أجساد فانية. هكذا أجابهم المسيح كما ورد في إنجيل لوقا»².

مورد هذا النصّ مناظرة الشيخ أحمد ديدات مع القسّ البروفيسور فلويد كلارك، وسياقه الحجاجي تناول المحاجج المسلم لمسألة التحريف في الإنجيل؛ حيث إنّه يؤكّد هنا على أنّ من عوامل تفشّي اللوثة والغباء في الفكر المسيحي الفهم الخاطئ للنصوص التي وردت في الإنجيل.

وتبغّي الإشارة إلى أنّ الشيخ أحمد ديدات من خلال كلامه ينفي تماما أن يكون الكتاب الذي يتدبّن به النصارى حاليا هو كلمة الله التي ألقاها على عبده ورسوله الكريم عيسى بن مريم؛ بل هي مجموعة من الروايات التي تم تليفق كثير منها وتحريف أكثرها؛ لأنها لم تنقل عن طريق متواتر؛ مما سمح لروايتهم وقساوستهم بالعبث بها وتدليسها.

وهنا يستخدم الشيخ العامل الحجاجي ممثلا في أسلوب القصر الذي أفادته الأداة "إنّما"؛ إذ وجّه الخطاب الحجاجي نحو النتيجة السليمة له، وليس إلى النتيجة الخاطئة والفاصلة التي أحاله إليها النصارى الذين فهموا من نصّ إنجيل "لوقا" الذي تضمّن سؤالاً وجّهه اليهود إلى المسيح حول امرأة تزوّجها سبعة رجال، وأيّهم أحقّ بها يوم القيامة؟ فأجابهم بأنّ الذين يموتون ويعثون يوم القيامة لا يتزوّجون؛ لأنّهم يعيشون حياة روحية وليست جسمية، وهذه حقيقة يفصح بها النصّ إفصاحا، فكيف يزعم النصارى أنّ عيسى صُلب ومات ثم بُعث بجسده وليس روحه؟

1- عبد الله المايورقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص: 65-66.

2- أخطر المناظرات، ص: 46.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-1-3-المثال الثالث: «وأوضحت التجارب أنّ مجموعة الأطفال الذين قرئت عليهم قصص من الإنجيل ظهرت في مسلكهم اليومي سمات الانحراف الخطيرة، مثل: الميل إلى الخداع والكذب والسرقة والشذوذ الجنسي. إنّ للقراءة تأثيرها الخطير في شخصية الناشئين. إنّ كل إنسان إنما هو نتاج ما يأكل، وهو أيضا نتاج ما يقرأ»¹.

يؤكد الشيخ أحمد ديدات أنّ الكتاب المقدس كتاب خطيرٌ يحمل بين دفتيه كثيرا من النصوص غير المقبولة وغير المنطقية التي يستحيل أن ننسبها إلى الله عزّ وجل؛ فالمتفحص للإنجيل يقع على مجموعة من القصص المثيرة للغرائز الجنسية والمحرّضة على العنف، فقد وردت فيه أكثر من خمس قصص حول زنا المحارم منها قصة "شمشون" التي جاءت في سياق يثبت أنّ ممارسة الجنس مع البغايا لا تعاقب عليه شريعة اليهود.

ولكي يكتف الشيخ حجّته ويزيدها قوّة وبيانا احتجّ بكلام الدكتور "فرنون جونز" الذي هو أحد أكبر العلماء المسيحيين؛ حيث أكد على أنّ المرء يتأثر بما يحدث له في حياته، فقد ثبت من خلال التجربة أنّ الأطفال الذين قرئ عليهم الإنجيل زاد انحرافهم وميلهم نحو الخداع والكذب والشذوذ الجنسي والعنف اللفظي.

ولتأكيد هذا يستخدم الشيخ أداة القصر "إنّما" التي تلتها حجة حقيقة أنّ المرء نتاج ما يأكل وما يشرب؛ فالإنسان الذي يأكل طعاما صحيا يتمتع بجسم سليم وممشوق وعضلات مفتولة، بينما الإنسان الذي يتناول طعاما غير صحيّ يكون جسده هزيلا ومريضا، بل إنّ الطعام يؤثّر أيضا على الطباع والأخلاق، فالدياثة انتشرت في عند النصارى؛ لأنهم يأكلون لحم الخنزير، والعرب أخذوا نتيجة أكل الإبل صفات الغلظة والشدة. وفعل القراءة في عقل الإنسان كفعل الطعام، فمن يقرأ مادة شاذة ومنحرفة سينطبع عليه هذا الشذوذ والانحراف، ومن يقرأ مادة مستقيمة وأخلاقية سيكون مستقيما وصاحب أخلاق بالضرورة.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 34.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-1-4-المثال الرابع: « إِنَّ عيسى عليه السلام لم يمل ولم يكتب كلمة واحدة إبان حياته؛ مما هو مكتوب في الأناجيل فإننا نجد أنفسنا أمام مشكلة. إِنَّ هذه الكتب إنما هي كتب مجهولة المؤلف»¹.

في البداية نؤكد على حقيقة أن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة المعروفة وهم "متى، ومرقس، ويوحنا، ولوقا" كذابون؛ حيث قال فيهم القسّ "إنسلم تورميذا" الذي أسلم واشتهر باسم عبد الله المايورقي: «اعلموا رحمكم الله أنّ الذين كتبوا الأناجيل الأربعة هم: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسى، وزادوا ونقصوا، وبدّلوا كلام الله تعالى»².

والفرق الواضح جدًّا بين الإنجيل والقرآن في أنّ هذا الأخير لم يمسه التحريف والتزييف في نصّه، فقد حفظه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³ وتناقلت قراءته جماعة يستحيل اجتماعهم على الكذب، فتلقّفها الخلف من السلف، ووضعوا لها ضوابط وقواعد تحفظها.

أمّا الإنجيل فإنّ أوّل وصف ينطبق عليه أنّه كتاب تاريخي اجتمع في تأليفه لفييف من المؤلفين الذين تضاربوا وتنافروا، والمصيبة الكبرى أنّ أكثر الأناجيل مطروحة ومرفوضة وهي ما يطلق عليها "الأبوكريفا". أمّا الأربعة المشهورون فالوحيد منهم الذي رأى المسيح هو يوحنا، أما لوقا ومتى ومرقس فلم يروه أصلا.⁴

ويستخدم الشيخ أحمد عامل القصر الحجاجي عن طريق أداة القصر "إنّما" مبطلا فكرة نسبة هذه الأناجيل إلى عيسى عليه السلام؛ لأنّ مادتها ليست ما قاله، بل هي ما نقله مجهولون

1-المرجع السابق، ص: 71.

2-عبد الله المايورقي، تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب، ص: 65-66.

3-الحجر/9.

4-ينظر: عبد الله المايورقي، تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب، ص: 65-73.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

وكذابون عنه، فضلا على أنّ النصارى أنفسهم يقرّون بأنّ واضعي هذه الكتب لم يملكوا دافعا واحدا لكتابتها، ومن الحجج التي تؤكد فكرة التحريف اعتراف المسيحيين بأنّ متى نقل إنجيله من إنجيل مرقس الذي لم ير المسيح أصلا، ولم يكن من تلاميذه وحواريه، بل هو متّهم بأنّه أدخل في إنجيله ما خالف به أصحابه

2-2-1-5-المثال الخامس: «إنّ تصوّر أنّ يسوع جسما وروحا كان موجودا مع الله قبل بدء الخليقة ثم قال له الله... هيا، اذهب يا بنيّ في بدء العام الأول للتاريخ الميلادي، واخرج من رحم العذراء مريم، وليكن كذا، وليكن كذا، إنّما هو تصوّر غير معقول»¹.

تبسط عقيدة التثليث وتألّيه المسيح كثيرا من القضايا الجزئية التي لا يمكن استيعابها وفهمها؛ حيث إنّها لا تحترم المنطق ولا تتماشى وقدرات العقل في التصوّر، فضلا عن أنّها كتلة من التناقضات والتمخّلات التي إن أمسكت بشقّ منها أفلت منك الآخر، فيبقى المحاجج المسيحي ملتويا ومفسّسا لا يقدر دليلا ولا يبصر بحجّة وازنة.

ومن القضايا الهامة مسألة ميلاد المسيح المعجزة التي لا غبار عليها في دين الإسلام، فهو كلمة الله التي ألقاها على مريم الصديقة، قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ﴾ ^(١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ^(١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ^(١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ^(٢٠).

وفي سياق مناظرة الشيخ أحمد مع القس استانلي شوبيرج يستخدم الشيخ عاملا حجاجيا هو القصر عن طريق الأداة "إنّما" ليربط بين الحجّة والنتيجة في إطار تناوله لفرية تصوّر المسيحي

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 141.

2-سورة مريم/17-20.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

حول ميلاد المسيح؛ فالنصارى يعتقدون أنّ عيسى كان موجودا مع الله قبل بدء الخليقة ثم بعثه الله عزّ وجل، وأعطاه الإذن بالخروج من رحم العذراء.

والحجة التي ينطلق منها الشيخ أحمد مدارها أنّ هذا التصوّر المبني على أساس باطل سببه الفهم الخاطئ للإنجيل، والإيمان بنصوص محرّفة لا وزن لها؛ ممّا يفضي إلى نتيجة منطقيّة أساسها أنّه تصوّر مخبول وغير معقول لا يقوم بحجة ولا يسنده دليل، بل يفتح الباب على مصراعيه لتساؤلات لا تنتهي، ومهاترات لا تنضب.

2-2-1-6-المثال السادس: «ولم أكن أحاول تنويمكم مغناطيسيًا أو أسحركم، إنّما كنت في الواقع أردّد كلمات من القرآن»¹.

يوظّف المحاجج المسلم أسلوب القصر عن طريق "إنّما" ليوجّه الحجة الاتّجاه الصحيح، فقد بدأ كلامه بتلاوة قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِءَ ثَمَنًا قَلِيلًا^ط فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾² قاصداً بذلك ذمّ النصارى الذين عبثوا بكتابتهم حسب أهوائهم، ثم ادّعوا كونه كلمة الله. ويبيّن للجماهير الحاضرة أنّه لا يحاول تنويمهم ولا سحرهم ولا خداعهم، وقد فعل ذلك؛ لأنّه يعرف أنّ بعض الذين لا يعرفون اللّغة العربيّة قد يظنون أنّه يشعوذ عليهم، فيطمئنهم إلى أنّه لم يفعل ذلك، ثم يوضّح المسار الحقيقي للحجّة؛ أي إنّ كان يتلو آيات من القرآن الكريم الذي هو كتاب مقدّس محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحتّى يثبت حجّته أكثر يشرع في ترجمة معاني الآية باللّغة الإنجليزيّة.

1- المناظرة الكبرى، ص: 129.

2- سورة البقرة/ 179.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-1-7-المثال السابع: «إنّ تعبير "الآب والكلمة وَالرُّوحُ الْقُدُسُ" إنّما هو تزييف أُدخل على الإنجيل»¹.

يوظّف المحاجج المسلم في هذا النصّ عامل القصر عن طريق "إنّما" ليوجّه حجّته الاتجاه الصحيح، ولم يأتِ هذا التوجيه بشكل عبثي أو عشوائي؛ بل عضده ببراهين كثيرة نقلية وعقلية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ الكتاب المقدّس عند النصارى يعجّ بالتحريف والتزييف، ليس بشهادة القرآن الكريم فقط الذي لا يؤمنون به ولا يقبلونه فيصلا بيننا وبينهم؛ بل من خلال تقضيّ نصوص الإنجيل ذاتها التي يعارض بعضها بعضها، ويضرب بعضها بعضاً؛ ممّا جعل أعلى العلماء والقسيسين ربّما ومكانة يقرّون بوجود هذه السقطات، وها هو الشيخ يؤكّد أنّ التعبير المشهور الذي هو عنوان التثليث "الآب والكلمة والروح القدس" مجرد تزييف اعترفوا بدخوله على الإنجيل، فحذفوه وأزالوه.

2-2-2-الحصر بيّالاً:

إلّا حرف استثناء، وتعدّ أصل أدواته وأكثرها شيوعاً، والاستثناء هو إخراج ما بعد أداة الاستثناء من حكم ما قبلها، والاسم الذي قبلها هو المستثنى ولا يكون نكرة، وما بعد "إلّا" هو المستثنى.² أما الحصر فهو ضرب من ضروب الاستثناء لا يذكر فيه المستثنى والمحصور عليه يأتي بعد إلّا مباشرة.³

وقد استخدم المحاجج المسلم هذا العامل الحجاجي في مناظراته، بعدّه سبيلاً هاماً وأساسياً في مدار محاججته لخصومه المسيحيين، من أجل دعم موقفه ورفع منسوبه الحجاجي اللغوي، وتطعيم خطابه الإقناعي بالقوة والرصانة.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 164.

2-ينظر: محمود أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2001م، ص: 149.

3-ينظر: علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص: 54.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-2-1-المثال الأول: «ولقد جاء إخواننا المسيحيون بما يزعمون أنه برهانهم على شكل كتب العهد الجديد التي تتضمن مزاعمهم بشأن المسيح، وبشأن مسألة صلب المسيح بعدد اللغات التي يُطبع بها العهد الجديد، ولم يبق إلا أن نمحصها».¹

يستخدم المحاجج المسلم أسلوب الحصر عن طريق حرف النفي "لم"، وأداة الاستثناء "إلا" في سياق حجاجي تحدّث فيه مجادلا خصمه "استانلي شوبيرج" الذي تحدّث سابقا عن مسألة اللغات الكثيرة التي كُتبت بها إنجيل العهد الجديد المتضمّن المزاعم النصرانية التي تنصّ على صلب المسيح وموته وبعثه.

وقد ذكرنا سابقا أنّ الروايات المسيحية تتضارب وتتنافر حول هذه المسألة تحديدا، كما تتضارب في مسائل أخرى عديدة، ولكي نُعطي حكما سليما حول صحّة ما تناوله الإنجيل حول مسألة الصلب يجب أن نقوم بعملية فحص شاملة ودقيقة معتمدة على حبوة التحقيق والتمحيص، فذروة المسألة هنا مدارها النظر في هذه النسخ بغية استجلاء الحقيقة الصرفة التي لا يماريها فيها أحد.

وقد وُقّق المحاجج المسلم كثيرا حين استند إلى هذا الأسلوب المحكم والقويّ في الكلام الذي ينمّ عن عدله وإنصافه وبعده عن المهاترات والحجج الواهية والعاطفية؛ حيث إنّه سيحكم على النصّ من خلال بنية النصّ ذاته، ويبحث في التوافقات والتناقضات التي يحفل بها الإنجيل، حتى يصدر حكما عادلا يقنع به الجمهور الحاضر عن طريق الحجج والبراهين.

ومّا يُحسب للشّيخ ويرجّح كفته إطلاعه على روايات وطبعات الإنجيل المختلفة ومعرفته بدقائقها وسيره لأغوارها؛ مما جعله يصل إلى درجة الحكم عليها وتمحيصها، وتمييز صحيحها من زائفها، وغثها من سميناها.

1-أخطر المناظرات، ص: 44.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-2-2-المثال الثاني: «ليس أحد صالحا إلا واحد... إن عيسى عليه السلام يرفض أن يصفه أحد بأنه صالح Good فكيف يُعقل أن يصفه أحد بأنه إله God». ¹

يأتي هذا النصّ في سياق حجاجي مورده إلى إنجيل متى الذي ورد فيه بأنّ عيسى يعترف بأنّ الله هو الواحد، ولا شك في أنّ الله هو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، ولا يماري في ذلك إلا من استنكف عن عبادته وغرته الحياة الدنيا، واتخذ دينه لعبا وهزوا، وتمرغ في الضلال ظهرا لبطن. ومن حكمة الله عزّ وجلّ أنّ كل التحريف الذي طال الإنجيل لم يقع فيه حشر نصّ واحد يؤلّه المسيح ويجعله معبودا.

ولا شك في أنّ القس استانلي شوبيرج في دفاعه عن مسألة التثليث غاوٍ وضال مضلّ تابع للتيار المسيحي المنفلت عن دستور المسيحية الصحيحة الأولى، وغاصّ في برك التناقض والتهافت، مؤلّه لمن ليس بإله. والشّيخ أحمد يتحدّاه ليورد له نصّا واحدا قطعيّ الدلالة يقرّ فيه عيسى عليه السلام بأنه إله، وبأنّ الناس عليهم أن يعبدوه، وهيئات أن يجد المماري المفتري نصّا من هذا القبيل ولو جهد ما جهد.

ويحيل أسلوب النفي والاستثناء الذي هو عامل حجاجي مداره الحصر في هذه الفقرة انطلاقا من حجة مفادها أنّ الصلاح المطلق والكمال المطلق، والألوهية المطلقة، والتفرد المطلق وقدرة الخلق والرزق، والتعذيب والعفو هي من اختصاصات الإله الحق. والنتيجة أنّ هذا الإله الحق واحد متفرد هو الله الكامل الذي ليس كمثلته شيء، ولا يضاويه أحد من خلقه، فهو يخلق وهم يُخلقون، وهو يُعبد وهم يعبدون، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، تبارك الله تعالى وعلى علوا كبيرا عمّا يصفون، وليس ذلك الإله الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويعمل نجارا، ويرجم بالحجارة، ويُلعن، ثم يُكاد له ليُصلب ويموت، ويُدفن، ثم يُبعث من قبره.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 139.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-2-3-المثال الثالث: «لم يكن المسيح عليه السلام موجودا إلا كجنين في رحم أمه العذراء مريم بالمعنى الحسي الفعلي لوجود الناس في الحياة الدنيا؛ أما في ما يتعلق بعلم الله ومشئته، فوجود البشر عموما يرجع إلى ما قبل الخليقة».¹

تعود جذور وحشيات التصور الخاطئ لميلاد المسيح عند النصارى إلى تصور اليهود الخاطئ وسوء أفهامهم، فقد كانوا يأتون إلى المسيح ويسألونه أسئلة كثيرة، وكان يجيبهم على أسئلتهم، لكن إجاباته -قياسا على ما ورد في الإنجيل تبدو معقدة نوعا ما؛ مما جعل غباء اليهود يجريها في غير مجراها الحقيقي، فكانوا يفهمونها على غير ما أرادها المسيح؛ ذلك أن الغشاوة غطت على قلوبهم وأعينهم.

ومن بين الأمور التي فهمها اليهود خطأ قول المسيح لهم بأنه كائن قبل أن يكون إبراهيم كائنا، وهو هنا يقصد وجوده في علم الله الذي سيقدر له أن يولد ولادة معجزة، ويكذب ويحاول أعداء الله ورسوله أن يقتلوه، فينجيه منهم ويرفعه. لكن اليهود فهموا بأنه يدعي الوجود بجسده وروحه قبل إبراهيم. وكذلك فهمهم الخاطئ لكلام المسيح حين قال لهم بأنه يعرف الله حق المعرفة، وبأنهم لا يعرفونه كما يعرفه، قاصدا بذلك قربه منه بحكم أنه رسوله الذي يوحي إليه فأساءوا الفهم، واثمموه بالكذب والجنون، ورفعوا الحجارة ليرجموه.

ويستخدم الشيخ أحمد في هذا النص أسلوب الحصر عن طريق النفي والاستثناء "لم-إلا" في معرض اتهامه للمسيحيين في اعتقادهم الباطل حول ميلاد المسيح الذي هو أساس فهم خاطئ يشبه فهم اليهود، مؤكدا أن عيسى عليه السلام لم يكن إلا بشرا؛ لأنه كان جسدا في بطن أمه مريم العذراء التي حملت به كما تحمل النساء، وولدتها كما يولد البشر، أما ما قصده المسيح من النصوص التي جاءت في إنجيل متى، فهو أن خلقه، ووجوده، وموته، وبعثه، في علم الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق ويقسم الرزق.

1-المرجع السابق، ص: 140.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-2-4-المثال الرابع: «إنَّ يسوعَ ليست لديه القدرة على أن يفعل شيئاً إلا بقدرة الله. وهو يقول: "إنَّ كُلَّ القُدْرَةِ مَمْنُوحَةٌ لي. أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي. إِنَّ القُدْرَةَ عَلَى الفِعْلِ لَيْسَتْ نَابِعَةً مِنِّي وَلَكِنَّهَا مَوْهُوبَةٌ لي مِنَ اللَّهِ العَلِيِّ القَدِيرِ الَّذِي أَرْسَلَنِي"».¹

ضعف وتحافت القسّ استنالي جعله يتجسّى على الشيخ أحمد ويّتهمه بوضع كتاب ليس له أصلاً في محاولة يائسة لكسب تعاطف الجماهير المسيحية وتأليبها عليه. وبعد أن نفى الشيخ هذه الفرية بشكل بارع شرع في هجوم مضاد حين استقى نصوصاً من أناجيل متى، ومرقس، ويوحنا، تؤكّد جهل المسيح بأمر مثل: قيام الساعة، وموعد نضج التّين.

ثمّ إنّ الروايات التي وردت في الأناجيل الثلاثة المذكورة تحتوي جملاً صريحة وتعبيرات كثيرة تؤكّد بشرية المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وتنفي عنه صفة الإلهية التي يحاول المسيحيون أن يلصقوها به مستخدمين في ذلك كلّ الوسائل والطرق. ومن أفصح هذه التعبيرات قول المسيح: "أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي"، وتأكيداً على أنّ القدرة نابعة من الله عزّ وجل؛ لأنّه الحاكم المطلق والمصرف المتمكّن.

ويستخدم الشيخ أحمد أسلوب الحصر الذي هو عامل حجاجي عن طريق النفي والاستثناء "ليس-إلا" ليؤكّد على أن جهل المسيح بعلم الساعة الذي أقرّ بأنّ الله وحده يعلمه، ثم عدم علمه بوجود تين في الشجرة التي رآها من بعيد، ثم تأكيداً على أنّ قدرته هيّنة وضعيفة، وأنّ الله عزّ وجل هو من يمنحه القدرة؛ لأنه خالقه ورازقه، كلّ هذه دلائل على أنّ المسيح بشر مخلوق وضعيف، وفي هذا حجّة دامغة على أنّ الله عزّ وجل هو القادر والمستطيع والجبار، ثم هل يتصوّر أحد أنّ الإله المتفرد يمكن أن يبكي وتعزيه مشاعر الحزن كما تعزي البشر؟ كلا لا يمكن أن تجتمع القدرة والاستطاعة المطلقة من الضعف والوهن.

1-المرجع السابق، ص: 143.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-2-5-المثال الخامس: « ولقد كانت تلك مشكلة اليهود مع السيّد المسيح. كان يقول لهم أنا المسيح الذي كنتم تنتظرون مجيئه وتشتاقون إلى أن يرسله الله إليكم، ولكن اليهود كانوا يكذبونه ويستكثرون عليه ذلك. وكان أحبارهم يخشون منه على سلطانهم ومكاسبهم. ولم يصدّق المسيح إلا عدد قليل من النَّاس».¹

جاء النصّ في سياق حجاجي تناول فيه الشيخ أحمد مسألة تكذيب اليهود للمسيح وكيدهم له، فقد كانوا يختلفون إليه ليسألوه حول صدق نبوّته ودعوته، فيجيبهم بالموافقة، لكن يبدو أنّ الطريقة التي تُصوّر بها الأناجيل كلام المسيح مع اليهود تحيل إلى أنّهم لم يكونوا يفهمون ما يقوله ولا يستوعبونه، فهو يستخدم كلمات مثل «ولكنكم لا تؤمنون بي؛ لأنكم لستم من خرافي. إنّ خرافي تصغي إلى صوتي وأنا أعرفها وهي تبعني».²

ويستخدم المحاجج المسلم عاملاً حجاجياً هو الحصر عن طريق النفي والاستثناء "لم-إلا"؛ حيث إنّ الحجّة التي تلت أداة الحصر مدارها بيان قلة النَّاس الذين آمنوا برسالة المسيح على رأسهم الحواريون الاثنا عشر الذين نصرّوه، على الرغم من أنّ أحدهم خانته في النهاية وسلّمه إلى السلطات الرومانيّة وهو "يهودا الإسخريوطي" أعظم خائن في التاريخ.³

أما النتيجة المرادة من هذا الأسلوب فهي التأكيد على أنّ المسيح قد لاقى تكديبا واسعا؛ حيث اتّهمه اليهود بكل التهم الباطلة، وأرادوا به كيدا، وليس حال المسيح في هذا بدعا بين الرسل فقد كُذّب رسل كثيرون قبل المسيح عليهم السلام وعاداهم أقوامهم، بل منهم من قتلوهم واستباحوا دماءهم، مثل النبيّ يحيى والنبيّ زكريا عليهما السلام. كما يؤكّد الشيخ على أنّ من عوامل العداء التي جُوّهت بها دعوة المسيح خوف رؤوس اليهود وكبرائهم على مكاسبهم الدنيويّة؛ مما جعلهم يؤلّبون الناس على المسيح.

1-مناظرة العصر، ص: 72.

2-الكتاب المقدّس، العهد الجديد، ص: 323.

3-ينظر: المصدر نفسه، ص: 333.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-2-2-6-المثال السادس: « وهكذا فإنكم لا تفكرون إلا في شخص إنجليزي أو ألماني من الشمال بأنف مستقيم».¹

يوظف الشيخ أحمد ديدات عامل الحصر الحجاجي "لا....إلا" حتى يحدّد مجال النتيجة التي لا تتداخل مع غيرها ولا تتفرّع ولا تنقسم؛ بل هي محدّدة في شكل واحد ورؤية واحدة؛ لأنّ الحديث عن الإله الابن في الفكر النصراني يقودنا لتصوّر شابّ يافع «أزرق العينين أشقر الشعر، مليح القسّمات بلحية جذّابة، أنفه معقوف مثل أنف اليهود»²؛ ولذلك فلا يمكن أن نتصوّر إلا رجلا إنجليزيّا أو ألمانيّا أو روسيّا من الشمال، من الجنس الأبيض، وهذا ما تؤكّده اللوحات التي رسمها النصراني للمسيح عيسى عليه السلام. أما تصوّر الإله الأب فهو تصوّر آخر مخالف لهذا التصوّر تمامًا.

2-2-2-7-المثال السابع: «أما التناقضات الموجودة بين الصيغ المختلفة للإنجيل، فإننا نجد التناقض أو التعارض بينها لا يسمح إلا بافتراض أنّ إحداها صحيحة والأخرى خاطئة كاذبة».³

دفع الاستقراء الحصيف الذي قام به المحاجج المسلم للإصدارات المختلفة من الأناجيل عند الطوائف المسيحية، والتناقضات الكبيرة التي وجدها بين النصوص، والاختلافات التي وقع عليها بين النسخ، إلى توظيف أسلوب الحصر عن طريق النفي والاستثناء "لا..إلا" ليحدّد إمكانيات القول التي يُخلص إليها في الحكم على ذلك، ومدارها أنّ التهافت الحاصل بين نسخة وأخرى ونصّ وآخر لا يترك مجالاً للتسويغ البارد، والمهاججة بالباطل، والتهرب والتمحّل؛ بل يجب القول بالحقيقة الصرفة، وهي كون أحدهما صحيحاً والآخر زائفاً، وهذا ما يزيد المسألة تعقيداً؛ لأنّ النصراني سيقع في مطبّ الاختيار بين نصّين يُعدّان كلام الله، فأيّ نصّ يأخذ وأيّ نصّ يترك.

1-المناظرة الكبرى، ص: 144.

2-المرجع نفسه، ص: 144.

3-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 92.

2-3- عامل الشرط:

جاء في قاموس التعريفات للشريف الجرجاني «الشرط: تعليق شيء بشيء؛ بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجا عن ماهيته ولا يكون مؤثرا على وجوده».¹

وقد تناول المناطقة القضيّة الشرطيّة و«هي التي يكون الحكم فيها قائما على إثبات الارتباط الشرطي أو نفيه بين حكم وآخر... أو هي التي تشتمل على حكم بإثبات أو نفس ارتباط شرطي بين حكم وآخر».² أما أسلوب الشرط فهو «ما دلّ على الشرط بتقدّم أداة من أدواته على جملتين: إحداهما جملة الشرط، والأخرى، جملة جواب الشرط».³ ويتكوّن من ثلاثة أمور: أداة الشرط، وفعل الشرط، وجواب الشرط.

ويعدّ أسلوب الشرط من أبرز الأساليب التي توظّف في عملية الحجاج، ولا تكاد تخلو منه الخطابات الحجاجية المختلفة بالنظر إلى دوره الهام والمعتبر؛ حيث «يسهم في بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، ويقود الخصم في صوغ جواب يدعم الأطروحة المقترحة بطريقة حتمية».⁴

وترتبط جملة جواب الشرط بجملة الشرط من حيث الأسباب والنتائج، واستخدام هذا العامل الحجاجي أثناء الحجاج يسهم في ربط النتيجة بحجتها ربطا منطقيًا ودلاليًا، يظهر أثره في المتلقّي لتقبّل النتائج.⁵

1- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص: 108.

2- عبد الرحمن الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 85.

3- أحمد ناصر، النحو الميسر، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط1، 1431هـ-2010م، ص: 359.

4- عبد العزيز لحويدي، الحجاج في المناظرة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، 329/4.

5- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 273.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

وتنقسم أدوات الشرط في اللغة العربية إلى أدوات جازمة وغير جازمة، منها: من، وما، ومهما، ومتى، وأين، وأيان، وأي، ولو، وإذا، ولولا.

2-3-1- عامل الشرط لو:

لو «حرف يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط»¹، وهي نوعان امتناعية، وشرطية غير امتناعية، وكلا النوعين حرف، واستعماله قياسي.² أما الامتناعية فتدخل على الماضي، وتفيد امتناع شيء لامتناع غيره، أما الشرطية فتدخل على المستقبل وهي بمعنى "إن"، لكنها غير جازمة.³

وقد استلزمت النبرة الحجاجية التي تميّز بها الشيخ أحمد ديدات في مناظراته حضور هذا الحرف الشرطي، ليعينه في مسار توظيف عامل الشرط الحجاجي، من أجل الاستدلال لصحة قضاياه، وتقوية حججه وبراهينه.

2-3-1-1- المثال الأول: «ولو كان هذا الشخص -أي شخص- قد مات ثم قام بين

الأموات حيًا بجسده الحي يطعم ويشرب لتعيّن أن يموت مرّة ثانية».⁴

في خضمّ تناول المحاجج المسلم للنص الذي ورد في إنجيل لوقا المحيل إلى أنّ المسيح قام جسداً من قبره بعدما تمّ صلبه وجاء إلى حواريّيه بعد مكوثه ثلاثة أيام في قبره - ولم يكن بقاءه في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ بل يوماً وليلتين - يؤكّد الشيخ قياساً على ما ورد في النصّ أنّ الحواريين تعجّبوا ولم يجدوا ما يقولون، ثم ناولوا المسيح جزءاً من سمك مشوي ليأكل، فهل كان ميتاً حقاً ثمّ بعث للحياة؟

1- أحمد ناصر، النحو الميسر، ص: 360.

2- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، 4/491.

3- ينظر: سليمان معوض، حروف المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (د.ط)، 2008م، ص: 135.

4- أخطر المناظرات، ص: 49.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

ويستخدم المحاجج المسلم عاملا حجاجيا هو أسلوب الشرط عن طريق الحرف "لو" الذي يفيد امتناع جواب الشرط لامتناع الشرط، والممتنع هنا حسب الشيخ استنادا إلى المنطق وبالعودة إلى النصوص التي وردت في الإنجيل -على تضاربها وتناقضها- هو موت المسيح مجددا بعدما قام من قبره؛ لأنّ الإنسان يموت مرّة واحدة، والمسيح إنسان وليس إله. وعليه فهو لم يقم من القبر ولم يتناول طعاما مع حواريه.

ولو أردنا أن نجد توجيهها للقضية من ناحية إنجيل لوقا -على تسليمنا بتدليسه وافترائه- لقلنا إنّ الصحيح انتفاء موت المسيح على الصليب؛ بل نجاته من الصلب وتحقيه خشية أن يتم القبض عليه من طرف اليهود الذين يريدون موته. أما مسألة قدرة المسيح على إحياء الموتى، فهي معجزة أيده بها الله عزّ وجلّ بحوله وقوته، وليس للمسيح يد في فعلها من عنده؛ لأنّه عبد ضعيف يفعل ما يؤمر.

2-3-1-2-المثال الثاني: «لو أنّ القرآن كان صادرا عن أيّ أحد آخر غير الله لوجدوا فيه تعارضا وتناقضا».¹

في معرض إمساك ديدات بزمام أمر تبيان تحريف الإنجيل وتحافته؛ بل خلاعته في بعض الأحيان؛ حيث إنّ المحاجج المسيحي نفسه يقرّ بأنّ الإنجيل يحتوي على عشر حالات تتحدّث عن زنا المحارم؛ مما دفع به -على الأرجح- إلى تأليف سلسلة من الكتب التي تتحدّث عن زنا المحارم، واللواط والشذوذ الجنسي، ولعلّ ما ورد في سفر حزقيال من لغة ماجنة وفاسقة قد أنعشت بصيرته ليخوض هذا المخاض.²

وبعد أن يدكّ الشيخ أحمد حصون النصارى وكتابهم مثبتا تحريفه وتزييفه، يستشهد بالقرآن الكريم مستخدما أسلوب الشرط الذي علّل به إعجاز القرآن الذي هو كلام الله المنزل على نبيّه

1- المناظرة الكبرى، ص: 112.

2- ينظر: الكتاب المقدّس، العهد القديم، ص: 1806-1807.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

ورسوله، ومصدره إلهي رباني، ولو كان القرآن من عند غير الله لوجدنا فيه اختلافا وتشاكسا كبيرا، لكن الحقيقة الصرفة التي لا يمكن أن ينفىها سواجارات ولا غيره هي عدم وجود أي تناقض في القرآن، فيربط الشيخ أحمد بين الشرط وجوابه، فقد انتفى التحريف والتزييف عن القرآن لانتفاء صفة البشرية في وضعه.

في حين أن الإنجيل - في مواضع كثيرة ذكرناها وأخرى سنذكرها لاحقا - يعمه التناقض والنقص؛ لأنه كلام كتبه البشر وعبثوا بنصوصه، وزيفوها حسب أهوائهم وخدمة لأغراض أنفسهم ورغبة في تحقيق مآربهم.

2-3-1-3-المثال الثالث: «ولو كان عيسى المسيح عليه السلام يتكلم عن الأب الذي في السماء فإنّ أباه الذي في السماء هو أبي وأبوك».¹

يمجّ العقل السليم فكرة نسبة ولد لله فقد نفى الله عزّ وجلّ عن نفسه ذلك، فكيف للبشر أن يجعل له صاحبة وولدا، وينصبّ له شريكا في ملكه، ويقاسمه في سلطانه وحكمه، فهل مورد التدليل على هذا الاعتقاد الخاطيء هو النصّ المحرّف أم الفهم الآسن، وهل يمكن للنصّ الذي ورد في الإنجيل - على تسليمنا بتحريفه - أن يُقرأ قراءات أخرى؟

وفي خضمّ مناظرة الشيخ أحمد ديدات مع القسّ أنيس شروش التي تناولت مسألة ألوهية المسيح من عدمها، يستشهد الشيخ أحمد ببعض النصوص المسيحية من إنجيل يوحنا التي توهم بأنّ المسيح يدّعي بأنّه الأول والآخر والألف والياء، -وما كان له أن يقولها- والتي جعلت المسيحيين يعتقدون بألوهية عيسى عليه السلام، رغم عدم احتوائها عبارة صريحة تشير إلى ذلك.

ويبيّن الشيخ أحمد لخصمه محاججا له أنّ التسليم بما جاء في إنجيل يوحنا حول ذلك محلّ شك؛ لأنّ نصوص الإنجيل تمّ العبث بها، ويستخدم أسلوب الشرط عن طريق الأداة "لو" بعدّه

1-مناظرة العصر، ص: 63.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

عاملا حجاجيًا يؤكد به امتناع حمل العبارات التي تحدّث فيها عيسى عن "أبيه الذي في السماء" على المعنى المتعارف عليه للأبوة؛ بل ينبغي أن تؤوّل تأويلا آخر أساسه مجازي* بعدّ البشر أبناء وأحباء لله، أما حمل النصّ على معنى البنوة التي تتحقّق عن طريق الزواج وممارسة الجنس فمرفوضة ومجحوجة، ولا يصحّ أن نتجنّى على الله عزّ وجلّ ونتّهمه بهذه التهمة الخطيرة.

والدليل على جواز حمل معنى الأبوة على المجاز جنوح أهل ذلك الزمان إلى استعمال عبارات مثل "أبوكم، أبونا"؛ فالناس كانوا يعتبرون المولى الخالق عزّ وجلّ أبا للجميع؛ لأنّهم يرعاهم ويرزقهم ويحميهم.

2-3-1-4-المثال الرابع: «لو طلبنا إلى مجموعة من الصحفيين أن يكتبوا ما قيل وما حدث في هذه القاعة هذه الليلة لوجدناهم يختلفون الواحد منهم عن الآخر فيما يكتبون».¹

مورد هذا النصّ مناظرة الشيخ أحمد مع القس استانلي شويبرج؛ حيث قام الشيخ أحمد بالطعن في كفاءة القس السويدي المعرفيّة حين طلب المحاجج المسلم من خصمه المسيحي أن يتحقّق من مطابقة ما يقرأ مع ما هو موجود في إنجيله، فيشرع الشيخ أحمد في القراءة، ويؤكد له خصمه أن يستمر في القراءة؛ لأنّ ما يقرؤه مطابق تماما لما هو موجود في إنجيله، وكانت المفاجأة أنّ الشيخ كان يقرأ من سفر آخر.

ويستخدم الشيخ أحمد عامل الشرط المحجّاجي عن طريق حرف الشرط "لو" مبينا أنّ مردّ اختلاف الناس في الكتابة والصحفيين تحديدا الذين يتباينون في طرق نقلهم للأخبار هو طبيعتهم البشريّة الذاتية التي تحاكي الموضوعيّة في كثير من الأحيان، كما أنّ تصوّر الناس للأشياء مختلف

*-«بنو إسرائيل كانوا يطلقون على الله اسم "إلوهيم"، واسم "أهوه"، و"يهوه"، واسم "إدوناي"، واسم "إيل"، ثم قالوا: إنّهم أبناء الله وأحبّاءه، وأنّ الله أبوهم بالمعنى المجازي، ولما تُرجم الإنجيل للغة اليونانيّة، وضعوا كلمة الأب العبرانيّة كما هي تدلّ على ذات الله تعالى». أحمد حجازي السقا، أقاليم النصارى، بيان ونقد، ص: 33.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 26.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

وأمانتهم تختلف، فقد يلجأ الشخص إلى تزييف الخبر من أجل غاية في نفسه، وقد يكون سبب ذلك أيضا السهو وسوء النقل.

وعليه فإنّ التطابق الذي أشرنا إليه سابقا بين سفرين مختلفين لا يمكن أن يُفسّر إلا بالطابع البشري واللمسة الآدمية التي تسهو وتخطئ وتزلّ وتخلط، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يكون هذا من فعل الله عزّ وجلّ -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-، فلهذا فنحن نجد القرآن الكريم بعيدا كلّ البعد عن مثل هذا؛ لأن يد البشر لم تعبث به ولم تدنّسه، بينما عبثت بالإنجيل أيادٍ كثيرة، وتناولت إليه تحريفات البشر. وعليه فالشيخ أحمد يؤكّد أنّ التفسير الوحيد للظاهرة التي شهدتها المناظرة -تشابه سفرين مختلفين كلمة كلمة وحرفا وحرفا وسطرا سطرا- هو أنّ الإنجيل ليس كلمة الله.

2-3-1-5-المثال الخامس: «هل كان يونان ميتا عندما ألقوه في البحر؟ لا، كان حيّا. إنهم لم يلقوا إلى البحر رجلا ميتا، ولو كان ميتا عندما رموه لانتهد القصّة، ولما كان لها بقيّة، ولكنّ قصّة يونان لا تزال مستمرة».¹

السّياق الحجاجي لهذه المقولة مناظرة الشيخ أحمد مع البروفيسور فلويد كلارك التي تتناول مسألة صلب المسيح، ومن جزئيات هذه المناظرة حديث الشيخ أحمد عن مسألة دفن المسيح في قبره بعد أن تمّ صلبه؛ حيث يؤكّد المحاجج المسلم تناقض الأناجيل المختلفة التي أخطأت حين عدّت مدّة بقاءه في قبره ثلاثة أيام وثلاث ليال، وقد نقضها بعملية حسابية بسيطة.

ويهدّد الشيخ ركنا أساسيا من أركان الاعتقاد المسيحي حين يستند إلى نصّ يؤكّد فيه عيسى عليه السلام أنّ معجزته ستكون كمعجزة يونان -أي البقاء ثلاثة أيام وثلاث ليال في القبر- ولكن الحقيقة أنّه مكث يوما وليلتين، ثم إنّ يونان كان حيّا حين التقطه الحوت، وحيّا في بطن

1-أخطر المناظرات، ص: 52.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

الحوت، وحيّا حين لفظه الحوت، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُؤْنَسَ لَمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٦) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٤١﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٢﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٣﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٤﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٥﴾¹.

وعليه فإنّ الشيخ يقارن بين القصّتين ويؤكد من خلال استخدام عامل الشرط الحجاجي عن طريق الحرف "لو" امتناع استمرار معجزة النبي يونان، وامتناع استمرار معجزة النبي عيسى كذلك إن مات الأول في بطن الحوت، ومات الثاني على الصليب. والحق أنّ معجزة يونان استمرت؛ لأنّه نجّا من بلائه بعدما كان من المسبّحين المخبتين النادمين، لكن المسيح حسب اعتقاد النصارى مات على الصليب وتم دفنه، فضلا عن أنّه مكث في القبر يوما وليلتين، فأبى مشابهة يمكن أن يعقدها النصارى بين الحادثتين، وأيّ تأويل سيوجهون إليه الآية التي وردت في إنجيل متى؟

2-3-1-6-المثال السادس: «وأنت بسؤالك تلحّ على السؤال نفسه...الكتب لم تحفظ، ولو كانت قد حفظت لكانت أهلا للاعتراف بها»².

يتحدّث المحاجج المسلم عن كتب النصارى المحرّفة عن أصلها (العهد القديم والعهد الجديد)، ويقارنها بكتاب المسلمين الذي تمّ حفظه وبقي على حاله كما أنزله الله على نبيّه صلّى الله عليه وسلم، ومع ذلك فالنصارى لا ينفكّون يدافعون عن كتابهم المحرّف دون دليل وبرهان. ولذلك فالشيخ أحمد ديدات يوظّف عامل الشرط الحجاجي عن طريق الحرف "لو" الذي يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، ومدار الشرط هنا هو عدم تحقّق الحفظ والصون الذي تؤكّده حجج كثيرة وبراهين عديدة تمّ بسطها في هذه المناظرة، وسنبسط كثيرا منها في بحثنا هذا، أما الجواب فمتعلّقه

1-سورة الصافات/ 139-144.

2-المناظرة الكبرى، ص: 132.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

امتناع تحقّق الاعتراف بالكتاب لثبوت حدوث التحريف والتزييف، فلا يمكن أن نقول إنّ الإنجيل الموجود حاليًا مقدّس.

2-3-1-7-المثال السابع: «ولو أنّكم قرأتم وتفهمتم الذي ورد في إنجيل يوحنا لأدركتم هذه الحقيقة بوضوح».¹

يوظّف المحاجج المسلم عامل الشرط عن طريق الحرف "لو" الذي يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، ليتحدّث عن امتناع فهم النصارى لحقيقة أنّ عيسى عليه السلام قد بشر بمعزّي يأتي بعده هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلّم؛ لأنّهم لم يقرؤوا إنجيل يوحنا، ولم يستوعبوه ولم يفهموه، ولذلك فهم ينكرون نبوة محمّد على الرغم من وجود نصّ صريح يشير إلى ذلك. والشيخ أكّد في مواضع كثيرة أنّ المسيحيين لا يقرؤون كتابهم المقدّس، ولا يعرفون كثيرًا مما ورد فيه، وعليه فبعض الاستشهادات والحقائق التي يأتي بها من أسفارهم لا يقبلونها ولا يصدّقونها، لا لكونها باطلة مبتدعة؛ بل هي موجودة في كتبهم، لكن جهلهم به وأتباعهم أقوال قساوستهم يجعلهم يدافعون عن عقيدتهم دون معرفة ودون فهم حقيقي لنصوص الإنجيل.

2-3-2-عامل الشرط إذا:

تأتي إذا «اسما للزمن المستقبل وتختص بالجملة الفعلية وإن وقع بعدها اسم فهو مرفوع بفعل مقدّر، ومعناها الشرط وتحتاج إلى جواب كسائر أدوات الجزاء»² وتوظّف للدلالة على اليقين والتحقّق من قبول الشرط. وتأتي حرفا للمفاجأة «فتختص بالجملة الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال»³.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 80.

2-ابن نور الدين (أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب الموزعي ت 820 هـ)، مصابيح المغاني في حروف المغاني، تح: عائض بن نافع العمري، دار المنار، القاهرة، ط1، 1414هـ-1993م، ص: 84.

3-ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، 1/102.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

ولم تخل مناظرات الشيخ أحمد ديدات من مزية توظيف هذه الأداة الشرطية؛ نظرا لأهميتها البالغة في دعم خطابه الحجاجي، وزيادة الرصيد الإقناعي في مناظراته الدينية مع المسيحيين، من أجل ردّ افتراءاتهم ودحض حججهم.

2-3-2-1-المثال الأول: «وإذا كان قد مات ودفن في أحد المقابر لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال كما يزعم أصحاب الوثائق المقدسة، فمن ذا الذي كان يُعنى بالعالم طوال تلك الأيام الثلاثة وتلك الليالي؟ من الذي كان يسيطر على العالم في ذلك الوقت بالذات؟»¹.

مورد هذا النصّ محاجة أحمد ديدات مع القس المسيحي الفلسطيني أنيس شروش؛ حيث يناقش المحاجج المسلم جزئية من جزئيات مسألة صلب المسيح وموته ودفنه، فقد تساءل الشيخ عن الذي كان يدبر شؤون الحياة والخلايق حين مات المسيح ودفن -إن سلمنا جدلا بحدوث ذلك- على أنه لا يمكن للعقل السليم أن يتصوّر إلهًا يموت، فالإله خالد لا تستطيع أن تتناوله أيدي عباده لتقتله.

وعن طريق استخدام عامل حجاجي ممثل في أسلوب الشرط عن طريق الاسم "إذا" يؤكد الشيخ أحمد أنّ التسليم بموت الإله ودفنه مسألة تترتب عنها تبعات خطيرة وتداعيات كارثية تجعل من هذه الدعوى ضربا من الجنون والخبيل، فشرط بقاء الحياة واستمرارها وتصريف أمورها وتقسيم الأرزاق وغيرها من الأمور هي من اختصاصات الإله، وإذا كان الإله ميّتا فكيف يمكن أن نتصوّر أنّ هذه الحياة تستمر؟

وعليه فإنّ عيسى ليس إله، بل هو نبي ورسول، ثمّ إنّّه لم يصلب ويدفن؛ بل نجّاه الله من كيد الكائدين ورفعّه إليه، أمّا من يقول بعكس ويظنّ بأنّ الإله يستطيع أن يصبح رجلا فقد افترى

1-مناظرة العصر، ص: 69.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

على الله، وجاء بيهتان عظيم، فلا يوجد في كلّ الإنجيل نصّ واحد صريح يقول فيه المسيح لأتباعه "أنا إله" أو "اعبدوني".

2-3-2-المثال الثاني: «ومن ذلك يمكن أن نستخلص أنّه إذا كان عيسى إله God؛ لأنه ولد من أم بغير أب فإنّ آدم أعظم حسب زعمهم، وثمة إجماع على أنّ آدم عليه السلام لم يكن إلهًا».¹

يرتبط هذا النصّ بمسألة ولادة المسيح المعجزة؛ إذ تعدّ السبب الرئيسي الذي جعل المسيحيين يؤهّونه ويعدّونه ابنا لله، وبينون على أساس ذلك عقيدتهم الباطلة والمحرّفة، فالنبيّ عيسى كان معجزة بحقّ، فقد وُلد من غير أب، وأيّده الله بمعجزات كثيرة، فكان يجيي الموتى بإذن الله، ويرى الأكمه والأبرص بإذن الله.

وقد اشتمل هذا النصّ من المناظرة على عامل حجاجي ممثل في أسلوب الشرط عن طريق الأداة "إذا"؛ حيث يؤكّد الشيخ أنّ فرضية تأليه المسيح قياسا على ولادته المعجزة تقودنا إلى القول بتأليه آدم أبي البشر على سبيل الأولوية، فهو الذي خلقه الله بيديه من طين، ثمّ نفخ فيه من روحه لتدبّ فيه الحياة، ثمّ أسجد له ملائكته، وأسكنه الجنّة.

وإذا كان من غير الممكن تأليه آدم؛ لأنّ الإسلام والمسيحية لا يجعلانه إلهًا، فنفي الألوهية عن المسيح أولى؛ لأنّ معجزة آدم أعظم من معجزة عيسى، فقد ولد آدم عليه السلام من غير أب وأمّ، وولد عيسى من غير أب، فضلا عن كون آدم خلُق من تراب، بينما خلق عيسى عليه السلام في رحم امرأة هي مريم بنت عمران كما يخلق كل البشر، وحملت به كما يُحمل البشر، وولده كما يولد البشر.

1-المرجع السابق، ص: 76.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-3-2-3-المثال الثالث: «وبالطبع فإنّ هذا ليس إنجيلي! ولذلك فالنسخة ليست كلمة الله. وإذا كانت هذه النسخة كلمة الله إذن فإنّ تلك ليست كلمة الله».¹

في خضمّ مناقشة الشيخ أحمد لمسألة تحريف الإنجيل مع القسّ الأمريكي جيمي سواجارات، يتناول المحاجج المسلم مسألة استمرار المسيحيين حذف النصوص، والزيادة فيها، واستبدالها، والعبث بكتابتهم المقدّس الذي أضحى مدنّسا وملبّسا، وملبّسا بالتناقضات والنقائص التي حاقت به نتيجة عبث القساوسة والرهبان بنصوصه.

ويستخدم الشيخ أحمد أسلوب الشرط ليؤكد التلازم بين الشرط وجوابه في علاقة اقتضائية لا تنفصم عراها، فالانتقائية التي يسير بها سواجارات في تقديسه لإنجيل الملك جيمس دون غيرها بعدها نسخة مصحّحة ومنقّحة وحائزة على أجمل عبارات المدح والثناء، ستجعله يرفض غيرها من نسخ الإنجيل الأخرى على كثرتها وتنوّعها وتباينها ويردّها؛ لأنّها لا تحوز القبول والرضا عنده.

ويمثّل الشيخ أحمد لذلك التحريف بما وقع من حذف لفقرات عديدة من إنجيل مرقس في نسخة الملك جيمس في حين أنّه مثبت في أناجيل أخرى؛ وهذا يميلنا إلى التساؤل عن أيّ النسختين يمكن أن تعدّ كلمة الله؛ مما يترتّب عنه رفض الأخرى وتضعيفها. وإذا كانت هذه النسخ متشابهة في شكلها وغلافها الذي كتب عليه "الإنجيل" أو "الكتاب المقدّس"، فماذا نختار منها ليكون وماذا نرفض؟

2-3-2-4-المثال الرابع: «وإذا كانت في كتابكم المقدس بشأن ما تزعمونه من موت المسيح على الصليب تناقضات كبيرة وحقيقية وهامة، يكون من حقنا نحن المسلمين أن نتمسك بما يقوله لنا القرآن الكريم وتستطيعون أنتم أن تختاروا ما يجلوا لكم».²

1- المناظرة الكبرى، ص: 103.

2- أخطر المناظرات، ص: 43.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

يبدو أنّ الشيخ أحمد أراد أن يستهل مناظرته بأسلوب قويّ وحازم يجذب فيه بتلايب الحجّة ويبسط مباشرة القضية المتناظر عليها، دون مقدّمات مرصّعة ومزيّنة كما هو شأن مناظريه المسيحيين الذين يتّخذون من السفسطة عنوانا، ومن الكلمات العذبة سبيلا؛ لكي يوهموا الجماهير بصدق القضايا التي يدافعون عنها على الرغم من تناقضها وتهافتها، وهذا هو ديدنهم وسبيلهم في كلّ نقاش وحوار.

ويستخدم المحاجج المسلم أسلوب الشرط عن طريق الأداة "إذا" التي جاءت في خضمّ عامل حجاجي أراد من خلاله أن يسبغ على حجّته منذ بدايتها صفة القوّة والرزانة، فارتبط الشرط مع جوابه بصفة اليقين والتلازم والاقتضاء؛ فالمسلمون قد حزموا أمرهم واختاروا نهجهم وعرفوا طريق الحقّ فاتبعوه، وهم مسلمون بصدق ما جاء في القرآن الكريم حول مسألة موت المسيح وصلبه؛ حيث إنّ القرآن الكريم بيّن ذلك في أكثر من موضع، وأكّد على أنّ النبيّ عيسى لم يُصلب، بل بُجّاه الله من كيد اليهود ورفعاه إليه.

وعليه فما يعجّ به الإنجيل من تضارب وتباين وتناقض في تناول هذه المسألة يجعل إيجاد أريّة للتوافق بين المسلمين والمسيحيين مسدودة؛ فالمسلمون لديهم كتابٌ غير محرّف لم تعبت به أيدي البشر؛ حيث تتساق نصوصه وتعضد آياته بعضها بعضا، بينما تتشاكس وتتهافت نصوص الإنجيل فلا تقف فيه على رأي راجح. ومن هذا المنطلق يؤكّد الشيخ أنّ المسلمين من حقّهم أن يلتزموا بما جاء في كتابهم ويؤمنوا به، ويمكن للنصارى أن يختاروا ما يشاءون وما يحلو لهم من روايات في هذا الشأن على أن لا يلزموا المسلمين بما.

2-3-2-5-المثال الخامس: «وإذا كان العهد القديم قد ذكرها ووصفها بأنها زوجة إبراهيم

فكيف يجوز أن يعود العقد القديم أن يعود العهد القديم ذاته ليصفها في موضع آخر بأنها كانت

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

جارية لسيدنا إبراهيم مع ضخامة النتائج المترتبة على وضعية قطورة في الحالتين بمقتضى منطق بني إسرائيل أصحاب التوراة الأصليين؟»¹.

يتكوّن الكتاب المقدّس من قسمين كبيرين العهد القديم والعهد الجديد، ولا يخلو هذان العهدان من التناقض في محتوياتهما، ومن صور التناقض الواضح الخلط بين الجارية والزوجة، ويبدو قياسا على كلام الشيخ أحمد أنّ اليهود لا يفرّقون بينهما، وقد ترتّب عن هذا نتائج كارثية لما قد يتبادر في أذهان العوام وغير المتخصّصين من تصوّرات وأفهام خاطئة.

ويستخدم الشيخ أحمد عاملا حجاجيا في هذه الفقرة ممثلا في أسلوب الشرط عن طريق أداة الشرط غير الجازمة "إذا"؛ ليبيّن لمحاوجه القسّ السويدي استنالي شوبيرج أنّ العهد القديم قد احتوى نصوصا تماثل بين الزوجة والجارية، فقد ورد فيه أنّ سارة زوجة إبراهيم وهاجر جاريته، في حين ورد في موضع آخر أنّه أخذ زوجة اسمها في قطورة التي عاد العهد القديم نفسه ليصفها في موضع آخر بأنّها جارية².

وعليه فقد تحقّق الارتباط الشرطي بين قضيتين، فلا يمكن أن تنسحب على قطورة صفة الزوجة والجارية في الوقت نفسه، وإذا كان العهد القديم قد وصفها تارة بأنّها زوجة وتارة بأنّها جارية فهذا تناقض واضح جدّا، وسقطة كبيرة في الكتاب المقدّس الذي يدافع عنه المحاجج المسيحي، ويتمحّل ليجد الذرائع والمسوّغات ليقنع الجمهور بأنّ قضيتيه أحقّ بالاتباع والتسليم وأقرب إلى الواقع المنطق، ولا يمكن أن يكون هذا إلّا يدا بشرية عابثة بالنصوص، فلا يمكن أن يوجد التناقض في كلام الرّبّ الحكيم .

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 32.

2-ينظر: الكتاب المقدّس، العهد القديم، ص: 104.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

2-3-2-6-المثال السادس: «إذا أردت دخول مكة فانت في حاجة إلى تأشيرة، فعندما قصدت المحيي إلى الولايات المتحدة فرضت عليّ حكومتكم الحصول على تأشيرة، ونقذت كل الإجراءات المطلوبة للحصول على التأشيرة، هكذا حضرت إلى هنا».¹

يوظف المحاجج المسلم عامل الشرط الحجاجي الذي سبكه بالاسم "إذا" في معرض رده على السائل الذي استفسر منه عن مدى استعداده لمناظرة جيمي سواجارت مرة أخرى في مدينة مكة المكرمة والحيلولة دون إعاقة ذلك، فوجه الشيخ أحمد ديدات السائل في الإجابة إلى الطريق الصحيح الذي يسمح له بدخول مكة، وشرطه الحصول على تأشيرة من المسؤولين في المملكة العربية السعودية، فهم المخولون فقط بذلك، ولا سلطة للمحاجج المسلم هناك؛ لأنه رجل من جنوب إفريقيا، وهو نفسه حين أراد أن يأتي إلى الولايات المتحدة حصل على تأشيرة مصادق عليها بعد أن نقذ كل الإجراءات التي تسمح له بذلك، أما في ما يخص مسألة قبوله المناظرة مرة أخرى، فقد صرح بأنه متأهب منذ الآن لمناظرات أخرى وليس مجرد مناظرة واحدة؛ بل هو مستعد لتقديم «عشرة آلاف دولار عن كل لقاء».²

2-3-2-7-المثال السابع: «إذا كان باستر ستانلي يرد أن يقرأ نصوصا مخجلة كتلك الموجودة بحزقيال فإنني أعطيه الفرصة».³

يتناول الشيخ مسألة النصوص الإباحية الموجودة في سفر حزقيال التي خجل القس جيمي سواجارت أن يقرأها، ولم يقرأها إلا مكرهاً محرّجاً مسرعاً، ويوظف عامل الشرط الحجاجي عن طريق الاسم "إذا" لبيّن للقس استانلي شويبرج أنه مستعد ليعطيه الفرصة الكاملة لقراءة هذه النصوص في حال أبدى قبوله، وامتلك الشجاعة اللازمة لذلك، فشرط حصوله على الفرصة هو مجرد قبوله وإجابته بالإيجاب. والشيخ طبعاً يريد أن يوقع خصمه في موقف محرّج أمام الجماهير،

1-المناظرة الكبرى، ص: 139.

2-المرجع نفسه، ص: 139.

3-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 174.

الفصل الثالث: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في مناظرات أحمد ديدات

كما فعل سابقا مع جيمي سواجارت، خصوصا أنّ طلبه مشروع جدّا، بالنظر إلى أنّ القساوسة النصرى يعدّون كلّ ما ورد بين دفتي الإنجيل دون نقصان كلام الله، ومجرّد شعورهم بالحرج أو إعراضهم عن قراءة هذه النصوص دليل على أنّها ليست كلام الله.

خلاصة الفصل:

نخلص في ختام هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

- الروابط الحجاجية ألفاظٌ تُكسب الخطاب صفة التماسك، والتراصّف، والترتيب، وتُقسّم إلى روابط منطقيّة، وغير منطقيّة.
- لم تحظ العوامل الحجاجية بتناول جوهرى عند الباحثين، على الرغم من دورها الكبير في تقييد وحصر الإمكانيات الحجاجية للخطاب.
- حفلت مناظرات أحمد ديدات بجملة من الروابط الحجاجية، أهمّها: (لكن، بل، لأنّ).
- اهتم المناظر المسلم بتوظيف العوامل الحجاجية في جميع مناظراته (النفي، القصر، الشرط).
- قامت الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية بدور كبير في سبك الخطاب الحجاجي الديداتي، والربط بين الأفكار والقضايا التي أوردها المحاجج المسلم في مناظراته، وكذلك نقض ادّعاءات المحاججين النصرى، وتبيان زيفها وبطلانها.
- هناك تفاوت في توظيف الروابط والعوامل الحجاجية بين المناظرات الخمس المدروسة، ومردّد ذلك إلى اختلاف الموضوع المناقش، وكمية الحجج والبراهين المبسوطة على طاولة الحوار.
- عضد المحاجج المسلم الآليات الحجاجية اللغوية التي وظّفها في جميع مناظراته بجملة من البراهين العقلية والنقلية التي تزيد حججه قوّة وإقناعاً.
- يمكن القول إنّ أقوى العوامل الحجاجية هو النفي الذي كانت له اليد الطولى في ترجيح كفة المحاجج المسلم؛ حيث أعطى خطابه قوّة وحصانة تجلّت في نقض القضايا الكاذبة التي يعرضها الخصم، ممّا يهزّ أركانه ويجرجه، ثم وضعه في مأزق كبير بعرض القضية الصحيحة.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار

في مناظرات أحمد ديدات

■ حجاجية الاستفهام

○ الاستفهام التقريري

○ الاستفهام الإنكاري

○ استفهام السخرية والتهكم

■ حجاجية التكرار

○ تكرار الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية

○ تكرار المفردات

○ تكرار التراكيب والأساليب

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

توطئة:

تنتقل الدراسة من مدار تناول حجاجية الروابط والعوامل إلى فلك حجاجية الأساليب، التي مبنها على تضافر الكلم مع الكلم والنظر في المستجلى من فوائد تؤديها في الكلام، فتتجاوز البعد النسقي التركيبي الرصفي إلى القيام بوظائف حجاجية تسهم في سبك خطاب المناظر، وتزيد من قوة الشحنات الإقناعية.

وعلى الرغم من أن المناظرات جاءت شحيحة في الشق الحجاجي البلاغي الذي غابت عناصره تمامًا (الكناية، الاستعارة، المجاز، الطباق، المقابلة) إلا أن أسلوب الاستفهام والتكرار تصدراً قائمة الأساليب التي وظفها المحاجج المسلم في إطار مناظرته لخصومه المسيحيين من أجل بزهم بالحجة الواضحة وتقريعهم بالدليل القاطع.

وتفتق القيمة البلاغية للاستفهام في كونه أحد عناصر الاشتغال الحجاجي في المناظرات؛ إذ يسط شبكته على كل أطوارها، وبالنظر إلى كونها خطاباً ضدياً يسير في اتجاهين مختلفين، وتقوم على مبدأ الاختلاف بين الذوات في مقارنة القضايا المبسطة على طاولة الحوار، فإن السجال والجدال الذي يشكل قيمتها المهيمنة مبناه على السؤال الذي يعد الوسيلة الأكثر استعمالاً في أي مواجهة اقتناعية تجري بين طرفين، وأداة المطارحة الكفيلة بمساءلة اعتقادات الآخر، واستجواب قناعاته.¹

أما التكرار فيؤكد منظرو الدرس الحجاجي على أهميته بوصفه وسيلة يرمي من خلالها المحاور إلى عرض خطابه عرضاً حجاجياً، لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها، ونجد المناظر المسلم مهتمًا بالتكرار في كلامه بشكل كبير، فهو ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الدارس الذي يدرس الخطاب الحجاجي ويحلل نفسيته صاحبه، ويضع في أيدينا مفتاح الفكرة المتسلطة على المناظر.²

1- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 207.

2- ينظر: عصام شرتج، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005 م، ص: 7.

* آليات الحجاج البلاغي:

استوعبت البلاغة الحديثة نظيرتها القديمة عن طريق التنسيق والنقد ثم إعادة البناء؛ ولذلك ستحضر البلاغة الغربية القديمة من خلال القراءة الحديثة. وهذا الوضع بخلاف ما عليه الأمر في الدرس العربي؛ حيث ما تزال البلاغة القديمة ناطقة باسمها، غير مستوعبة ولا مستقرّة في الدرس الحديث؛ بل جرى تحييطها وتقديمها في ثوب خلقٍ بالٍ حسب رأي أحد الباحثين المعاصرين في هذا الحقل المعرفي اللغوي.¹

ولا شكّ في أنّ علاقة البلاغة بالحجاج مثيرة ومعقّدة؛ ولذلك فهي تبسط تساؤلات اهتّم بالإجابة عنها القدامى قبل المحدثون، وأعاد المحدثون بسط التصوّر القديم في ثوب جديد، مستنديين إلى ما وصلهم من أفكار وآراء ونظريات، منطلقين في ذلك من فكرة أساسية جوهرها أنّ المخاطب الحجاجي يروم أن يقوّي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس.²

والحجاج ليس علمًا يوازي البلاغة، فهو حقل معرفي يمتح وينهل من حقول معرفية كثيرة، ويفتح الباب على مصراعيه لاقتراض ترسانة من الأدوات التي توظّف للإقناع والبرهان. وعليه فمن اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب، وهذا واضح وبيّن، حتى إنّ كثيرين يطلقون عليه اسم البلاغة الجديدة؛ بالنظر إلى العلاقة الوطيدة التي تربط بين هذين الحقلين المعرفيين.³

وأهمية الوسائل البلاغية تتمثل في ما توفره من طاقة تحرك وجدان المتلقّي، وهذا ما يسعى إليه الدرس الحجاجي؛ لأنّ الحجاج يقوم على درس تقنيات خطابية إقناعية متنوّعة من شأنها أن تؤدي

1- ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة، بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2012م، ص: 61.

2- ينظر: أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، تر: محمد العمري، مجلة علامات في النقد، ج22، 1996، ص: 89.

3- ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص: 50.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، فتجعل ذهن المتلقي في حالة قبول لما عُرض عليه من حجج وبراهين يبسطها المحاجج لتثبيت دعوى معينة أو تدحضها.¹

ومدار هذا الفصل إذن مقارنة تروم محاولة استشفاف مدى إسهام أسلوب الاستفهام والتكرار في سبك الخطاب الإقناعي المحججي عند الشيخ أحمد ديدات أمام خصومه، بالنظر إلى جنوح الشيخ إلى توظيفهما بشكل واسع، وفي مواضع مختارة، حتى يؤدّيا دورهما في ترجيح كفته أمام المناظرين المسيحيين.

I- حجاجية الاستفهام:

كلّ كلام - كما هو مشهور - إمّا خبر وإمّا إنشاء، والخبر ما يصحّ أن يقال لقائله: إنّه صادق فيه أو كاذب، كسافر محمّد، وعليّ مقيم، والإنشاء ما لا يصحّ أن يقال لقائله ذلك، مثل: راجع دروسك، ولا تضحك. وينقسم الإنشاء إلى طلبيّ وغير طلبيّ؛ فالطلبيّ ما يستدعي مطلوباً حاصلًا وقت الطلب، وغير الطلبيّ ما ليس كذلك، والأوّل يكون بخمسة أشياء: الأمر والنهي، والتمني، والنداء، والاستفهام.²

والاستفهام أهمّ فروع الإنشاء على الإطلاق؛ لأنّ الإنسان منذ وجوده مدفوع - بحكم غريزته - إلى حب الاكتشاف والاستطلاع والبحث في ما يحيط به من الكائنات بالتأمل والتفكير؛ وإن عجز فالاستفهام والتساؤل، ولذلك فقد اهتمّ به العلماء قديماً وحديثاً، وتناولوه من نواحٍ عديدة صوتيّة، ونحويّة، وبلاغيّة، وتداوليّة، وحجاجيّة.³

1- ينظر: عبد الرحمن بن حمدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع 19، ج 2، 2018م، ص: 10.

2- ينظر: حفي ناصف وآخرون، دروس البلاغة، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1433هـ-2012م، ص: 30.

3- ينظر: محمد إبراهيم شريف البلخي، أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، مخطوطة، قسم الأدبيات، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، 2007م، ص: 15.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

1- مفهوم الاستفهام لغةً واصطلاحًا:

1-1- الاستفهام لغةً: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور: «الْفَهْمُ مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءِ

بِالْقَلْبِ... وَفَهَمْتُ الشَّيْءَ: عَقَلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ... وَتَفَهَّمْتُ الْكَلَامَ: فَهِمْتُهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.. وَاسْتَفْهَمْتُهُ

سَأَلْتُهُ أَنْ يُفْهِمَهُ، وَقَدْ اسْتَفْهَمَنِي الشَّيْءُ، فَأَفْهَمْتُهُ وَفَهَّمْتُهُ تَفْهِيمًا».¹

وجاء في معجم الصحاح للجوهري: «اسْتَفْهَمْتُ فَلَانًا طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُفْهِمَنِي، فَأَفْهَمَنِي

وَفَهَّمَنِي إِيَّاهُ».²

من خلال النظر في المعاجم العربية نجد أنّ معنى الاستفهام لغة هو: طلب الفهم والإفهام.

1-2- اصطلاحًا: هو طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلًا عنده ممّا

سأل عنه،³ ومعنى ذلك أنه أسلوبٌ يطلبُ من خلاله العلم بشيءٍ لم يكن معلومًا من قبل

بإحدى أدوات الاستفهام، كقولك: هل لديك نقود؟ فتجيب السائل بالنفي أو الإيجاب.⁴

2- أدوات الاستفهام:

أهمّ أدوات الاستفهام هي الهمزة، وهل، وما، ومن، ومتى، وأيان، كيف، وأين، وأنى، وكم،

وأى.⁵ أمّا الهمزة وهل فحرفان، وأمّا باقي الأدوات فأسماء.

1- ينظر: ابن منظور الأفرقي، لسان العرب، 459/12.

2- الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد ت 393هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1404هـ-1984م، 2005/5.

3- ينظر: السيوطي (عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيرى ت 911هـ)، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1985م، 43/7.

4- ينظر: عبد الكريم محمد يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه وإعرابه، مكتبة الغزالي، دمشق، ط1، 2000م، ص: 7.

5- ينظر: عبد الفتاح فيود بسيوني، علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ-2015م، ص: 379.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

وتنقسم أدوات الاستفهام بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:¹

1- ما يُطلب به التصوّر تارة والتصديق مرّة أخرى، وهو: الهمزة.

2- ما يطلب به التصديق فقط، وهو: هل.

3- ما يطلب به التصوّر فقط، وهو: بقية ألفاظ الاستفهام.

3- أغراض الاستفهام:

لا شكّ في كون الغرض الأصلي للاستفهام - كما سبق البيان - هو طلب معرفة أمر لم يكن حاصلًا ومعلوماً عند المستفهم قبل الطلب، إلا أنّ العلماء العرب من نحويين، وبلاغيين، ومفسّرين، من خلال استقراء ودراسة النصوص والشواهد المختلفة شعراً ونثراً وقرآناً وحديثاً بيّنوا أنّه يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراضٍ أخرى تُستجلى من سياق الكلام.* ومن أهمّ هذه الأغراض: التوبيخ، والتعجب، والتمني، والإنكار، والتسوية، والنفي، والاستبطاء، والاستبعاد، والتحدي، والتعجيز، و السخرية، والتحقير.²

وينتقد أحد الباحثين إطلاق البلاغيين المتأخرين اسم "المعاني المجازية للاستفهام" على الأغراض التي يفيدها الاستفهام؛ ذلك أنّ المتقدمين من البلاغيين لم يتحدثوا على وجه الاستدلال عن تلك المعاني؛ وإنما بينوا أنّها معانٍ تُستنبط من سياق الكلام والوقوف على قرائن أحواله، أمّا المتأخرون فقد نهجوا سبيل التكلف والشطط، وتمحلّوا في الربط بين المعنى الأصلي والمعنى البلاغية المستفادة. ومن جهة أخرى فالمعنى الأصلي للاستفهام الذي هو طلب الفهم من المخاطب وإثارته وتحريك ذهنه يبقى جارياً عند الاستفهام متساوياً مع المعاني البلاغية، ومزّية أداء هذه المعاني

1- ينظر: السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص: 78.

*- من بينهم: سيبويه، وعبد القاهر الجرجاني، وابن جني، والمبرد، وابن قتيبة، والزمخشري، وأبو حيان الغرناطي، والأمدی.

2- ينظر: علي الجارم، مصطفى أمين، دليل البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 103-

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

بطريقة الاستفهام على أدائها بطرقها المعهودة المعروفة، ترجع إلى بقاء معنى الاستفهام في تلك الأدوات.¹

4- الاستفهام في الدرس الحجاجي:

في الدرس الحجاجي يصنّف الاستفهام واحداً من أهمّ البنى الحجاجية، والأدوات الاستفهامية مُعينة بشكل كبير للمتكلم وداعمة له في سبيل الأخذ بيده إلى دائرة الإقناع، ولأساليب الطلبية التي يعدّ الاستفهام أحدها علاقة وطيدة بالمقام الحجاجي؛ لأنها وسيلة قويّة لإثارة الآخر، ودفعه للإعلان عن موقفه، تجاه ما يطلب منه أو ما يعرض عليه من أفكار وأسئلة، فالأساليب الإنشائية خلافاً للخبرية لا تنقل واقعا، ولا تحكي حدثا، فلا تتحمل تبعاً لذلك صدقا أو كذبا؛ وإثما تثير المشاعر، وكذلك تعدّ ركيزة كثيرا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي؛ لذلك فإنّ إثارة الأسئلة والأسئلة المضادة هي جزء فاعل ومؤثر في سياق اللعبة الحجاجية.²

والسؤال في المناظرة يتمتع بكونه تحلياً دائما لمشكل مبسوط تنبغي معالجته والبحث عن حلول له، والسعي وراء تلمس إجابات ترجح كفة كلّ مناظرٍ، وكذلك وضع الطرف الآخر في مأزق وتبكيته وإفحامه. وعلى هذا فهو يقتضي التفاعل بين الذوات المعنية به؛ أي انخراطها التخاطبي في التفاوض حوله، وبهذه الطريقة يصبح محرّكا وازنا للسّجال الفكري الإيديولوجي بين المتناظرين؛ فيسهم في إنتاج كثير من الأقوال التي تقدّم نفسها في صورة حسم للسؤال أو على الأقلّ تقدّم الجواب المناسب عنه؛ ولأنّ المناظرة مطارحة معرفيّة، فإنّ بناء قضاياها يتوقّف على مسألة إنتاج مستمرّ ومتواترٍ للأفكار التي يدي بها المتحاوران، هذه الأجوبة تنتج عن البحث الذي ينتج بدوره عن السؤال.³

1- ينظر: عبد الفتاح فيود بسيوني، علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ص: 393.

2- ينظر: حجّت رسولي، رائد عبود شنان، حجاجية السؤال في المناظرة الأدبية، مناظرة رثيف الخوري وطه حسين نموذجا، مجلة دراسات في نقد الأدب العربي، جامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران، مج 8، ع 1، 2018م، ص: 76.

3- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 207.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

والملاحظ في مناظرات الشيخ أحمد ديدات مع النصارى استخدام المحاجج المسلم أسلوب الاستفهام الحجاجي بشكل كبير، وهو لا يروم من وراء توظيفه -حسب رأينا- البحث عن أجوبة يجودُّ بها المحاجج المسيحي؛ لأنَّ الشيخ يطرحُ أسئلة يعرف إجابتها مسبقاً، بل يقوم في كثير من الأحيان بدور السائل والمجيب، وهو يدري يقينا أن خصمه لن يجيب عن أيِّ سؤال، أو يتوقَّع إجابة روتينية معتادة، وعلى ذلك فغرضه أساساً إحراج الخصم ووضع في مأزق يزيد من سقوطه، ويعجّل بزرع بذور هزيمته واندحاره.

5-التقنيات الاستفهامية الإقناعية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

5-1-الاستفهام التقريري:

يقوم بتقرير فكرة من الأفكار، و«هذا النوع من السؤال عملية استنتاجية وليست استفسارية»¹، فيُرام من ورائه تقرير المخاطب بشيء ثبت عنده، لكنك تخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام؛ ذلك لأنَّه أوقع في النفس، وأدل على الإلزام.² والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب، وحقيقة استفهام التقرير أنَّه استفهام إنكار، والإنكار نفى، وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات.³ ويهدف المناظر من خلال التقرير الإشهاد على ما يتبنّى خصمه، لا سيما وأنَّ المناظرة تتم في مجلس وبحضور جمهور، كما يهدف أيضاً من خلال التقرير تأكيد اعتقاد خصمه بوضوح حتى يحصره فيه، درءاً لأيِّ تلبس أو تنصّل بعديين من هذا الاعتقاد؛ فيتأتى للمناظر أن يناظر على أرضية واضحة.⁴

والجدول الآتي يوضح الاستفهامات التقريرية الواردة في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

1-حجّت رسولي، رائد عيود شنان، حجاجية السؤال في المناظرة الأدبية، ص: 90.

2-ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، إربد، ط4، 1414هـ-1997م، ص: 190.

3-ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م، 190/1.

4-ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 210.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

المناظرة	الصفحة	الاستفهام التقريري
المناظرة الكبرى	97	هل أنا محقّ؟
المناظرة الكبرى	107	ألا ترون أننا أصبحنا كآلة في كلّ ما نشاهد وكل ما نقرأ؟
المناظرة الكبرى	121	أتعلمون أن الخليفة عثمان أمر بجمع القرآن في مصحف واحد؟
المناظرة الكبرى	122	فهل تتوقعون أن أتركه كما هو؟ ألا تقتضي الأمانة أن أفعل ذلك؟
المناظرة الكبرى	122	هل يلفظها الحمد أو الحمد؟
المناظرة الكبرى	139	هل أنت على استعدادٍ لمناظرة الأخ سواجارت في الولايات المتحدة في مختلف المدن؟
المناظرة الكبرى	142	هل فهمت؟
مناظرة العصر	60	هل عيسى إله؟ هل ادّعى عيسى أنّه إله؟ هل قال أنا إله؟ هل قال اعبدوني؟
مناظرة العصر	90	أليس موجودا في إنجيلكم؟
مناظرة العصر	90	ألا تقرؤون الإنجيل؟
مناظرة العصر	95	هل يكون أنيس إلهي؟
أخطر المناظرات	43	هل يمكن أن يكون هناك توضيح وتحديد لنهاية شأن

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

المسيح -عليه السلام- مع قومه أكثر من هذا التوضيح وهذا التحديد؟		
هل صلب المسيح أم لم يصلب؟ هل مات المسيح على الصليب من جراء الصلب أم أنه لم يموت؟	44	أخطر المناظرات
هل شاهد شخصا أمامه؟ هل ادّعى هذا الشخص أنه من لحم وعظم هل أكل هذا الشخص شيئا أمام شاول؟	49	أخطر المناظرات
هل الإنجيل هو حقًا كلام الله؟	18	مناظرة ستوكهولم الأولى
هل كانوا ينتظرون خارج البيت طوال الليل لكي يقتلوه في الصباح؟	34	مناظرة ستوكهولم الأولى
هل صادر هذه الكلمات وحذفها من الإنجيل علماء المسلمين؟ هل صادرها وحذفها علماء اليهود؟	66	مناظرة ستوكهولم الأولى
هل جاء على لسان عيسى أنا إله؟ هل قال اعبدوني؟	135	مناظرة ستوكهولم الثانية
هل أنا أقتبس ذات أقوال المسيح كما وردت بالإنجيل سيدي؟	138	مناظرة ستوكهولم الثانية
هل قال عيسى ذلك؟ هل قال عيسى أنا خلقت السموات والأرض؟	147	مناظرة ستوكهولم الثانية
أليس هذا قصد الله ومراده أيضا؟	179	مناظرة ستوكهولم الثانية

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

جنح المحاجج المسلم إلى توظيف عدد معتبر من الاستفهامات التقريرية في جميع مناظراته أمام خصومه المسيحيين في معرض محاولته هدم أركان دين النصارى، من خلال كشف الزيف والخداع فيه، وتتبع السقطات والهناات التي يعج بها وترجيح كفته، واستمالة الجماهير الحاضرة في القاعات التي جرت فيها المناظرات الخمس. وهو باستخدامه هذا الأسلوب لا يرمي إلى تحصيل إجابة من المحاجج المسيحي، فهو غالباً يعرف ماهية الإجابة، ويدري مظاهها، ويحيط بكنهها، وما طرحه للسؤال إلا ذكاءً عصاميّ يروم من ورائه إحراج الخصم ووضع في مأزق، وإلزامه بشيء يجب عنه بنعم أو لا أو بصمت مطبق، يكون لاحقاً سجنًا يكبله فيه، ويقوم باستحضاره في ما هو آتٍ من مجريات المناظرة، وفي كثير من الأحيان يغيب الاتساق عند الخصم، ويتناسى مبدئاً كان أقره، ويلتفت ويماري، فيقع في فخ كبير، ويُحشر في زاوية يتلقى فيها كمًا هائلًا من الضربات الحجاجية المؤلمة.

ففي المناظرة الكبرى جرى تقديم الإنجيل الذي يتعبد به البروتستانت الذين يعدّون حزب سواجارت، وهو إنجيل يخالف إنجيل ديوي الذي يتعبد به الكاثوليك، وينقص إنجيل السيد سواجارات بسبعة أسفار عن إنجيل ديوي.¹ ومن أجل وضع أرضية اتفاق وانتزاع اعتراف المحاجج المسيحي بيسط الشيخ أحمد سؤالاً مبناه على التقرير "هل أنا محق؟" وهو طبعاً محق، والإجابة هي نعم؛ لأن المناظر المسيحي لم ينفك يمدح إنجيله المزعوم في الوقت الذي خصص له، فهو البادئ بالسجال مفتخرًا مزهوًا، لكن صمته وإعراضه لاحقاً عن الإجابة فيه بيان كافٍ وشفافٍ ورضًا وتسليم، فهو عن طريقه يقر ويسلم بهذه الحقيقة.²

ثم بعد تطرق الشيخ لموضوع الكتب التي ألفها القس جيمي سواجارات، وكذلك القصص الجنسية المبتذلة التي وردت في الإنجيل، يستشهد بما توصل إليه كثير من الباحثين في كون القراءة تؤثر بشكل كبير على القارئ، فهي تعمل في ذهنه ونفسيته دون إرادة منه، والذي تعود قراءة

1- ينظر: المناظرة الكبرى، ص: 97.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 97.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

المواضيع السافلة والمبتذلة، سينجذب إليها وتصبح عنده عادة ويستمرئها ثم يستبيحها،¹ ويختتم حججه باستفهام تقريرى يروم من ورائه الحصول على تأييد وموافقة الجماهير لما بسطه من حجج قائلا: "ألا ترون أننا أصبحنا كالألة في كل ما نشاهد وكل ما نقرأ؟".

وفي موضع آخر يستحضر المحاجج المسلم ما قاله القسّ جيمي سواجارت عن حرق الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه للقرآن، ويجاول توظيف هذه النقطة في صالحه، ويبحث عن توضيح هذه الفكرة وتجليتها،² ودفع التهمة الباطلة فيستخدم استفهاما تقريريا: "أتعلمون أنّ الخليفة عثمان أمر بجمع القرآن في مصحف واحد؟"، حتى يقرّر هذا المعنى ويثبتته، ويبيّن للجماهير الحاضرة أنّ غرض عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع القرآن في مصحف واحد، حتى تجتمع الأمة على قراءة واحدة مصدرها النبي صلى الله عليه وسلّم.

ثمّ يستغلّ الشيخ هذه النقطة لصالحه أيضا لكي يهاجم المحاجج المسيحي الذي لفظ الأسماء العربية "عمر، وعثمان" بشكلٍ محرّف يجعلها تبدو كأسماء أشخاص آخرين، ويبيّن أنّ النطق الصحيح لهذه الأسماء مهمّ جدّا، وهو لا يقبل أن يسجّل أحد هذه المناظرة ويكتب الأسماء كما نطقها سواجارت،³ ويطرح استفهاما تقريريا: "فهل تتوقعون أن أتركه كما هو؟"، ثم يعزّزه بآخر لطلب أقرار المتلقين من الجماهير وإقناعهم بأنّ الأمانة العلمية تقتضي منه فعل ذلك، يقول: "ألا تقتضي الأمانة أن أفعل ذلك؟"

وفي الإطار ذاته يبيّن الشيخ أنّ التحريف في القراءة والنطق كان انتشر في ذلك الوقت؛ أي في مدّة خلافة "عثمان بن عفان"، وهذا شيء طبيعي جدّا؛ إذ إنّ كثيرا من الأجانب يرتكبون أخطاءً حين يتكلّمون بغير لغتهم، والمحاجج المسيحي نفسه سقط في هذا الفتح؛ حيث حرّف اسمي "عثمان وعمر" رضي الله عنهما، ولتوضيح الفكرة أكثر يضرب مثلا بآية "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 107.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 121.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 122.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

العالمين" التي قد تسبب لبسا للقارئ حين لا تكون مشكولة،¹ ويطرح استفهاما تقريريا هل يلفظها (الحمد) أو (الحمد)؟ لتثبيت فكرته وتجليتها أكثر.

وفي فقرة الأسئلة والأجوبة يُنشئ الشيخ في الإجابة عن السؤال الذي تم طرحه عليه؛ ولأنّ السؤال كان فيه نبرة من التحدي، فهو يستفزّ الشيخ لمعرفة رأيه حول مناظرة سواجارت مجددا في مدينة مكة، ف جاء ردّ الشيخ محمّلا بكل معاني الشجاعة والإقدام،² ومصدرا باستفهام تقريري: "إذا كان السؤال هل أنت على استعداد لمناظرة الأخ سواجارت في الولايات المتحدة في مختلف المدن؟" ويجب بأنّه مستعد منذ الآن؛ بل هو مستعد لكي يدفع من أجل ذلك.

ويحاول الشيخ أن يبيّن لأحد الجماهير الذي تقدّم بسؤال أنّ هناك فرقا كبيرا بين نصوص الإنجيل ونصوص القرآن؛ فالأول محرّف عبثت به أيدي البشر، وغيروا نصوصه، وحذفوا كثيرا منها، بما يتماشى وأهواءهم وأغراضهم، بينما الثاني محفوظ لا يزال كما هو منذ أنزله الله تعالى على رسوله، وهناك فرق إذن بين التغيير الذي ينتج عن الترجمة، ومداره الاختلاف في اصطفاء الكلمات مع الاحتفاظ بالمعنى ذاته، والتحريف الذي مداره العمد إلى التزييف والخداع.³ ثم يوظّف الشيخ استفهاما تقريريا لانتزاع اعتراف المخاطب: "هل فهمت؟".

وتتأجج فورة الاستفهام التقريري في مناظرة العصر بين الشيخ أحمد والدكتور أنيس شروش في مدينة برمينغهام؛ فبعد أن حاول القسّ الفلسطيني عبثا إثبات ألوهية المسيح دون أن يأتي ببرهان بيّن، يقف الشيخ أحمد شامخا،⁴ ويفتح دوره بثلاثة استفهامات تقريريّة: "هل ادّعى عيسى أنّه إله؟ هل قال أنا إله؟ هل قال اعبدوني؟" وهو يعلم في قرارة نفسه أنّ المسيحيين أجمعين ستكون إجابتهم نعم، فهم يعدّون المسيح إلههم، في حين ينطلق هو من فكرة مفادها أن المسيح

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 122.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 139.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 142.

4- ينظر: مناظرة العصر، ص: 60.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

لم يقل ذلك، وعلى هذا تبدأ رحلة تفنيد ألوهية المسيح، ومعه إلزام المحاجج المسيحي والجمهور المسيحي بما يرون والتثبت من إجاباتهم، حتى يلجمهم بالإلزام الذي سيكون ضربة قاصمة لهم حين يثبت بالدليل أن المسيح لم يقل قط أنه إله.

ومن أكثر المواقف إحراجا للمدعي المسيحي وجمهوره طرح المحاجج المسلم استفهاما تقريريا يقول فيه: من رأى أو سمع هذا النص من نصوص العهد الجديد الذي يقول: «فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد»¹ من منكم سمع أو قرأ هذا النص؟ أليس موجودا في إنجيلكم؟ ألا تقرأون الإنجيل؟ وجاءت الإجابة صاعقة، فقد صمت شروش وصمت الجميع، ولم يجب واحد منهم،² وقد ضرب الشيخ أحمد من خلال هذا الاستفهام عصفورين بحجر واحد، فهو من جهة يثبت أن هذا النص موجود في إنجيل الكاثوليك، والأرثوذكس، بينما جرى حذفه من الإنجيل المنقح، وكثير ممن يتعبدون بالطبعة المنقحة لا يعرفونه ويجهلون؛ لأنه تم حذفه، ومن جهة أخرى يبين جهل النصارى بكتابتهم وعدم قراءتهم له، فهم يدافعون عن شيء لا يحيطون بمداركه!

وفي إطار تناول الشيخ لعبارة "يا إلهي" التي وجهها الحواري "توما" للمسيح حسب الإنجيل، يؤكد أنها جاءت في سياقٍ مخصوص؛ فبعد أن ظنّ الحواريون أن المسيح صُلب ومات - وهم بالمناسبة لم يحضروا عملية الصلب والدفن؛ لأنهم هربوا - دخل عليهم يسوع الحجرة العلوية التي كانوا يجتمعون فيها، وراه "توما" فدهش، وزادت دهشته وحيرته حين شرع عيسى يأكل السمك، فقال "يا إلهي" ليعبر عن ذهوله وتعجبه،³ ثم يوظف الشيخ استفهاما تقريريا: عندما أحاطب (أنيس): يا إلهي. هل يكون أنيس إلهي؟، وهو يريد انتزاع إقرار واعتراف الجماهير بأن مناداته لشروش يا إلهي لا تجعل منه إلهًا.

1- الكتاب المقدس، العهد الجديد، ص: 779.

2- ينظر: مناظرة العصر، ص: 60.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 95.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

وفي أخطر المناظرات ينطلق المحاجج المسلم كعادته بكلّ قوّة واقتدار ويبدوها بتلاوة آية قرآنيّة كريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾¹، ثمّ يشرع في ترجمة معانيها للجمهور باللغة العربيّة؛ لأنّ أغلبهم من المسيحيين الذين لا يفقهونها،² ثمّ يطرح استفهاما تقريريا "هل يمكن أن يكون هناك توضيح وتحديد لنهاية شأن المسيح عليه السّلام مع قومه أكثر من هذا التحديد؟" وهو يريد أن يثبت هذه الحقيقة التي يؤمن بها هو والمسلمون، ومع أنّه يعلم أنّ المسيحيين لا يؤمنون بالقرآن ولا بنبوّة محمد، وبالتالي فهو يعرف رأيهم في هذه الآية ومعناها، إلّا أنّ هذا لم يمنعه من تلاوتها وشرحها.

وبعد لحظات قليلة يطرح المناظر استفهاما تقريريا آخر³ "هل صلب المسيح أم لم يصلب؟ ونريد أن نعرف هل مات المسيح على الصليب من جراء الصلب أم أنّه لم يمّت؟" والشيخ هنا لا يطرح سؤالاً فعلياً يبحث عن إجابته بل يقرّر حقيقة مختلفا فيها بين المسيحيين والمسلمين ولا يتوقّع إجابة مغايرة من أحد الفريقين؛ لأنّه بصير مدرك لرأي كلّ فرقة دينيّة حول الموضوع، ولكنّه يضع بلاط الأرضيّة التي سيكون النقاش والسّجال حولها، ويبينها ويوضّحها لجميع الحاضرين حتى يلزم المحاجج المسيحي بما سيتجلّى من نتائج لاحقة، والسؤال هنا محصور وليس مفتوحاً بين خيارين لا ثالث لهما.

وفي معرض مناقشة الشيخ لمسألة الصلب يتناول قصّة القديس بولس الذي كان اسمه شاول، وعُرف بكونه واحداً من مضطهدي النصارى؛ لكنه بعد ذلك أصبح قديساً عظيماً!⁴ ويطرح الشيخ جملة من الاستفهامات التقريرية التي يعرف إجابتها، ويريد من ورائها إثبات الفكرة وإلزام

1-النساء/ 157.

2-ينظر: أخطر المناظرات، ص: 43.

3-ينظر: المرجع نفسه، ص: 44.

4-ينظر: المرجع نفسه، ص: 49.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

خصمه بهذه الحقيقة "هل شاهد شاول شخصا أمامه؟ لا. هل ادعى هذا الشخص أنه من لحم وعظم؟ لا. هل أكل هذا الشخص شيئاً من طعام أمام شاول؟ لا" وبالطبع لا يمكن للمحاجج المسيحي أن يتصل أو يعارض؛ لأن هذه هي الحقيقة التي جاءت في الإنجيل، فكل ما سمعه شاول هو صوت يقول له "لماذا تضطهدي؟"¹.

وفي مناظرة ستوكهولم الأولى يستخدم المحاجج استفهاماً تقريرياً في بداية مناظرته مع القسّ السويدي ستانلي شوبيرج، من أجل وضع الإطار الذي ستدور في فلكه المناظرة ولا تخرج عنه،² "هل الإنجيل هو حقاً كلام الله؟" وهو طبعاً لا يرمي من ورائه الحصول على إجابة القسّ السويدي أو إجابة الجماهير المسيحية الحاضرة؛ لأنه يعلم أنّ المسيحيين يقدّسون الإنجيل، ويعدّونه كلام الله، والمسلمون لا يعترفون يعدّونه كلام الله، والمقصود هنا هو الإنجيل المتوقّر حالياً؛ لأنه تعرّض للتزييف والتحريف، لا ذلك الإنجيل الذي جاء به عيسى وضاع واندثر كله أو جلّه.

وفي المناظرة نفسها يتناول الشيخ مسألة الانحرافات في الكتاب المقدّس، والأمر هنا متعلّق بقصّة شمشون في سفر القضاة،³ حيث يطرح استفهاماً تقريرياً "هل كانوا ينتظرون خارج البيت طوال الليل لكي يقتلوه في الصباح؟ هذا هو ما يقوله الكتاب المقدّس"، فالشيخ لا يروم من وراء هذا الاستفهام الحصول على إجابة، بل تثبيت الأمر وتقريره، وأيضاً إلزام الخصم المسيحي بهذه الحقيقة التي لا يمكنه ردّها بعدها واردة في الإنجيل الذي يتعبّد به، والذي يقول إنّ الناس كانوا يريدون قتل شمشون؛ لأنه دخل إلى دار بغاء.⁴

ويستخدم الشيخ استفهاماً تقريرياً في موضعٍ آخر من هذه المناظرة استمراراً لتناول مسألة التّحريف في الكتاب المقدّس⁵ "هل صادر هذه الكلمات وحذفها من الإنجيل علماء المسلمين؟

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 49.

2- ينظر: مناظرتان في ستوكهولم، ص: 17.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 34.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 34.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 66.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

هل صادرها وحذفها علماء اليهود؟" ويروم من خلاله إقرار المحاجج المسيحي واعترافه بأن المسلمين وحتى اليهود، ليسوا هم من يتحملون ذنب هذا التحريف، فمن قام بحذف هذه الكلمات والعبث بالكتاب المقدس هم علماء المسيحية، ونجد أن الشيخ بالرغم من الخلاف التاريخي الناشب بين المسلمين واليهود إلا أنه كان منصفًا، فلم يتهمهم بالتزوير، بل برأهم وحمل النصارى الذنب وحدهم.

ويستهل المحاجج المسلم مناظرة ستوكهولم الثانية بمناقشة مسألة تأليه المسيح بين الحقيقة والادعاء، وي طرح الشيخ استفهاما تقريريا ليقوي رصيده الحجاجي¹ "هل يقول على لسان عيسى أنا إله؟ كلاً هل قال اعبدوني كلاً؟" ويرمي من ورائه تثبيت حقيقة أن يوحنا لم يقل في إنجيله إن عيسى ادعى الألوهية ولا توجد فقرة واحدة تشير إلى ذلك، وما يزعمه النصارى مجرد افتراءات وتخريصات، ولا دليل عليها. ونلاحظ هنا أن الشيخ لا يبحث عن إجابة بل يبحث عن تقرير وتثبيت أمر يلزم به خصمه.

وبعد أن يسرد الشيخ عددًا كبيرًا من الحجج النقليّة المتنوعة التي استقاها من الإنجيل بعهديه القديم والحديث، من أجل الدفاع عن قضيته وترجيح كفته² يوظف استفهاما تقريريا من أجل الحصول على اعتراف المخاطب المسيحي بصحة ما نقله "هل أنا أقتبس ذات أقوال المسيح كما وردت بالإنجيل يا سيدي؟" والشيخ هنا حسب رأينا يعلم علم اليقين أنه محق، فقد قضى سنين طويلة يحاور المسيحيين من كتابهم، فهو يحفظ الإنجيل عن ظهر قلب. وقد صمت الجميع ولم يجب أحد.³

وفي المحور نفسه، وبحثًا عن نفس الادعاء الباطل بألوهية المسيح اتساقا مع ما سبق يوظف الشيخ استفهامًا تقريريًا آخر في مدار الحديث عن الخلق "هل قال عيسى ذلك؟ هل قال عيسى

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 135.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 138.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 138.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

أنا الذي خلقت السماوات والأرض؟ لا" وعيسى لم يقل ذلك، والمسيحي يعلم أنه لم يقله، وبالنظر إلى تمكن الشيخ من الإنجيل، وقراءته لأغلب نسخه وطبعاته فإن المسيحي لا يمكنه أن يقع في خطأ فادح ويقول عكس ذلك، وعليه فقد صمت كالعادة، واستطاع الشيخ بهذا تثبيت حجته، وإلزام خصمه بها.¹

ويتحدث الشيخ عن سياق ورود مقولة «أنا والآب واحد» في إنجيل القديس يوحنا؛ أي إن غرضهما واحد مشترك، وهو هداية الناس إلى الحق، وتوجيههم نحو الصراط المستقيم، ومحاربة الاعتقادات الخاطئة والبدع الزائفة التي انتشرت في المجتمع اليهودي الذي سيطر عليه كهنة لا يهتم سوى ملكهم الزائل، فهم يلهثون وراء أغراضهم الدنيوية،² فيستخدم استخداما تقريريا لتثبيت هذا المعنى الذي كان غائبا عن أذهان كثير من النصارى: "أليس هذا هو قصد الله ومراده أيضا؟"، والمعنى أن هذا هو قصد الله ومراده؛ ومداره هداية الناس وإرشادهم، ونسف الأباطيل الزائفة، ومحاربة الأفاك التي يضح بها الدين اليهودي.

5-2- استفهام الاستنكار:

هذا الاستفهام كما يراه الجرجاني يكون «ليتنبه السامع حتى يعود إلى نفسه ويخجل ويرتدع، ويعي بالجواب.. إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه... وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يستحق فعله، فإذا روجع تنبه وعرف الخطأ؛ وإما لأنه جؤز وجود أمر لا يوجد مثله»³. والاستفهام الإنكاري يرد على نوعين توبيخي وإبطالي (تكذيبي). فالأول إنكار وتوبيخ على أمر قد وقع في الماضي، ولوم عتاب للمخاطب على وقوعه، ومعناه الذي كان ينبغي أن يقع، أو أمر يخشى المستفهم أن يقع في المستقبل، ولوم وعتاب للمخاطب لإصراره على وقوعه، والثاني: يكون

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 138.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 179.

3- عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد ت 471 هـ)، دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، ص: 85.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

لتكذيب أمرٍ اعتقده المخاطب في الماضي لم يكن ويزعم وقوعه، أو لإبطال أمرٍ يعتقد أنه سيقع في المستقبل لن يكون.¹

وإذن فالفرق بين الاستفهام التقريري والإنكاري أنك في «الاستفهام تريد تثبيت الأمر وتحقيقه... أو تنتزع إقرارَ المخاطب واعترافه... أما في الاستفهام الإنكاري، فأنت لا تقرر المخاطب في شيء؛ وإنما تنكر عليه، وتستهن منه ما حدث في الماضي، أو يمكن ما حدث في المستقبل».²

ويشغل سؤال الاستنكار شكلاً مهيمناً داخل المناظرة، ويرافق أكثر اللحظات التي يحدث فيها الحوار بين المتناظرين، ويقوم فيها أحد المتناظرين ضمن دائرة الاستفهام بإبراز نقاط الضعف في شخص خصمه أو في حجته، ويعدّ تقنية بارعة يستخدمها المحاجج المتمكّن من أجل التشهير بأخطاء خصمه والنفخ فيها، حتى يستبين للحضور حجم فداحتها، وتريد من سقوطه وإحراجه، وتسهم بشكل كبير في تسرب الشكّ إلى نفسه، حتى إنّه يصاب بإحراج كبير، فيتأثر أداؤه في باقي أطوار المناظرة.³

وفي حال حصول ذلك يرتفع منسوب القوّة الحجاجية للطرف المبادر أمام خصومه، فيحوز إعجاب المتلقين، فيميلون إليه، ويميلون عن خصمه الذي يضعف مقامه الحجاجي، ويتهاوى صرحه الدفاعي شيئاً فشيئاً، فيكون الانتصار حليف الطرف المشهر الذي يورّط خصمه في متهاتات لا يستطيع الخروج منها، ويظهر في موقف ضعيف.⁴

والجدول الآتي يوضّح الاستفهامات الاستنكارية الواردة في مناظرات الشيخ أحمد ديدات أمام خصومه المسيحيين.

1- ينظر: عبد الفتاح فيود بيسيوني، علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ص: 402-403.

2- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها علم المعاني، ص: 194.

3- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 216.

4- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

نوعه	الاستفهام الإنكاري	الصفحة	المناظرة
توبيخي	كيف تغَيرون الكلمات؟	99	المناظرة الكبرى
توبيخي	هل تخجل من كلمة begotten؟ هل تشعر بالخجل منها؟	101	المناظرة الكبرى
توبيخي	هل أنا الذي حذفها؟ هل المسلمون هم الذين شطبوها؟	104	المناظرة الكبرى
توبيخي	كيف يحدث هذا؟ كيف؟ أي حيلة ومخادعة تلعبونها؟	105	المناظرة الكبرى
تكذيبي	فهل هذا هو الدليل على صدق العقيدة؟	125	المناظرة الكبرى
تكذيبي	هل أتى بواحدة؟	126	المناظرة الكبرى
توبيخي	كيف تكونون أفضل من اليهود وأنتم لا تتبعون الناموس والوصايا؟	128	المناظرة الكبرى
توبيخي	فلماذا تستحي أنت؟	132	المناظرة الكبرى
تكذيبي	هل أنت أكثر ورعا من الله؟ فهل أنت أقدس من الله؟	132	المناظرة الكبرى
توبيخي	كيف يُذكر هذا في كتاب من عند الله؟	133	المناظرة الكبرى

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

	كيف يذكر هذا عن نسب امرئٍ لا نسب له أصلاً؟		
توبيخي	كيف يحل الروح القدس فوق مريم وكيف يغشاها العلي القدير مثلما يفعل الرجل مع زوجته، كيف؟	137	المناظرة الكبرى
توبيخي	من الذي يموت من أجل الدكتور شروش؟	66	مناظرة العصر
توبيخي	أين يرمي الله به وقد وسع ملك الله السماوات والأرض؟	70	مناظرة العصر
تكذيبي	لماذا لا يكون المسيح رسولا من رسل الله؟	78	مناظرة العصر
توبيخي	أين هي الأخلاق الحميدة في مثل هذا المسلك؟	92	مناظرة العصر
تكذيبي	هل كانت معجزته تكون مثل معجزة يونان الذي ظلّ حياً في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ؟	53	أخطر المناظرات
تكذيبي	هل يوضع الحنوط على جسد الميت بعد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ؟	57	أخطر المناظرات
توبيخي	لماذا تمارس هذه اللعبة؟ لماذا تخدعون الناس؟	20	مناظرة ستوكهولم الأولى

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

تكذيبي	كيف قال موسى هذا الكلام عن موته ودفنه وعدد أيام المناحة بعد موته وعدم استدلال أحدٍ على قبره؟	22	مناظرة ستوكهولم الأولى
تكذيبي	هل يعقل أحدٌ أن يفعل الله ذلك؟	22	مناظرة ستوكهولم الأولى
توبيخي	لماذا لا تستخدمون اللغة كما يستخدمها الناس؟ لماذا تصرّون على استخدام اللغة استخداما غريبا شاذًا؟	73	مناظرة ستوكهولم الأولى
توبيخي وتكذيبي	كيف يأتي هذا النبيّ الأميّ بهذا الكتاب العظيم، وهو القرآن الكريم الذي لا يوجد به خطأ أو تناقض البتة، ويمثل هذا الأسلوب العربي المعجز، دون أن يكون القرآن الكريم وحيا إلهيا صادقا؟	84	مناظرة ستوكهولم الأولى
تكذيبي	هل قلت أنا إنّ المسيح هو محمد؟	133	مناظرة ستوكهولم الثانية
توبيخي	كيف يكون ذلك؟ كيف تتعاملون مع الكتاب المقدّس؟	141	مناظرة ستوكهولم الثانية
تكذيبي	أَيكونُ إلهًا ويجهل قيام الساعة؟	143	مناظرة ستوكهولم الثانية
توبيخي	هل من المعقول أن تقول بالإنجليزية ثلاثة أشخاص شخص واحد؟	163	مناظرة ستوكهولم الثانية

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة ستوكهولم الثانية	164	هل قال الإنجيل ذلك؟ من أين حصلتم على هذا التصور؟ هل قال الإنجيل إنّه توجد هالة من نور حول رأس يسوع؟	توبيخي + تكذبي
مناظرة ستوكهولم الثانية	165	لماذا حذفتم الشعار الدال على التثليث من الإنجيل في الموضوع المشار إليه؟	توبيخي
مناظرة ستوكهولم الثانية	180	لو كان المسيح يدّعي الألوهية لنفسه حقًا لماذا لا يصرّح بذلك؟ لماذا لا يقول أنا إله؟	تكذبي + توبيخي

وظّف الشّيخ أحمد ديدات مع خصومه المسيحيين حشدًا وافرا من الاستفهامات الاستنكارية المليئة بمشاعر الحيرة والتعجب والغضب من حجم السقطات التي لا يمكن أن تغفر في تصوّر الديني المسيحي المتشاكس، فخصومه أنفسهم جاؤوا يدافعون عن مذاهبهم لا عن دينهم، وهذا واضح جدًّا؛ لأنّ غالبيتهم من البروتستانت؛ ولذلك فهم يتناقضون ويختلفون في كثير من المسائل المتعلقة بالكتاب المقدّس وألوهية المسيح مع الطوائف الأخرى ومع بعضهم أيضا -مع العجب-، وسدنة المسيحية من قساوسة وعلماءٍ يعترفون بوجود هنات كبيرة في الدين المسيحي، ونتج عن هذا تحريف للنصوص بالزيادة والنقص، وتعمّد في تزييف الترجمات، وتفسيرها على غير وجهها؛ مما استدعى من المحاجج المسلم توبيخ وتقريع هؤلاء المدّعين، ونفي وردّ الأباطيل التي يدّعونها في قالب استفهامي بلاغي رصين.

ففي المناظرة الكبرى يوظّف الشّيخ استفهامًا استنكاريًا "كيف تغيّرون الكلمات؟" ويرمي من ورائه توبيخ الخصم وتقريعه؛ حيث إنّه قام بتغيير كلمة في الإنجيل ولم يقرأها كما هي، والأمر متعلّق بكلمة "pricks" التي استبدلها جيمي سواجارت بكلمة "goads" التي هي الكلمة الأصلية

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

في نصّ نسخة إنجيل الملك جيمس، فلامه الشيخ بشدة «إذا كانت كلمة في النص يجب أن تبقى هذه هي اللغة الأصلية في نسخة الملك جيمس».¹

ثم يشير المناظر المسلم إلى ما حدث في إنجيل مرقس الذي تمّ حذف إحدى عشرة آية منه، والأمر متعلّق بالآيات "من التاسعة حتى العشرين" في الإصحاح السادس عشر،² فيطرح الشيخ استفهاما تويخيّا على خصمه جيمي سواجارت "هل أنا الذي حذفها؟ هل المسلمون هم الذين شطبوها؟" والإجابة طبعًا لا فمن حذفها هي هيئات الرقابة المسيحية المكوّنة من أعتى جهابذة اللاهوت والقساوسة الذين أدركوا أنّها محض تزيف وتحريف، ولا يمكن للقس البروتستانت أن يفنّد هذه الحقيقة؛ لذلك فقد صمت كالعادة وابتسم ابتسامة خبيثة.

وفي السياق نفسه يشير الشيخ إلى تحريف آخر قام به القسّ جيمي؛ حيث قام بتغيير آخر، ومداره الاستعاضة عن كلمة "begotten" التي هي الكلمة الأصلية في النصّ بكلمة "unique"³ فوظّف استفهاما استنكاريا غرضه التويخ "هل تحجل من كلمة "begotten" هل تشعر بالحجل منها؟" وحتى لا يماري المحاج المسيحي ويعاند فقد استشهد الشيخ بحادثة وقعت قبل المناظرة «لقد سمعت الأخ جيمي سواجارت... هذا الصباح، وكان يخاطب مجموعة من الناس... يبدو أنّهم مجموعة كنيسته... استعمل كلمة "begotten" وبعد ثماني ساعات لا غير غيرها إلى المتفرد»⁴.

ولا يخرج المحاج المسلم عن السياق نفسه، فيتحدّث عن التحريف في الكتاب المقدّس؛ حيث يظهره شريط الفيديو حاملا عددا من الأناجيل التي يتفحصها؛ ليثبت حذف عدد من النصوص في إنجيل معين في وقت معين ثمّ إعادتها في نسخة أخرى أو وطبعة أخرى،⁵ فيوجّه استفهاما مليئا بالعتاب والتويخ لخصمه جيمي سواجارت "كيف يحدث هذا؟ كيف؟ أيّ حيلة

1- المناظرة الكبرى، ص: 99.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 104.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 101.

4- المرجع نفسه، ص: 101.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 105.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

ومخادعة تلعبونها؟"، ليثبت بذلك غياب الاتساق بين ادعاء قدسيّة الإنجيل من جهة، والتحريف والتبديل الذي يصيبه من جهة أخرى.

ويستند المناظر المسلم إلى جملة من الأدلة والبراهين المختلفة لإثبات أنّ المعجزات ليست الدليل المحكم على صحّة العقيدة، كما أنّها ليست برهانا جليًا على كون صاحبها إلها يُعبد، ويستشهد بنصوص من الإنجيل يقول فيها عيسى بأنّ هناك من سيأتي بعده بمعجزات ليضلّ بها الناس، كما يستشهد الشيخ بقدرة المسيح الدجال على الإتيان بالمعجزات على الرغم من كونه كذاباً،¹ ثمّ يستفهم قائلاً: "فهل هذا هو الدليل على صدق العقيدة؟"، وهو يكذب ادّعاءات المسيحيين في كون المعجزات دليلاً راجحاً على صحّة العقيدة، ثمّ يستشهد بكون يوحنا المعمدان رجلاً عظيماً بشهادة المسيح على الرغم من عدم مجيئه بمعجزة،² ويوظّف استفهاماً تكديبياً آخر: "هل أتى بواحدة؟" ليبطل ويكذب ما ينسبه إليه بعض النصارى من معجزات.

ويتناول الشّيخ في موضع آخر واقع الأمة المسيحيّة التي هي بعيدة كلّ البعد عن تعاليم دين عيسى عليه السّلام، وعن المسيحيّة الحقيقيّة السّماحة، فضلاً عن كون كثيرٍ من نصوص الإنجيل نفسها التي يستشهد ببعضها حتى يقوّي حجّته تقول بأنّ دينَ عيسى عليه السّلام على لسانه جاء لليهود فقط، وبأنّ الأمميّين كلاب خنازير،³ وهنا يستخدم المحاجج المسلم استفهاماً توبيخياً: "فكيف تكونون أفضل من اليهود وأنتم لا تتبعون الناموس والوصايا؟" فهو يوبّخ محاججه على اعتقاده بأنّه أفضل من اليهود وهو يؤمن بإنجيلٍ نصوصه محرّفة ومزيفة.

ثمّ ينتقل الشّيخ للحديث عن التصرف الذي قام به المحاجج المسيحي الذي رفض قراءة نصوص من سفر حزقيال، على الرغم من ادّعاءه أنّ كلّ الإنجيل الذي يقدّسه هو كلمة الرب، وبالطبع فسبب رفض المسيحي قراءة النصوص هو شعوره بالخجل منها؛ نظراً لأنّها تتضمّن ألفاظاً

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 125.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 126.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 128.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

خادشة للحياة،¹ فيوبّخ الشيخ خصمه على إجحامه عن القراءة بقوله: "إذا كان العليّ القدير لم يستح من تنزيل تفصيل دعارة الأختين فلماذا تستحي أنت؟" ثم يتبعه باستفهام تكذيبي: هل أنت أكثر ورعا من الله؟ هل أنت أقدم من الله؟ وهو بهذا يكذب ما يراه سواجارت في نفسه من عظمة واستعلاء، حتى إنّه يترفع عن قراءة نصوص من عند الله.

وينتقل الشيخ أحمد ديدات للحديث عن طامة من الطوام الموجودة في العهد القديم والأمر متعلّق بالإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين؛ حيث وردت قصة يهوذا الذي زنى بزوجة ابنه فأنجبت له ولدين أدخلهما النصارى في نسب عيسى عليه السلام، وهذا أمر غير مقبول تماما، بل هو كارثة وسقطة كبرى لا يمكن إيجاد أيّ تسويغ وعذر لها،² وهنا يوجّه الشيخ استفهاما توبيخيّا لخصمه: "كيف يذكر هذا في كتاب من عند الله؟ كيف يذكر هذا عن نسب امرئ لا نسب له أصلا؟".

ويصل الشيخ إلى محطة الحديث عن تصوّر المسيحي لولادة يسوع الذي يعدّونه ابنا لله، ويستند لتبيان ذلك إلى نصوص من الإنجيل، والتي تقول بأنّ الله غشي مريم بما يحيل إلى معنى جنسي سافر، ويفضح هذا التصوّر السافل، وهذا الكفر البواح الذي يؤمن به محاججه، ويسلم به المسيحيون الموجودون في جميع أنحاء العالم دون وعي وإدراك،³ ثمّ يطرح استفهاما توبيخيّا: "كيف يحل الروح القدس فوق مريم وكيف يغشاها العلي القدير مثلما يفعل الرجل مع زوجته، كيف؟".

ويوظّف المحاجج المسلم استفهاما استنكارياّ حمّله بشحنة من التوبيخ قادحا التصوّر المتبدل الذي جادت به أفكار المحاجج المسيحي الفلسطيني أنيس شرّوش المدّعي في كتابه "المسيح المتحرر" أنّ الله سبحانه وتعالى يموت من أجله؛ حيث يقول: «أيّها الآب السماوي المحبّ. أنا

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 132.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 133.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 137.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

أشكرك على معجزة إسداء الحياة لي، إنَّ أكبر معجزة في الدنيا هي أن تموت من أجلي». فيستفهم منه الشيخ قائلاً: "من الذي يموت من أجل الدكتور شروش؟"¹.

وفي السياق نفسه يوظف المحاجج استفهاماً توبيخياً آخر بقوله: "أين يرمي الله به وقد وسع ملك الله السماوات والأرض؟" ليردَّ به على الاستدلال الباطل الذي أتى به أنيس شروش حين زعم أنَّ الله لا يستطيع أن يرمي به خارج ملكه،² وهدفه نسف هذا التصوُّر الخبيث الذي يقترن قدرة الله تعالى، فالله عزَّ وجل قادر على كلِّ شيء، ولا يمكن لبشر أن يصف الإله بأنَّه لا يستطيع أن يفعل شيئاً.

وفي المناظرة نفسها يستشهد المحاجج المسلم بما ادَّعاه شروش من أنَّ المسيح «إمّا أن يكون كذاباً أو إلهاً، ويقول إمّا أن يكون المسيح مجنوناً أو إلهاً»،³ فيفنّد الشيخ هذا الادّعاء الباطل المغرض الذي تدثّر به المحاجج المسيحي، وخرج به عن طريق الحقِّ قصداً، لكي لا يعترف ويقرَّ بأنَّ المسيح عليه السلام رسول مكرم من رسل الله، ومن ذا الذي أعطاه الحق أن يحصر ماهيته في شيئين فقط "مجنون أو إله؟"، فيقول الشيخ "لماذا لا يكون المسيح رسولاً من رسل الله؟"، والمعنى المسيح ليس مجنوناً ولا إلهاً؛ بل نبيّاً رسولاً.

ويعود الشيخ في ذات المناظرة لتوبيخ هذا المدّعي الفلسطيني الذي انسلخ من دينه وقوميته ليدافع عن المسيحية بشراسة أكبر من شراسة المسيحيين الأصليين أنفسهم، فيستشهد بما قاله دكتور اللاهوت المتزمت في كتابه "المسيحي المتحرر"؛ إذ قرَّ دون حياء أنَّ إحدى الفتيات تعلّقت به، ودعته لقضاء ليلة في منزلها؛ لكنَّ أباهما وجّه مسدساً صوبه،⁴ فيقرّعه الشيخ ويوجّه إليه استفهاماً توبيخياً ليفضحه أمام الجمهور: "أين هي الأخلاق الحميدة في مثل هذا المسلك؟".

1- ينظر: مناظرة العصر، ص: 66.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 70.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 78.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 92.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

وفي أخطر المناظرات يوظف الشيخ أحمد ديدات استفهامًا تكذيبيًا ليفند به ما ورد في الإنجيل؛ حيث تدعي النصوص التي وردت فيه أنّ يسوع ستكون له معجزة كمعجزة يونان، وبالرغم من أنّ يونان بقي حيًّا في بطن الحوت مدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، إلا أنّ المسيحيين يقولون إنّ يسوع كان ميتًا في بطن الأرض،¹ وهذا ما لا يتسق وقول المسيح نفسه، ولذلك فالشيخ يسأل مستنكرًا: "هل كانت معجزته تكون مثل معجزة يونان الذي ظلّ حيًّا في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ؟".

ويوظف الشيخ استفهامًا إنكاريًا "هل يوضع الحنوط على جسد الميت بعد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ؟" ويروم من خلاله تكذيب الرواية الغريبة التي جاءت في الإنجيل؛ إذ يقول الكتاب المقدس أنّه بعد ثلاثة أيام من دفن المسيح ذهبت مريم المجدلية مع رفيقاتها من النساء إلى قبره لوضع الحنوط على جسده الميت²، وهذا طبعًا غير معقول؛ لأنّ جسد الميت حينها يبدأ في التحلل، ولا فائدة من الحنوط وقتها، والشيخ ينكر أن يكون سبب ذهابهن إلى القبر هو وضع الحنوط، فهناك سبب آخر لا محالة.

ويستمرّ الشيخ في النيل من خصومه ومحاجتهم؛ حيث يوظف استفهامًا استنكاريًا في مناظرة ستوكهولم الأولى، والأمر متعلّق هذه المرّة بالتحريف الذي طال ترجمة نصوص الإنجيل وتحديدًا أول جملة في العهد القديم؛ فقد تعمّد علماء النصارى تحريف ترجمة كلمة "إلوهيم" العبرية التي تعني "آلهة" إلى "إله"³ من أجل الاتّساق مع دينهم الزائف، فيوبّخ الشيخ خصمه استانلي شويبرج بقوله: "لماذا تمارس هذه اللعبة؟ لماذا تخدعون الناس؟".

كما يستخدم المناظر المسلم استفهامًا استنكاريًا آخر، وغرضه هذه المرّة تكذيب كون ما ورد في العهد القديم، وفي سفر التثنية تحديدًا كلام موسى النبيّ عليه السلام نفسه؛ والواقع

1- ينظر: أخطر المناظرات، ص: 53.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 57.

3- ينظر: مناظرتان في ستوكهولم، ص: 20.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

بالاستدلال أنّ شخصا آخر هو من كتب هذا الكلام ونسبه إلى موسى زورا وبهتانا، فلا يعقل أن يكتب موسى كلاما عن نفسه بعد وفاته¹؛ وعليه فالشيخ يستنكر هذا الأمر بقوله: " كيف قال موسى هذا الكلام عند موته ودفنه وعدد أيام المناحة بعد موته وعدم استدلال أحدٍ على قبره؟".

ويستخدم الشيخ أحمد ديدات استفهامًا استنكاريًا آخر للتكذيب وردّ الافتراء الباطل أيضا "هل يعقل أحد أن يفعل الله ذلك؟"، ومدار التكذيب هنا متعلق بالروايات الباطلة والأسطورية التي وردت في العهد القديم، والتي تقول إنّ الله قد تحدّث إلى نفسه -حاشا لله- كي ينزل ويبلبل لسان أهل بابل حتّى يكفّوا عن تشييد البنيان الذي أرادوا بناءه ليصلوا إلى السماء، ويتعجب الشيخ من حماقة تصوّر المسيحي وجرأته على الله؛ حيث «لا يمكن أن تعزى الحيرة والبلبل إلى الله سبحانه وتعالى»².

وفي موضع آخر من المناظرة نفسها يوجّه المحاجج المسلم استفهاما توبيخيا في معرض لومه لمناظره المسيحي وحزبه من القسيسين والرهبان الذين يتمخّلون في تنميق الألفاظ والعبارات وتنسيق الجمل وحمل المعاني على أكثر مما تستحقه، حتى تروج بضاعتهم على أتباعهم³، والشيخ يلوم محاججه على هذا الفعل، وجنوح حزبه إلى التعقيد والتنطّع "لماذا لا تستخدمون اللغة كما يستخدمها الناس؟ لماذا تصرّون على استخدام اللغة استخداما غريبا شاذًا؟".

وفي فقرة الأسئلة والأجوبة يستخدم الشيخ استفهاما حجاجيا تكذيبيا وتوبيخيا في الوقت نفسه ليلجم به السائل المدّعي الذي اتّهم محمّدا صلوات ربي وسلامه عليه بوضع القرآن وصياغته من الآثار القديمة والكتب السماوية الأخرى⁴، فيؤكّد الشيخ أنّ النبي كان أمياّ باعتراف الجميع،

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 22.

2- المرجع نفسه، ص: 32.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 73.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 82-83.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

"فكيف يأتي هذا النبيّ الأميّ بهذا الكتاب العظيم، وهو القرآن الكريم الذي لا يوجد به خطأ أو تناقض البتة، ويمثل هذا الأسلوب العربيّ المعجز، دون أن يكون القرآن الكريم وحياً لها صادقاً؟".

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية، والشيخ أحمد ديدات في طور المدافعة لردّ الافتراءات يتعجب من سوء فهم المحاجج المسيحي لكلامه وافتراءه عليه؛ حيث زعم بهتانا أنّ الشيخ قال إنّ المسيح هو محمّد؛¹ مما يدفعه لتوظيف استفهام استنكاري غرضه تكذيب افتراءات استانلي شوبيرج وردّها "هل قلت أنا إنّ المسيح هو محمّد؟"؛ أيّ أنا لم أقل إنّ المسيح هو محمّد، ولكن فهمك القاصر ورغبتك في التّيل مّي بكل طريقة جعلك تدّعي شيئاً لم يحدث.

وفي موضع آخر يستخدم المناظر المسلم استفهاماً توبيخياً رام من خلاله تثبيت السفسطة المسيحية وسوء الفهم للكتاب المقدّس، وسوء التعامل معه فيستفهم قائلاً: "كيف يكون ذلك؟ كيف تتعاملون مع الكتاب المقدّس؟"، والشيخ متعجب جداً من طريقة فهم النصارى لنصوص الإنجيل، ولا يستطيع أن يعي من أين يستقي ويمتخ هؤلاء آليات فهمهم للكتاب، فيوجّه لهم هذا التوبيخ حتى يزيد من إحراج خصمه، ويسقطه أمام جمهوره سقوطاً حرّاً، وقد أخطأ القسّ السويدي كثيراً في هذه المناظرة.

وفي إطار رحلة الشيخ في المناظرة نفسها لنقض التصوّر النصراني المتعنّت وغير المقبول للتألّه، ومحاولتهم جعل المسيح عليه السلام إلهاً بكل وجه ممكن وغير ممكن، يستشهد المحاجج المسلم بما ورد في إنجيل مرقس الذي أثبت أنّه لا أحد يعلم موعد قيام الساعة إلاّ الإله الآب لا يسوع ولا الملائكة ولا غيرهم²، ثمّ يبسط تساؤلاً معقولاً معقود الناصية بالاستفهام المدجج بالتكذيب: "أليكون إلهاً ويجهل قيام الساعة؟"؛ أيّ إنّ الإله الحقّ لا يجهل قيام الساعة، فيسوع ليس إلهاً كما يزعم استانلي شوبيرج والنصارى.

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 133.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 143.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

ثمّ يشير الشيخ أحمد ديدات إلى بؤرة التصدّر المسيح للإله التي يزعم بمقتضاها النصارى أنّ «الآبُ إِلَهٌ وَالْإِبْنُ إِلَهٌ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ إِلَهٌ، وَلَكِنَّهُمْ لَيْسُوا ثَلَاثَةَ آلِهَةٍ؛ بَلْ هُمْ الثَّلَاثَةُ إِلَهٌ وَاحِدٌ»¹ فيتعجّب من هذه الجملة الغريبة غير المفهومة، ثمّ يوتّخ من قاموا بوضع هذا المبدأ المتهافت عن طريق توظيف الاستفهام قائلا: "هل من المعقول أن تقول بالإنجليزية ثلاثة أشخاص شخص واحد؟".

ويستخدم المحاجج المسلم ثلاثة استفهامات كاملة في معرض تفصيل الفكرة السابقة؛ حيث أكد أنّ كلّ من الأقانيم الثلاثة يعطي تصوّرا ذهنيّا خاصا ومتمايزا عن الآخر، والدليل على أنّ المسيحيين أنفسهم رسموا المسيح في صورة شاب وسيم يافع أزرق العينين أشقر الشعر،² على الرغم من أنّ الإنجيل لم ينصّ على ذلك، فيستفهم قائلا: "هل قال الإنجيل ذلك؟ هل قال الإنجيل إنّّه توجد هالة من نور حول رأس يسوع؟"، وغرضه تكذيب هذه الادّعاءات التي لا دليل عليها، ثمّ يوتّخ النصارى على هذا الفعل قائلا: "من أين حصلت على هذا التصدّر؟".

ثمّ يعود المناظر المسلم لتويخ سدنة النصارى وقساوستهم على تحريفهم من خلال قيامهم بحذف نصّ كامل من رسالة يوحنا الأولى: «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الْآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ»³، وأصبحت هذه الجملة بعد الحذف تحتوي ثلاث كلمات فقط «يُوجَدُ ثَلَاثَةٌ شُهُودٍ»⁴، فيلومهم ويوتّخهم على هذا الفعل السمج بقوله: "لماذا حذفتم الشّعار الدال على التثليث من الإنجيل في الموضوع المشار إليه؟".

ويعود الشيخ أحمد ديدات مرّة أخرى للاستفهام بعد الدليل والبرهان، ويسرد كميّا كبيرا من النصوص التي تشير إلى أنّ اليهود كانوا بلهاء لا يفقهون كلام المسيح كما لا يفهمه النصارى

1- المرجع السابق، ص: 163.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 164.

3- المرجع نفسه، ص: 164.

4- المرجع نفسه، ص: 165.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

اليوم، ويحملونه على غير معناه الذي يريده عليه السلام، حتى وصل بهم الأمر إلى رجمه بالحجارة، ويثبت الشيخ أنه لا يوجد نص صريح يقول فيه عيسى إنّه إله أو يطالب الناس بعبادته،¹ ثم يطرح استفهاما في ختام كلامه "لو كان المسيح يدّعي الألوهية لنفسه حقًا لماذا لا يصرّح بذلك؟ لماذا لا يقول أنا إله؟"؛ أي إنّ المسيح لم يقل إنّ إله قطّ والنصارى كاذبون، كما أنّه يوبّخهم ضمنيًا على هذا الادّعاء الباطل الذي يقولون به دون دليل معتبر أو برهان واضح.

3-5- استفهام السخرية والتهكّم:

لا شكّ في أنّ السخرية والتهكّم والتحقير معانٍ مستحلاةٌ من الاستفهام عضدًا بالسياق تُوظّف لتكسب خطابَ المحاجج قوّةً وبيانا جليًا، ولا جرم أنّ للاستفهام البلاغي قوّةً فياضةً مصبوغةً بانفعالات متنوّعة، والسخرية تأتي في كثير من الأحيان متدنّرةً بالعنف، فتتهين المحاجج وتحطّ من قدره وتورّطه أمام جمهوره، وتكون كالزلزلة التي تصعقه وتترك في نفسه أثرًا كبيرًا، «ولذلك نجد هذا الأسلوب يتكرّر كثيرًا في القرآن الكريم، فيدمغ الله به المشركين، ويفضح المنافقين، ويردّ به على سخرية الساخرين وهزء المستهزئين».²

وآلية الاستفهام التهكّمي في الخطاب المحاججي تتمّ عن طريق توظيف الكلام للتعبير عن معنى مغاير للمعنى الحرفي للكلمات من أجل السخرية والاستهزاء، كالخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في مكان الوعيد، والعدر في موضع اللوم، والمدح في موضع السخرية. ويسهم هذا القسم من الاستفهام المحاججي في خلق حالة من الإحراج التي تصيب المحاجج؛ حيث يقع في مأزق أمام جمهوره.³

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 180.

2- عبد العليم السيد فودة، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ص: 241.

3- ينظر: علي كاظم علي المدني، التقنيات البلاغية المحاجية في شعر السيّد الحميري، مجلة القادسية في الآداب، كلية التربية، جامعة القادسية، العراق، ع 76، 2017/04/20م، ص: 15.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

وبالنظر إلى أنّ المناظرة هي صدامٌ بينَ قوتينِ تبنيانِ اتجاهينِ متضادتين، فالوسائل التي توظّف فيها قد تخرج عن حدود اللياقة أحيانا وتتدرّج بالعنف، بالنظر إلى أنّ إرادة الغلبة فيها فوق كلّ اعتبار، لكنها غلبة بالحجة والدليل لا بالسفسطة واللجاج.

والجدول الآتي يوضّح استفهامات السخرية والتهكم التي وظّفها الشيخ أحمد ديدات في مناظراته مع خصومه المسيحيين.

المناظرة	الصفحة	الاستفهام التبعي
المناظرة الكبرى	103	هل يسترضوننا؟ هل هدّدكم المسلمون إذا لم تحذفوها فلن يزوّدوكم بالبتروول؟ هل هدّدوكم؟
المناظرة الكبرى	107	في كتابٍ من عند الله لماذا ينحرف الربّ العظيم عن الطريق في كتابه المقدّس ليوحى إليكم عشر حالات من زنا المحارم؟
المناظرة الكبرى	116	هل يمكن أن تتصوّروا أنّ الله تعالى يملي أنساب ابنه، ومع ذلك يحذف اسمه وينحرف عن الطريق؟ ويملي سلسلتي أنساب تضمّ ستّة وستين اسمًا وهو ليس ضمنها، وهو ليس موجودا فيها؟
المناظرة الكبرى	125	ما هي ثمرة ألفي عامٍ من الوعظ؟
المناظرة الكبرى	143	هل تتحدث بالإنجليزية؟ إنّها والله هرطقة غير مفهومة!
مناظرة العصر	62	أيّ لغة هذه؟ هل هذه لغة إنجليزية؟

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة العصر	67	ماذا عساه أن يكون إنساناً مثلي ومثلك؟
مناظرة العصر	68	هل تستطيع أنت أو أنا أو أيّ شخص، هل يستطيع أيّ شخص في العالم أن يتصوّر أنّ هذا الوليد الذي لم يكن له حول ولا قوة حال ولادته إله؟
مناظرة العصر	72	أيّ خراف؟ هل اليهود خراف؟ هل أولئك الذين اتّبعوا المسيح خراف؟
مناظرة العصر	77	من الذي كان يسوع ينادي عليه لكي ينقذه؟ هل كان ينادي نفسه لينقذ نفسه؟
مناظرة العصر	92	هل هذا حب؟ إذا ارتكب شخص جريمة ضدّ أحد أفراد أسرته هل تعاقبه بقتل ابنك الوحيد وتسمون هذا حبا؟ هل هذا معقول؟
أخطر المناظرات	58	لماذا طلب منها ألا تلمسه؟ هل هو مولد كهربائي يخشى أن تلمسه مريم فتصعق؟
مناظرة ستوكهولم الأولى	23	هل نسي كاتب الإصحاح السابع والثلاثين من سفر أشعياء أنّ كاتباً آخر قد سبقه إلى تدوين نفس ما يكتبه، وذلك بالإصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثاني؟
مناظرة ستوكهولم الأولى	30	لماذا جعل الرّوح القدس القديس يوحنا وهو من هو يتناقض بين الواحد ولا أحد وهو هو القديس يوحنا كما

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

يتبدى للناس؟		
من يلهم هؤلاء الناس؟ هل يلهمهم الروح القدس أم يلهمهم الروح غير القدس؟	32	مناظرة ستوكهولم الأولى
ماذا عندكم في الإنجيل لحل هذه المشكلة الموجودة لديكم؟	85	مناظرة ستوكهولم الأولى
هل يجوع الله؟ ما رأيكم بإله جوعان؟	143	مناظرة ستوكهولم الثانية
هل رأيتم إلهًا يبكي؟	143	مناظرة ستوكهولم الثانية
هل تستطيع أن تتكلم لغة الزولو يا سيدي؟	150	مناظرة ستوكهولم الثانية
أي لغة هذه التي يتكلمون؟	163	مناظرة ستوكهولم الثانية

يعيب بعض الناس على الشيخ جنوحه إلى السخرية والحط من قيمة خصومه ووضعهم في مأزق كبير، وتجريحهم بمبضع الاستهزاء والتبكيث الذي يعدونه مؤلماً وقاسياً، وغير مقبول؛ لأن الدعوة تكون بالحسنى لا بالإفحام والتنقيص من قيمة الآخرين. ولا يمكن - في رأينا - أن نعد هذا عيباً أبداً، وليس نقيصة ولا سقوطاً ولا صفة سلبية؛ بل على العكس من ذلك هي ميزة فريدة لا تتوفر في كثيرين. وهي كذلك من أهم التقنيات الحجاجية التي ترجح كفة العلامة أحمد ديدات في مناظراته، ويلجأ إليها مجبراً؛ نظراً للتناقض الكبير والسقطات الفادحة التي يقع فيها المحاججون النصارى، والذنب ذنبهم؛ فهم من يسلكون سبيل تسخيف أنفسهم بإصرارهم على الكذب والتدجيل إلى درجة الإسفاف، ووضع شخصهم في مواقف حرجة من خلال جهلهم وادعاءاتهم المليئة بالأباطيل والأفانك.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

ونبدأ من المناظرة الكبرى؛ حيث يوظف الشيخ استفهاما ساخرًا لتبكيك خصمه جيمي سواجارت، فبعد استحضار عناوين الكتب التي ألفها القس البروتستانتى، وكذا عرض بعضها للجمهور الحاضر في قاعة المناقشة، وهي في غالبها كتب رائعة بعناوين مهمّة جدًا تغذي العقل وتمجّد الروح "زنا المحارم، اللواط وأسبابه، سدوم وعمورية.. الخ"¹ يمدحها مستهزءا ساخرًا، ويبيّن أنّه استفاد منها كثيرًا، خصوصًا أنّ القسّ ذكر احتواء كتابه المقدّس عشر حالات زنا محارم، ويتساءل الشيخ عن سبب اهتمام الربّ العظيم بهذا الأمر قائلاً: "في كتابٍ من عند الله لماذا ينحرف الربّ العظيم عن الطريق في كتابه المقدّس ليوحى إليكم عشر حالات من زنا المحارم؟".

وفي معرض إشارة الشيخ إلى تعمد النصارى حذف كلمة "Begotten" والاستعاضة عنها بلفظة "Unique" يؤكّد أنّ اثنين وثلاثين عالماً من رؤوس المسيحية يساندهم خمسون من الطوائف الدينية هم من قرروا فعل ذلك، ولم يدفعهم المسلمون لذلك، ويستخدم استفهاماً مشوباً بنكهة منعشة من السخرية،² "هل يسترزوننا؟ هل هدّدكم المسلمون إذا لم تحذفوها فلن يزودوكم بالبتروول؟ هل هدّدوكم؟" ولا يمكن لعاقل تصوّر أن يكون هذا التحريف بناءً على رغبة من النصارى في استرضاء المسلمين، أو من تهديد يخشاه النصارى من العالم الإسلامي؛ لأنّ شيئاً من ذلك لم يكن، فالحذف جاء من بنات أفكارهم وعمل أيديهم.

وفي موضع آخر ينتقد المحاجج المسلم التسويغ البارد الذي جاء به سواجارت حين ادّعى أنّ التضارب في الأنساب التي لا تتفق تمامًا بين الإنجيل كما رواه متى، والإنجيل كما رواه لوقا إلا في اسم واحد، مردّه إلى اختصاص أحدها بمريم والآخر بالمسيح³، ويتساءل الشيخ عن سبب إقحام مريم في الموضوع. وبسبب هذا الغباء المركب الذي يعاني منه المسيحي، يوظف استفهاماً ساخرًا مزوّداً بحمل ثقيل من التبكيك؛ سخرية ليست من الله ولا من كتابه، بل من هذا الهذر الفارغ

1- ينظر: المناظرة الكبرى، ص: 103.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 106.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 116.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

والإسفاف البائس قائلا: "هل يمكن أن تتصوّروا أنّ الله تعالى يملي أنساب ابنه، ومع ذلك يحذف اسمه وينحرف عن الطريق؟ ويملي سلسلتي أنساب تضمّ ستّة وستين اسمًا وهو ليس ضمنها، وهو ليس موجودا فيها؟".

ويتناول الشيخ في موضع آخر مسألة الآفات الاجتماعية الكثيرة التي تنتشر في المجتمع المسيحي، باعتراف القسّ جيمي سواجارت في كتبه المختلفة، وفي مقدّمتها الخمر التي أصبح إدمانها وبائيا، فالإحصائيات تتحدّث عن وجود خمسة وخمسين سكّيرا في الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحدها، ثم آفة القمار التي بدّر فيها المسيحيّون الأمريكيّون أربعة وخمسين مليار دولار، في حين نجد أنّ المسلمين لا يتعاطون الخمر، ولا يلعبون القمار،¹ وهذا دليل على نجاح الهدي المحمّدي الرّباني وفشل الوعظ الكنسي، ويسخر الشّيخ من تلكم الألفي سنة التي لم توقّف فيها النصارى عن اجترار تعاليم المسيح دون ظهور ثمرات ذلك، "ما هي ثمرة ألفي عامٍ من الوعظ؟!".

ويتنقل الشيخ للحديث عن أسطورة الثلاثة في واحد والواحد في ثلاثة؛ أي الدجل المسيحي الذي يخلّق فوق كلّ تصور، ويعارض كلّ من له مسكة من عقل سليم، فالنصارى يقولون إنّ الأب إله والابن إله والروح القدس إله، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة؛ بل إله واحد، ويقولون إنّ الأب عظيم والابن عظيم، ولكنهم ليسوا ثلاثة عظماء؛ بل عظيما واحدا، وسواجارت نفسه في كتابه يقول إنّهم شخص وشخص وشخص؛ ولكنهم ليسوا ثلاثة أشخاص، بل شخصا واحدا.² ونظرا لهذه اللغة الرائعة السامقة، فالشيخ لم يجد بداً من السخرية والضحك على هذا الهراء عن طريق استفهام ساخر: "هل تتحدث بالإنجليزية؟ إنّها والله هرطقة غير مفهومة!".

وفي مناظرة العصر ينطلق الشيخ انطلاقة حاسمة في معرض ردّه للافتراءات التي جاء بها القسّ الفلسطيني أنيس شروش، ومداره على ما ورد في التقرير الختامي لمؤتمر الكنائس العالمي، فقد وردت في خضمّه تعبيرات وتراكيب غير مفهومة تدعو للعجب والغرابة «إنّهم يقولون إنّ الأب

1-ينظر: المرجع السابق، ص: 125.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص: 143.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

شخص، والابن شخص، والروح القدس شخص، ولكنهم ليسوا ثلاثة أشخاص؛ بل شخص واحد»¹، فيسخر الشيخ من هذا الكلام الغريب قائلاً: " أيّ لغة هذه؟ هل هذه لغة إنجليزية؟"؛ ممّا تسبب في إحراج خصمه كثيراً؛ حيث سيعجز لاحقاً عن الإجابة ويحار جواباً.

ويستمر الشيخ في إحراج خصمه وتبكيته ووضعه في مأزق يصعب عليه الخروج منها؛ حيث ذيل سرده لحشد من الحجج والبراهين المتنوعة عقلية ونقلية تفيد نفس عقيدة ألوهية المسيح الذي هو إنسان باعتراف الكتاب المقدس الذي يتدين به النصارى² باستفهام ساخر "ماذا عساه أن يكون إنسان مثلي ومثلك؟"؛ أي إنّنا ضعفاء مساكين؛ لأننا بشر، والمسيح نبيّ مكرم أرسله الله ليهدي به بني إسرائيل لكنّه كان بشراً مثلي ومثلك، و«يجب أن لا يتبادر إلى ذهن أيّ إنسان أنّ عيسى لم يكن إنساناً»³.

وفي موضع آخر يطرح الشيخ سؤالاً مليئاً بالسخرية والاستهزاء: ⁴ "هل تستطيع أنت أو أنا أو أيّ شخص، هل يستطيع أيّ شخص في العالم أن يتصور أنّ هذا الوليد الذي لم يكن له حول ولا قوة حال ولادته إله؟" والسخرية هنا متعلّقة بمعرفة الشيخ أنّه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يظنّ شخصٌ عاقلٌ في العالم أنّ ذلك المولود الضعيف الصغير الذي تعرّضت والدته للأنثام، وخرج من رحمٍ كما يولد كل الأطفال، ورضع من الثدي يمكن أن يُعدّ إلهاً.

وفي المناظرة نفسها يتعجّب الشيخ من الفهم الأجلف والعقول المستغلقة التي تتمتع بها النصارى الذين يدعون أنّهم سادة العلم والمعرفة، لكنهم لا يحسنون تفسير النصوص على وجهها، وحملاً على طرق تفسيرهم فالنصوص الكثيرة التي وردت في الإنجيل حول وصف المسيح لأتباعه بالخراف تفسّر بسطحية، فيكون اليهود الذين تبعوه بدءاً من الحوارين ثم النصارى جميعهم خرافاً

1-مناظرة العصر، ص: 62.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص: 66-67.

3-المرجع نفسه، ص: 67.

4-ينظر: المرجع نفسه، ص: 68.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

تصلح للذبح والنحر،¹ فيسخر منهم مستفهماً بقوله: "أيّ خرافٍ؟ هل اليهود خراف؟ هل أولئك الذين اتّبَعوا المسيح خراف؟".

ويرتفع المنسوب الحجاجي للشيخ أحمد ديدات عند اقتراب انتهاء "مناظرة العصر"؛ حيث تناول مسألة الصلب المزعومة، فيستشهد المحاجج المسلم بما أورده متى في إنجيله عن استنجاد يسوع بالله عزّ وجلّ قائلاً: «يَا أَبِي يَا أَبِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»²، وهنا يبسط الشيخ سؤالاً وازناً يدور في فلك استفهام مليء بالسخرية والتهكّم "من الذي كان يسوع ينادي عليه لكي ينقذه؟ هل كان ينادي نفسه لينقذ نفسه؟"، وهو تساؤل مشروع جدّاً ينبغي النظر والتدقيق فيه، والمحاجج المسيحي هنا يقع في موقف محرج جدّاً، ويغرق في بركة التبكيّت، وسيلجأ للهروب والمراوغة، بعد أن يحار جواباً، ولا يجدّ للدفاع سبيلاً.

ويستخدم المناظر المسلم أسلوب السخرية مرّة أخرى في المناظرة نفسها؛ حيث استحضر ما يؤمن به الدكتور أنيس شروش الذي ادّعى أنّ «يسوع شقّ طريقه إلى السماء بعد أن نزع دمه، وتم سفكه ليتحقق الخلاص للبشر. ويترتب على ذلك أنّ الأب والابن في السماء يدبران حكم العالم مشاركة بينهما»³، ومن أجل تبكيّت خصمه والاستهزاء من هذا التصرّو السافل الذي يتبنّاه يخاطبه بقوله: "هل هذا حب؟ إذا ارتكب شخص جريمة ضدّ أحد أفراد أسرتك هل تعاقبه بقتل ابنك الوحيد وتسمون هذا حبا؟ هل هذا معقول؟".

وفي إطار أخطر المناظرات التي تناولت موضوع "هل مات المسيح على الصليب؟" يعرّج الشيخ على مسألة الصلب المزعومة، ويستشهد بما ورد في إنجيل يوحنا الذي جاء فيه أنّ يسوع بعد ما قام من بين الأموات لقيته مريم المجدليّة، وطلب منها أن لا تلمسه،⁴ فيتساءل المحاجج

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 72.

2- المرجع نفسه، ص: 76-77.

3- المرجع نفسه، ص: 91.

4- ينظر: أخطر المناظرات، ص: 58.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

المسلم بأسلوب ساخرٍ عن سبب هذا الطلب الغريب: " لماذا طلب منها ألا تلمسه؟ هل هو مولد كهربائي يخشى أن تلمسه مريم فتصعق؟"، وهذا سؤال وجيه جدًا ساقه الشيخ بأسلوب مازح ليخرج به المحاجج المسيحي فلويد كلارك.

وتتجلى حجاجية الاستفهام الساخر الذي يرحح كفة المحاجج المسلم ويوقع خصمه في مأزق محرج جدًا، ويورطه في ورطة لا خروج له منها في مناظرة ستوكهولم الأولى؛ حيث دعا الشيخ أحمد ديدات باستر ستانلي شوييرج إلى فتح إنجيل سلّمه إليه على الإصحاح السابع والثلاثين من سفر أشعياء، حتى يتحقّق من تطابقها مع نسخة كانت معه، فيستجيب المحاجج المسيحي لذلك دون أن ينتبه إلى الحيلة التي ينسج خيوطها العلامة المسلم الذي يبدأ بالقراءة، وشوييرج يتابع موافقًا جدًا للتطابق الحاصل بين النسختين، لتأتي المفاجأة المدوّية حين ينهي الشيخ إلى أسمع صاحبه أنّه يقرأ من الإصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثاني.¹ والأمر هنا يبدو كخدعة، لكنّها هنا خدعة مقبولة وجائزة حبك الشيخ خيوطها بذكاء ففضح المحاجج المسيحي، ثم يزيد من حجم الفضيحة والسقوط الحرّ باستفهام تبكيّتي ساخر: "هل نسي كاتب الإصحاح السابع والثلاثين من سفر أشعياء أنّ كاتبها آخر قد سبقه إلى تدوين نفس ما يكتبه، وذلك بالإصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثاني؟".

كما يعرض المحاجج المسلم إبان المناظرة نفسها التناقض الصّارخ الذي ورد في إنجيل يوحنا بين الآية التاسعة من الإصحاح الثامن عشر، والآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع عشر، فالأولى تنصّ على أنّه لا يهلك أحد، أما الثانية فتقول بأنّه لن يهلك أحد إلا واحد، والنسبة المئوية من الواحد ولا أحد هي ما لا نهاية،² ويعطف الشيخ هذا البسط الحجاجي باستفهام ساخر: "لماذا جعل الرّوح القدس القدّيس يوحنا وهو من هو يتناقض بين الواحد ولا أحد وهو

1- ينظر: مناظرتان في ستوكهولم، ص: 23.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 30.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

القديس يوحنا كما يتبدى للناس؟"، فقد وصف يوحنا بقوله: "هو من هو"، لكنّه ضمناً يسخر منه ولا يمجدّه ويرفعه؛ لأنّه كاذب مثل كلّ كتبة الإنجيل الذين عبثوا به وحرّفوه.

ويعطف الشّيخ استفهاماً ساخراً آخر يدجج به سيل الضربات القاسية التي يوجهها لمناظره المسيحي الذي وقع في مأزق كبير، ولم يرحمه الشّيخ أبداً؛ بل استمر في فضح سقطات الدين المسيحي الذي يدافع عنه باستماتة، والأمر هذه المرّة متعلّق بالعهد القديم؛ حيث ورد في سفر التكوين أنّ قطورة كانت زوجة إبراهيم، بينما يقول سفر الأيام الأول أنّها جارية، والشّيخ يؤكّد أنّ اليهود كانوا يفرّقون بين الزوجة والجارية،¹ وهذا التحريف البيّن أجج فورة السخرية عنده ليتساءل عن الشخص الذي يوحى إلى هؤلاء النّاس: "هل يلهّمهم الروح القدس؟ أم يلهّمهم الروح غير القدس؟"، والشّيخ لا يقصد هنا السخرية من سيّدنا جبريل، بل من الذين يدّعون أنّ جبريل لا ينقل نقلاً أميناً.

وفي فترة الأسئلة والأجوبة يعرض الشّيخ أحمد ديدات للمشكلة الكبيرة التي يعاني منها العالم المسيحي، ألا وهي مشكلة كثرة النساء مقارنة بعدد الرجال، ويقدم لإثبات ذلك أرقاماً إحصائية، ثمّ يؤكّد أنّ القرآن الكريم وجد حلاً لهذه المشكلة منذ 1500 سنة، وهو التعدّد من أجل محاربة الفساد والرذيلة،² ويسخر من عجز الإنجيل الذي ظهر قبل القرآن بستمائة سنة عن إيجاد حلّ لهذه المعضلة بقوله: "ماذا عندكم في الإنجيل لحل هذه المشكلة الموجودة لديكم؟".

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية يستمر المحاجج المسلم في تعذيب خصمه استانلي شوبيرج بالحجج الدامغة؛ حيث يستفهم ساخراً ليزيد من إحراجه وتبكيته بقوله: "هل يجوع الله؟ ما رأيكم بإله جوعان؟" بعد يستشهد بما ورد في إنجيل مرقس الذي صرّح بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّ المسيح يجوع ويأكل كما يأكل الناس جميعهم؛ بل إنّ القصّة تحمل دلالات أكثر من هذا حيث

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 32.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 85.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

تحكم على المسيح بأنه يجهل أيضا موعد نضج التين، فيزعم أنه لما رأى شجرة التين اقترب منها فلم يجد تينا؛ لأنه ليس وقت التين،¹ ويا له من موقف مخرج وقع فيه الباستر السويدي.

وفي السياق نفسه؛ أي في إطار نفي ألوهية المسيح يزيد الشيخ من وتيرة خطابه الحجاجي الساخر، كما يزيد من معاناة القس السويدي المسكين؛ إذ يستفهم العلامة على المنوال السابق نفسه "هل رأيتم لها ييكي؟"²، والإله طبعاً لا ييكي، تبارك وتعالى الله عن ذلك، فالبكاء صفة بشرية خالصة، والشيخ لم يفتر ذلك؛ لأنه استفاه من أقصر جملة وردت في الإنجيل، وتحديدًا في إنجيل القديس يوحنا، والجملة تقول "بكي يسوع".

وفي آخر هذه المناظرة يتطرق الشيخ لحادثة جرت في مناظرة ستوكهولم الأولى، فقد قام شخص خلال الوقت المخصص للمناقشة والأسئلة و«قدم إلى باستر استانلي شوويرج زجاجة بها سائل سام، وطلب منه أن يشربه، لو كان يؤمن بما ورد في إنجيل مرقس»³، ولم يفعل القس ما طلب منه، وبدلاً أن يطبق ما ورد في إنجيله المزعوم أنهم الفتى بأنه شيطان، وجعله يجلس خائفاً مرعوباً، وأراد القس أن يستفيد من هذا ليجعل الأمر كأنه محاولة قتل، فيتهمه الشيخ بأنه عنصري، وغير ثابت الإيمان، ويردّ له الصاع صاعين، ويستخدم استفهاماً ساخراً ليذله ويقزّمه ويحقّره ويجعله أضحوكة قائلًا: "هل تستطيع أن تتكلم لغة الزولو يا سيدي؟" ثم ينطق ببضع كلمات لم يفهما استانلي الذي أصيب بإحراج كبير.

وفي إطار مناقشة الشيخ لمسألة الفكرة العبقريّة التي جادت بها قرائح النصراني حين رأوا أنّ الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة؛ بل إله واحد، ولا يستطيع استساغتها ولا ابتلاعها ولا المرور دون التوقف عند إسفافها، ويستبعد أن تكون جملًا من هذا

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 143.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص: 149.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

القبيل إنجليزية، ولا يستبعد أن تكون من لغة منقرضة لم تبلغه،¹ فيستفهم ساخرا مستهزئا: "آية لغة هذه التي يتكلمون؟".

II - حجاجية التكرار:

ارتبط التكرار في الدرس النحوي بالتوكيد اللفظي، وهو عند البلاغيين مرتبط بالتوكيد لنكتة: كتأكيد الإنذار، أو الإيغال، أو زيادة المبالغة وغيرها، كما كان لهذه الظاهرة حضور قوي عند اللسانيين النصيين في دراساتهم النصية، فتناولوها من جوانبها المختلفة الشكلية والدلالية والتداولية والحجاجية.²

والتكرار يعدّ من التقنيات التعبيرية التي تقوّي المعاني، وترفع من قيمة النصوص؛ نظرا لما تضيفه عليها من قيمة دلالية وموسيقية فنية. والصورة المكررة لا تحمل الدلالة السابقة؛ بل تحمل دلالات جديدة بمجرد خضوعها لظاهرة التكرار الذي يؤدي رسائل خفية متنوعة عن طريق التراكم الفني للحرف، والكلمة والجملة.³ وللتكرار قدرة كبيرة على التأثير في قلوب وعقول المتلقين، وخدمة القضايا التي يعرض لها المتكلم إذا أحسن توظيفه في كلامه.

1- مفهوم التكرار لغة واصطلاحا:

1-1- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «الكَرُّ: الرَّجُوعُ... وَالكَرُّ مَصْدَرٌ كَرَّرَ عَلَيْهِ يَكُرُّ كُرًّا وَكُرُورًا وَتَكَرَّرًا... وَالكَرُّ: الرَّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكَرُّرُ... وَكَرَّرَ الشَّيْءَ وَكَرَّرَهُ أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى... وَالكَرَّةُ: الْمَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الْكَرَّاتُ». ⁴

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 163.

2- ينظر: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مح 10، ع 1 و2، جويلية 1991، ص: 157.

3- ينظر: ميلود نزار، الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدامى والحديثين، مجلة علوم إنسانية، ع 44، جانفي 2010م، ص: 1.

4- ابن منظور، لسان العرب، 135/5.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري: «كَرَّرَ: انْهَزَمَ عَنْهُ ثُمَّ كَرَّرَ عَلَيْهِ كُرُورًا.... وَكَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ كَرًّا، وَكَرَّرْتُ عَلَيْهِ تَكَرَّرًا، وَكَرَّرَ عَلَيَّ سَمْعِي كَذَا وَكَذَا، وَيُكَرِّرُ عَلَيْهِ»¹.

من خلال النظر في المعاجم نجد أنّ مادة التكرار تدور في معاني: الرجوع، والإعادة، والعطف، والبعث.

1-2- اصطلاحا:

هو «إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة»²؛ أي «دلالة للفظ على المعنى مردّداً، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإنّ المعنى مردّد واللفظ واحد»³ وبمفهوم أوضح وأكثر جلاءً أن «يأتي المتكلم بلفظٍ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متّفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنى ويعيده، وهذا مع شرط اتّفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متّحد الألفاظ والمعاني، فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقديره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متّحداً، وإن كان اللفظان متّفقين والمعنى مختلفاً، فالفائدة في الإتيان به للدلالة على المعنيين»⁴. فالهدف الذي يأتي من أجله التكرار غالباً هو التأكيد.

2- أقسام التكرار:

يقسّم الباحثون التكرار إلى أقسام عديدة تختلف باختلاف النظرية اللغوية التي تتناولها، وأهم أقسامه ما يأتي:

1-الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ت 538 هـ)، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص: 539-540.

2-صباحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكيّة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1431هـ-2000م، 2/20.

3-ضياء الدين بن الأثير (أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1403هـ-1983م، 2/110.

4-أحمد مطلوب، معجم النقد العربي، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م، ص: 370.

2-1- التكرار المباشر:

ويقصد به تكرار الكلمات دون تغيير، مثل قولك: جاءني الرجل وأكرمت الرجل. ولهذا النوع من التكرار دور كبير في إضفاء طابع الاستمرارية في النص، وتحقيق التماسك بين أجزائه والنسج بين وحداته.¹

2-2- التكرار الجزئي:

ويعني تكرار العنصر المعجمي مع شيء من التغيير في الصيغة، مثل قولنا: "تتكوّن الحكومات من الناس وتستمد سلطاتها من المحكومين"؛ حيث تعود الكلمتان "الحكومات والمحكومين" إلى مادة واحدة وهي الحكم؛ مما جعلهما متسقتين.²

2-3- الترادف:

وهو تكرار المعنى مع اختلاف اللفظ، وقد يتكرر في النص أكثر من مرة وعلى مستوى أكثر من كلمة، مثل قولك: ليث، وهزبر، وحمزة، وأسامة، وسبع، وغضنفر، وقسورة، وكلها أسماء للأسد.³

2-4- الاشتراك اللفظي:

ويقصد به الاتفاق في الحروف بين كلمتين أو أكثر مع الاختلاف في المعنى، مثل كلمة "العمّ" التي تعني "أخا الأب"، وقد تستخدم بمعنى الجمّ الكثير، وكلمة العين التي تأتي بمعنى عضو الإبصار، وتأتي بمعنى عين الماء.⁴

1- ينظر: زاهر بن مرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1431هـ-2010م، ص: 114.

2- ينظر: جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1998م، ص: 82.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 82.

4- ينظر: عزة محمد شبل، علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ-2009م، ص: 147.

3- أغراض التكرار، وأهميته في الدرس الحجاجي:

الناظر لظاهرة التكرار يجد أنّها تحمل في طياتها أغراضا بلاغية تُستشف من السياق والمقام، وهو عادة أداة هامة وناجحة من أدوات الإيقاظ، والتنبيه، وإثارة الحماس، لاستقبال الكلام والتأثر به، كما أنّه سنّة من سنن العرب في إظهار الاهتمام بالأمر، والمراد به تكرار الألفاظ والمعاني لفائدة بلاغية، وأغراضه البلاغية متعددة منها: تقرير المعنى، وشدّ الانتباه، والإفهام، والتأكيد، والاستمالة، والتذكير، والإغواء، والتسلية، والتحذير.¹

وتكمن أهمية التكرار في الدرس الحجاجي في عمله على تنبيه المتلقين إلى الغايات التي يرومها المتكلم؛ إذ يوظفه المحاجج من أجل استمالتهم وإقناعهم، وكسب تأييدهم، وتغيير اتجاه أفكارهم؛ فهو وسيلة بلاغية بالغة الأهمية يقصد إليها المتكلم لتقوية شحنة المنطوق؛ حيث يقولون: "الشيء إذا تكرر تفرّز"، والتكرار تعرفه الشفرتان المعتادتان المنطوقة والمكتوبة، وإن كان تأثيره في بنية الشفرة المنطوقة التلقائية أقوى، علاوة على أنّ تكرار المنطوق بتركيبه، قد يتغير بتركيب طفيف في هذا التركيب.²

ويشدّد كلّ من "بيرلمان وتيتيكاه" على الأهمية الكبيرة لأسلوب التكرار بعده طريقة من طرق العرض ذات الأثر الحجاجي؛ حيث يشيران إلى أنّ التعارض والتضارب الذي يقع بين حكايات كثيرة تدور حول موضوع واحد من شأنه أن يلفت الانتباه إلى أهمية هذا الموضوع الذي تراكمت حوله هذه الحكايات.³

1- ينظر: بدر عبد العال حسين محمد، بلاغة التكرار في الحديث الشريف ومقاماته، حوئية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ج 6، ع 19، 1436هـ-2015م، ص: 4732.

2- ينظر: محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1423هـ-2011م، ص: 337.

3- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيكتيه، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 318.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

وينوّه كثيرٌ من الباحثين إلى أهمية أسلوب التكرار؛ حيث إنّه لم يعد تقنية موجودة «للمراقبة ولا للتنغيص على المبدع؛ بل وجوده محكّ لأساليب الإقناع التي يتدرّعها المبدع في عمله وأساليبه، إنّه يجزّب عليه فعاليتها وقوة حجتها، إنّه يتحسّس فيه جميع الردود التي يمكن أن يصادفها في غيره من القراء (...) فتكرّر وتؤكّد بأننا نريد زحزحته عن القديم، وليس من مقياس لنجاح صنيعنا إلا مقدار الزحزحة التي نجريها في ذاته ومواقفه».¹

وعليه فالتكرار يوفّر طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي، وتساعد على نحو فعّال في إقناعه أو حمله على الإذعان؛ وذلك أنّه يساعد أولا على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فإذا ردّد المحتج فكرة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي، وإن ردّد رابطا حجاجيا أقام تناغما بينا بين أجزاء الخطاب، وأكّد الوحدة بين الأقسام أو أوهم المتلقي بها.²

4- حجاجية التكرار في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

سوف نبحتُ في الصفحات التالية الدورَ الهام الذي قامت به أداة التكرار في المدونة المدروسة. واهتمامنا مقتصرٌ فقط على التكرار الذي له أثر حقيقيّ وفاعلٌ وحاسمٌ في سبك وحبك أواصر الخطاب الحجاجي عند الشيخ أحمد ديدات في الشقين اللفظي والدلالي؛ أي ذلك الذي يمثل آلية حجاجية تتحقّق من خلالها مزية زيادة الشحنات الإقناعية، وترجيح كفة المحاجج المسلم أمام خصومه المسيحيين، واستمالة الجماهير الحاضرة في قاعات المناقشة، والجماهير المتابعة في جميع أنحاء العالم.

1- حبيب مونس، الواحد المتعدّد النص الأدبي بين الترجمة والتعريب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005م، ص: 75.

2- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 168.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

4-1-1-4 تكرار الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية:

4-1-1-4-1 تكرار الروابط الحجاجية:

توزع تكرار الروابط الحجاجية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات وفق ما هو مبين في الجدول

الإحصائي الآتي:

تكراره	الرابط الحجاجي	المناظرة
53	لكنّ	المناظرة الكبرى
42	لأنّ	
9	بل	
20	لكنّ	مناظرة العصر
12	لأنّ	
5	بل	
7	لكن	أخطر المناظرات
15	لأنّ	
1	بل	
13	لكن	مناظرة ستوكهولم الأولى
4	لأنّ	
3	بل	

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

19	لكن	مناظرة ستوكهولم الثانية
5	لأنّ	
7	بل	

نستشف من خلال الجدول السابق تحقّق التماسك بين أجزاء الخطاب الحجاجي الإقناعي في مناظرات الشيخ أحمد ديدات الدينية أمام المحاججين النصارى، عن طريق توظيف حشد من الروابط الحجاجية "لكن، لأنّ، بل" خصوصاً حرف الاستدراك "لكن" الذي يتمّ توظيفه ليتوسّط قضيتين متناقضتين، وحرف التعليل "لأنّ" الذي يأتي للتفسير والتوضيح كما أشرنا في الفصل السابق (الفصل الثالث)، ولاشكّ في أنّ الروابط الحجاجية تحقّق تناغماً واتساقاً بين أجزاء الكلام ألفاظاً وعبارات؛ مما يحيل على اتّساق الأفكار والحجج التي تنساب وتتضافر، وتترتّب وتتنظّم، فتسهم في ترجيح كفة المحاجج المسلم، الذي يبرز خصومه ويلجئهم بالدليل القاطع كالسيف البتار، والبرهان الساطع كالشمس في رابعة النهار.

ودلالة تواتر توظيف الرابط "لكنّ" (وظّفه الشيخ اثني عشرة ومائة مرّة) كثرة القضايا التي تمّ بسطها وتناولها في المناظرات، خصوصاً المناظرة الكبرى مع القسّ جيمي سواجارت؛ وهذه القضايا تتعارض وتتشاكس، ولذلك فلا بدّ من الشرح والاستدراك، وتوضيح هذه التناقضات وتحليلتها، خصوصاً وأنّ جميع المناظرين النصارى جنحوا لرمي الشبهات دون دليل ولا برهان؛ ولذلك فالمحاجج المسلم مضطرّ لتقديم أفضل ما يملك من حجج للردّ عليهم وتبكيّتهم، وردّ افتراءاتهم ونقض حججهم، وبيان هزلها وهافتها.

وجاء استخدام الرابط الحجاجي "لأنّ" (جرى توظيفه ثمانية وسبعين مرّة) في معرض الشرح والتفسير والتوضيح الذي احتاج إليه الشيخ أحمد ديدات من وجهين، أولاً: لتعليل حججه التي يبسطها، وبيان مدى صحتها وقبولها من خلال حملها على وجوه برهانية لها سند عقلي ونقل

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

ومنطقي برهاني، وثانيا: لردّ حجج الخصوم المسيحيين وبيان زيفها وضعفها، عن طريق ردّها بالأدلة الدامغة والبراهين الواضحة والحجج الوازنة، حتى لا يترك أيّ فرصة لخصومه في خداع الجماهير التي كانت حاضرة بقوة في قاعات المناقشة.

أمّا الرابط الحجاجي "بل" فجاءت مواضع توظيفه قليلة نسبياً مقارنة بالرابطين الآخرين (خمسة وعشرين مرة) في جميع المناظرات؛ ذلك أنّ الرابط "لكن" أغنى عنه بحكم أنّه يرد للإبطال أيضاً في مواضع عديدة. وهذا لا ينفي -طبعاً- أهميته البالغة في سبك الخطاب الحجاجي الديداتي؛ لأنّ توظيفه جاء في مواطن مخصوصة وبدقة رجّحت كفة الشيخ في معرض تناوله للقضايا التي جرى التحاجج حولها، والسجّال الفكري في إطارها، والتناظر في مدارها.

4-1-2- تكرار العوامل الحجاجية:

توزّع تكرار العوامل الحجاجية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات وفق ما هو مبين في الجدول

الإحصائي الآتي:

التكرار	الأداة	العامل الحجاجي	المناظرة
96	لا	التّقي	المناظرة الكبرى
77	لم		
82	ليس		
3	إنّما	القصر والحصر	
7	إلا		

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

15	لو	الشرط	مناظرة العصر
53	إذا		
52	لا	التّقي	
27	لم		
21	ليس		
12	إنّما	القصر والحصر	
2	إلّا		
19	لو	الشرط	
8	إذا		
48	لا	التّقي	
45	لم		
16	ليس		
2	إنّما	القصر والحصر	
3	إلّا		
8	لو	الشرط	
3	إذا		

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

48	لا	التّفي	مناظرة ستوكهولم الأولى
26	لم		
17	ليس		
5	إنّما	القصر والحصر	
2	إلّا		
22	لو	الشرط	
5	إذا		
49	لا	التّفي	مناظرة ستوكهولم الثانية
38	لم		
26	ليس		
4	إنّما	القصر والحصر	
2	إلّا		
25	لو	الشرط	
6	إذا		

جنح العلامة أحمد ديدات إلى تكرار العوامل الحجاجية المختلفة التي وظّفها في جميع مناظراته أمام المحاججين النصارى، وهذه العوامل هي: "التّفي، والقصر والحصر، والشرط" بعدها تقنيات هامة تُسهم في توضيح وتجلية الخطاب الإقناعي، وكذا تقييد الإمكانيات الحجاجية

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

للخطاب الذي يتمّ عرضه في إطار المناظرة. وكانت حصّة الأسد من ناحية ورود هذه العوامل للمناظرة الكبرى التي جرت بين الشيخ أحمد ديدات والقسّ الأمريكي جيمي سواجارت، في حين جاءت مناظرتا ستوكهولم اللتان جمعتهما بين المحاجج المسلم وباستر استانلي شوويرج في الدرجة الأقلّ من ناحية حضور العوامل الحجاجية.

وينبغي أن نُشير إلى أنّ سبب حصول المناظرة الكبرى على القسم الأكبر من الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية يعود أساسا إلى كونها أكبر مناظرة يخوضها الشيخ أحمد ديدات في قاعة كبرى بحضور آلاف الأشخاص من مسلمين ومسيحيين، وقد كان حريصًا جدًا على الانتصار فيها وتوجيه ضربة قاصمة للدين المسيحي الذي يعتنقه أكثر من مليار ونصف مليار شخص في العالم، كما أنّها فرصة كبيرة للتعريف بالإسلام الحقيقي، وعليه فقد بذل الشيخ أقصى جهده وقدم أفضل ما يملك من تقنيات حجاجية إقناعية، خصوصًا أنّ جيمي سواجارت كان قسًا بروتستانتيًا شهيرًا يشاهد براجمه ملايين المسيحيين، كما أنّه شخص متمكّن وهزيمته ليست سهلة مطلقًا، ولا ريب في أنّ اندحاره وسقوطه أمام المحاجج المسلم سيكون له وقع كبير في جميع أنحاء العالم هذا من جهة، ومن جهة أخرى الكمّ الكبير من الشُّبه التي أثارها القسّ المسيحي، والتي توجّب على الشيخ نسفها ودحرها بحكم أنّه كان المناظر الثاني (وضعية دفاع وردّ)، وهذه الحجج بالطبع لن يتكرّر ذكر أغلبها في المناظرات اللاحقة حتى تلك التي تناولت الموضوع نفسه، مثل مناظرة ستوكهولم الأولى. كما أنّ هذه المناظرة عرّفت جولة حجاجية أخرى في فترة الأسئلة والأجوبة التي عرفت أخذًا وعطاءً بين المناظرين لم تشهده المناظرات الأخرى، على الرغم من أنّ هذا الوقت مخصّص للإجابة عن أسئلة الجمهور حول موضوع المناظرة، لكنّ الشيخ استغلها لبسط مسائل لم يُسعه المجال للحديث عنها خلال الوقت الذي خصّص له؛ لذلك فقد كان يتوسّع كثيرًا في الإجابات التي يقدّمها.

وكانت حصّة الأسد لعامل النفي "لا، ولم، وليس"؛ حيث تكرر الحرف الأول ثلاثة وتسعين ومائتي مرة (293)، منها ست وتسعون (96) كرتة في المناظرة الكبرى واثنان وخمسون (52)

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

كثرة في مناظرة العصر، في حين تساوت المناظرات الثلاث الأخرى تقريبا في مدى تواتر هذا الحرف الثاني. أما الحرف الثاني فجرى تكراره ثلاث عشرة ومائتي مرة (213)، من بينها سبع وسبعون (77) مرة في المناظرة الكبرى، وخمسة وأربعون (45) مرة في أخطر المناظرات، أما الفعل الجامد الثاني "ليس" فتكررت اثنتين وستين ومائة مرة (162) من بينها اثنتان وثمانون (82) حالة في المناظرة الكبرى، وهو رقم يفوق المواضع التي ورد فيها هذا العامل الحجاجي في باقي المناظرات الأربع مجتمعةً وبالبلغ ثمانين (80). ولا شك في أنّ هذا قدر كبير جدًا من الملفوظات الحجاجية النافية في مساحة نصية ضيقة؛ فجميع المناظرات الخمس استغرقت بضعة ساعات فقط، لكنّ الشيخ شحنها بحشد كبيرة من العوامل الحجاجية، وأحيانا يكرّر الحرف الثاني بشكل متتابع أكثر من مرة، مثل تكرار حرف النفي "لا" ثلاث مرّات متتالية في موضعين.¹

واحتلّ الشّرط الرتبة الثانية في قائمة العوامل الحجاجية التي وظّفها الشيخ أحمد ديدات في مناظراته، وسطت المناظرة الكبرى - كالعادة - على النصيب الأكبر من هذا الحضور بمجموع ثمان وستين حالة شرطية (68)، ثم مناظرة ستوكهولم الثانية بواقع إحدى وثلاثين حالة (31)، وتساوت مناظرة العصر ومناظرة ستوكهولم الأولى بواقع سبع وعشرين حالة (27). وتحقّق أسلوب الشّرط بواسطة الحرف "لو" والاسم "إذا"؛ حيث تكرّر الحرف "لو" الذي يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط تسعًا وثمانين مرة (89)، منها سبع وأربعون (47) تقاسمتها مناظرتا ستوكهولم الأولى والثانية، في حين تكرّرت "إذا" خمسًا وسبعين مرة (75) منها ثلاث وخمسون (53) حالة شرطية وردت في المناظرة الكبرى.

أمّا أسلوب القصر والحصر فجاء حضوره قليلاً نسبيًا مقارنةً بالعاملين الحجاجيين الآخرين ولم يتجاوز مجموعه أربعًا وأربعين (44) حالة منها عشر حالات (10) في المناظرة الكبرى، وست عشرة (16) حالة في مناظرة العصر، وخمسة (05) في أخطر المناظرات، وسبع (07) في مناظرة ستوكهولم الأولى، وست (06) في مناظرة ستوكهولم الثانية. ودور هذا العامل الحجاجي في تجلية

1- ينظر: المناظرة الكبرى، ص: 102، 106.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

الخطاب الإقناعي منوطٌ بالاختيار والتوظيف لا بالكثرة والتواتر، وهذا ما تحيل إليه حالات تكراره المتوازنة في كل المناظرات؛ حيث لا نلفي تفاوتاً كبيراً بين مناظرة وأخرى باستثناء مناظرة العصر، كما أنّ قلة تكراره مسوّغة بسيطرة عاملي النفي والشرط الذين كان لهما الحضور الطاغى في المناظرات.

4-2- تكرار المفردات:

توزّع تكرار المفردات في مناظرات الشيخ أحمد ديدات وفق ما هو مبين في الجدول الإحصائي الآتي:

التكرار	الصفحة	المناظرة
هذه هي النسخة المعتمدة... المعتمدة من... معتمدة من الملك جيمس	97	المناظرة الكبرى
أدقّ النسخ... أدقّ النسخ	98	المناظرة الكبرى
بالإضافة إلى أحدث وأدقّ ترجمة... أحدث وأدقّ ترجمة	98	المناظرة الكبرى
الإنجليزية.. الإنجليزية... الإنجليزية... الإنجليزية	100	المناظرة الكبرى
في تعاليمكم... في تعاليم... في تعاليم... تعاليم	102	المناظرة الكبرى
زنا المحارم... زنا المحارم... زنا المحارم.. زنا المحارم	107	المناظرة الكبرى
بين قوسين.. بين قوسين... بين قوسين... بين قوسين...	108	المناظرة الكبرى
اللغة فاسقة... اللغة فاسقة إلى حد بعيد	111	المناظرة الكبرى
الصفير... الصفير... الصفير... الصفير	112	المناظرة الكبرى
وفقاً ل... وفقاً ل... وفقاً ل...	114	المناظرة الكبرى
قادر... قادر... قادر	62	مناظرة العصر

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

إنجليزية...إنجليزية...إنجليزية	63	مناظرة العصر
الله...الله...الله	64	مناظرة العصر
ابن الإنسان...ابن الإنسان...ابن الإنسان	67	مناظرة العصر
يسوع...يسوع...يسوع	68	مناظرة العصر
شاوول... شاوول... شاوول... شاوول... شاوول	49	أخطر المناظرات
شبح...شبح...شبح...أشباح...أشباح	50	أخطر المناظرات
حيًا، حيًا، حيًا	50	أخطر المناظرات
ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ (06 مرات)	53-52	أخطر المناظرات
السبت...السبت...السبت...السبت...السبت	54	أخطر المناظرات
ثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ.. ثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ	56	أخطر المناظرات
سفر كذا...سفر كذا...سفر كذا	32	مناظرة ستوكهولم الأولى
غير معروف...غير معروف...غير معروف	32	مناظرة ستوكهولم الأولى
الفوضى والحيرة والبلبله... الفوضى والحيرة والبلبله	33	مناظرة ستوكهولم الأولى
كثير...كثير	34	مناظرة ستوكهولم الأولى
خياشيم...خياشيم...خياشيم	36	مناظرة ستوكهولم الأولى
ترجمة (05 مرات)، مترجم (03 مرات)	64-63	مناظرة ستوكهولم الأولى
بولس...بولس...بولس	138	مناظرة ستوكهولم الثانية
مع الله...مع الله...مع الله...مع الله	141	مناظرة ستوكهولم الثانية
هناك...هناك...هناك	141	مناظرة ستوكهولم الثانية
إنجيل عيسى...إنجيل عيسى...إنجيل عيسى	142	مناظرة ستوكهولم الثانية
تأليف أحمد ديدات... تأليف أحمد ديدات	142	مناظرة ستوكهولم الثانية
الجملة...الجملة...الجملة...الجملة...الجملة	144	مناظرة ستوكهولم الثانية

نستشفّ من خلال الجدول السابق حضورًا معتبرًا لآلية تكرار المفردات في جميع المناظرات التي خاضها الشيخ أحمد ديدات أمام المحاججين النصارى، خصوصًا المناظرة الكبرى التي يتّسق

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

تفوقها في استيعاب هذه الآلية مع تفوقها أيضا في عدد العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية التي تمّ توظيفها في فضائها النصّي. ولا جرّم أنّ توظيف التكرار لم يأت عبثا؛ فهو يرد في مواضع مخصوصة من الخطاب الحجاجي الديداتي؛ وله دوافع حجاجية وإقناعية يروم المحاجج المسلم تحقيقها والوصول إليها، بالنظر إلى أنّه يدافع عن قضية يراها صحيحة، ويحاول نسف أطروحات المسيحيين الزائفة.

والشيخ في كثير من الأحيان يستخدم جملة من التكرارات التي تدور في إطار الموضوع نفسه، وتلامس القضية نفسها حتى يحيط بها من كلّ جوانبها، ولا يترك لخصمه فرصة التنصّل والفرار، فنجد حين يتناول في المناظرة الكبرى قضية إنجيل الملك جيمس الذي يراه القسّ جيمي سواجارت كلمة الله دون غيره، يستشهد بأقوال أعتى علماء المسيحية؛ حيث ينقل ذلك الثناء والتقدير الذي أسبغوه عليها، مادحين الصفات الإيجابية الكبيرة التي تتمتع بها،¹ خصوصا دقّتها التي يشدّد عليها عن طريق التكرار "أدق النسخ... أدق النسخ"، وفي موضع آخر "أحدث وأدق ترجمة... أحدث وأدق ترجمة"، ثم يكرّر لفظة "الإنجليزية" ستّ مرّات في مساحة نصية لا تتجاوز خمسة أسطر بغية إفهام الجماهير، وتوضيح الفضل الكبير الذي حازته نسخة الملك جيمس حسب علماء النصارى؛ إذ قدّمت خدمات جليلة للشعوب الناطقة بالإنجليزية. والشيخ هنا بكلّ ذكاء تقمّص دور الشخص الذي يريد أن يشدّ انتباه الجمهور إلى عظمة هذه النسخة وأهميتها، ولكن ليس هذا طبعاً هدفه، فهو لم يرد بذلك إلّا استدراج الحضور نحو فتح نصبه؛ فما سيحدث لاحقاً يعدّ مفاجأة كبرى؛ لأنّ المحاجج المسلم سيستشهد بأقوال أخرى تناقض الأقوال الأولى، وتقول بأنّ هذه النسخة فيها عيوب كبيرة وخطيرة جدّاً؛ مما يشكّل حجة ثقيلة تنسف دفاعات المحاجج المسيحي.²

1- ينظر: المناظرة الكبرى، ص: 98.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 99-100.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

وفي إطار مناقشة قضية التحريفات الموجودة في الكتاب المقدس، يتحدث العلامة المسلم عن احتواء الإنجيل بين دفته عشر حالات تتحدث عن "زنا المحارم" الذي يعدّ موضوعا معيبا، يتحاشى الناس الحديث عنه؛ لأنه مناقض للفطرة، ومخالف للجبلية التي جبل الله الناس عليها،¹ ويكرّر الشيخ هذه اللفظة عشر مرّات كاملة، حتى يزيد من إحراج خصمه، والتأكيد على هذه الهنة الكبيرة التي توجد في كتاب يدّعي خصمه أنه من عند الله. ثمّ ينتقل للحديث عن التحريف في أسفار العهد القديم، ليؤكّد أنّ العلماء النصارى يقرّون بأنّ موسى ليس من كتبها،² ولذلك فهم يضعونها بين قوسين، ويكرّر لفظه "بين قوسين" خمس مرّات عطفًا على أسماء الأسفار الخمسة حتى يؤكّد اشتغال كلّ الأسفار على هذا التحريف. ثمّ يأتي دور العهد الجديد من النقد؛ حيث يشير الشيخ إلى أنّ الإنجيل ليس إنجيل عيسى، وربما ليس حتّى إنجيل الكتّاب الأربعة؛ لأنّ متصفّح الإنجيل يجد لفظه "وفقا"³ التي كرّرها سبع مرّات كاملة، حتى يؤكّد هذه الفكرة، وهي فكرة الشكّ في الإنجيل الذي يحمل بذور فئائه داخل تربة نصوصه ذاتها، فلو كان الإنجيل حقًا كما رواه عيسى عليه السلام لما وقعنا في هذه الإشكالية.

وفي مناظرة العصر التي موضوعها "هل عيسى إله؟" يشير الشيخ إلى التقرير الذي أصدره مؤتمر الكنائس العالمي الذي تناول موضوع التثليث وعدّ كل واحد من الثلاثة قادرا⁴، فيكرّر لفظه "قادر" ثلاث مرّات مخصّصا كلّ واحدة منها لأقوم من هذه الأقانيم، من أجل شدّ انتباه الحاضرين إلى هذه الفكرة السخيفة ويسخر منها؛ لأنّ التقرير المزعوم يقول بكلّ صفاقة أنّهم ليسوا ثلاثة قادرين؛ بل قادرا واحدا. وفي إطار سعي الشيخ لنسف فكرة بنوّة المسيح يشير إلى أنّ اليهود كانوا يعدّون الله أبا للجميع، ولتنزيهه الله عن الشريك يكرّر الشيخ لفظ الجلالة "الله" خمس مرات

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 106.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 107.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 114.

4- ينظر: مناظرة العصر، ص: 62.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

سائقا مجموعة من الحجج التي تصب في بوتقة تثبيت التوحيد، وردّ الأباطيل.¹ وليؤكّد الشيخ هذه الفكرة ويثبتها أكثر يثبت بالدليل أنّ يسوع جرى وصفه "بابن الإنسان" في مواضع كثيرة من الإنجيل، ويكرّر هذه اللفظة أربع مرّات كاملة،² ثمّ ينتقل الشّيخ للحديث عن ظروف ولادة المسيح وختانه، فيكرّر لفظة "يسوع" أربع مرّات، ليؤكّد أنّه من وجهة نظره لا يمكن أن يكون هذا المولود كباقي البشر إلها، فالذي كان في بطن مريم "يسوع" وليس الله.³

وفي أخطر المناظرات يعرّج الشيخ إلى الحديث عن قصّة القديس بولس؛ إذ يقول الكتاب المقدّس أنّه سمع صوتا من السماء يحدّثه، وهو صوت يسوع حسب الرواية،⁴ والشيخ يكرر اسم "بولس" خمس مرات كاملة في إطار سعيه لتأكيد أنّه لم يرَ يسوع كما يحاول بعض النصارى الزعم بل سمع صوتا فقط، وهذا غير مشابه بتاتا للقصّة المزعومة الأخرى التي تنصّ على كون الحوارين قد رأوا عيسى وتناولوا معه طعاما بعد قيامه من بين الأموات. وفي الحديث عن مسألة الصلب وبحثا عن سبيل لنقضها من داخلها، بما أنّ النصراني لا يؤمن بالقرآن، ولا بالآيات البيّنات التي تفنّد قصّة الصلب والفداء من أساسها، يتماشى الشيخ هذه الأسطورة المزعومة ويسلمّ جدلا بوقوعها-وهذا ما يتجلّى من سياق الكلام-⁵، وبعد سرد جملة من الحجج والبراهين التي تمحق هذه الفرية يبدو أنّه شعر بالغضب من إصرار النصارى على تأبّط الفهم السقيم، فيؤكّد أنّه يستطيع أن يثبت للحاضرين بأكثر من ثلاثين دليلا من كتابهم أنّ عيسى بقي "حيّا، حيّا، حيا"، فيكرر هذه اللفظة ثلاث مرّات لشدّ انتباههم إلى قدرته على ذلك. واستمرارا لهذّ أساسات مسألة الصلب المزعومة يشير المحاجج المسلم للنصّ الإنجيلي الذي يقول فيه عيسى أنّ معجزته ستكون كمعجزة يونان؛ أي إنّّه سيبقى في باطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال بعد موته،⁶ فيكرّر لفظتي

1- ينظر: المرجع السابق، ص : 64.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص : 67.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص : 68.

4- ينظر: أخطر المناظرات، ص : 49.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص : 50.

6- ينظر: المرجع نفسه، ص : 52، 56.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

"ثلاثة أيام" و"ثلاث ليالٍ" خمس مرات حتى تثبت في عقول الحاضرين، ثم يعود ليكررها مرتين في موضع آخر، حتى يزيد من التقرير والإلزام؛ لأنه يعدّ لهم فخًا، فقد أثبت الحساب الذي قام به لاحقًا أنّ المسيح لم يمكث في القبر ثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ؛ لأنه دفن ليلة الجمعة وبقي في قبره يوم "السبت"، ويكرّر كلمة "السبت" خمس مرّات للاستدلال على أنه اليوم الوحيد الكامل الذي مكثه المسيح في قبره بنهاره وليله إضافة إلى ليلة الجمعة، ويوم الأحد لم تجده مريم في القبر،¹ فتم نسف هذه القصة الباطلة.

وفي مناظرة ستوكهولم الأولى، وفي معرض مناقشة الشيخ للتحريفات الكثيرة التي يعجّ بها الإنجيل الذي يدافع عنه خصمه السويدي استانلي شويرج، وتحديدًا التناقض الحاصل بين الروايتين اللتين تتحدثان عن "قطورة"؛ إذ يقول سفر التكوين أنّها كانت زوجة له، في حين ينصّ سفر الملوك الثاني بشكل واضح على كونها سرّية، على الرغم من أنّ اليهود كانوا يشدّدون على فكرة التمييز بين الجارية والزوجة.² ومن أجل التأكيد على أنّ المسيحيين لا يملكون إجابة عن الذي كتب "سفر كذا، أو سفر كذا، أو سفر كذا" يكرّر الشيخ هذا اللفظ لتبيان فداحة جهلهم، وعمق غفلتهم؛ ولذلك فهم يتهرّبون بقولهم: "غير معروف، غير معروف، غير معروف"، فيكرّر أيضًا هذه اللفظة للسخرية من محدودية معارفهم، وفرارهم الدائم من الإجابة، وعنتم وإصرارهم على التجلبب بالغباء. ثم يهاجم الشيخ التصوّر السافل الذي لا ينزه الله ويلصق به صفات لا تليق بعظمته، ومن ذلك القصة الباطلة الأسطورية حول بناء برج بابل التي تقول بأنّ الله نزل ليلبل ألسنة أهل بابل،³ فيؤكّد الشيخ عن طريق تكرار ألفاظ "الفوضى، الحيرة، البلبل" في موضعين في أنّ الشيطان هو من يسببها؛ لأنّه الموسوس المضلّ، ولا يليق أن ننسب في كتاب مقدّس هذه الصفات الذميمة لله تعالى. وفي الإطار ذاته يذكر الشيخ الخزعيلة التي يقول بها كثير

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 55.

2- ينظر: مناظرتان في ستوكهولم، ص: 32-33.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 33.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

من النصارى ويرسمون بمقتضاها الإله في صورة كائن له خياشيم ينفث منها الدخان¹ بكل صفاقة وجرأة، ويكرر لفظه "خياشيم..خياشيم..خياشيم" ثلاث مرّات بأسلوب ساخر ومستهزئ من هذه السخائم العقديّة التي تتوشّح بها الديانة المسيحيّة المحرفة وإغراقها في الإغراب، والتصورات السينمائيّة. ولبيان أنّ الانحرافات التي تتناول الحديث عن المحرّمات في الكتاب المقدّس كثيرة جدًّا وأكثر من أن تحصى، ولا تقتصر على ما تمّ ذكره، وبعد أن يمثّل بقصّة شمشون ودليّة² يكرّر الشّيخ كلمة "كثير، كثير" مرّتين حتّى يعطي لكلامه قوّة وإقناعا.

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية يوجّه الشّيخ توبيخا للمسيحيّين، وهو يقصد كبراءهم وعلماءهم الذين لا يقتبسون أقوال المسيح الذي يعدّونه إلهًا في رسائل بولس إلى الكورنثيين والعبانيين؛ وإنما يستشهدون بأقوال بولس نفسه؛ الرجل الذي كان أعدى أعداء المسيحيين ثم صار فجأة قديسا كبيرا له مكانة كبيرة في الدّين المسيح، ويكرر الشّيخ لفظ "بولس، بولس، بولس" ثلاث مرّات حتى يتبّت هذا الأمر ويؤكّد عليه؛ أي إنّ الأقوال هي أقوال بولس في كل ما تمّ الاستشهاد به.³ وفي تناوله لخرافة وجود المسيح مع الله في السماء قبل خروجه من بطن أمّه، يقدح الشّيخ في القلوب الغلف، والفهوم المتحجّرة عن النصارى؛ مما يجعلهم يحملون النصوص على غير وجهها، ويؤكّد أنّ المعنى هو "كنا في علم الله"، وعليه فكنا مع الله مع حتى هتلى،⁴ فيكرر "مع الله" ثلاث مرّات حتى يقرّر هذا المعنى ويشدّ انتباه الحاضرين الذين ضحك كثيرون منهم بعد استيعاب نكته الموضوع، كما يعزّز هذا المعنى بلفظة "هناك" التي يكرّرها ثلاث مرّات أيضًا؛ أي كنا هناك مع الله موجودون في علمه؛ لأنّه يعلم ما كان وما يكون، وما هو كائن، وما ليس كائنا، لو كان كائنا كيف سيكون. وبجثا عن إنجيل عيسى المفقود يطالب المحاجج المسلم من النصارى أن يأتوه به؛

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 36.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 34.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 138.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 138.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

لأنّه هو الإنجيل الحقيقي الذي أنزله الله إليه، ليهدي به الضالين من بني إسرائيل،¹ ويكرر لفظ "إنجيل عيسى.. إنجيل عيسى... إنجيل عيسى" حتى يشدّد على هذا الطلب المشروع، فالأنجيل المتوقّرة هي أنجيل "مرقس، ولوقا، ومتى، ويوحنا" ونحن لا نؤمن بها. وفي مسألة ردّ الفرية التي اتّهم بها المحاجج المسيحي أحمد ديدات؛ حيث أظهر كتاباً لم يؤلّفه المحاجج المسلم ونسبه إليه ينكر الشيخ أحمد نسبة الكتاب إليه؛ لأنّ الموجود على غلافه "وفق آراء أحمد ديدات"، في حين أنّ كلّ كتب المحاجج المسلم مكتوب عليها "تأليف أحمد ديدات"²، فيكرّر الشيخ هذا اللفظ لتكرار المعنى مرّتين حتى يدافع عن نفسه، ويؤكد أنّ الكتاب ليس كتابه، ومن جانب آخر الطعن في خصمه الكاذب الذي أراد أن يلصق به تهمة باطلة.

4-3- تكرار التراكيب والأساليب:

توزّع تكرار التراكيب والأساليب في مناظرات الشيخ أحمد ديدات وفق ما هو مبين في

الجدول الإحصائي الآتي:

المناظرة	الصفحة	التكرار
المناظرة الكبرى	97	أنا أوافق الذي تقول.. أنا أوافق عليه... أنا أوافقك
المناظرة الكبرى	97	لذلك فهي أقربها إلى الأصل... وهي أقرب إلى الأصل الحقيقي... أقربها إلى الأصل
المناظرة الكبرى	101	هذه الكتب التي اشتريتها.... أكثر من ثلاثين اشتريتها
المناظرة الكبرى	105	الذي حذف قد أعيد مرّة أخرى... الذي حذفه أعيد مرّة أخرى
المناظرة الكبرى	107	لم يكتب هذه الأسفار... لم يكتب هذه الأسفار

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 141-142.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 142.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

هل تقرؤه لجمهورك؟ هل تقرؤه؟	112	المناظرة الكبرى
بدلوا الكلمات.... بدلوا الكلمات	113	المناظرة الكبرى
لم ير داعيا.... لم ير داعيا... لم ير داعيا	113	المناظرة الكبرى
بشر بالإنجيل... بشر بالإنجيل... بشر بالإنجيل	114	المناظرة الكبرى
هل كان يحمل معه كتابًا تحت إبطه؟ هل كان يحمل معه كتابًا تحت إبطه؟	114	المناظرة الكبرى
صدّقوني... صدّقني... صدّقوني	60	مناظرة العصر
نؤمن... نؤمن... نؤمن	61	مناظرة العصر
قولوا لي... قولوا لي	63	مناظرة العصر
مولود من نسل الله ومن صلبه ومن سلالة! مولود من نسل الله ومن صلبه ومن سلالة!	65	مناظرة العصر
يموت... يموت... يموت	69	مناظرة العصر
لم يقل... لم يقل... لم يقل	69	مناظرة العصر
يا إلهي... يا إلهي	77	مناظرة العصر
كتابي المقدس يقول كذا... كتابي المقدس يقول كذا	44	أخطر المناظرات
لن يتزوجها، لن يتزوجها	46	أخطر المناظرات
ما يزال حيًا.. ما يزال حيًا.. ما يزال حيًا..	50	أخطر المناظرات
لا يزال حيًا... لا يزال حيًا... لا يزال حيًا	52	أخطر المناظرات
يزعمون... يزعمون... يزعمون	53	أخطر المناظرات
تريدون... تريدون... تريدون	16	مناظرة ستوكهولم الأولى
أنا أقبل... أنا أقبل... أنا أقبل	19	مناظرة ستوكهولم الأولى
إنّ هذا هو التفسير الصحيح... إنّ هذا هو التفسير الصحيح	26	مناظرة ستوكهولم الأولى

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة ستوكهولم الأولى	27	إنّ الله لا يمكن... إنّ الله لا يمكن
مناظرة ستوكهولم الأولى	30	ما هي النسبة المئوية؟... ما هي النسبة المئوية؟... ما هي النسبة المئوية؟
مناظرة ستوكهولم الثانية	141	لا إنجيل... لا إنجيل... لا إنجيل
مناظرة ستوكهولم الثانية	142	إنّ هذا الكتاب لا يحمل اسمي... لم أقم بتأليف هذا الكتاب... إن هذا الكتاب ليس كتابي.. لم أكتبه
مناظرة ستوكهولم الثانية	146	ينتظرون... ينتظرون
مناظرة ستوكهولم الثانية	146	لم يأت يسوع... لم يأت يسوع... لم يأت يسوع
مناظرة ستوكهولم الثانية	149	قرر علماء المسيحية حذفهما... قرر علماء المسيحية حذف هاتين الجملتين حذفهما... لقد قرر علماء المسيحية حذف هاتين الجملتين

على غرار تكرار الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية ضمن المحاجج المسلم مناظراته عددا وافرا من تكرار التراكيب والأساليب، وكالعادة فإنّ المناظرة الكبرى تتفوق على نظيراتها في عدد التكرارات الحاضرة، بالنظر إلى العوامل التي ذكرناها سابقا في القسمين السابقين من التكرار؛ فهي تمثل زبدة الحجاج عند المحاجج المسلم؛ حيث يتجلى فيها بوضوح اللوغوس البارع عند الشيخ أحمد ديدات؛ مما أسهم في إعطائه شهرة واسعة في جميع أنحاء العالم بعدة متحدثا بارعا ومحاججا فذا لا يشق له غبار. والمتفحص لمناظرات الشيخ بشكل عام، وكذا مؤلفاته المختلفة يجد أنّ التكرار سمّت متميز عنده ومهيع مطروق تُحتم وجوده الغايات الحجاجية التي يرومها، والأبسوطات التي يعالجها ويتناولها بالتحليل والتفسير والتوضيح، وأيضا الظروف التي تفرضها المناظرات، والسياقات الخطابية التي يسير المحاجج في درهما، كما أنّها تبدو من جانب آخر -من خلال فحص الخطابات الديدائية- عادة عند الشيخ اكتسبها من بيئته، وصبّتها في وجدانه متغيّرات حياته التي عرفت تطوّرات كبيرة حتّى وصل إلى ما وصل إليه، وهي أيضا منبثق نفسي نابع من الحالات الشعورية التي تعتره حال الخطاب.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

ففي معرض مناقشة الشيخ لاختلاف نسخ الإنجيل، يتحدّث عن إنجيل "ديوي" الذي يزيد بسبعة أسفار عن "إنجيل الملك جيمس"، هذا الأخير الذي يقسم عليه القسّ جيمي سواجارات، في حين لا يؤمن بالإنجيل الأوّل ولا يعدّه كلمة الله، ولا جرم أنّ الشيخ لا يؤمن بأنّ الإنجيل ليس كلمة الله؛ لذلك فهو يبيدي موافقته لمحاججه المسيحي في هذا البسط؛ فيكرّر "أنا أوافق" في ثلاث مواضع من أجل التشديد على ذلك.¹ ثم يتحدّث الشيخ عن النسخة القياسيّة المنقّحة التي تعدّ أصح النسخ التي كُتبت بالإنجيل بناءً عليها، فهي نسخة معتبرة تعدّ "أقرب النسخ للأصل"² فيكرّر جملة "هي أقرب إلى الأصل" ثلاث مرّات حتى يؤكّد على أنّ علماء المسيحيين يرونها أفضل وأصحّ النسخ دون شكّ ولا ريب. ويتناول الشيخ مؤلّفات القسّ جيمي سواجارات الثلاثين التي اشتراها وقرأها وتفحصها حتّى يعرف طريقة تفكير خصمه، فيكرّر جملة "اشتريتها... اشتريتها" حتّى يؤكّد أنّه بذل جهداً للحصول عليها، وأنّ القسّ جيمي لم يمنحها له.³ وفي معرض حديث الشيخ عن التحريف الذي وقع في الإنجيل، وتحديدًا حذف نصّ الصعود يحمل المحاجج المسلم بين يديه إنجيلا من الأناجيل، ويؤكّد من خلاله أنّ النصّ المتعلّق بالصعود الذي تم حذفه في إنجيل آخر مثبت هنا،⁴ فيكرّر متعجّباً جملة "الذي حُذف أعيد مرّة أخرى" مرّتين حتى يشدّد على هذا العبث الفظيع، ويفضح المسيحيين. ثم يتحدّث عن تحريف آخر ليس مداره الحذف والإثبات؛ بل التغيير والتبديل، فقد قام علماء النصارى بتغيير كلمات المخطوطات الأصليّة، وهم يزعمون بفعلهم هذا أنّهم يبحثون عن التوضيح، فيكرّر تركيب "بدّلوا الكلمات... بدلوا الكلمات" في موضعين، وجملة "غيّروا الكلمات... يغيّرون الكلمات" حتى يثبت ويؤكّد حصول هذا التزييف المرفوض تماماً في كتاب يُعدّ مقدّساً.⁵ ولا يخرج المناظر المسلم عن قضيّة التحريف فيتحدّث عن وضع المسيحيين لقوسين حول أسماء الأسفار الخمسة في سفر التكوين، حتى يقولوا بأسلوب

1- ينظر: المناظرة الكبرى، ص: 97.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 97.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 101.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 105.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 113.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

نفساني للناس أنّ موسى لم يكتبها،¹ فيكرر النبي في هذا الموضوع مرتين " لم يكتب هذه الأسفار... لم يكتب هذه الأسفار " حتى يؤكّد هذه الفكرة. وفي إطار إشارة الشيخ للقصص الفاسقة التي وردت في الإنجيل؛ إذ مثل لها بقصة دعارة الأختين "أهولة" و"أهولبية" التي وردت في سفر حزقيال، يتحدّى الشيخ خصمه أن يقرأ هذه الأسفار أمام الجماهير،² ويكرّر الاستفهام مرتين "هل تقرأه؟... هل تقرأ؟" حتى يرفع من درجة التحدي، ويخرج خصمه كثيرا أمام الجماهير الحاضرة من مسلمين ومسيحيين. وفي ما يخصّ قضية الأناجيل الأربعة التي هي معتمد النصرانية ومدارها (لوقا، يوحنا، مرقس، ومتى) يشير الشيخ إلى أنّ كل واحد من هؤلاء يقول إنّ المسيح عيسى بن مريم بشرّ بالإنجيل،³ فيكرر لفظه "بشرّ" أربع مرات حتى يؤكّد هذا التبشير وحصوله، ثم يستخدم استفهاما كرّره مرتين "هل كان يحمل كتابا تحت إبطه؟"، وهو استفهام إنكاري يكذب فيه المحاجج المسلم كون المسيح حمل كتابا معه؛ لأنّه كان يبشّر بكلام أنزله الله عليه، ولا أحد يعلم محتوى إنجيل عيسى الحقيقي.

وفي مناظرة العصر يلتمس المحاجج المسلم من الجماهير الغفيرة في قاعة المناقشة أن يصدّقوه ويؤمنوا بما يقوله، فقد جاءهم بخبر بيّن صادق يقين بعد تمحيص وبحث دقيق، والقضية تتعلق بعدم وجود أيّ نص في الإنجيل يقول فيه المسيح بأنّه إله أو يدعو الناس لعبادته، فيكرّر أسلوب الأمر الموجه للجمع المخاطب "صدّقوني.. صدّقوني.. صدّقوني.." حتى يحثّهم على تبني هذا الرأي، والتسليم بصدق ما يقول به، خاصة وأنّه سيعضده بالدليل في كلامه اللاحق.⁴ ولكي يدحض المحاجج المسلم دعاوى خصمه المعاند الباحث عن مخرج يعيب به الإسلام، فإنّه يقرّ بأن المسلمين أجمعين يؤمنون بالمسيح عيسى ابن مريم؛ ويؤمنون برسائله السماوية، ويؤمنون بالمعجزات التي أقره

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 107.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 112.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 114.

4- ينظر: مناظرة العصر، ص: 60.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

الله على فعلها، كما أقدر كثيرا من الرسل على فعل المعجزات،¹ فيكرّر جملة "نؤمن" ثلاث مرّات حتى يشدّد على هذا، وبالضرورة فالتصوّر الإسلامي لشخص المسيح عليه السلام، ليس كالتصوّر النصراني على الإطلاق، فالتصوّر النصراني قام على عدّ المسيح أقنوما من الأقانيم الثلاثة (الإله، الأب، الإله الابن، الروح القدس)، وما جاء في التقرير الختامي لمؤتمر الكنائس العالمي حول هذا الشأن يعدّ أضحوكة بكل المقاييس؛ مما جعل الشيخ يخرج من دائرة اللغة الإنجليزية، ويسخر من تراكيبه التي تبدو كالطلاسّم،² فيكرّر أسلوب الأمر الساخر "قولوا لي... قولوا لي... ما إذا كانت هذه لغة إنجليزية" حتى يزيد من منسوب السّخرية، ويزيد من قوّة حجاجه وإحراجة لخصمه أنيس شروش. وفي السّياق ذاته، يتحدّث الشيخ عن رجلٍ مسيحي التقاه، فاستفسر منه حول معنى جملة "يسوع مولود لله وليس مخلوقا كسائر البشر"، فكانت إجابته صادمة وعجيبة "إنّه مولود من صلب الله ونسله وسلالته جلّ في علاه"³ فيكرّر الشيخ هذه الجملة مرّتين حتى يضاعف من مدى تعجّبه واستنكاره لهذا التصوّر المزدول وغير المقبول الذي يدنّس حرمة الله تعالى، ويقول به هذا النصرانيّ الذي يمثّل ما يقول به إيمان شريحة واسعة من المجتمع المسيحي الغافل، هذا الإيمان الذي لا يرى حرجا في الزعم أنّ الإله الابن يلبس ثوب الناسوت من أجل أن يموت ويفتدي المسيحيين بدمائه وآلامه، ويدفع ثمن خطيئة آدم الذي أكل من الشجرة فاستجلب الطرد لنفسه ولذريته، فيكون يسوع قربانا يقاسي الأمرين لتُغفر ذنوب البشر وتُمسح عنهم خطاياهم،⁴ والشيخ يكرر الفعل "يموت" في مواضع عديدة حتى يؤكّد إيمان النصارى المطلق بهذه العقيدة الباطلة الزائفة. ومسألة تأليه المسيح غير مقبولة عند الشيخ الذي يمثّل رأي جمهور المسلمين لأسباب كثيرة أولها الآيات البيّات في القرآن الكريم، ثمّ هي أطلب للردّ والرفض حين لا يوجد دليل عليها حتى في الإنجيل المزعوم الذي يوهننا النصارى بأنّ فيه نصوصا تسبغ على المسيح صفة

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 61.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 63.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 64-65.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 69.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

الإلهية، هذه النصوص لم يجدها الشيخ ولم يقع على أيّ منها؛¹ ولذلك فهو يؤكّد أنّ المسيح "لم يقل للناس أنّه إله"، فيكرر النفي هنا لدحض هذه الفكرة ونسفها تماما. ولتأكيد فكرة بشرية المسيح يعمد الشيخ إلى نقل الجملة التي وردت في إنجيل مرقس، والتي يطلب فيها المسيح من ربّه الرحمة والعون، ويسأله لماذا تركه وتخلّى عنه، ويؤكّد الشيخ أحمد ديدات من خلال تكرار أسلوب النداء "يا إلهي. يا إلهي" الذي فيه دعاء وتضرّع أنّ هذه هي الترجمة الصحيحة لما قاله المسيح، وفيها إقرار واضح بضعفه وقلة حيلته، وعدم قدرته على إنجاد نفسه.² ولو كانت مسألة الصلب المزعومة صحيحة حقًا لتقبّل يسوع الصلب بكلّ بصر رحب؛ لأنّه هو من أراد أن يضحّي بنفسه ويخلّص البشرية، ولكن هذا النصّ يشير إلى أنّه كان يدعو إلهه لينقذه وينجده من قبضة الرومان واليهود الذين تأمروا من أجل الفتك به.

ويبدأ استخدام أسلوب التكرار في أخطر المناظرات من تناول الشيخ لقضية الصلب في طريقه نحو تنفيذها ونسفها بالدليل القاطع والبرهان الساطع، انطلاقا من التناقض الحاصل في نصوص الإنجيل نفسه، بحكم أنّ خصومه لا يؤمنون بالقرآن الكريم ولا بالسنة النبوية؛ ولذلك فهم ينطلقون في المحاججة لحصول الصلب من النصوص التي وردت في الإنجيل، مصدّقين بها ومسلّمين تسليما لا ريب فيه؛³ فالمسيحيّ يقول: "كتابي المقدّس يقول كذا" والشيخ يكرّر هذه الجملة في موضعين حتى يؤكّد على هذا المعنى، وهو فلسفة ثابتة عند المسيحيّين في الاستشهاد بنصوص من كتبهم للدفاع عن قضية الصلب دون تمحيص ونظر. وفي معرض شرح النصّ الذي ورد في إنجيل لوقا، يؤكّد الشيخ أنّ المسيح بن مريم عليه الصلّاة والسلام أجاب اليهود الذي جاؤوا يستفسرونه حول مصير المرأة التي يموت زوجها، وما إذا كان يتزوّجها في الجنّة أم لا بأنّ النّاس في الجنّة "لا يتزوّجون"⁴ ويكرّر المحاجج عامل النفي الحجاجي "لن يتزوّجها، لن يتزوّجها" حتى يبطل وينسف

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 69.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 77.

3- ينظر: أخطر المناظرات، ص: 44.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 46.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

فعل حدوث الزواج في الجنة من خلال النصّ الذي نقله لوقا عن المسيح. ويصل الشيخ إلى لبّ المناظرة ومركز ثقلها، وهي قيامة المسيح بعد صلبه؛ حيث ورد في إنجيل القديس مرقس أنّ مريم المجدلية شاهدته حيّاً بجوار المقبرة، وهرعت إلى الحواريين لتخبرهم لذلك، ولكنهم لم يصدّقوها، حتّى تجلّى لهم المسيح مساءً بلحمه ودمه وآثار الصلب جليّة في يديه ورجليه، وأكل معهم سمكاً، ومن منطلق أنّ الحواريين كانوا فرّوا وقت الصلب والدفن، ولم يشاهدوا ما حدث للمسيح، وانطلاقاً من التلفيق بين الروايات، وعضداً بالسّياق الذي لقيت فيه مريم المجدلية عيسى عليه السلام فهو لم يمت بالنتيجة، بل ما حدث أنّه أُغمي عليه مدّة من الزمن ثمّ خرج من القبر ودحرج الصخرة التي كانت تسدّ مدخله،¹ فهو "ما يزال حيّاً... ما يزال حيّاً... ما يزال حيّاً... ما يزال حيّاً"، ويكرّر الشيخ هذه الجملة الاسميّة المنسوخة أربع مرّات حتى يثبت هذا المعنى ويؤكّد عليه، ويستدرّ اهتمام الجمهور الحاضر نحوه، ويطرد عنهم غبش التزييف والتحريف. ويكرّر الشيخ الجملة نفسها "ما يزال حيّاً... ما يزال حيّاً... ما يزال حيّاً... ما يزال حيّاً... في سياق حديثه عن معجزة النبيّ يونان الذي ابتلعه الحوت ومكث في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، والهدف من التكرار هنا هو تثبيت فكرة توافق المسيحيين واليهود والمسلمين حول مسألة مكوث النبيّ يونس ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في بطن الحوت، دون أيّ خلاف ولا تشاكس، في حين يتفرد المسيحيون في تدنّسهم بأسطورة موت المسيح ومكوّنه في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، والتي سيعمل الشيخ على نسفها ودحضها بالحجاج الدامغ والبرهان الجلي،² فما يقوله المسيحيون حول هذه القضية لا يعدو مجرد كونه تحرّصات وضرباً من التمحلّ والمعاندة، وليّا لأعناق للنصوص، وتفسيراً ساذجاً للأسفار، وبلادة في التأويل و تحجّراً في استكناه الدلالات واستدرار المعاني، والخلاصة أنّه لا حجّة لهم في هذا الزعم،³ ويكرّر المحاجج المسلم الفعل "يزعمون" في ثلاثة مواضع حتّى يؤكّد أنّ النصرانيّ يتبعون الظنّ وما تهوى الأنفس، ولا يستندون لأدلة وبراهين وحجج في ذلك.

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 50.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 53.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 53.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

وأمام المناظر السويدي استانلي شويرج في مناظرة ستوكهولم الأولى يتحدث الشيخ عن القرآن العظيم بعدّه العهد الأخير، وآخر وحي ربّاني يُنزل على نبيّ كريم صلوات الله وسلامه عليه ليهدي به الناس للطريق المستقيم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وبما أنّ كثيرا من النصارى لا يعرفون شيئا عن القرآن، فالمحاجج المسلم أحضر معه نسخة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية تقع في حوالي ألفي صفحة، فهو يعدّ بحقّ موسوعة بكل المقاييس، ويزجي إلى أسماع الحاضرين أنهم يستطيعون أن يبحثوا عمّا "يريدون"،¹ ويكرّر هذه الجملة الفعلية في ثلاثة مواضع، حتى يؤكّد على موسوعيّة المحتوى الذي يجيب عن كثير من الأسئلة التي يبحث النصارى عن إجاباتها في ما يتعلّق بالقرآن والدين الإسلامي. وبالنظر إلى أنّ القسّ السويدي بروتستانتى المذهب، فهو لا يقبل كثيرا من نسخ الأناجيل التي لا تتوافق مع مذهبه، والشيخ كانّ سأل القسّ السويدي عن الإنجيل الذي يقبله حتى يمكنه وضع أرضية حوار واضحة، وتكون هناك علامات واضحة يصول المحاجج في مدارها، لكنّ المحاجج المسيحي درءا لاستجلاب العداء من الفرق النصرانية الأخرى لم يجب، فأصرّ المحاجج المسلم على إحراجه، واستنطاق إجابة منه، ودعاه للنطق بما يقبله² عن طريق تكرار جملة "أنا أقبل... أنا أقبل... أنا أقبل" حتى يغويه بالإجابة التي ستضعه في مأزق قد لا يخرج منه. ويكشف الشيخ الخطأ الفاحش الذي وقع فيه كتاب الإنجيل الذين حرّفوه وزيفوه؛ حيث ألقى تطابقًا تامًا نقطة بنقطة وشولة بشولة وكلمة بكلمة وجملة بجملة بين الإصحاح السابع والثلاثين من سفر أشعياء والإصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثاني؛ مما يحيل إلى أنّ الإنجيل ليس وحيا إلهيا مباشر، فالله عزّ وجل لا يمكن أن يخطئ تبارك سبحانه وعلا عن ذلك علوا كبيرا، ولا يوجد تفسير لهذه الظاهرة إلاّ كون الإنجيل عملا بشريًا بامتياز، والمقصود هنا الإنجيل الموجود بين أيدينا اليوم، وليس الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام،³ وعن طريق تكرار جملة "إنّ هذا هو التفسير الصحيح" في موضعين يُنبّت الشيخ هذه الفكرة ويؤكّدها. وعلى هذا فينبغي للنصارى أن

1- ينظر: مناظرتان في ستوكهولم، ص: 16.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 19.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

يخنعوا ويقنعوا ويسلموا بالتحريف الذي هو حادث في كتابهم ولا يصروا على الغي والضلال؛ لأن إصرارهم على التجلبب بقداسة الإنجيل المطلقة مع ما يتضمّنه من تحريفات وتزييفات يستلزم قدحا في ذات الله تعالى واتهاما له بالخطأ وارتكاب الهفوات، وهذا غير ممكن وغير مقبول،¹ ولتحذير الجمهور النصراني من خطورة هذا يكرّر الشيخ النفي الحجاجي عن طريق الحرف "لا" في موضعين "إنّ الله لا يمكن أن تصدر عنه هذه السرقة... إنّ الله لا يمكن.."، وهو بهذا يدحض هذا الإسفاف والافتراء. واستمرارا في كشف التحريفات التي حوaha الإنجيل المدنّس يعرض الشيخ جملة من الروايات حتى يصل إلى التناقض السافر الذي وقع فيه يوحنا؛ إذ ورد في إصحاح من إصحاحات إنجيله أنّه لا يهلك أحد، ثم بعد صفحات قليلة يقول إنّّه لا يهلك أحد إلاّ واحد،² ومن أجل توريط خصمه وإحراجه يكرّر الشيخ الاستفهام في ثلاثة مواضع "ما هي النسبة المئويّة؟.. ما هي النسبة المئويّة؟... ما هي النسبة المئويّة؟" والسؤال موجّه للجمهور بالدرجة الأولى، واستطاع أحدهم أن يجد الإجابة ويكسب خمسين دولارا، فيما كسب المحاجج المسيحي كثيرا من السقوط والإحراج أمام جمهوره، وأمام النصارى بشكل عام.

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية يدّعي المحاجج المسيحي - ولم يكذب في دعواه- أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أمرنا باحترام الإنجيل وتوقيره؛ لأنّه كتاب سماويّ تضمّن تعاليم سمحة، فيجيبه المحاجج المسلم أنّ ذلك حق لا جدال ولا خصام فيه؛ ولكنّ المقصود هو الإنجيل الحقيقي الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، لا إنجيل فلان وفلان، وعن طريق تكرار أسلوب النفي الحجاجي "لا إنجيل... ولا إنجيل... لا إنجيل... لا إنجيل"³ يدحض الشيخ تماما فكرة قداسة الأناجيل التي كتبها لوقا، ويوحنا، ومرقس، ومثي. وفي هذه المناظرة تجلّى الفشل الذريع للمحاجج المسيحي وعدم قدرته على الوقوف في الرتبة الحجاجية نفسها أمام خصمه، بالنظر إلى التباين الفكري والمعرفي بينهما، فلم يجد بدّا من اللجوء إلى المخاتلة والخذاع؛ حيث نسب للشيخ المسلم

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 27.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 30.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 141.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

كتابا لم يؤلفه زعم فيه أنه انتقص المسيح وخطّ من قدره، فنارت ثائرة الشيخ، وغضب من هذا التصرف الفظّ،¹ وعن طريق تكرار عامل النفي بأشكال متنوّعة "إنّ هذا الكتاب لا يحمل اسمي... لم أقم بتأليف هذا الكتاب... إن هذا الكتاب ليس كتابي.. لم أكتبه" يفنّد هذا الادّعاء ويبطله، ويبرّئ نفسه من هذه التهمة المغرضة، ويوتّخ خصمه الذي لجأ إلى حيلة بعيدة كلّ البعد عن الأخلاق والأمانة. ويستأنف الشيخ مجدّدا هجومه الحجاجي على خصمه المسيحي البروتستانتي، ويستشهد لتبيان انتفاء قداسة الإنجيل، بالنبوءة التي وردت في إنجيل مرقس؛ حيث تشير إلى عودة المسيح في المستقبل، وقد حدّد القديس المزعوم لذلك زمنا قصيرا لا يتجاوز عمر الجيل الواحد، ولم تتحقّق النبوءة،² والنصارى "ينتظرون... ينتظرون"، فيكرّر الشيخ هذه الجملة الفعلية للتأكيد على حماقة النصارى الذين صدّقوا هذه النبوءة، فهم لا ينفكون يترقّبون عودة مخلصهم منذ ألفي سنة،³ ثمّ يكرّر المحاجج المسلم أسلوب النفي الحجاجي في ثلاثة مواضع "لم يأت يسوع... لم يأت يسوع.... لم يأت يسوع" حتى يزيد من شحنة السّخرية والاستهزاء من كذب نبوءة مرقس المزعومة. ثمّ يستأنف المناظر المسلم حملة توبيخ التحريف الذي قام به علماء النصارى الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويزعمون أنّهم بذلك يصلحون وهم يفسدون، ولا يمكن لعاقل أن يتصوّر أنّ هناك شيئا اسمه "طبعة منقّحة" من كتاب مقدّس؛ لأنّ المقدّس من عند الله ومحتواه كلام من عند الله لا يقبل التغيير والتبديل، وكل ما يقبل التغيير والتبديل، ويصيبه الخطأ والزلل، فليس مقدّسا في دستورنا نحن المسلمين؛ بل في دستور كل الأديان الصحيحة، وما فعله القسّيسون والعلماء المسيحيون النافذون من حذف لآيتين من إنجيل مرقس (الإصحاح 16، الآيتان 19-20) يعدّ عبثا بكل المقاييس.⁴ ويكرّر الشيخ جملة "قرّر علماء المسيحية حذفهما... قرّر علماء المسيحية حذفهما... لقد قرّر علماء المسيحية حذف هاتين الجملتين" حتى يؤكّد عن طريق الفعل

1- ينظر: المرجع السابق، ص: 142.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 146.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 146.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 146.

الفصل الرابع: حجاجية الاستفهام والتكرار في مناظرات أحمد ديدات

الكلامي التصريحي "قرّر" أنّ الحاذف هي سلطة عليا مسيحية استمرت هذا العبث، وليس الأمر مجرد سهو أو خطأ عابر.

خلاصة الفصل:

نخلص في ختام هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

- يعدّ الاستفهام أبرز عناصر الاشتغال الحجاجي في المناظرات؛ حيث يبسط شبكته على جميع أطوارها، وله حضور فاعل في مدارها.
- يؤكّد المشتغلون بالدرس الحجاجي على أهميّة التكرار الذي هو وسيلة يرمي من ورائها المحاجج إلى عرض أفكاره لإبراز شدة حضورها.
- الاستفهام واحد من أهمّ التقنيات الحجاجية التي وظّفها الشيخ أحمد ديدات في مناظراته.
- تنوّعت أساليب الاستفهام في المدوّنة المدروسة، وكانت السطوة الحجاجية للاستفهام التقريري، والإنكاري، والاستفهام السخرية والتهكم.
- أسهم أسلوب الاستفهام في نقض ادّعاءات النصارى، وانتزاع إقرارهم، والسخرية منهم وتوريثهم.
- تعدّ السخرية عن طريق الاستفهام آلية حجاجية ديدانية جليّة الأمارات لم تخل منها أيّ مناظرة، وهي أحيانا تكتسي رداءً من القسوة والاحتقار.
- يشكّل أسلوب التكرار واحداً من التقنيات الحجاجية الهامة التي وظّفها أحمد ديدات في مناظراته الدينية أمام النصارى، وهو أيضاً عادة خطابية مطّردة في كلام المحاجج المسلم.
- تنقسم التكرارات الحجاجية الواردة في المدوّنة المدروسة إلى ثلاثة أقسام: تكرار الروابط والعوامل الحجاجية، تكرار المفردات، تكرار التراكيب والأساليب.
- إنّ الإقناعية التي أضفاها أسلوبا الاستفهام والتكرار على الخطاب الحجاجي الديداتي مردها إلى حسن اختيار سياق ورودها، وقوّة الحجج المعروضة في خضمّهما.

الفصل الخامس: السلاالم الحجاجية

والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

■ السلاالم الحجاجية

■ الأفعال الكلامية

○ الإخباريات

○ التوجيهيات

○ الإلزاميات

○ التعبيريات

○ التصريحيات

توطئة:

تعدُّ التداولية حقلاً معرفياً حصباً نشأ في دوحة اللسانيات، ورسخ لنفسه موضع قدم أهله لدراسة اللّغة من جوانب أغفلتها النظريات السابقة والحقول المعرفية التي كانت سائدة، وتعاورتها عقول الباحثين والمفكرين بالتنظير والتطبيق، فعدت المقاربة التداولية مهيعاً مطروقاً وسبيلاً مسلوكة قُدِّمت في إطاره دراسات وبحوث كثيرة.

وليست التداولية علماً لغوياً بحثاً بالمعنى التقليدي؛ إذ لا تتوقف حدودها وفلسفتها عند وصف البنيات اللغوية وتفسيرها، ولا ينحصر مداها في دراسة أشكالها الظاهرة وأنساقها البارزة، ولكنّها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، فيدمج مشاريع معرفية متعدّدة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيرها.¹

فالتداولية تهتمُّ بدراسة النصّ والخطاب الأدبيّ في علاقته بالسياق التواصلية، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلية واللفظية، وبتعبير مغاير تركّز على عنصر المقصدية والوظيفية في النصوص والخطابات، وبهذا فالتداوليات تجاوزت سؤال البنية وسؤال الدلالة، لتتهدم بسؤال الوظيفة والرسالة والسياق الوظيفي.²

وانطلاقاً من البسط اللساني التداولي الذي يبحث في المقاصد والسيقات، فإنّ هذه النظرية المعرفية تهتمّ بمباحث تسير في هذا النسق، أهمّها: نظرية الأفعال الكلامية، ونظرية الاستلزام الحوارية، ونظرية التلفظ، ونظرية الحجاج التي سنحاول في إطارها استشفاف الأبعاد الحجاجية التداولية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات من خلال مبحثين: السلام الحجاجية، والأفعال الكلامية.

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، جويلية 2005م، ص: 16.

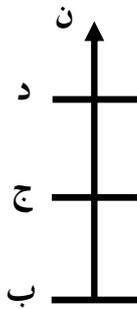
2- ينظر: جميل هداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المتقف، الرباط، ط1، 2015م، ص: 4.

I- السلم الحجاجية:

1- مفهوم السلم الحجاجي وشروطه:

إنّ الحجاج في النهاية إنّما هو محض توجيه يخضع له الملفوظ، وهذا التوجيه هو الضامن لتحقيق الملفوظ غايته الحجاجية.¹ وتتميّز الحجج التي تُدرج في الخطاب لكي تدعم النتيجة التي يُراد أن ينقاد إليها المتلقي بأنّ لها طابعًا تدريجيًا؛ إذ تتفاوت في درجة القوّة والضعف، وهذا التفاوت الذي يحصل في الحقل الحجاجي نفسه يكوّن ما يطلق عليه "السلم الحجاجي"².

ويمكن أن نمثّل للسلم الحجاجي بالمنحط الآتي:³



ن=النتيجة.

"ب" و"ج" و"د": حجج وأدلة تُخدم النتيجة "ن".

وبناء على ذلك يعرّف أبو بكر العزاوي السلم الحجاجي بأنه «علاقة ترتيبية للحجج، تحدّد بموجبها مراتب الأقوال ودرجاتها باعتبار وجهتها وقوّتها الحجاجيتين»⁴. ويشرح "طه عبد الرحمن" هذا المفهوم؛ حيث يرى أنّ السلم الحجاجي هو «مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة تراتبية وموفّية بالشرطين التاليين:

أ- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته؛ حيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

1- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص: 121.

2- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 101.

3- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 20.

4- المرجع نفسه، ص: 130-131.

الفصل الخامس: السلاّم الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة في مناظرات أحمد ديدات

ب- كلّ قول كان في السّلم دليلاً على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه».¹

فلا غرو إذن أنّ السّلميّة صفة تقوم على العلاقة؛ أي إنّ الظاهرة التي تقوم على السّلميّة يحكم أجزاءها وأطرافها الاسترسال والاستلزام؛ حيث تقتضي درجات السّلم وجود "الضعيف القويّ" و"الأعلى الأسفل" وهكذا دواليك.²

ويمكن التمثيل لما سبق بما يأتي:

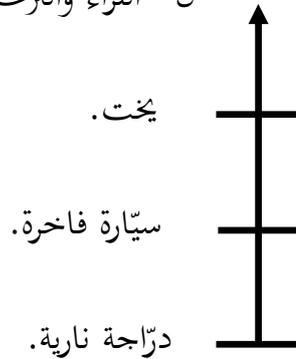
1- اشترى محمد دراجة نارية.

2- اشترى محمد سيّارة فاخرة.

3- اشترى محمد يختاً.

هذه الجمل تضمّنت حججاً تنصهر في البوتقة الحجاجية نفسها، وتنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، وكلّها تؤدّي إلى نتيجة مضمرة من قبيل "ثراء محمد" أو "ترفه المادي"، ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السّلم الحجاجي، فإقدام محمد على شراء يخت أقوى دليل على "ثراء محمد" و"ترفه المادي".³

ن = الثراء والترف.



1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 277.

2- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجيّة في اللغة العربيّة، ص: 122-123.

3- ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص: 60.

2- أهمية السلم الحجاجي:

تكمّن أهمية نظرية السلم الحجاجي في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري للقول؛ فإذا كان للقول وجهة حجاجية تحدّد قيمته بعدّه داعماً نتيجة ما، وإذا كان القول مندرجاً في إطار قسم حجاجي قائم على قوّة بعض مكوّناته، وضعف بعضها الآخر بالنسبة إلى نتيجة ما، فإنّ مفهوم السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع المتدرّج والموجّه للأقوال يبيّن أن الخطاب الحجاجي ليس مطلقاً؛ حيث لا يتحدّد بالمحتوى الخبري للملفوظ ومدى مطابقته لإحالة الأشياء في الكون؛ وإنما هو رهين اختيار هذه الحجّة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محدّدة؛ لذلك فالحكم على الخطاب الحجاجي أساسه القوّة والضعف اعتباراً لطابع التدرّج فيه، لا للصدق والكذب.¹

وعليه فالسلاالم الحجاجية تخرج إلى فضاء أوسع من الفضاء اللغوي، وترتبط بمفهوم آخر هو الوجهة أو الاتجاه الحجاجي، وهذا يعني أنّه إذا مكّنا قول ما من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتمّ تحديدها عن طريق الاتجاه الحجاجي الذي قد يكون صريحاً أو مضمراً.²

3- قوانين السلم الحجاجي:

لقد صاغ ديكرو ضمن كتاباته ثلاثة قوانين تحكمها (قانون تبادل السلم، وقانون القلب، وقانون الخفض)، وعدّها بمنزلة قواعد تدعم هذا السلم،³ وهي:

3-1- قانون تبادل السلم/ النفي:

يقوم هذا القانون على مبدأ أنّه إذا كان القول دليلاً على مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.⁴ ومعنى هذا أنّه «إذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحدّدة

1- ينظر: شكري المبحوت، نظرية الحجاج في اللّغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 370.

2- ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص: 62-63.

3- ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على الصور المكتبة، ص: 117-118.

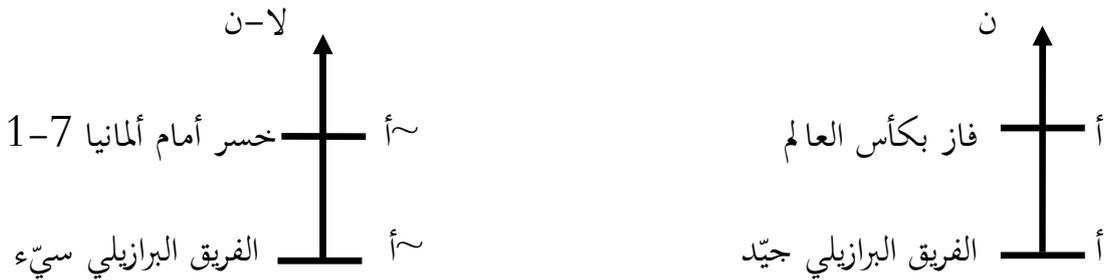
4- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 278.

الفصل الخامس: السلاّم الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة في مناظرات أحمد ديدات

بواسطة "ن"، فإنّ "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجيّة المحدّدة بواسطة "لا-ن"¹. ويمكن أن نوضّح ذلك من خلال المثالين الآتيين:²

1- الفريق البرازيلي جيّد، لقد فاز بكأس العالم.

2- الفريق البرازيلي سيّء، لقد خسر أمام المنتخب الألماني بنتيجة 1-7.



فإذا قبلنا الحجاج الذي ورد في المثال الأول، فينبغي علينا بالضرورة أن نقبل الحجاج الذي

ورد في المثال الثاني.

3-2- قانون القلب:

يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تكميما للقانون السابق ومفاده أنّ السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلّم الأقوال الإثباتيّة،³ فإذا «كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيّن، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأوّل في التدليل على نقيض المدلول»،⁴ وبعبارة أخرى إذا «كان "أ" أقوى من "أ" بالقياس إلى النتيجة "ن"، فإنّ "أ" هو أقوى من "أ" بالقياس إلى "لا-ن"». ⁵

1- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحايج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص: 61.

2- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 22.

3- ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على الصور المكّيّة، ص: 119.

4- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 278.

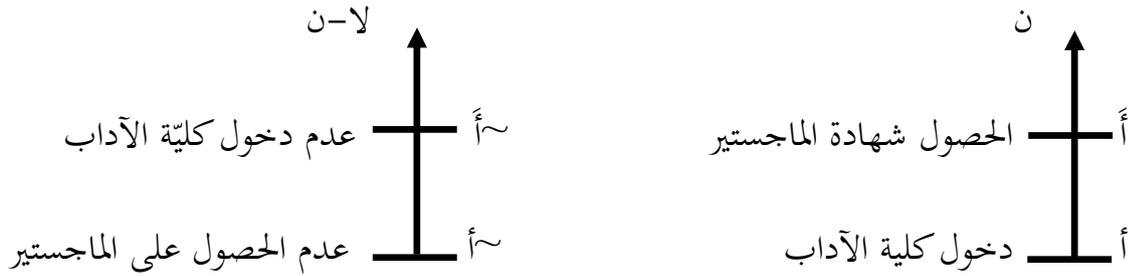
5- أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص: 22.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ويمكن أن نوضح ذلك من خلال المثالين الآتيين:¹

1- دخل سليمان كلية الآداب، وحصل على شهادة الماجستير.

2- لم يحصل سليمان على الماجستير، بل لم يدخل كلية الآداب أصلا.



إنّ حصول سليمان على شهادة الماجستير دليلٌ على مكانته العلمية أقوى من دخوله كلية الآداب، في حين أنّ عدم دخوله كلية الآداب أصلا دليل أقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الماجستير.

3-3- قانون الخفض:

مقتضى هذا القانون أنّه إذا «صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها».² ويمكن لهذا القانون أن يكون قانون إعلاء كلما وقع الارتقاء، وبموجب هذا، فالتراتب بين الحجج يمكن أن يعدل ويتغيّر من لحظة إلى أخرى، وفقا لعوامل معينة تخضع للمدلول وقوّته؛ إذ يمكن أن يتغيّر الموقف في حجة معينة تعدّ صادقة بعد أن بدت كاذبة، والعكس صحيح.³

1- ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص: 61.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 277.

3- ينظر: حسان الباهي، منهجية الحوار والتفكير النقدي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2004م، ص: 138.

الفصل الخامس: الساللم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ويرجع قانون الخفض إلى الفكرة التي ترى أنّ النفي اللغوي يكون مساويا للعبارة الفرنسية

"Moins que"، فعندما نستخدم جملا، مثل:¹

1-الجوّ ليس باردا.

2- لم يحضر كثير من الأصدقاء الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أنّ البرد شديد، وأنّ كلّ الأصدقاء حضروا الحفل.

وقياساً على ما سبق سيؤول القول الأوّل على الشكل الآتي:

1-إذا لم يكن الجوّ باردا فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني إلى ما يأتي:

2- لم يحضر إلا القليل منهم.²

4-الساللم الحجاجية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

لا شك في أنّ مناظرات الشيخ أحمد ديدات مع خصومه المسيحيين تتطلّب منه الاستناد في بناء حججه على طابع تراتبيّ منظمّ من أجل الوصول إلى النتيجة التي يريد تحقيقها، وإفحام خصمه وغلبته، وكسب تأييد الجماهير الحاضرة في قاعات المناقشة. وقد أوتي الشيخ مقدرة فذة في الكلام والإبلاغ، وكلامه مرتّب ومنظم ومتدرّج يصبّ في إطار الموضوع المتناول دائماً، ولا يخرج عنه إلى المهاترات التي يلجأ إليها خصومه -في أكثر الأحيان- حين يغلبهم بالحجّة الدامغة ويبيكتهم بالبرهان القاطع.

1-ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 24.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص: 24.

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

وإذا أردنا أن نحدّد سلّما حجاجيًا عامًّا تصب في بوتقته جميع المناظرات التي خاضها الشيخ أحمد ديدات فسيكون مداره "هدم أركان المسيحية وكشف زيفها وبطلانها وتحريفها وإقناع المسيحيين بتهافت مبادئ دينهم وتصدّع أساساته". والملاحظ بجلاءً أن الخصم المسيحي -دون تحييز- مهما تلقى من سهام الحجاج ورمح الإفحام فإنّه لا يعترف ولا يسلم، فهو يماري دائما ويعاند ويجافي الحقائق مهما تبدى له من نور اليقين الأبلج. وعليه فالخطاب الحجاجي عند أحمد ديدات -الذي خبر جهل القساوسة وعنادهم- موجّه نحو الجماهير المسيحية الغفيرة المستغفلة التي حضرت إلى قاعات المناقشة، وأيضا تلك التي شاهدت وستشاهد شرائط الفيديو المسجلة للمناظرات من أجل إقناعهم بصدق قضيتته، وكسب تأييدهم، ودفع الشبهات والافتراءات عن الإسلام، وجعلهم يعتقدون الدين الإسلامي عن بصيرة ودراية.

4-1- السّلم الحجاجي العام:

إنّ كلّ مناظرة من المناظرات الخمس التي هي مدوّنة الدّراسة تعدّ حجّة أساسية تتضافر مع نظيراتها لتشكّل محورا عاما يتغني من ورائه المحاجج المسلم تحقيق الهدف المنشود الذي يريد الوصول إليه، ومداره هدم أركان الدين المسيحي وتقويض دعائمه المتهالكة؛ إذ تدور كلّ المناظرات حول موضوعين أساسيين هامّين يعدّان جوهر دين النصارى وبيت القصيد فيه، هما: "الوهية المسيح بين الحقيقة والكذب وقداسة الإنجيل بين الواقع والوهم".

ثمّ تتفرّع الحجج العامة إلى حجج فرعية جزئية تضمنت معالجة برهانية إقناعية تصبّ في بوتقة الموضوع المبسوط على دائرة المناقشة، وتختلف درجات قوتها وكثافتها الحجاجية وسلميتها باختلاف النصّ والسّياق الذي وردت فيه والموضوع الذي تدافع عنه.

ويمكن أن نمثّل للسّلم الحجاجي العام في مناظرات الشيخ أحمد ديدات بالمخطط الآتي:

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ن ← النتيجة: هدم أركان المسيحية وكشف زيفها وبطلانها وتحريفها

واقناع المسيحيين بتهافت مبادئ دينهم وتصدع أساساته.

المناظرة الخامسة "هل عيسى إله؟"

المناظرة الرابعة "هل الإنجيل كلام الله؟"

مناظرة العصر "هل عيسى إله؟"

أخطر المناظرات "هل مات المسيح على الصليب؟"

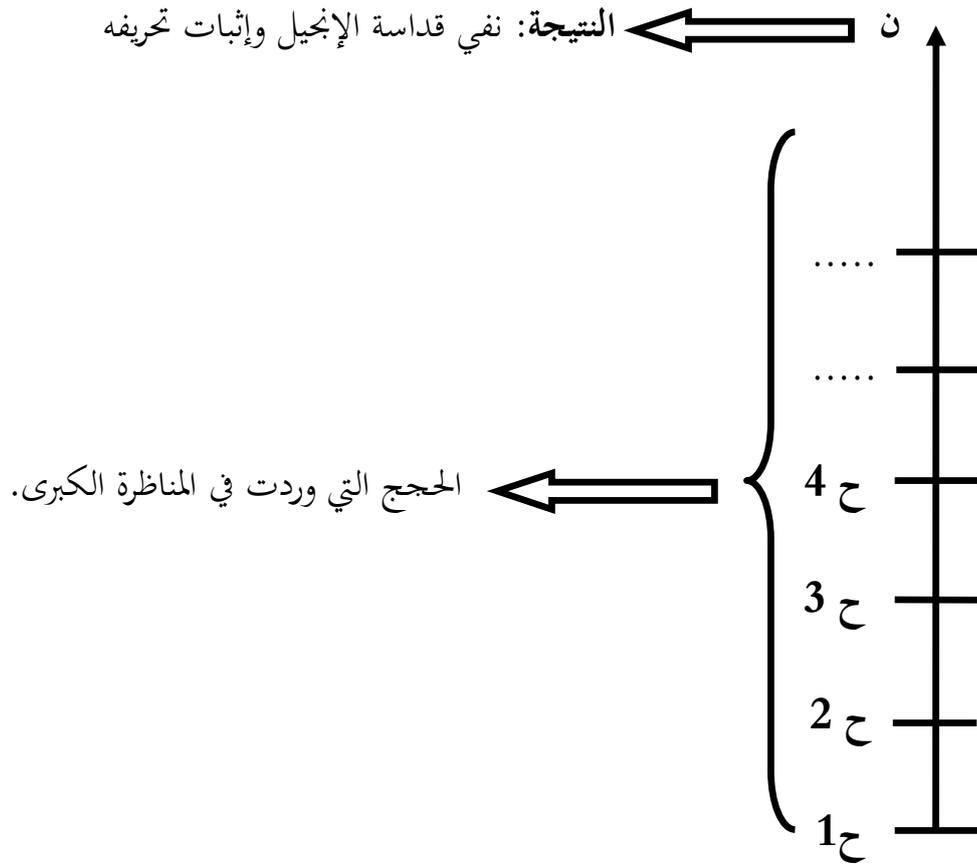
المناظرة الكبرى "هل الكتاب المقدس كلمة الله؟"

4-2- السلالم الحجاجية الجزئية:

سيقوم الباحث بتقسيم كل مناظرة إلى سلّم حجاجي كبير، تتفرّع منه سلالم حجاجية أصغر تخدم الموضوع الذي تعالجه المناظرة، من أجل تحقيق دراسة وافية ومتأنية، وتقديم قدر كافٍ من النماذج التي تسهم في خدمة الهدف الذي يصبو إليه البحث. فالحجج التي وردت في كل المناظرات المدروسة كثيرة ومتنوعة أضفت عليها طابعا حجاجيا كثيفا ورصيذا إقناعيا خصبا.

4-2-1- المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان:

سبق التعريف بهذه المناظرة التي جرت بين الشيخ "أحمد ديدات" والقسّ الأمريكي "جيمي سواجارت"، كما سبق التعريف بغيرها من المناظرات في الفصل الثاني من هذا البحث، وموضوعها: "هل الكتاب المقدس كلمة الله؟" ويمكن أن نمثّل للسلّم الحجاجي الأكبر في هذه المناظرة بالمخطط الآتي:

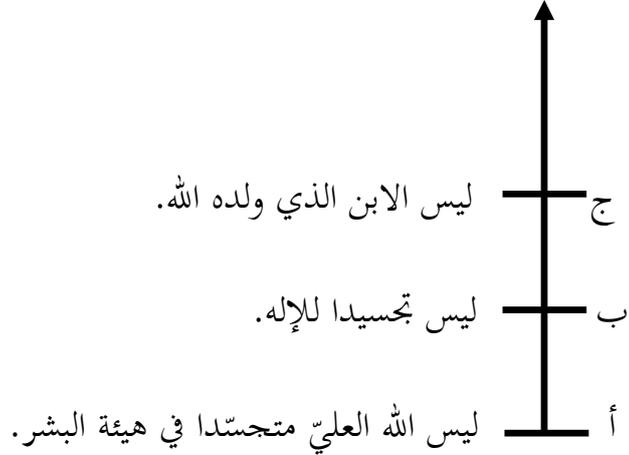


وتضمّنت هذه المناظرة جملة من السلام الحجاجية الجزئية أهمّها:

4-2-1-1-السلّم الأول:

يتناول الشيخ في بداية مناظرته مع القس جيمي سواجارت موضوعاً على قدر كبيرٍ من الأهمية دعاه إلى عرضه ما بسطه خصمه من نقاط هامّة، فقبل الخوض في مسألة قداسة الإنجيل من عدمها يؤكّد الشيخ أنّه وجمهور المسلمين يؤمنون ببعيسى النبيّ عليه السلام؛ بل إنّ إسلام المسلم مرفوض ومردود إن لم يؤمن ببعيسى نبياً ورسولاً جاء بالهدى ودين الحق. لكنّ المسلمين لا يمكن أن يوافقوا النصارى في افتراءهم وبهتانهم الذي يزعمون فيه أن عيسى إله، ويستخدم الشيخ في هذا الموضوع جملة من الحجج يمكن أن تمثل لها من خلال السلّم الحجاجي الآتي:

ن ← النتيجة: نفي ألوهية المسيح، ونفي كونه ابنا لله.



التحليل:

ينتقل الشيخ في خضم هذا الحجاج انتقالا تصاعدياً؛ إذ يؤكّد أنّ المسيح ليس الله العلي العزيز في هيئة البشر؛ حيث إنّ هذه الفكرة المزدولة تشبه خرافات الميثولوجيا الإغريقية التي لا يصدّق بها إلا من يؤمن بالفتازيا والخيال، ثم ينفي أن يكون المسيح تجسيدا لله سواء بالبشرية أم غيرها، فالله عزّ وجلّ يدرك الأبصار ولا تدركه، ولا يمكن لبشريّ أن يدعي أنّه رأى الله، ولكن النصارى يزعمون أن المسيح كان يتجوّل في الأسواق ويأكل الطعام. ثم ينتقل الشيخ لرفض فرضية اعتبار المسيح ابنا لله؛ فالله عزّ وجلّ لم يلد ولم يولد، وتعالى سبحانه على أن ننسب إليه أفعالا حيوانية يمارسها البشر فقط. وهذه الحجة الأخيرة أقوى من نظيرتها حيث يستلزم عن رفضها وردّها هدم الدين المسيحي برمّته ونقض دعائمه.

4-2-1-2-السلم الثاني:

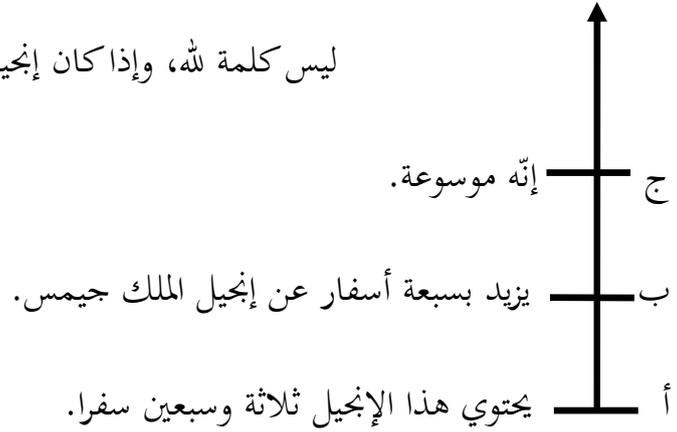
في خضمّ هذه المناظرة يتناول الشيخ مسألة تعدّد الأناجيل وتضاربها ليرد على الخلط الذي وقع فيه القسّ جيمي سواجارت حين عدّ أنّ تعدد الترجمات والنسخ شيء واحد؛ حيث حمل المحاجج المسلم في يده نسخة من إنجيل "دوي" الذي لا يعترف به القس جيمي وكثير من قساوسة الكنيسة البروتستانتية. وهدفه من الحجاج في هذا الموضوع البحث في مسألة رفض البروتستانت

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

الذي يمثل سواجارت أئجهم لهذا الإنجيل ولأنجيل أخرى غيره. ويمكن أن تمثل لذلك من خلال السلم الحجاجي الآتي:

ن ← النتيجة: إذا لم يكن إنجيل دوي كلمة الله فإنجيل الملك جيمس

ليس كلمة لله، وإذا كان إنجيل جيمس كلمة الله فإنجيل دوي كلمة لله.



التحليل:

يتدرج هذا السلم بشكل تراتبي؛ حيث يقرّر فيه الشيخ أحمد ديدات القيمة المقدّسة للإنجيل دوي الذي يحتوي ثلاثة وسبعين سفراً؛ فهذا العدد الكبير من الأسفار بالضرورة يعطي لهذا الإنجيل قداسة كبيرة. ثم يزيد الشيخ الأمر وضوحاً بحجّة أعلى في السلم حين يبيّن أنّ إنجيل "دوي" يزيد بسبعة أسفار عن إنجيل الملك جيمس الذي يقسم عليه سواجارات؛ أي إنّ عدد الأسفار في هذا الأخير لا تتجاوز ستّة وستين سفراً؛ مما يجعل مدّ قداسيّة منحسراً أمام الإنجيل السابق، ليقرّر بعدها المحاجج المسلم أنّ إنجيل دوي يعدّ موسوعة بكلّ المقاييس. وإذا كان القسّ المسيحي يقسم على إنجيل الملك جيمس ويتعبّد به ويدافع عن قداسته، فلماذا لا يعترف بإنجيل دوي بالرغم من أنّه يضمّ عدداً أكبر من الأسفار؟ إنّ الإيمان بإنجيل الملك جيمس يعني بالضرورة الإيمان بإنجيل دوي، وعدم الإيمان بإنجيل دوي يفرض عدم الإيمان بإنجيل الملك جيمس أيضاً.

4-2-1-3-السلم الثالث:

يستكمل المناظر المسلم مساره الحجاجي، ومداره الآن إنجيل الملك جيمس الذي سبق وذكرنا أنّ القسّ جيمي سواجارت يعدّه كلمة الله، ويحاول أن يقنع المسيحيين بأنّه كلمة الله الوحيدة ويرفض غيره من الأناجيل الأخرى، فيسلم له الشيخ أحمد بذلك جدلاً، وينطلق في تسفيه هذا الإنجيل نفسه مثبتاً أنّه يتضمن مجموعة كبيرة من العيوب التي يشير إليها من خلال استخدام مجموعة من الحجج البراهين التي يمكن أن نمثّل لها من خلال السلم الحجاجي الآتي:

ن ← النتيجة: إنجيل الملك جيمس ليس كلمة الله؛ لأنه يحتوي هفوات

وسقطات وعيوب كثيرة.

ج اعتراف علماء المسيحية بالعيوب الخطيرة التي تعاني منها نسخة الملك جيمس.

ب ورود كلمة Begotten واستعاضة سواجارت عنها بكلمة Unique.

أ ورود كلمة Pricks واستعاضة القسّ عنها بكلمة Goads.

التحليل:

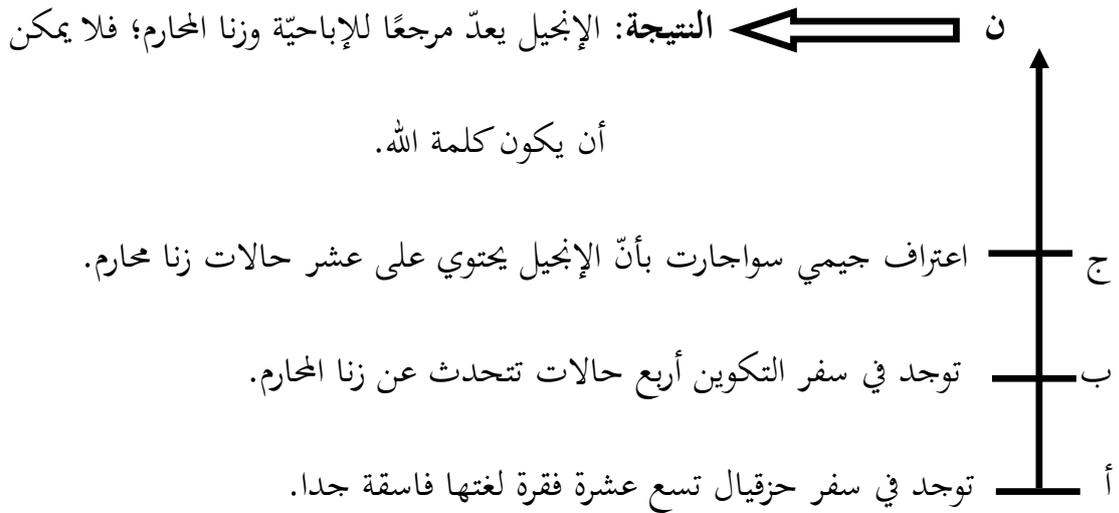
يستخدم الشيخ أحمد ديدات هذه الحجج ليؤكد على السقطات التي يعاني منها إنجيل الملك جيمس الذي يتغنّى به القسّ جيمي سواجارت، فهذا الأخير استخدم كلمة Goads بدلا من Pricks؛ لأنّه في ما يبدو لا يوافق عليها ولا يؤمن بها بدليل أنّه استخدم غيرها، ولو كان يوافق عليها ويتبنّاها فما الذي يدفعه إلى تغييرها؟ وهو أيضا يستخدم كلمة Unique بدلا من كلمة Begotten الواردة في إنجيله الذي يحمله في يديه؛ لأنّه يستحي أن يذكر هذه الكلمة والسبب أنّ معناها "أنجبه الله"، وهو معنى قبيح ومستقذر لا يصح أن ننسبه إلى الله. وأعلى حجة في هذا السلم الحجاجي هي اعتراف اثنين وثلاثين عالما من أرفع علماء المسيحية يساندون من

الفصل الخامس: السلاّم الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة في مناظرات أحمد ديدات

الطوائف المسيحيّة الأخرى بأنّ في نسخة الملك جيمس عيوباً خطيرة وسقطات كثيرة جدّاً؛ ولذلك فقد دعوا إلى تنقيحها وتصحيحها.

4-1-2-4-السلم الرابع:

بعد أن يثبت الشيخ انتفاء ألوهية المسيح، والعيوب الخطيرة التي تعترى إنجيل الملك جيمس الذي يتشدّق به محاججه سواجارت، ينتقل إلى مسألة أخرى مدارها التحريف في الإنجيل ككل بغضّ النظر عن النسخ، فقد وردت في الأناجيل المعتدّ بها قصص وروايات تتضمّن عبارات فاسقة وإباحيّة تتحدّث عن البغاء وزنا المحارم؛ مما يجعلنا نتساءل عن مدى قداسة هذا الكتاب، وعن حقيقة كونه كلمة الله. ويمكن أن نمثّل لهذه الحجج من خلال السلم الحجاجي الآتي:



التحليل:

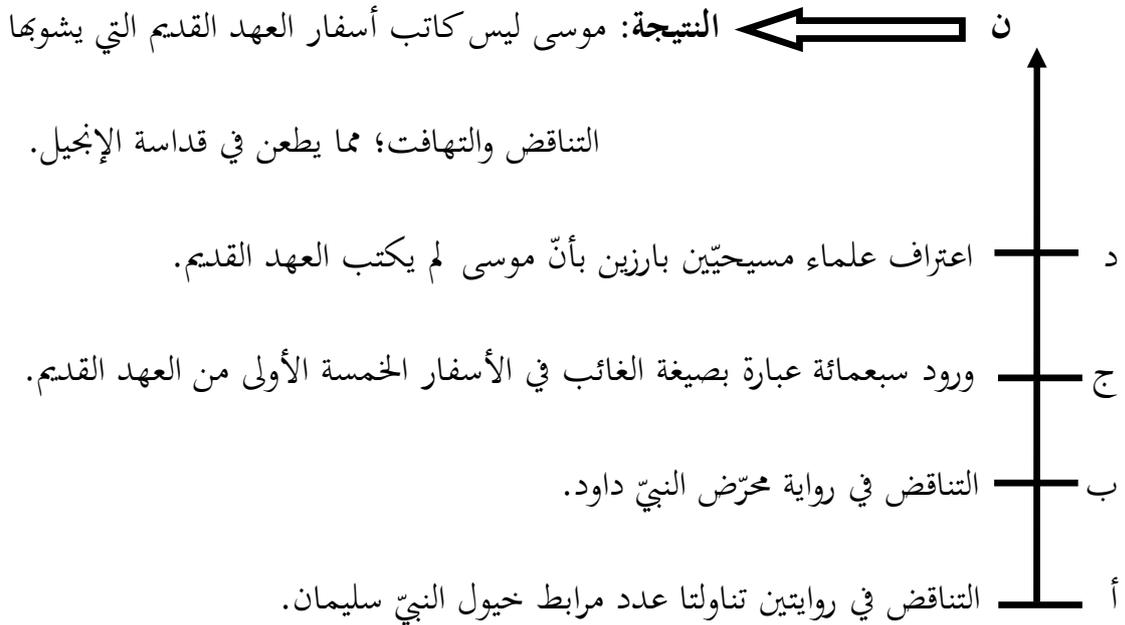
ينطلق هذا السلم الحجاجي من عتبة اللّغة الفاسقة والإباحيّة جدّاً التي تناولت بشكل مفصّل موضوع دعارة الأختين "أهولة وأهوليبة"، وهذه أوّل حجّة في طريق إثبات فكرة أنّ الإنجيل مرجع ثريّ للإباحيّة والدعارة، ثمّ إنّ سفر التكوين في العهد القديم يحتوي وحدة نصوصاً تتحدّث عن أربع حالات من زنا المحارم، أمّا الحجّة الأقوى في هذا السلم الحجاجي فقوامها اعتراف القسّ جيمي سواجارت في كتاباته الكثيرة التي تناول فيها مواضيع "زنا المحارم"، و"الإباحية في الفن

الفصل الخامس: السّلام الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة في مناظرات أحمد ديدات

والأدب"، "واللواط والمسكرات"... بأنّ الكتاب المقدّس الذي يقسم عليه ويتعبّد به ويدافع عن قداسته يحتوي على عشر حالات من زنا المحارم؛ مما لا يدع مجالاً للشك في الحكم بأنّ هذا الكتاب ليس كلمة الله؛ بل يجوز القول إنّه كتاب خطير ومؤذٍ يسهم في ترويج الانحراف والشذوذ.

4-2-1-5- السّلم الخامس:

في إطار تناول الشيخ أحمد ديدات للتهافت الذي يعتري الإنجيل، والتناقض الذي يشوبه، والضعف الذي يعيبه، يعرّج إلى العهد القديم ممحصاً نصوصه وأسفاره وآياته مستجلباً منها ما يؤكّد به استحالة كون الإنجيل كلمة الله، وخصوصاً ما ورد في الأسفار الخمسة الأولى من هذا العهد وهي "التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والثنية". ويمكن أن نمثّل لهذا البسط من خلال السلم الحجاجي الآتي:



التحليل:

يتدرّج هذا السّلم الحجاجي في قوّته الإقناعيّة انطلاقاً من تمثيل المحاجج المسلم للتهافت في العهد القديم بحجّة التناقض في الرواية التي تحدّثت عن عدد مرابط الخيل التي امتلكها نبيّ الله

الفصل الخامس: السلالم الحجائية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

سليمان عليه السلام، فقد ذكرت الرواية الأولى أنّها أربعة آلاف بينما جاء في رواية أخرى أنّها أربعون ألفاً، ثم جاءت حجّة أخرى تعضد سابقتها؛ حيث نجد تناقضا في النصّ الذي يتحدّث عن محرّض داود أهو الله أم الشيطان؟ وبيت القصيد في هذا السّلم الحجاجي هو ورود سبعمائة عبارة في الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم بصيغة الغائب؛ مما يدلّ على أنّ موسى لم يكتبها، وليس يسوع طبعاً من كتبها؛ لأنّه لم يكتب حتى الإنجيل، فكاتب الأسفار هو شخص آخر؛ وعليه فإنّ يد التحريف البشري التي مسّت العهد الجديد قد مسّت العهد القديم، فلا يمكن أن يكون الإنجيل كلمة الله المقدّسة؛ لأنّ كتاب الله لا يمكن أن يشوبه التحريف والتزييف، ولا يجوز أن تترك أيدي البشر بصماتها فيه.

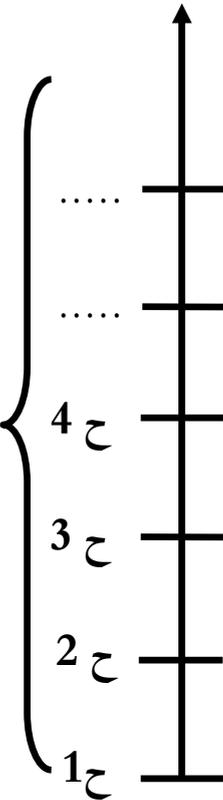
4-2-2-أخطر المناظرات: موضوع هذه المناظرة: "هل مات المسيح على الصليب؟"، ويمكن

أن نمثّل للسّلم الحجاجي الأكبر في هذه المناظرة بالمخطط الآتي:

ن ← النتيجة: نفي قضية موت المسيح على الصليب ودحض فرية دفنه

وبعثه من قبره بعد ثلاثة أيام.

الحجج التي وردت في أخطر المناظرات.



الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

وتضمّنت هذه المناظرة جملة من السلالم الحجاجية الجزئية، أهمّها:

4-2-2-1- السّلم الأول:

ينطلق الشيخ أحمد ديدات في مناظرته مع البروفيسور فلويد كلارك حول مسألة موت المسيح على الصليب من نقطة جوهرية ومركزية لو تمّ نفيها سيُهدم صرح المسيحية وتتصدّع أساساتها، ومدارها استحالة كون المسيح مات ثم دُفِن وبعث إلى الحياة من جديد؛ لأنّ نصوص الإنجيل التي تناولت هذه القضية لا تشفي غليل الباحث عن الحقيقة ولا تقنعه. ويمكن أن نمثّل لهذه القضية بالسّلم الحجاجي الآتي:

ن ← النتيجة: المسيح لم يمّت على الصليب، ولم يعد إلى الحياة بعد

دفعه، بل بقي على قيد الحياة قياسا على نصوص الإنجيل.

هـ المسيح أخبر اليهود والحواريين بأنّ القيامة قيامة أرواح وليست قيامة أجساد.

د شاوول لم يدّع أنّه رأى المسيح جسدا.

ج رؤية مريم المجدلية للمسيح جسدا حيّا بجوار المقبرة.

ب تفاجؤ الحواريين عند رؤيتهم للمسيح جسدا وتناوله الطعام معهم.

أ لم يشهد الحواريون عملية الصلب؛ لأنّهم فرّوا جميعا.

التحليل:

من خلال هذه الحجج التي تتفاوت قوتها الحجاجية يحاول الشيخ أحمد إقناع جماهير المسيحيين بأنّ قضية عودة المسيح إلى الحياة بعد دفنه مردودة ومرفوضة، بدليل أنّ الحواريين لم يشهدوا عملية الصلب حسب ما رواه لوقا؛ لأنّهم فرّوا جميعا وتركوه، فلم يروه ميتا ومدفونا. كما

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

أنّ الحوارين أنفسهم حين رأوا المسيح أمامهم جسداً حيّاً تفاجؤوا وارتعبوا ولم يصدّقوا ما رأوه أمامهم، ولم يستكن خوفهم إلا حين طلب منهم يسوع طعاماً، ورأوه يأكل كما يأكل الأحياء. ويقرّر الشيخ بناء على هذا أنّ يسوع لم يمّت على الصليب ولم يتوقف قلبه عن الحياة؛ بل نجح بطريقة ما؛ إذ رأته مريم المجدلية بجوار المقبرة حيّاً وظنّته البستاني، ولم تعرفه إلا حين ناداها باسمها؛ ممّا يربّح فرضية أنّه خرج من القبر بعد دفنه مباشرة أو بعد وقت قليل؛ لأنّه لم يمّت طبعاً، ولم يفارق هذه الحياة.

أمّا ما يزعمه المسيحيّون من أنّ "شاول" مضطهد المسيحيّين رأى المسيح في طريقه إلى دمشق فباطل ومرفوض؛ لأنّ "شاول" لم يصرّح بأنّه رآه رأي العين، بل قرّر بأنّه سمع صوتاً خاطبه بكلامٍ ذكر فحواه. أمّا أقوى حجّة في هذا السّلم فهي إقرار المسيح نفسه بأنّ القيامة قيامة أرواح وليست قيامة أجساد، ولو كانت القيامة قيامة أجساد لتعيّن أن يموت المسيح مجدداً بعد بعثه من قبره، ويقرّر الشيخ أنّ هذا مستحيل بداهة ومرفوض.

4-2-2-2-السّلم الثاني:

ينتقل المناظر المسلم إلى معالجة قضية جزئية أخرى تصبّ في جوهر هذه المناظرة؛ فالمسيح عليه السلام حسب المسيحيّين أجاب اليهود الذي جاؤوا يسألونه أن يريهم آية حسب ما ورد في إنجيل متى بأنهم جيل فاسق وشريّر، ولن يروا أيّ آية إلا آية يونان (النبي يونس عليه السلام) الذي التقمه الحوت.

ويستخدم الشيخ أحمد ديدات جملة من الحجج ليؤكّد أنّ هناك تناقضا بين آية يونان عليه السلام، وآية المسيح عيسى عليه السّلام الذي قال صراحة إنّ معجزته ستكون كمعجزة يونان نفسها، بما لا يدع مجالاً للشك في كون الإنجيل محرّفاً. ويمكن أن نمثّل للحجج الواردة في هذه القضية بالسّلم الآتي:

الفصل الخامس: السلالم الحجائية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ن ← النتيجة: معجزة يسوع التي قال إنَّها تماثل معجزة يونان تتناقض

معها؛ مما يؤكّد بطلان مسألة الصلب والدفن والبعث.

د يونان مكث في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ويسوع مكث في قبره يوما وليلتين.

ج يونان كان حيًّا حين لفظه الحوت، ويسوع مات وبعث إلى الحياة.

ب يونان كان حيًّا في بطن الحوت، ويسوع كان ميتا ومدفونا في قبر.

أ يونان كان حيًّا حين رُمي في البحر، ويسوع مات على الصليب.

التحليل:

من خلال هذا السلّم الحجائي يوجّه المحاجج المسلم ضربة قاضية إلى خصمه المسيحي البروفيسور فلويد كلارك، فالمعجزة التي ادعى فيها الإنجيل على لسان يسوع بأنَّها ستكون كمعجزة يونان تتناقض معها تماما؛ حيث إنَّ النبي "يونان" الذي خالف أمر الله وذهب إلى نرشيش بدلا من نينوى عن طريق البحر، فاضطرب البحر وتساءل أهل السفينة التي كان على متنها عن السبب، فأخبرهم بأنه هو سبب الاضطراب، وبأنَّ عليهم أن يرموه في البحر ليهدأ، ففعلوا ذلك والتقمه الحوت.

ويونان لم يكن ميتا حين رماه ركاب السفينة، بل كان حيًّا بشهادة العهد القديم والقرآن الكريم، وكان حيًّا مدّة مكوثه في بطن الحوت وحيًّا حين لفظه، بينما يزعم النصارى أنّ عيسى عليه السلام مات على الصليب، وميتا حين تم دفنه في قبره، وبعث إلى الحياة بعد أن فارقت روحه جسده. أمّا الحجّة الأقوى في هذا السلّم فمدارها التناقض بين المدّة الزمنية لبقاء يونان في بطن الحوت والمدّة الزمنية التي قضاهم المسيح في القبر؛ ففي حين يقرّر الإنجيل أنّ مدّة بقاء يونان هي ثلاثة أيام ويؤكّد عيسى بأنَّ معجزته ستكون كمعجزة يونان، يؤكّد الشيخ أنّ المسيح دفن ليلة

الفصل الخامس: السلام الحجائية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

السبت، وفجر ليلة الأحد لم تجد مريم المجدلية جسده في قبره، وعليه فمدّة بقاءه في القبر لا تتجاوز يوما وليلتين. ومن هنا فمسألة موت المسيح عليه السلام على الصليب ودفنه ساقطة ومردودة وباطلة قياسا على هذا التناقض الذي ورد في الإنجيل نفسه!

4-2-2-3- السلم الثالث:

السلم الحجائي الجزئي الثالث في هذه المناظرة قوامه دور مريم المجدلية في حادثة الصلب، فمريم والنساء شهدن عملية الصلب والدفن، وذلك بعكس الحواريين الذين فرّوا وتركوا يسوع الناصري ليلاقي مصيره وحده، وما ورد في الإنجيل من نصوص حول مريم إبان حادثة الصلب والدفن والبعث ينقض الاعتقاد المسيحي. ويستخدم الشيخ أحمد ديدات مجموعة من الحجج لإثبات وجهة نظره وخدمة قضيتته وإقناع الجماهير وكسب تأييدهم. ويمكن أن نمثل لذلك بالسلم الحجائي الآتي:

ن ← النتيجة: النصوص التي تناولت دور مريم المجدلية في قصة

الصلب تؤكد أنّ المسيح لم يمّت على الصليب.

هـ يسوع يقول لمريم أنّه لم يصعد بعد إلى أبيه.

د يسوع يطلب من مريم أن لا تلمسه.

ج مريم التقت يسوع وظنّته البستاني.

ب مريم المجدلية وجدت القبر مفتوحا والحجر مدحرجا.

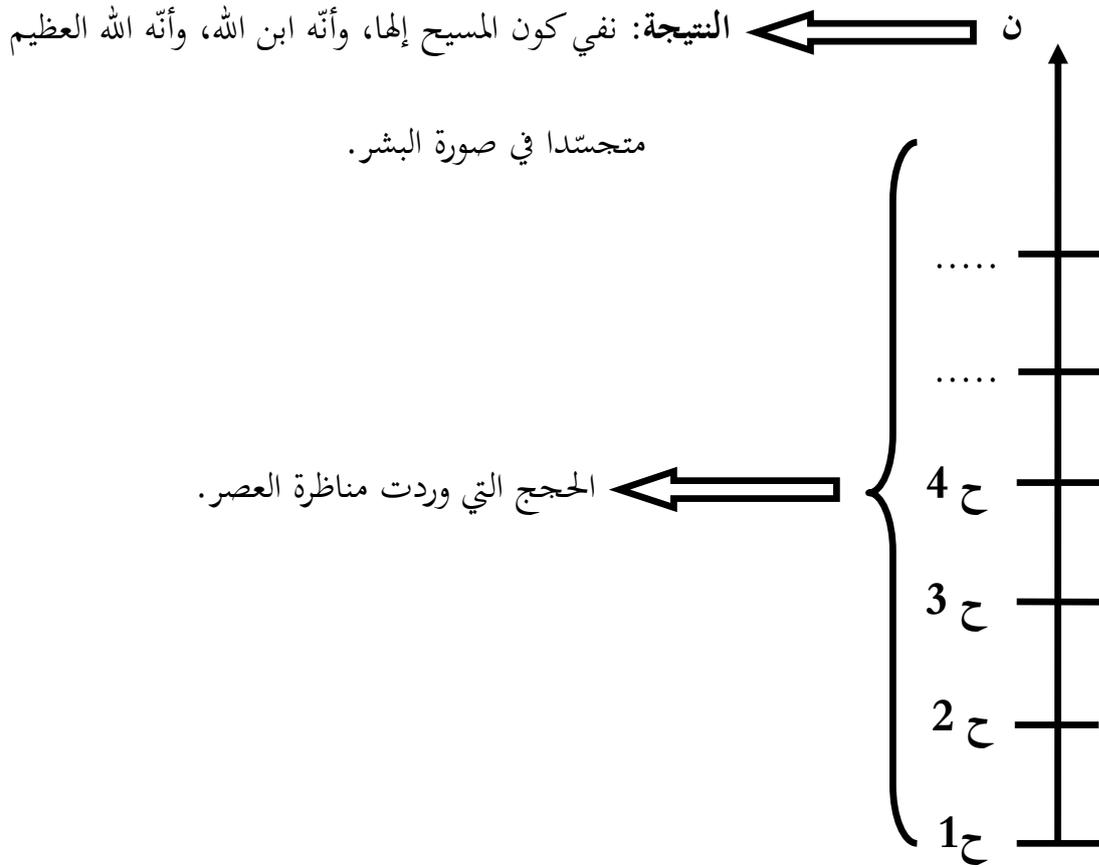
أ ذهاب مريم المجدلية إلى القبر يوم الأحد لوضع الخنوط.

التحليل:

ينطلق الشيخ أحمد في هذا البسط الحجائي مستندا إلى ما ورد في الإنجيل الذي ينصّ على أنّ مريم المجدلية والنساء ذهبن فجر الأحد لوضع الحنوط على جثة المسيح عليه السلام، ويتساءل عن جدوى وضع الحنوط على جثة بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ لأنّها ستكون متحللة ومتفسخة، وعليه فهذا ليس سبب ذهابن إلى القبر؛ بل السبب الحقيقي هو مساعدة الشخص الذي علمن بأنّه لم يمّت، بل نجح من الصلب، ثم إنّه وجدن القبر مفتوحا يوم الأحد والحجر مدحرجا، وسبب ذهابن يوم الأحد هو منع الحركة والعمل يوم السبت حسب الاعتقاد اليهودي، ومن الجائر جدا أن يكون خروج المسيح قد تم بالفعل قبل يوم الأحد، فضلا عن أنّ مريم رأت المسيح عليه السلام حسب الإنجيل رأي العين في ثوب البستاني، ومن المرجح أنّه تنكّر في زيّ البستاني خشية أن يقبض عليه اليهود مجددا ويقتلوه بعد أن نجح منهم، وقد رفض المسيح عليه السلام أن تلمسه مريم المجدلية؛ لأنه قياسا على سياق القصة كان مخضبا بالدماء مثخنا بالجراح، ولو احتضنته مريم لآلمته وأوجعته. أما أقوى حجّة في هذا السلّم فهي اعتراف المسيح بلسانه قياسا على ما ورد في إنجيل يوحنا أنّه لم يصعد بعد إلى أبيه، أي إنّّه لم يمّت ويبعث إلى الحياة. والنتيجة أنّ المسيح لم يمّت على الصليب بل نجّاه الله تبارك وتعالى، ولو كان مات لصعدت روحه إلى بارئها، وقد نفى بنفسه حدوث ذلك.

4-2-3-مناظرة العصر:

موضوع هذه المناظرة المحتدمة التي جمعت بين الشيخ "أحمد ديدات" والقسّ الفلسطيني "أنيس شرّوش" هو "هل عيسى إله؟"، ويمكن أن نمثّل للسلّم الحجائي الأكبر في هذه المناظرة بالمنخطط الآتي:



وتضمّنت هذه المناظرة جملة من السلاّم الحجاجية الجزئية أهمّها:

4-2-3-1-السلم الأول:

ينطلق الشيخ أحمد ديدات في هذه المناظرة من نقطة مركزية وهامة؛ حيث إنّ المسيح عيسى عليه السلام رسول الله وكلمته التي ألقاها على مريم لم يدع أنه إله، ولم يقل بأنه ابن الله، أو تجسيد لله في صورة البشر، ولم يدع الناس إلى عبادته وتقديسه. ولعلّ من الأمور التي جعلت النصارى يؤهّونه فهمهم الخاطيء لأقواله التي نقلوها عنه. ويحاول المحاجج المسلم نقض قضية ادّعاء المسيح للألوهية مبرّنًا إيّاه من هذه التهمة. ويمكن أن نمثّل للحجج الواردة في هذه القضية المركزية بالسلم الحجاجي الآتي:

ن ← النتيجة: نفي ألوهية المسيح جملة وتفصيلا لعدم وجود أي

نص في الإنجيل يثبت ذلك.

هـ لا توجد جملة واحدة في الإنجيل يقول فيها عيسى إنه إله معبود.

د ما نقله يوحنا اللاهوتي لا تثبت صحته وأسيء تفسيره.

ج معجزة آدم أعظم من معجزة عيسى.

ب الدكتور شروش قدم تفسيراً خاطئاً لكلمة "إلوهيم".

أ عيسى وُلد ميلاداً معجزاً ولكنه ليس ابناً لله.

التحليل: يؤكّد الشيخ أحمد ديدات حقيقة أنّ عيسى عليه السلام نبيّ الله ورسوله قد وُلد ميلاداً معجزاً، فهو كلمة الله التي ألقاها على مريم البتول، ولكنّ مريم حملت به كما تحمل كلّ النساء، وولده كما تلد النساء، ولا شكّ في أنّ الله أيّده بمعجزات كثيرة، فقد تكلم في المهد صبيّاً، وكان يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي المرضى بإذن الله، وليس عيسى النبيّ الوحيد الذي أيّده الله تعالى بمعجزات؛ بل ينسحب هذا على رسل وأنبياء كثير، أما اللفظة اليهودية "إلوهيم"؛ أي "آلهة" الموجودة في العهد القديم التي حاول المحاجج المسيحي توجيه دلالتها إلى عقيدة التثليث، فهي تدلّ على التفخيم والتعظيم وهي تقابل صيغة الجمع في اللّغة العربية. ويرتفع المنسوب الحجاجي في هذا السّلم من خلال استدلال الشيخ بمعجزة آدم الذي خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه فصار بشراً دبت فيه الحياة، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنّته؛ حيث إنّ هذه المعجزة أعظم من معجزة عيسى حسب رأيه، ويقتضي تأليه المسيح بالضرورة تأليه أبي البشر عليه السلام آدم أيضاً.

ثمّ يستخدم الشيخ الحجّة النقليّة من الإنجيل؛ حيث يوضّح أنّ عبارة "أنا الأوّل والآخِر" التي وردت في إنجيل القديس يوحنا ليست دليلاً على ألوهية المسيح؛ لأنّها وردت في سياق حلم

الفصل الخامس: السلاّم الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة في مناظرات أحمد ديدات

طويل جدًا رآه يوحنا لا يمكن أن نجزم بصدقه، أو على الأقل لا يمكن أن نجزم بصدق كثير ممّا ورد فيه؛ لأنّه رأى فيه أشياء عجيبة، وحصلت له فيه مواقف غريبة، أما العبارة الأخرى التي وردت في الإنجيل نفسه "أنا والآب واحد"، فقد وردت هي الأخرى في سياقٍ معيّن. والدليل الأقوى في هذا السلاّم الحجاجي هو البحث العميق والدقيق الذي قام به الشيخ أحمد ديدات في الأسفار الستة والستين التي يتكوّن منها الإنجيل، فلم يقع فيها على نصّ واحد يقول فيه عيسى بأنّه إله، أو يدعو فيه الناس إلى عبادته وتقديسه، بل إنّ الشيخ مستعد ليضع رقبتَه تحت المقصلة إذا ما استطاع المسيحيّون أن يدلّوه على نصّ واحد يصبّ في هذا الإطار.

4-2-3-2-السلاّم الثاني: مدار السلاّم الحجاجي الجزئي الثاني في هذه المناظرة فكرة التثليث -التي هي بؤرة ومحور الدين المسيحي- والغموض الكبير الذي يعتريها؛ حيث إنّ النصوص التي تحدّث عنها مبهمة وأقرب إلى الطلاسم التي يصعب فهمها وفكّ شفراتها، مما يطعن فيها جملة وتفصيلاً، ويكبّها رأساً في مقبرة الردّ والنقض. ونمثّل للحجج التي استخدمها الشيخ أحمد ديدات لدحض هذه الفرية بالسلاّم الحجاجي الآتي:

ن ← النتيجة: يستحيل عقلاً أن تُقبل عقيدة التثليث؛ لأنّها مناقضة

للعقل والمنطق، كما أنّ النصوص والروايات ترفضها وتردّها.

د التصوّرات العقليّة تمايز، فالثلاثة تبقى ثلاثة، والواحد يبقى واحداً.

ج لا يستطيع أيّ مسيحي أن يشرح فكرة التثليث.

ب عقيدة التثليث حسب التقرير الذي أصدره المؤتمر العالمي للكنائس أحجية غامضة.

أ يستحيل أن يكون الإله بشريّاً حسب التصور الإسلامي.

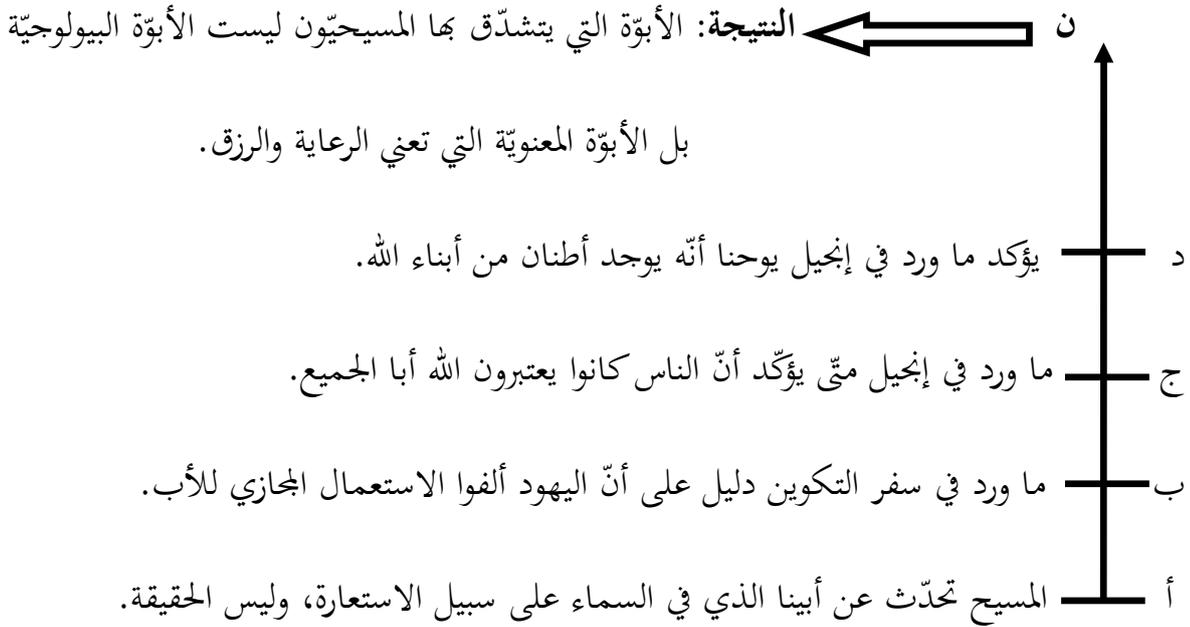
التحليل:

يبدو لنا من خلال هذا السلم الحجائي أنّ أضعف حجّة هي تأكيد المحاجج المسلم على حقيقة أنّ التصور الإسلامي يرفض تماما فكرة أن يكون الله تبارك وتعالى واحدا من البشر؛ حيث سيرفضها المحاجج المسيحي؛ لأنه لا يؤمن بالقرآن الكريم أولا، ولا بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا؛ ولأنّه يؤمن بأن الله قد يكون بشريا انطلاقا من عقيدته المخرفة التي تأثرت بأفكار الحضارات الأخرى كالفرعونية واليونانية، فيسقط المحاجج المسلم حجّة أخرى مبنها التقرير الذي أصدره المؤتمر العالمي للكنايس؛ إذ تضمّن عبارات غامضة يستحيل فهمها في تناوله لمسألة التثليث من قبيل: "الأب إله، والابن إله، والروح القدس إله ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة؛ بل إلهها واحدا"، ويستمرّون بسرد عبارات أخرى تشبهها لا تزيد الأمر إلا غموضا وصعوبة؛ مما يجعل المسيحي نفسه يعجز عن فهمها واستيعابها، فكيف به لو طلب منه شرحها وتبينها، وفي أعلى هذا السلم يؤكّد المناظر المسلم استنادا إلى حبوة التحقيق والمنطق أنّ التصوّرات الثلاثة تبقى دائما ثلاثة؛ حيث إنّها تحيل إلى صورٍ مختلفة ومتباينة ومتشاكسة، ولا يعقل أن نفهم الأمر من وجهة نظر المسيحيين المتحيّزة؛ لأنهم هم أنفسهم لا يدركون عقيدة التثليث المردودة والمرفوضة والباطلة جملة وتفصيلا.

4-2-3-3-السلم الثالث:

ينتقل الشيخ أحمد ديدات إلى فكرةٍ جزئيةٍ أخرى يتناول فيها قضية "الأب الذي في السماء"؛ فالمسيحيون يعتبرون الله عزّ وجلّ أبنا المسيح عليه السلام -تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا- ويستندون من أجل إثبات هذا التخزّص إلى نصوص في الإنجيل حرّفوها وأسأؤوا فهمها. ويستخدم الشيخ أحمد جملة من الحجج والبراهين من أجل نقض هذه القضية نرتبها في السلم الحجائي الآتي:

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات



التحليل:

ليس الله تبارك وتعالى أبا للمسيح عليه السلام ولا لغيره، وحديث المسيح عن الأب الذي في السماء مُراداً به معنى الرعاية والكفالة والرزق والرحمة. ولعلّ الخصم المسيحي لن يقتنع بهذه الحجّة ولن يخنع لها، فيلجأ المحاجج المسلم إلى رفع القوّة الحجاجية في هذا السّلم مستشهداً بلفظة "أبناء الله" التي وردت في سفر التكوين، والتي تدلّ على أن اليهود كانوا يرون الله أبا لهم؛ لأنه يرحمهم ويطعمهم ويسقيهم، ويعضد هذا العبارات التي وردت في إنجيل متى من قبيل "أبي، أبوك، أبوكم"، ممّا يؤكد الفكرة السابقة؛ أي إنّ الناس كانوا يرون الله أبا لهم على سبيل المجاز. وما يزيد موقف الشيخ أحمد ديدات قوّة النصّ الذي ورد في إنجيل يوحنا؛ حيث يقول إنّ المسيح خاطب مجموعة من الناس قائلاً لهم: "يَنْبَغِي أَنْ يُوَلَّدُوا مِنْ فَوْق"، وهذا يمثّل أقوى حجّة في هذا السّلم؛ لأنّ البنوّة لله لن تصير حكراً على المسيح وحده، بل تنسحب على جميع الخلق خيارهم وشرارهم، وليس المقصود هنا البنوّة التي تتحقق عن طريق التناسل والعلاقة الجنسية الحيوانية، بل بنوّة الخلق والرعاية والرزق والرحمة.

4-2-3-4- السلم الرابع:

بعد أن يسرد الشيخ الحجج السابقة التي ينفي فيها كون الله "أبا المسيح" ينتقل إلى تناول قضية تُستلزم منها وتقتضى من ورائها، ألا وهي مسألة "بشرية المسيح"؛ حيث ينفي عنه صفة الإلهية مطلقاً من خلال استخدام مجموعة من الحجج والبراهين من أجل إقناع الجماهير الحاضرة في قاعة المناظرة بصدق قضيته وكسب تأييدهم، ويمكن أن نرتب الحجج الواردة لخدمة هذه القضية في السلم الحجائي الآتي:

ن ← النتيجة: عيسى عليه السلام ليس إلهًا، بل بشرًا رسولًا.

هـ لقد تمّ وصف يسوع في العهد الجديد بأنه "ابن الإنسان" في ثلاثة وثمانين موضعًا.

د يؤكد القديس بطرس في أعمال الرسل أنّ المسيح رجل.

ج يؤكد إنجيل لوقا أنّ يسوع تمّ ختانه بعد أسبوع من ولادته.

ب يسوع كانت له أعضاء مثل أعضاء الإنسان.

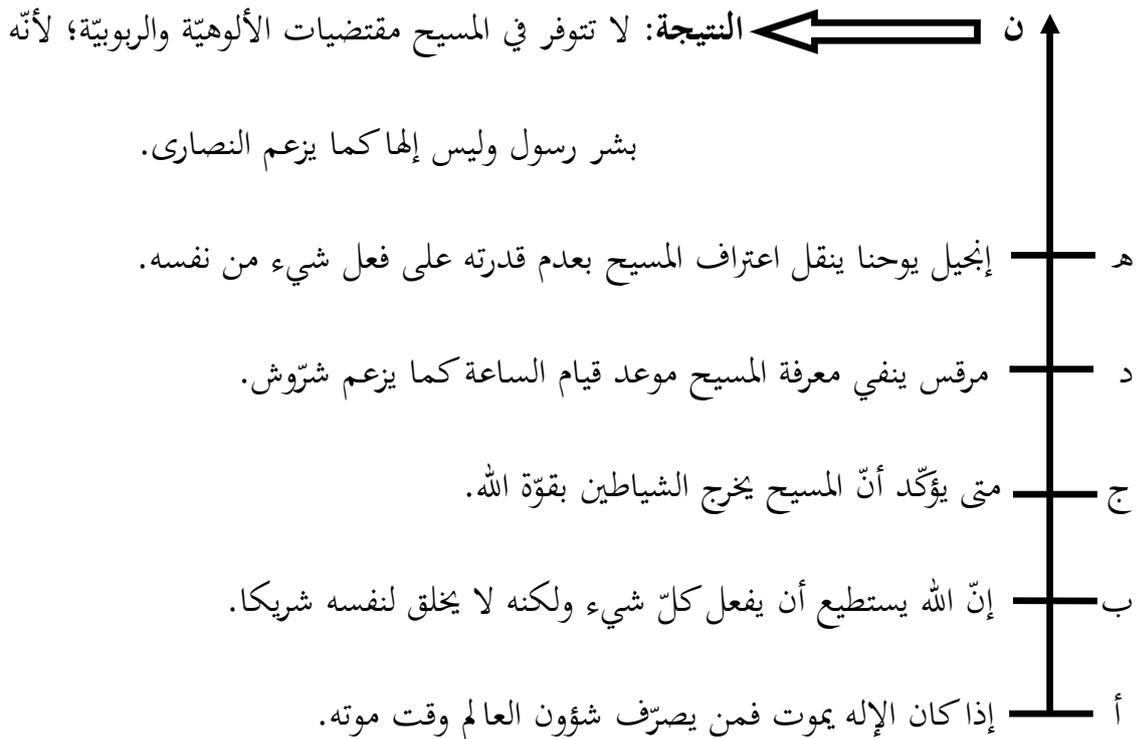
أ إنّ أيّ شخص ولدته أمّه لا يمكن أن يكون إلهًا.

التحليل: قد لا يقبل المسيحي الحجّة الأولى التي يستند إليها المحاجج المسلم؛ حيث إنّ القاعدة العامة عندنا نحن المسلمين أنّ من ولدته أمّه لا يمكن أن يكون إلهًا؛ فالله عز وجل لم يلد ولم يولد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولكنّ هذا النوع من التصوّر المتبذل مقبول عند النصارى وغيرهم. وعليه فالشيخ أحمد يرفع من مقدار قوّة الحجج حين يؤكّد على حقيقة أنّ المسيح كان له أعضاء مثل البشر كالعينين والشففتين واللّسان والأمعاء، وأفعاله كأفعال البشر إلّا أنّه مؤيّد بمعجزات ومحمّل برسالة من عند ربّه شأنه في ذلك شأن كثير من الأنبياء كموسى ومحمّد وإبراهيم. ثمّ ينتقل الشيخ لعادته ليورد نصوصاً يقوّي بها حجّته، فما ورد في إنجيل لوقا حول عمليّة ختان

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

المسيح بعد ثمانية أيام من ولادته يؤكّد أنّه بشر، فقد تمت عملية ختانه كما تتمّ عملية ختان جميع الأطفال، وهناك دليل آخر أيضا يصبّ في خدمة قضية بشرية المسيح، وهو اعتراف القديس بطرس في أعمال الرسل أنّ يسوع الناصري رجل مؤيّد بقوات وعجائب وآيات من عند الله، ثمّ يؤكّد الشيخ أحمد حقيقة أنّ المسيح لم ير الله ولم يسمع صوته في أيّ وقت. أمّا أعلى حجة في هذا السلّم فهي عمليّة البحث التي قام بها الشيخ أحمد في نصوص العهد الجديد الذي ورد فيه وصف المسيح بأنّه "ابن الإنسان" في ثلاثة وثمانين موضعا، بينما وُصف بأنّه "ابن الله" في ثلاثة عشر موضعا على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة، وقد سبق تبيان ذلك في ما سبق.

4-2-3-5-السلّم الخامس: ترتبط الألوهية بمقتضيات القوّة والقدرة والتجبرّ والعظمة والتسيير والعلم والخلق والرزق؛ فالإله هو المصرّف لشؤون هذا العالم والمتصرّف في شؤون خلقه، وإذا كان المسيح إلها فينبغي أن تتوفر فيه الصفات السابقة وغيرها ممّا تستوجبه رتبة الألوهية، ويؤكّد المناظر المسلم عدم توفّرها في المسيح؛ لأنّه مجرد بشر. ويستخدم الشيخ أحمد ديدات جملة من الحجج والبراهين ليدعم بها موقفه نرتبها في السلّم الحجاجي الآتي:

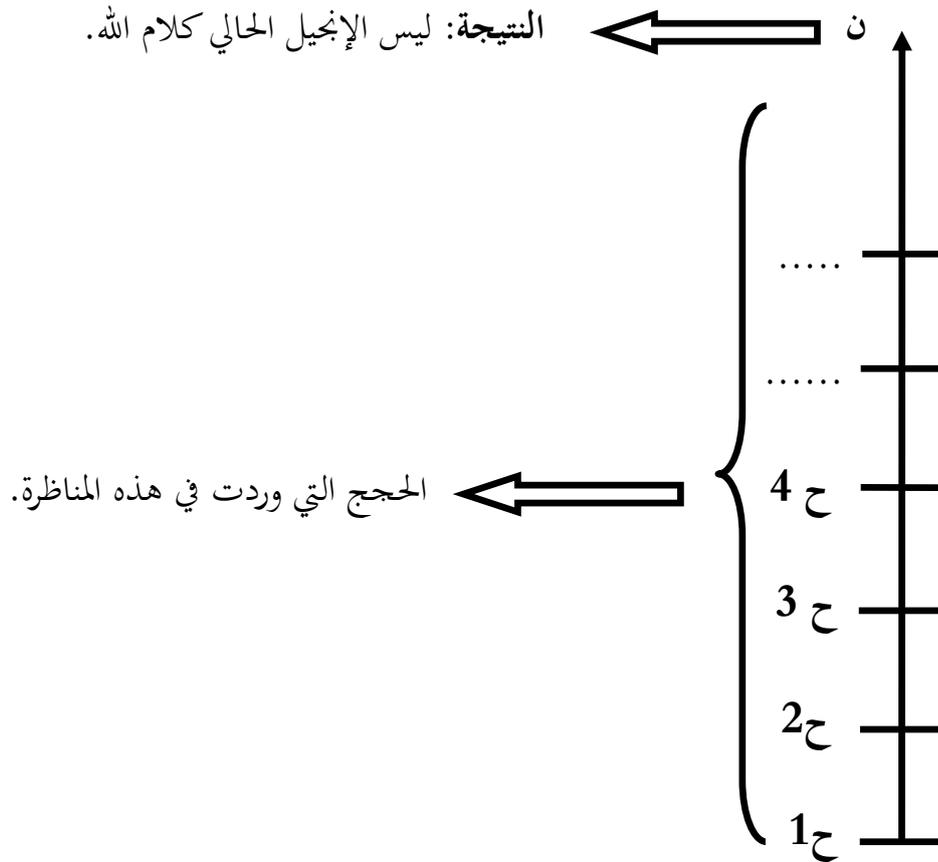


التحليل:

إنّ فكرة موت الإله ودفنه وبعثه غير مقبولة بتاتا، لكنّ القسّ الفلسطيني "أنيس شروش" يفتخر بأنّ يسوع صلب ومات من أجله ويرى ذلك فحوى دينه وجوهره، فهو لا يقبل الحجّة الأولى، فيرمي له الشيخ أحمد ديدات في ملعب المناظرة حجّة أخرى مدارها قدرة الله على فعل كل الأشياء بالضرورة، ولكن لا يوجد عاقل يقول بأنّ الله يخلق شريكا له في ملكه، وهذه الفكرة هي الأخرى مقبولة عند شروش وجمهور النصارى؛ لأنّ عقيدة التثليث بؤرة الدين المسيحي. فيرفع المحاجج المسلم منسوبه الحجاجي من خلال استجلاب نصوصٍ من الإنجيل الذي يقسم عليه شروش؛ حيث ورد في الإنجيل الذي رواه القديس "متّى" نصّ صريح يعترف فيه المسيح أنّه لا يُخرج الشياطين إلاّ بحول الله وقدرته، ويزيد الشيخ أحمد من وجع الضربات على خصمه حين يعضد هذه الحجّة بحجّة أخرى من الإنجيل الذي رواه مرقس؛ حيث ورد فيه نصّ صريح ينفي فيه المسيح عليه السلام علمه بموعد قيام الساعة، لكنّ القسّ الفلسطيني شروش يزعم أنّ يسوع يعلم موعد قيامتها مخالفا نصوص إنجيله، لتكون خاتمة السّلم الحجاجي في هذه القضية ضربة قاصمة للمحاجج المسيحي؛ إذ ينقل الشيخ أحمد ديدات نصّين من الإنجيل الذي رواه "متّى" أين يعترف المسيح عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالى هو الذي أعطاه القوّة والقدرة، فهو أعظم من الكل، والمسيح عبّد ضعيف لا يستطيع أن يفعل شيئا من عند نفسه، فالله عزّ وجل هو من ألهمه المعرفة والقدرة على فعل المعجزات.

4-2-4-4- مناظرة ستوكهولم الأولى:

موضوع هذه المناظرة التي جمعت بين الشيخ أحمد ديدات وباستر استانلي شويبرج هو الموضوع نفسه الذي ناقشته المناظرة الكبرى "هل الإنجيل كلام الله؟" ويمكن أن نمثّل لسلمها الحجاجي الأكبر بالمخطط الآتي:



وتضمّنت هذه المناظرة جملة من السلام الحجاجية الجزئية أهمّها:

4-2-4-1-السلّم الأول:

يضع الشّيخ أحمد ديدات في بداية مناظرته مع القسّ السويدي استنالي شوبيرج الإنجيل المقدّس تحت مجهر النقد والتمحيص والتدقيق، من أجل الإشارة إلى التضارب والتناقض الصارخ عند النصارى في أخذهم ببعض نسخه دون الأخرى، مشيراً إلى السقطات العامة التي تعاني منها جميع النسخ على اختلافها، وتلك السقطات العامة ستكون منطلقاً ومتكناً نحو الكشف عن السقطات الدقيقة والأساسية. ويستخدم جملة من الحجج والبراهين الإقناعية التي نرتّبها في السلّم الحجاجي الآتي:

ن ← النتيجة: الأناجيل المتوقّرة حاليا تعاني بصفة عامّة عيوباً خطيرة

فلا يمكن أن نعتبر واحداً منها كلمة الله.

د أعلى سلطة مسيحية تقرّ أنّ الإنجيل لا ينحدر مباشرة من عند الله.

ج هناك أخطاء مقصودة في ترجمة بعض الكلمات.

ب هناك نسخ منقّحة متماثلة في العنوان والغلاف، ومختلفة في المحتوى.

أ البروتستانت لا يقبلون إنجيل الكاثوليك، والعكس صحيح.

التحليل:

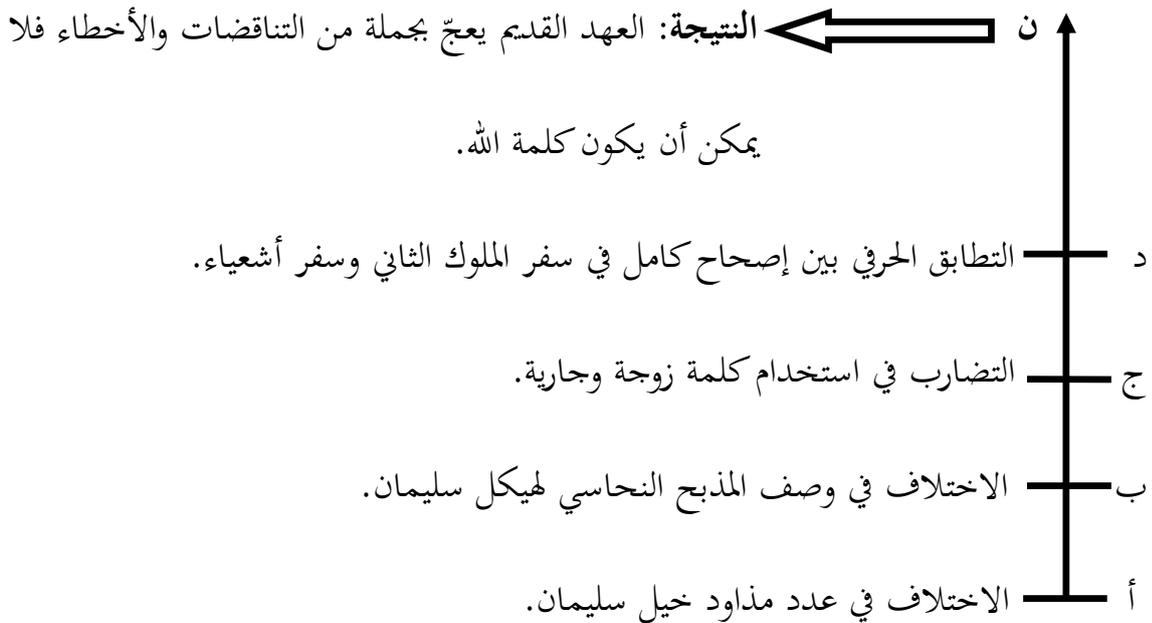
ينطلق هذا السلم الحجاجي من حقيقة جوهرية قوامها حجّة لا يمكن للمحاجج المسيحي أن ينكرها، فالمسيحيّون البروتستانت لا يعترفون بإنجيل المسيحيين الكاثوليك والعكس صحيح أيضاً. وتزداد حجّة الشيخ أحمد ديدات قوّة حين يعرض لنسختين منقّحتين من الإنجيل تتشابهان في العنوان وصورة الغلاف، مؤكّداً أنّهما تختلفان في المحتوى، والأمر نفسه ينسحب على كثير من نسخ الأناجيل التي يكفي تفحصها للوقوف على الاختلاف الحاصل بينها. ومن صور التحريف في الإنجيل الترجمات المحرّفة بشكل منهجي ومقصود، فكلمة "إلوهيم" في سفر التكوين أول أسفار العهد القديم التي تعني "آلهة" بصيغة الجمع تمّت ترجمتها إلى صيغة المفرد "إله" على الرغم من أنّها لم تأتٍ للتعظيم في ذلك الموضوع، وكذلك كلمة "السماء" التي وردت بهذه الصيغة في نسخ معينة، وفي نسخ أخرى وردت بصيغة الجمع "السموات". أما أعلى حجّة في هذا السلم، فهي اعتراف العلامة "هانز كومب" الذي فوّضه البابا على رأس لجنة شكّلت في دولة الفاتيكان لدراسة الإنجيل، فتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ الإنجيل لا ينحدر مباشرة من عند الله. فلا يوجد دليل معتبر

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

يشير إلى أن الإنجيل كلام الله، بل تشير كل الدلائل إلى أنه كلام بشر؛ لأن أغلب نصوصه جاءت بصيغة الغائب.

4-2-4-2-السلم الثاني:

بعد أن يكشف الشيخ أحمد ديدات النقاب عن السقطات والتحريفات التي تشوب الإنجيل بصفة عامة، ينتقل إلى السقطات التي تشوب القسم الأول من الإنجيل الذي يمثل أكبر قسم من الكتاب المقدس عند النصارى، ألا وهو "العهد القديم" من خلال توظيف جملة من الحجج والبراهين نرتبها في السلم الحجاجي الآتي:



أول مثال العهد القديم التي يشير إليها الشيخ أحمد ديدات في طريقه لنقض فكرة قداسة العهد القديم مدارها كتب التاريخ في العهد القديم؛ حيث ورد في سفر "الملوك الأول" أن عدد مذاود خيل سليمان "أربعون ألفاً"، في حين ينصّ سفر "الأخبار الثاني" أن عددها "أربعة آلاف". أما الحجّة الثانية فلا تخرج عن كتب التاريخ أيضا ولا عن السفرين السابقين أيضا، فقد جاء في سفر "الملوك الأول" سابق الذكر أن المذبح النحاسي في هيكل سليمان يسع ألفي بثّ، في حين ينصّ سفر "الأخبار الثاني" سابق الذكر أيضا أن سعته ثلاثة آلاف بثّ. وتزداد كثافة الخطاب

الفصل الخامس: السلاّم الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة في مناظرات أحمد ديدات

الحجاجي بارتفاع السّلم الحجاجي؛ حيث يعرض المحاجج المسلم لتناقض آخر في العهد القديم مرجعه إلى ما ورد في "سفر التكوين" الذي وصف قطورة بأثما زوجة إبراهيم، في حين نصّ سفر "الأخبار الأوّل" على أنّها سرّية؛ أي جارية. أمّا أقوى حجّة في هذا السّلم الحجاجي فمجرهاها التطابق التام كلمة كلمة وحرفا وحرفا وشولة وشولة بين الإصحاح التاسع عشر في سفر "الملوك الثاني"، والإصحاح السابع والثلاثين من "سفر أشعيا". وكلّ هذه الحجج دليل واضح على التحريف والخلل الذي يعتري العهد القديم؛ ممّا يطعن في قداسة الإنجيل ككل، فلا يمكن أن يكون كلمة الله.

4-2-4-3-السّلم الثالث:

مدار السّلم الحجاجي الثاني محاولة المحاجج المسلم نقض قداسة العهد الجديد الذي يضمّ أهمّ المراجع التي يعتمد عليها النصارى (الأنجيل الأربعة المعروفة)؛ حيث إنّ أيّ مثلبة تشوب العهد الجديد سيكون وقعها أشدّ من السقطات الموجودة في العهد القديم. ولخدمة القضية التي يدافع عنها الشيخ أحمد يستخدم جملة من الحجج والبراهين التي نرتبها في السّلم الحجاجي الآتي:

ن ← النتيجة: العهد الجديد يعجّ بجملة من التناقضات والأخطاء فلا

يمكن أن يكون كلمة الله.

د الطبعة المنقّحة حذف نصّ الصعود من إنجيل لوقا ومرقس.

ج ما ورد في إنجيل يوحنا حول الرؤية يناقض ما ورد في سفر التكوين.

ب التناقض في إنجيل يوحنا بإثبات الهلاك على واحد ونفيه في موضع آخر على الجميع.

أ الطبعة المنقّحة حذف كلمة نحو من إنجيل لوقا.

التحليل:

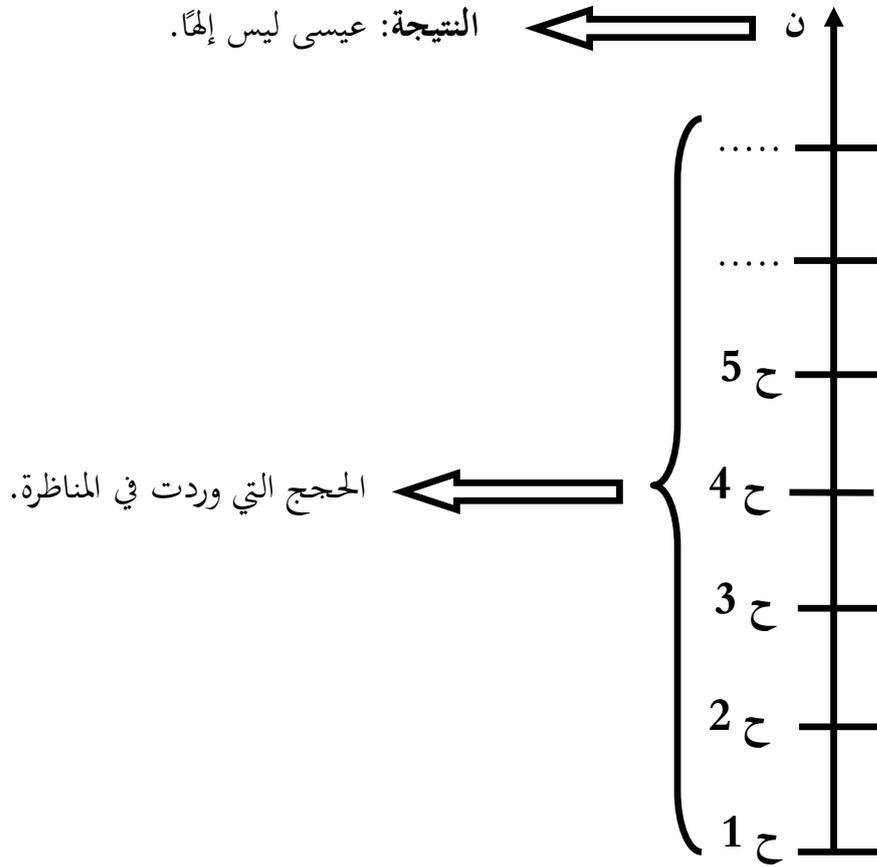
مبتدأ هذا السلم الحجاجي الحذف المقصود الذي طال كلمة نحو "about" في إنجيل لوقا؛ لأنها تحمل طبيعياً ظنية لا تجزم بحقيقة قطعية في حكمها على ابتداء المسيح بدعوته في هداية اليهود وتوجيههم إلى الرسالة الحقّة التي أرسله بها الله وأوحى إليه تعاليمها وشرائعها من أجل هداية اليهود. أما ثاني حجّة في هذا السلم فهي التضارب في الحديث عن المالك من خلال نفيه مطلقاً عن الجميع في إصحاح، وإثباته على واحد في إصحاح آخر، فكيف يقع يوحنا -الذي يُعدّ إنجيله أصحّ الأناجيل حسب النصارى- في هذه الهفوة؟ لا شك في أنّه كتب نصوص إنجيله من عند نفسه، ولم يتلقها من يسوع. ثم يرتفع السلم الحجاجي وتزداد قوّته الإقناعية من خلال استخدام حجّة تصبّ في البوتقة السابقة نفسها، وموضعها في إنجيل يوحنا نفسه الذي وقع في تناقض صارخ حين عارض ما ورد في سفر التكوين؛ إذ ورد فيه نصّ يؤكّد أنّ النبي يعقوب رأى الله حسب زعم كتاب العهد القديم، بينما يؤكّد يوحنا أنّ الله لم يره أحد قطّ. فأيّ النصين أصدق، العهد القديم أم الجديد؟ وإذا نفينا صدق أحدهما فقد نفينا قداسته، مما يؤكّد التحريف والتزييف. ولا تتوقّف ضربات المناظر المسلم نحو خصمه؛ حيث يختم هذا السلم الحجاجي بحجّة دامغة قاصمة مدارها التزييف المقتن الذي قامت به نجبة من أكبر علماء المسيحية متعدّدي المذاهب والطوائف؛ حيث عمدوا إلى حذف النصّ الذي يتحدّث عن صعود المسيح إلى السماء من إنجيلي "لوقا" و"مرقس"، فهل بقي بعد هذا شكّ في انسحاب صفة القداسة مطلقاً عن هذا الكتاب الذي لعبت به أدي البشر أيّما لعب؟

4-2-5- مناظرة ستوكهولم الثانية:

موضوع هذه المناظرة هو الموضوع نفسه الذي ناقشته مناظرة العصر التي جرت بين العلامة أحمد ديدات والقسّ الفلسطيني أنيس شروش "هل عيسى إله؟"، أما هذه المناظرة فجرت بين

الفصل الخامس: السلالم الحجائية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

المحاجج المسلم والقسّ السويدي استانلي شوبيرج في ستوكهولم في اليوم الموالي لإجراء المناظرة التي تناولناها سابقاً "هل الإنجيل كلام الله؟" ويمكن أن نمثّل لسلمها الحجائي الأكبر بالمنحط الآتي:

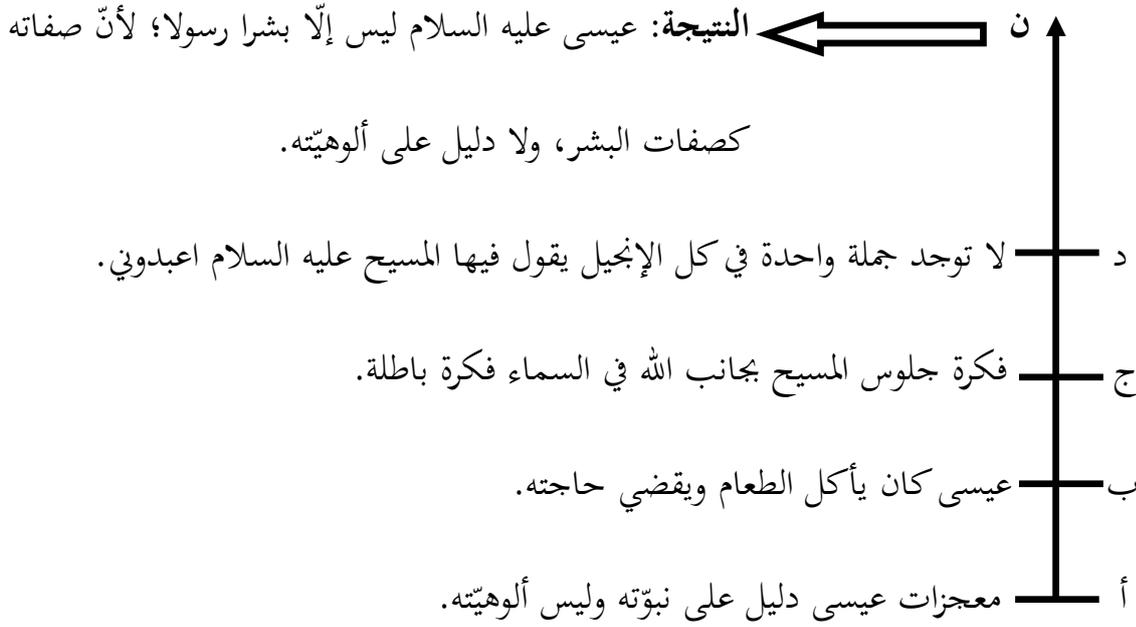


وتضمّنت هذه المناظرة جملة من السلالم الحجائية الجزئية أهمّها:

4-2-5-1- السلم الأول:

يصبّ هذا السلم الحجائي في الرافد نفسه الذي يصبّ فيه السلم الحجائي الأوّل في المناظرة التي جرت بين المحاجج المسلم والقسّ أنيس شروش؛ حيث يحاول المناظر المسلم أن يكسب الجولة من أوّل وهلة ويدخل مباشرة في صلب الموضوع، خصوصاً أنّه كان قد خاض في اليوم السابق مناظرة أخرى حول قداسة الإنجيل، واستطاع فيها أن يشنّ على خصمه ويظهره في صورة مهلهلة أمام الجمهور. وفي دحضه لقضية ألوهية المسيح يستخدم جملة من الحجج والبراهين ترتّبها في السلم الحجائي الآتي:

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات



التحليل:

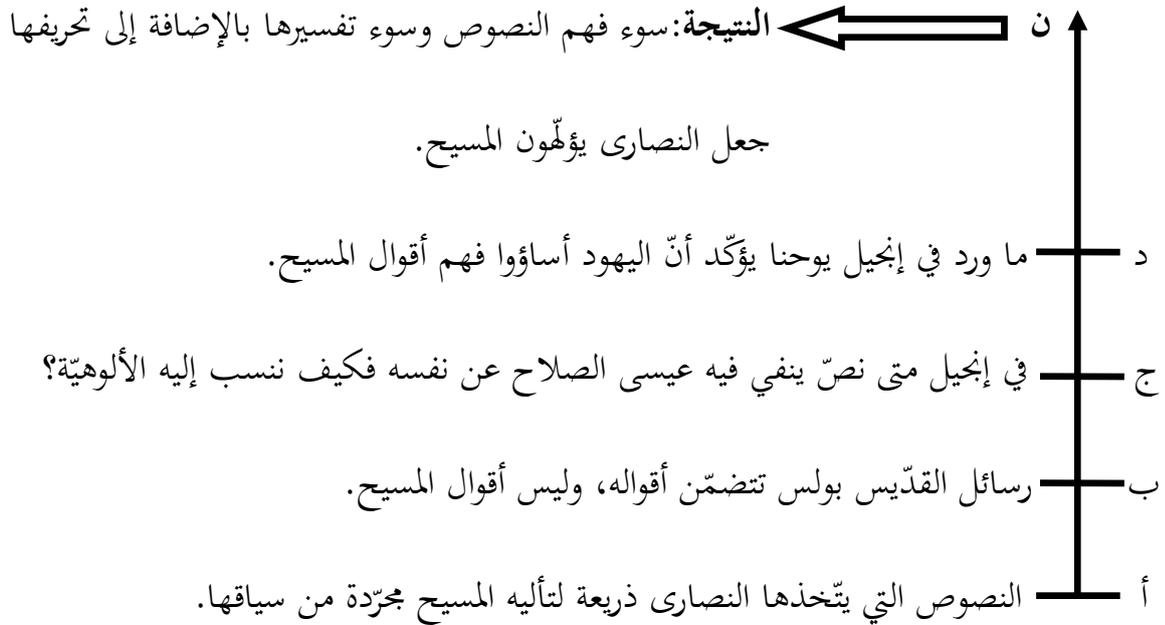
سنّة الله في إرساله للرسل أنّه يؤيّد كلاً منهم بمعجزات وحوارق، وهذا شأن عيسى عليه السلام؛ فالمعجزات التي أجراها الله على يديه؛ حيث كان يحيي الموتى بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، ويشفي المرضى بإذن الله هي مصداق لنبوته ورسالته. ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تكون دليلاً على ألوهيته، فقد وردت في الإنجيل نصوص كثيرة تعرّضنا إلى جزء منها في تحليلاتنا السابقة يؤكّد فيها المسيح أنّه لا يستطيع أن يفعل شيئاً من نفسه. أمّا الحجّة الثانية فهي كون المسيح صاحب حسد بشري مزوّد بأعضاء كأعضاء البشر، فلا تمايز بينه وبينهم في هذه الصفة، كما أنّه يفعل أفعال البشر فيأكل ويشرب، ويمشي في الأسواق ويقضي حاجته، ولا يمكن أن يفعل الإله مثل هذه الأمور. أما في ما يخصّ الفكرة الفتنائية التي يؤمن بها المسيحيون من كون المسيح يجلس على يمين الله فلا يمكن أن نصدّقها ونسلّم بصحتها؛ لأنّ الله غير محدود زماناً ولا مكاناً، ولا يعلم أحد شيئاً عن هيئته إلا إذا كان المسيحيون يزعمون أنّ الله صورته كصورة البشر، ولا يوجد دليل واحد على هذا التصرّو. وفي أعلى هرم هذا السلّم يستخدم الشيخ الحجّة الأقوى نفسها التي استخدمها في مناظرات أخرى، ومدارها أنّه طوال أربعين عاماً من البحث

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

والدراسة لم يقع على عبارة واحدة في الإنجيل يدعي فيها المسيح بأنه إله، أو يدعو فيها الناس لعبادته. وقد عجز القسّ استانلي كما عجز كثيرون غيره عن إيجاد جملة واحدة تصبّ في هذا المعنى؛ لأنّ المسيح عليه السلام لم يدّع أنّه إله، ويتحمّل النصارى وقساوستهم وزر هذا التمدّهب الفاجر الباطل.

4-2-5-2-السلم الثاني:

يتناول الشيخ أحمد ديدات مسألة هامّة جدّاً في إطار مناقشته لقضية ألوهية المسيح، وهي مسألة النصّ؛ حيث إنّ الأقوال المباشرة التي صدرت من المسيح قليلة جدّاً مقارنة بالنقول والنصوص غير المباشرة، ويتبع هذا مسألة فهم النصّ وتأويله، فالتفسيرات والتأويلات الضحلة والسطحية دفعت اليهود للكفر بالمسيح وطلب صلبه وقلته؛ لأنهم عدّوه كافراً وزنديقاً، بينما اتخذها النصارى أسساً ومبادئ اعتمدوا عليها في تأليه المسيح وجعله ابناً لله. ويمكن أن ترتّب الحجج الواردة في هذه القضية من خلال السلم الحجاجي الآتي:

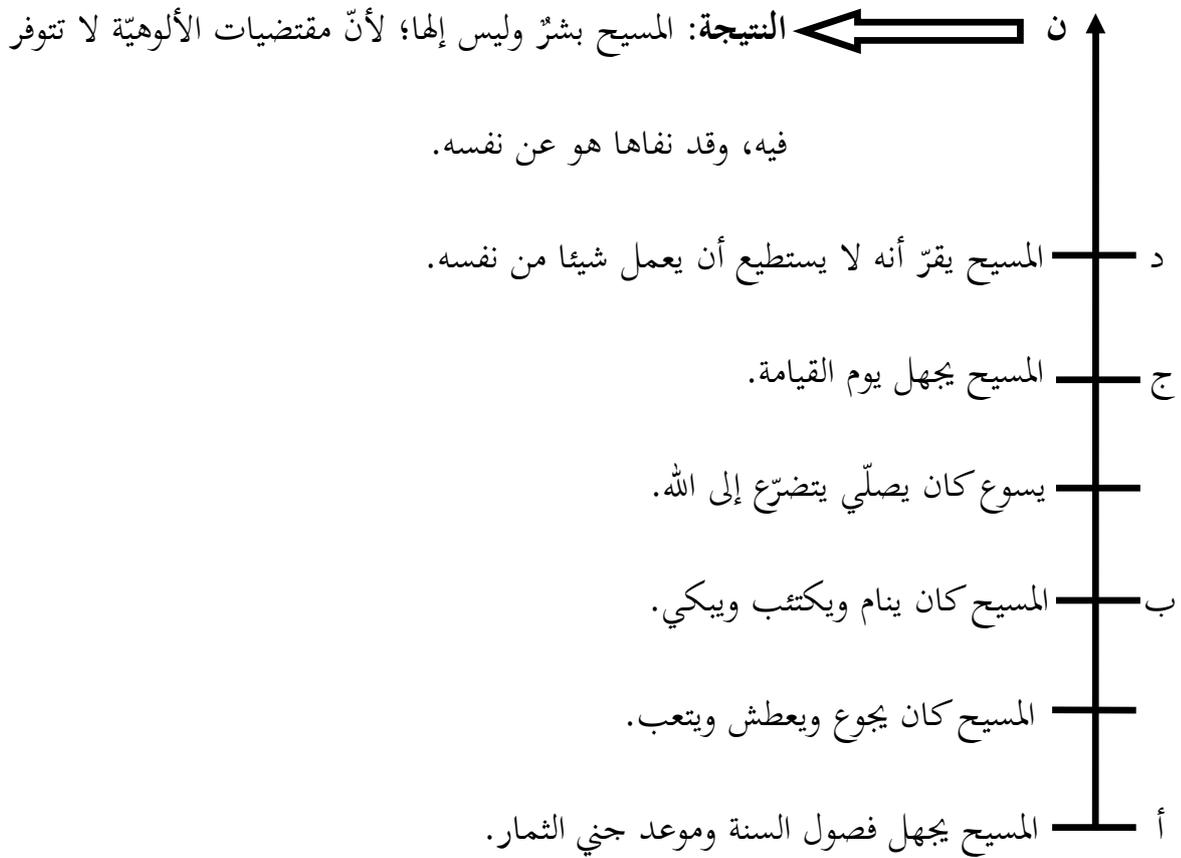


التحليل:

الحجة الأولى في هذا السلم متكررة فقد وردت في مواضع أخرى، والمهاجج النصراني يماري فيها، ولا ينفك سالحا الأقوال من سياقها حتى يحملها على معنى الألوهية، ولكنها لا تدل عليها بتاتا؛ لأن السياق مهم جدا في فهم النص وتأويله، وتجريد النصوص من سياقها لعبة يمارسها النصارى لخداع الناس العوام الذين لا يقرؤون الإنجيل، ويتبعون قساوستهم أتباع الخراف لراعيها. أما ثاني حجة في هذا السلم فمدارها رسائل القديس بولس التي يستشهد بها النصارى؛ حيث إن نصوصها مكتوبة بصيغة الغائب، فهو لا ينسبها إلى المسيح مباشرة، فلا نعرف موقع يسوع من الكلام الذي نقله بولس، ولا يمكن أن نحكم على صدقه حتى نحكم على قداسته. وإذا جاز أن نقبل الأقوال التي تتناول جوانب تاريخية وإرشادية، فلا يمكن أن نقبل الأمور العقديّة، وفي مقدمتها تلك التي تنصّب المسيح إلهًا وأقنوما بين الأقانيم الثلاثة. ويرتفع المنسوب الحجاجي في هذا السلم ليوجّه نحو المسار الذي يرومه المهاجج المسلم حين يستشهد بما ورد في إنجيل متى الذي تضمّن نصّا ينفي فيه المسيح صفة الصلاح عن نفسه، وكفى بهذا دليلا كافيا على اعتراف المسيح بلسانه الصريح أنّه ليس إلا بشرا رسولا، وأما الصلاح فلله عزّ وجلّ، فلا يمكن أن ينفي المسيح عن نفسه صفة الصلاح ويثبت لها الألوهية. ويختم الشيخ أحمد هذا السلم مستشهدا بجملة من النصوص التي رواها يوحنا في إنجيله، ومبناها على أنّ اليهود أساؤوا فهم وتأويل كلام المسيح عليه السلام، فقد أخبرهم أنّه كان في هذه الحياة قبل أن يكون إبراهيم، فحملوا هذا على معناه الحرفي وأتهموه بالكذب. ولقد كان عيسى عليه السلام يتحدث عن وجوده في علم الله الذي قدر له وجوده ورسالته ورّفعه وما سيحدث له في هذه الحياة، لكن اليهود غلف القلوب أساؤوا الفهم ووقعوا في الوهم، وما فعله اليهود فعلة النصارى بعدهم حين أسسوا لعقائد باطلة استنادا على نصوص محرّفة، فجعلوا المسيح شريكا لله في ملكه، ونسبوا إليه صفات وأفعال نفاها هو عن نفسه، وعبثوا بدينهم.

4-2-5-3- السلم الثالث:

ينتقل الشيخ أحمد ديدات إلى تناول قضية أخرى تدخل في صلب هذه المناظرة؛ حيث يناقش مسألة مقتضيات الألوهية والربوبية بين ما ينسب لله من أفعال وما لا يجوز أن ننسبه إليه، فتتكشف الحقيقة الصرفة في أنّ المسيح بشر صفاته كصفات البشر، ويصبيه ما يصيب البشر. ونرتّب الحجج التي تعالج هذه القضية في السلم الحجاجي الآتي:



ينطلق هذا السلم الحجاجي من حقيقة الجهل بكثير من الأشياء الذي هو سمت البشر وديدنهم منذ خلق الله الأرض ومن عليها، ورسول الله المسيح عليه السلام كان يجهل كثيرا من الأمور التي لا يعلمها إلا الله، والعجيب ورود نصّ في إنجيل مرقس يقرّ فيه أنّ المسيح يجهل وقت نضوج التين، فقد رأى شجرة تين فجاءها، ولم يجد فيها تينا، ولا يعقل أن يجهل الله وقت نضوج التين، بل إن البشر غالبا لا يجهلون ذلك. كما أنّ المسيح كان يجوع ويعطش ويتعب، فقد روى

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

يوحنا أنّ المسيح تعب في أحد أسفاره، فطلب ماء من امرأة سامرية. ويرفع الشيخ أحمد قوّة حججه حين يؤكّد أنّ المسيح تعثره المشاعر كما تعثرى كل البشر، فقد روى يوحنا أنّ عيسى ذرف دموعًا حزنا على صديقه "لعازر" الذي مات، كما روى متى أيضا نصّا في إنجيله يؤكّد أنّ يسوع كان يحزن ويكتئب. ويؤكّد الشيخ أحمد في حجة أخرى أنّ يسوع كان عبدا لله، فقد كان يتضرّع ويكي لله حتى يلهمه القدرة كي يستطيع أن يعيد صديقه "لعازر" إلى الحياة. ومن العلم الذي يختصّ به الإله ويجعله المسيح "علم الساعة"، فقد روى مرقس اعتراف المسيح أنّ موعد الساعة لا يعلمه إلا الله؛ بل إنّ يسوع أقرّ أنّه لا يستطيع أن يفعل أيّ شيء من نفسه إلا بإذن الله، كما روى يوحنا وغيره. والنتيجة أنّ المسيح عليه السلام بشرٌ ورسول كريمٌ، وليس إلها.

II- حجاجية الأفعال الكلامية:

تعدّ نظرية أفعال الكلام من الموضوعات الرئيسية التي انبثقت في إطار اللسانيات التداولية؛ حيث تسعى هذه الأخيرة إلى الإجابة عن جملة من الأسئلة الهامة والإشكاليات الجوهرية: من يتكلّم؟ وإلى من يتكلّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم؟ ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ كيف نتكلّم شيئا ونريد شيئا آخر؟¹

وقد اختلف الباحثون في تعريف التداولية؛ نظرا لاختلاف اختصاصاتهم ومشاربهم، فهناك من تناولها من جانب المعنى في سياقه التواصلية؛ أي الاهتمام بمعنى المتكلّم من خلال دراسة المعنى التواصلية، وبيان قدرة المتكلّم على إفهام المخاطب أكثر ممّا قال، وهناك من عرفها انطلاقا من مراجع الألفاظ كالإشارات وأثرها في الخطاب، والعلاقة بين المتكلّم والمتلقي، ودورها في التخاطب ومعناه، وإبراز جانب القوة الإنجازية.²

1- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، (د.ط)، 1986م، ص: 5.

2- ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 21-22.

1- مفهوم الفعل الكلامي:

يُعرّف الفعل الكلامي بأنه «كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي، دلالي، إنجازي، تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل أفعالا قولية... لتحقيق أغراض إنجازية، (كالطلب والأمر والوعد والوعيد..الخ)، وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقّي (كالرفض والقبول). ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسّساتيا، ومن ثمّ إنجاز شيء ما»¹.

ولا تكاد تخلو المؤلفات التي اهتمت بالدراسات اللغوية الحديثة من التعرّض لنظرية الأفعال الكلامية بطريقة أو بأخرى؛ ذلك أنّها استطاعت أن توصل القيمة البراغماتية للعمل اللغوي التداولي؛ إذ جعلت من طبيعة الفعل اللغوي حدثا مؤثرا بل ومغيّرا للعالم، فاستطاعت هذه النظرية عبر واقعيتها أن تعيد تشكيل العالم من خلال اللغة، مستندة على حدودها الدلالية والوظيفية، ومعتمدة على قوّتها الإنجازية. فاللغة إذن ليست بنية ودلالة؛ بل هي أيضا فعل كلامي نوّدي من خلاله أغراضا مختلفة.²

2- شروط الفعل الكلامي:

يعود الفضل في نشوء نظرية الأفعال الكلامية إلى "أوستين" (John Langshaw Austin) الذي اقترح قسما ثانيا من العبارات إلى جانب العبارات الوصفية، ألا وهي العبارات الإنجازية التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقّق مدلولها. وقد مرّت هذه النظرية عنده بمرحلتين تتعلّق الأولى بالتمييز بين الأقوال التي تحقّق عملا، وتلك التي تصف واقعا. وفي المرحلة الثانية تصبح الأقوال التي تصف واقعا حالة خاصة جدّا من الأقوال التي تحقّق عملا.³

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 40.

2- ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص: 161.

3- ينظر: عبد الجليل العشاوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 154.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ثمّ جاء تلميذه جون سيرل (J. R. Searle) الذي وضّح أفكار أستاذه وشرحها، وطوّر النظرية بشكل عام، فقام بتحديد شروط إنجاز كلّ فعل، وبيان شروط تحوّل الفعل من حال إلى أخرى، وآليات تحقّق ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود.¹

وقد حدّد سيرل أربعة شروط لتحقّق الفعل الكلامي، هي:²

2-1- شروط مضمون القضية: تحدّد أوصاف المضمون المعبر عنه بقول مخصوص.

2-2- الشروط الجوهرية: تعيّن هذه الشروط الغرض التواصلّي من الفعل التكلّمي، وهذا الغرض الذي يلزم المتكلّم بواجبات معيّنة.

2-3- شروط الصدق: تحدّد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يتوفّر في المتكلّم المؤدّي للفعل.

2-4- الشروط التمهيديّة: تتعلّق بما يعرفه المتكلّم من قدرات واعتقادات وإرادات المستمع، وعن طبيعة العلاقات القائمة بينهما.

3- أقسام الفعل الكلامي:

في ما يخصّ التقسيم النهائي للأفعال الكلامية عند أوستين فهو تقسيم خماسي: حكمية، وتنفيذية، ووعديّة، وعرضية، وسلوكية، ثمّ جاء سيرل فرفض هذا التصنيف في إطار نقده لجوانب الضّعف في النظرية، ورأى فيه غياباً لمبدأ واضح يحكمه ويقنّنه، فقسّم تقسيماً خماسياً مغايراً معتمداً على القوة الإنجازية التي يحققها الفعل.

ويعدّ التلقّظ الأساس الذي بنى عليه أوستين نظرية أفعال الكلام؛ حيث عدّ لحظة التلقّظ مرجع الوصول إلى مقاصد المتكلّم، وتحدّث عن دور الملفوظ الذي يقوم بوصف وضعيّة معيّنة، أو

1- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م، ص: 77-79.

2- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، ص: 261.

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

بتعيين حدث. وقد بيّن "بينفست" (benveniste) أنّ ثمة فرقا عميقا بين كون اللّغة نظاما من الأدلّة، وبين وصفها ممارسة يضطلع فيها الفرد، وهذا الأخير هو أساس تحليل الخطاب في نظره خلافا لمذهب "فرديناند دي سوسير".¹

كما يحتل مفهوم القوة الإنجازية نطاقا مركزيّا في نظرية أفعال الكلام؛ حيث يعدّ عنصرا هاما في إبراز دلالة العبارات، فقوّة المنطوق الإنجازية هي جزء من بنيته الدلالية. غير أنّ فكرة قوّة المنطوق تعرّضت لنقد لاذع من طرف أصحاب نظرية تحليل الخطاب الذين أكّدوا على حقيقة صعوبة إدراك حقيقة دلالة المنطوقات التي تتعدّد وتتّسع تبعًا لسياق الاستعمال، وتخضع لأغراض المتكلّم ومقاصده التي يريد تبليغها.²

واستفاد "ديكرو وأنسكومبر" في مؤلفهما المشهور "الحجاج في اللّغة" من البسط الثري الذي قدّمه أصحاب نظرية أفعال الكلام الذين اعتبروا القول إنجازا وليس مجرد إخبار؛ ممّا يلبس الفعل الكلامي ثوبا حجاجيا جدليا؛ حيث يوظفه المتكلّم من أجل إقناع المخاطب، والتأثير فيه وتغيير وجهة نظره.³

وانطلاقا من الرؤية الحجاجية للفعل الكلامي اعتبر ديكرو أنّ النظرية التي قدّمها "أوستين وسيرل" لأفعال الكلام تتّصف بعدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية؛ لذا اقترح تصنيفا آخر من الأفعال يتمثّل في الفعل الحجاجي متأثرا في ذلك بمفهوم الفعل الإنجازي الذي مقتضاه الفعل المنجز أثناء القول.⁴

1- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 83.

2- ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ-2010م، ص: 267.

3- ينظر: حكيمة بوقرومة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع 03، 2008م، ص: 11-12.

4- ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 163.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

وتقتضي دراسة الفعل الكلامي من الوجهة الحجاجية البحث في البعد الاجتماعي له؛ حيث إن العلاقات الاجتماعية لا تراهن على «صيغة "حقيقي" أكثر من صيغة "أعتقد أنه حقيقي"، فلم نعد نراهن على القوة المنطقية للحجج أكثر من قوة إقناعها، ولا نبحت عن دليل مطلق يحيل على الكلي بقدر صحة ظرفية في الإطار المحدد الموضوعي».¹

وتترتب الأفعال اللغوية حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري، إن لم يكن كلها ليعبر بها عن وجهة نظره، وليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الإدعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة، كما يعبر بها عن تنازله عن دعواه، وكذلك تأسيس النتيجة، فعلى أساس هذا الهدف من الخطاب يوصف إذا كان حجاجياً أم لا، إذن فالهدف من الخطاب الحجاجي هو إزالة شك المستقبل في وجهة نظر محل خلاف.²

وسوف نحاول استنباط حجاجية الأفعال الكلامية الحجاجية البسيطة التي وظفها الشيخ أحمد ديدات في مناظراته انطلاقاً من التقسيم الذي قدّمه جون سيرل الذي بناه على أساس فعلها الإنجازي؛ حيث قسّمها إلى قسمين:³

أ- أفعال مباشرة: هي الأعمال اللغوية التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

ب- أفعال غير مباشرة: هي الأعمال اللغوية التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

1- باتريك شارودو، الحجاج وأشكال التأثير، تر: ربيعة العربي، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م، ص: 293.

2- ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 482.

3- ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013م، ص: 108.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ويتمثل إسهام جون سيرل الرئيسي في فصله بين القوة المقصودة بالقول والمضمون القضوي داخل الجملة الواحدة، وهذا الفصل والتميز هو نتاج تساؤله حول عدد من الأقوال التي لها معانٍ مختلفة، على الرغم من أن القضية هي نفسها في كلّ الجمل،¹ نحو:

1- يسهر محمد كثيرا.

2- هل يسهر محمد كثيرا؟

3- محمد، سهر كثيرا.

4- يا إلهي، ما أكثر سهر زيد.

فالقضية في جميع الجمل واحدة (سهر محمد)، لكن المعاني مختلفة، فالأولى إخبار والثانية استفهام، والثالثة أمر، والرابعة تعجب. ثم وصل سيرل في الأخير إلى تصنيف خماسي مركّزا على معايير ثلاثة "الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، الموقف النفسي"، وهي كالاتي:²

3-1- الإخباريات:

ويُطلق عليها اسم التأكيديات، وغرضها نقل المتكلم لواقعةٍ ما من خلال قضيةٍ محدّدة تعبر عنها؛ أي إنّ غرضها الأساسي هو التقرير،³ ويكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم⁴، وتقتضي «تعهد المرسل بدرجات متنوّعة بأنّ شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهدده كذلك بصدق قضية ما»⁵. فالمتكلم يسعى إلى تقديم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة بالفعل في العالم الخارجي،

1- ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2014م، ص: 46-45.

2- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993م، ص: 232.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 232.

4- ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، ص: 51.

5- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 123.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ومن أمثلتها الأحكام التقريرية والتفسيرات، وكل إثبات وإخبار هو تعبير عن اعتقاد، وأبسط اختبار لتحديد هوية الإثبات هو أن نسأل ما إذا كان ما يتلفظ به المتكلم صادقاً أو كاذباً.¹

ويدخل في الإخباريات كلّ الجمل الخبرية المثبتة والمنفية والمؤكّدة، وتختلف درجة قوّتها الإنجازية حسب احتوائها على المؤكّدات من عدمها، وتتراوح الأفعال الإنجازية في هذا القسم بين الإخبار، والوصف، والتقرير، والثناء.²

والجدول الآتي يضمّ نماذج من الإخباريات الواردة في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

المناظرة	الصفحة	الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
المناظرة الكبرى	95	إنّنا معشر المسلمين العقيدة الوحيدة التي تُلزم معتنقيها أن يؤمنوا بالمسيح عيسى	التأكيد على حقيقة أن الإيمان بالمسيح جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية
المناظرة الكبرى	98	إنّها أحدث وأنقى الترجمات التي قامَ بها أرفع علماء المسيحية مكانة	التأكيد على فكرة أن نسخة إنجيل الملك جيمس هي أنقى النسخ وأرفعها حسب ما قرره الملحق الأدبي للتايمز
المناظرة الكبرى	125	إنّه يتحدّثُ عنكم أنتم	التأكيد على أنّ عيسى سيُطرد أولئك الذين كذبوا عليه
المناظرة الكبرى	126	إنّ القرآنَ الكريم لا يقول إنّ الإنجيل هدى للناس أجمعين	التأكيد على أنّ القرآن لا يقدر الإنجيل الموجود حالياً
المناظرة الكبرى	129	ترشدنا وتخبّرنا وتعلّمنا أنّ	التأكيد على أنّ الإنجيل

1- ينظر: خالد ميلاد، الإنشاء في اللغة العربية التركيب والدلالة، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ-2001م، ص: 505-506.

2- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 232.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

الموجود حاليا ليس كتاب الله	الكتاب الذي يتحدث عنه المسيحيون هو من عند أنفسهم		
التأكيد على حقيقة أنّ الإنجيل عبثت به أيادٍ كثيرة	إنّ الإنجيل قد كتبه أربعون مؤلفا	132	المناظرة الكبرى
التأكيد على ضياع نسخ الإنجيل الأصلية	الذي كنت أؤكدّه طوال هذه الليلة أنّ الكتب لم تحفظ	132	المناظرة الكبرى
التأكيد على أنّ الشيخ ملّ من تكرار الفكرة مرارا	إني أكرّر وأعيد	141	المناظرة الكبرى
وصف النصارى بأنهم كاذبون في ادعاءاتهم والتقليل من قيمتهم	أنتم تكذبون عليّ	144	المناظرة الكبرى
التأكيد على عدم وجود أيّ جملة في الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين يقول فيها عيسى بأنّه إله	لا توجد جملة واحدة في الستّة والستين كتابا التي يتكون منها العهد القديم والجديد يمكن أن نجد بها عيسى عليه السلام يقول "أنا إله" أو "اعبدوني"	60	مناظرة العصر
التأكيد على أنّ يوحنا قد رأى أشياء لا يمكن تصديقها جميعا	إنّ يوحنا اللاهوتي في هذا الحلم قد رأى أشياء عجيبة خارقة للعادة	62	مناظرة العصر
التأكيد على حقيقة أنّ الحواريين اعتقدوا بموت المسيح	إنهم كانوا يحسبونه شبحًا	95	مناظرة العصر
التأكيد على أنّ تعبير يا إلهي لا يزال يستخدم للتعبير عن الدهشة	إنّ هذا التعبير لا يزال يستخدم حتى اليوم	95	مناظرة العصر
التأكيد على وجود كلمة	لقد استخدمت هذه الكلمة	99	مناظرة العصر

الفصل الخامس: السلاالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

	في الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا		"هين" في الإنجيل
مناظرة العصر	99	لقد كان المسيح يتحدث إلى حواريه	التأكيد على أنّ المخاطب كان الحواريين
مناظرة العصر	103	إنّ أدوات العطف تُستخدم لبيان التعدّد	التأكيد على أنّ صيغة التثني المسيحي تفيد التعدّد
أخطر المناظرات	43	إنّ قوم سيّدنا عيسى عليه السلام لم يقتلوه ولم يصلبوه كما يدّعي المسيحيون	تأكيد نجاة المسيح من القتل والصلب؛ لأنّ الله رفعه وقربه
أخطر المناظرات	47	لقد كانوا يظنّون أنّه مات بعد إنزاله من الصليب ودفنه منذ ثلاثة أيام، وفوجئوا به يدخل عليهم.	التأكيد على أنّ سبب تفاجؤ الحواريين، برؤية يسوع هو اعتقادهم بموته
أخطر المناظرات	67	إنّ كلمة "قام" قد استخدمت في الأناجيل الأربعة	التأكيد على أنّ الكلمة المستخدمة في جميع الأناجيل هي "قام"
مناظرة ستوكهولم الأولى	16	إنّ كل ترجمة للإنجيل في كل لغة من اللغات الحديثة قد ترجمت الجملة الأولى "في البدء خلق الله السماوات والأرض".	تأكيد اتّفاق طبعات الإنجيل الحديثة في ترجمة أول جملة من العهد القديم
مناظرة ستوكهولم الأولى	28	إنّ العبارات التي توضع بين قوسين بالإنجيل تعني أنّ هذه الكلمات أو تلك العبارات ليست من وحي الله	التأكيد على أنّ الإنجيل يحتوي نصوصا كثيرة مدسوسة
مناظرة ستوكهولم	84	لقد كان محمد صلى الله عليه	التأكيد على حقيقة أنّ النبيّ

الفصل الخامس: السلاّم الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة في مناظرات أحمد ديدات

الأولى		وسلّم رجلاً أمياً	لم يكن يعرف القراءة والكتابة
مناظرة ستوكهولم الأولى	84	إنّ القرآن الكريم يحلّ مشاكلكم الراهنة	التأكيد على أنّ القرآن صالح لكل زمان ومكان
مناظرة ستوكهولم الأولى	92	لقد ذكرت لكم أنّ سبعة أسفار قد تمّ حذفها	التأكيد على العبث الذي قام به العلماء في الإنجيل
مناظرة ستوكهولم الثانية	134	إنّ محمّد صلى الله عليه وسلّم لا ينكر أنّ عيسى بن مريم هو المسيح.	التأكيد على حقيقة أنّ محمّداً عليه السّلام اعتبر عيسى هو المسيح
مناظرة ستوكهولم الثانية	137	إنّ هذا هو ما تريدون أن تعتقدوه . إنّ هذا هو ما تريدون للناس أن يعتقدوه .	التأكيد على أنّ القسيسين يخدعون أتباعهم
مناظرة ستوكهولم الثانية	165	إنّ هذا التعبير قد تمّ حذفه من الإنجيل باعتبار أنّه كان تزييفاً	التأكيد على حدوث حذف عبارة التثليث والتكتم عن ذلك
مناظرة ستوكهولم الثانية	165	لقد كانوا يكتبونه كملاحظة في الهامش	التأكيد على أنّ شعار التثليث لا ينتمي للنصّ الأصلي
مناظرة ستوكهولم الثانية	165	لقد زحفت الملحوظة لتدخل ضمن النصّ	التأكيد على أنّ العبارة دخيلة

الفصل الخامس: السلاالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة ستوكهولوم الثانية	170	اعتبرتم أن هذا يعطيكم الحق في الأخذ بشريعة موسى	التأكيد على أن النصارى يأخذون ما يناسبهم ويتكفون ما يناسبهم
مناظرة ستوكهولوم الثانية	170	إن يسوع وفق تصوراتكم هو الذي يكون قد غير رأيه	التأكيد على أن هذا الاعتقاد يطعن في عصمة يسوع
مناظرة ستوكهولوم الثانية	173	إنك تفترضين بعض الافتراضات	التأكيد على أن صاحبة السؤال تتعمد الخطأ
مناظرة ستوكهولوم الثانية	173	إن "جورج برنارد شو" هو الذي قال ذلك	التأكيد على أن برنارد شو يطعن في الإنجيل المقدس
مناظرة ستوكهولوم الثانية	174	لقد كان يغش ويخدع	التأكيد على أن سواجارت غير أمين وغير موضوعي
مناظرة ستوكهولوم الثانية	178	كنت أسألهم عن السياق	المحاجج المسلم يؤكد أنه كان يسأل عن سياق ورود المقولة

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة ستوكهولم الثانية	179	إنّ هذا النصّ حسب سياقه لا يعني الاندماج	التأكيد على أنّ هذا النصّ يعني وحدة الهدف وليس المادة
مناظرة ستوكهولم الثانية	181	لقد عبّرت عن موقفه معهم	الشيخ يؤكّد فهمه الجيد لموقف المسيح

التحليل:

يلاحظُ من خلال النماذج التي تمّ التطرّق إليها في الجدول السابق اعتماد المحاجج المسلم على استعمال جملةٍ من الأفعال الإخباريّة التي تُسهّم في تقوية حجّته، ودعم موقفه في مقام مناظرته لخصومه المسيحيين، من أجل كسب تأييد الجماهير وإفحام محاججيه المعاندين. ونستطيع القول بكلّ صدق ودون تحيّر أنّ الشيخ أحمد ينقل الوقائع والأحداث التي تطابق مرجعيّتها الحقيقة الصّرفة بشكل أمين بعيدا عن التزييف والتحريف؛ مما يجعلها تتمتع بقوة إنجازية تتدرّ بثوب حجاجي إقناعي، على عكس المنهج الفاسد الذي يعتمدُ عليه خصومه الذين يجرّفون النصوصّ ويزيّفون الحقائق، فحججهم في أغلبها ضعيفة ومتهافئة، لا تدعم موقفهم الضّعيف ولا تخدم قضاياهم الباطلة.

وقامت الأفعال الإخباريّة بدور حجاجي قوي؛ حيث تجاوزت فعاليتها الحيز الإنجازي الذي لا يراوح مداه دائرة نقل الحقيقة المطابقة لما هو موجود في العالم إلى مدارج وضع المحاجج النصراني في موقف محرج والتأثير عليه وإفحامه؛ مما يضعه في موقف ضعيف أمام الجماهير الحاضرة التي صقّت كثيرا إعجابا بمقدرة الشيخ المسلم العجيبة على استحضار مختلف النصوص من الأناجيل، وموهبته الفذة التي تمكّنه من وضع خصمه في مواقف لا يحسد عليها، تسبب له الضيق والإحراج

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

وأحيانا الغضب والنفرة، فيتأثر نفسيًا وتتأثر قدرته على الاستمرار في خوض المناظرة بشكل منهجي ومنطقي، كما حدث مثلا للقسّ استانلي شوبيرج الذي أصيب بخوفٍ شديد جعله يرتجف في مناظرة ستوكهولم الأولى.

ولا تخلو أغلب الأفعال الإخباريّة التي يستخدمها المحاجج المسلم من أدوات التوكيد المختلفة التي تزيد من صلابة قوة المخبر عنه وتثبتته؛ حيث يؤكّد في خضم مناظرته مع القسّ الأمريكي جيمي سواجارات على أشياء كثيرة، منها كون الإيمان بالمسيح جزءا كبيرا من العقيدة الإسلاميّة، كما يؤكّد على فكرة أنّ ترجمة إنجيل الملك جيمس هي أنقى الترجمات وأصوبها؛ لأنّ أرقى علماء المسيحيّة يؤكّدون ذلك، وهذه الحقيقة ستكون سلاحًا يتحطّم به المحاجج المسيحي حين تبدى عورات هذه النسخة، كما يؤكّد أنّ عيسى عليه السلام سيطرد كلّ أولئك الذين كذبوا عليه وحرّفوا دينه، ويبيّن أنّ القرآن الكريم يقدّس إنجيل عيسى الحقيقي وليس الإنجيل الموجود حاليًا الذي شابه التحريف والتزييف؛ لأنّ نسخه الأصلية ضاعت واندثرت، كما يؤكّد أنّه ملّ من لجانة وسوء فهم النصارى لكلامه، وكذبهم عليه وتعمّدهم إخفاء الحقائق.

وفي مناظرته مع القسّ الفلسطيني أنيس شروش يؤكّد الشيخ أحمد ديدات على قضية انتفاء وجود جملة واحدة في جميع الأناجيل يقول فيها المسيح بأنّه إله، ويتحدّى القسّ المسيحي أن يجد جملة واحدة ويناقض صدق هذا الخبر. وفي موضع آخر يؤكّد المحاجج المسلم على فكرة أنّ يوحنا اللاهوتي قد نقل العبارات التي حملها النصارى معنى ألوهية المسيح من حلم طويل عجيب رآه، فلا يمكن أن نصدّق ما يقوله، كما يبيّن حقيقة أنّ الحوارين ظنّوا المسيح مات وقُبر، ولم يتوقّعا قيامته؛ لذلك فقد أُصيبوا بالدهشة حين رأوه، ولم يصدّقوا بقاءه على قيد الحياة، ثمّ يثبت توظيف كلمة "هين اليونانية" التي تعني واحد في الإنجيل، كما أنّها وردت في نصّ يخاطب فيه المسيح حواريه، كما يؤكّد أنّ صيغة التثليث المسيحي تفيد التعدّد، ولا توجد أيّ مشابهة بينها وبين البسمة.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

وفي أخطر المناظرات التي جمعت بين المحاجج المسلم والبروفيسور فلويد كلارك يؤكد الشيخ أحمد على حقيقة أنّ اليهود لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه؛ لأنّ الله نجّاه ورفعاه مسلماً بصدق هذه القضية التي يؤيدها القرآن، كما يؤكد في موضع آخر على فكرة أنّ الحواريين قد تفاجؤوا عند رؤية المسيح حسب التصور المسيحي؛ لأنّهم ظنوا أنّه مات ودفن وهو في الحقيقة لم يمّت ولم يدفن؛ مما يضعف موقف الحواريين ويقوّم من دورهم ويطعن في مكانتهم وفق هذا السياق القصصي. ويؤكد في موضع آخر أنّ الكلمة التي استخدمتها الأناجيل الأربعة لوصف عودة يسوع للحياة هي "قام" وليس "بعث" كما يدّعي بعض القساوسة.

وفي المناظرة الأولى التي خاضها المحاجج المسلم مع القسّ السويدي استانلي شوبيرج يؤكد الشيخ أحمد ديدات على قضية اجتماع كلّ الأناجيل على تحريف ترجمة أول جملة في سفر التكوين أول أسفار العهد القديم؛ مما سبّب الإحراج لخصمه وأضعف موقفه، كما يؤكد أيضاً أنّ الإنجيل يحتوي عبارات توضع بين قوسين يسلم قساوسة النصارى بكونها ليست كلمة الله؛ وهذا ما يزيد من الطعن في قدسيّة الإنجيل ويضع المحاجج المسيحي في قفص الاتهام، كما يؤكد على أنّ النبيّ صلوات ربّي وسلامه عليه كان أمياً، واتّهامه بوضع القرآن ادّعاء باطل قال به النصارى، ثمّ يؤكد على كون القرآن حللاً لمشاكل هذا العصر، مثل: مشكل العنوسة، في حين إنّ الإنجيل لا يحتوي حلولاً لما يعاني منه المجتمع المسيحي من معضلات، بل يعدّ هو الآخر مشكلة؛ لأنّه تعرض للتحريف والتزييف الذي ينبغي إيجاد حلول له.

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية يؤكد الشيخ أحمد ديدات أنّ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لا ينكر أنّ عيسى هو المسيح بن مريم؛ بل إنّ القرآن الذي تنزل عليه احتوى آيات كثيرة تقرّر هذه الحقيقة، فوضع المحاجج المسلم خصمه الذي اتّهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّه لا يعترف بالمسيح في حرج كبير أمام الجماهير، وفي موضع آخر يقضي المحاجج المسلم على خصمه؛ حيث يؤكد حقيقة عدم التزام النصارى بالترجمة الصحيحة والأمانة بهدف خداع الجمهور

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

المسيحي وحملهم على التسليم بما يريدونهم أن يؤمنوا به، ثم يؤكد قيام القسيسين والعلماء النصارى البارزين بحذف عبارة التثليث، لأنها محض تزوير ولا تنتمي للنص الأصلي، وهذا ما يؤكد من جانب آخر أنّ النصارى يأخذون ما يريدون ويتركون ما يريدون، فقد رأوا لأنفسهم حقًا في الأخذ بشريعة موسى دون دليل، كما أنهم يفسرون النصوص وفق هواهم، ويوجهونها توجيهًا خاطئًا تمامًا، ولا يهتمون بالسياق الذي ترد فيه المقولات مثل النص الذي ورد في إنجيل يوحنا، وكل ما سبق جعلهم يخطئون كثيرا، وأوقعهم في مأزق كبيرة، حتى وصل بهم الأمر إلى الطعن في عصمة عيسى.

3-2- التوجيهيات:

يكن الهدف الغرضي لهذه الأفعال في حقيقة أنّها محاولات من جانب المتكلم للتأثير على المستمع ليفعل شيئا ما¹، ويقصد المتكلم من وراء هذه الأفعال إلى تغيير العالم من خلال كلماته، ولا توصف التوجيهيات بالصدق أو الكذب، ومن أصنافها: الأوامر، النواهي، الطلبات، التعليمات...²

وإنّما المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، «والموقف الموافق لشرط النزاهة هو الرغبة، والمحتوى القضوي هو أنّ المخاطب يجب أن يفعل شيئا ما»³. ويسعى المتكلم من خلال الأفعال التوجيهية إلى التأثير في المخاطب وتغيير قناعاته، ودفعه إلى إنجاز عمل ما يوافق المحتوى الخبري للتوجيه⁴.

1- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 233.

2- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجاج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، مخطوطة، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1438-1439هـ/2017-2018م، ص: 186.

3- آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 76.

4- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1427هـ-2006م، ص: 218.

الفصل الخامس: السلاالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ومن الأفعال التي تدخل في هذه الفئة: "أطلب، أرجو، أسأل، ألتمس، أناشد، أتضرع، أستعطف، أشجع، أسمح، أنصح".¹ وشرط الصدق النفسي المعبر عنه دائما هو الرغبة، وكل توجيه هو رغبة؛ فالأوامر والنواهي أو الطلبيات يمكن أن تطاع أو تهمل، فيخضع لها المخاطب أو يستنكرها.²

والجدول الآتي يوضح نماذج من التوجيهات التي وظفها الشيخ أحمد ديدات:

القوة الإنجازية	الفعل الكلامي	الصفحة	المناظرة
دعوة الجمهور لرؤية الإنجيل الذي يكفر به المحاجج المسيحي	انظروا أنا أمسك بيدي الإنجيل الذي لا يعترف به الأخ سواجارات	96	المناظرة الكبرى
نصح المخاطبين بالاستعداد من أجل سماع حقيقة صادمة	هينوا أنفسكم للصدمة التالية	100	المناظرة الكبرى
توجيه السائل إلى النظر في الواقع الإيماني الممتاز للمسلمين	انظر الرجال المسلمين انظر إليهم	124	المناظرة الكبرى
الدعوة إلى النظر في التفسخ الأخلاقي الذي تعيشه أمريكا	انظروا إلى هذه الأمة الجبارة أمريكا	124	المناظرة الكبرى
المنظر المسلم يطلب تفسيراً مقنعاً للنص المعين	فسروا لي هذا	125	المناظرة الكبرى
البحث عن إجابة مقنعة دون التوائية	أجيئوني أنتم	128	المناظرة الكبرى
توجيه المسيحيين إلى ضرورة قراءة كتبهم	ارجعوا إلى مصادركم	133	المناظرة الكبرى

1- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 233.

2- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص: 218.

الفصل الخامس: السلاالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

المناظرة الكبرى	134	اسمحوا لي أن أعطي هذا المثال	المحاجج المسلم يطلب من الجماهير التركيز حتى يستطيعوا فهم كلامه
المناظرة الكبرى	140	استوف هذا الشرط	توجيه المحاجج المسيحي نحو الطريق الذي يضمن له دخول مكة
مناظرة العصر	63	قولوا لي ما إذا كانت هذه لغة إنجليزية	طلب تفسير منطقي لهذا الكلام المبهم الموجود في الإنجيل
مناظرة العصر	63	أخبروني ماذا يعني الشخص في لغتكم الإنجليزية	المناظر المسلم يبحث عن توضيح شافٍ لكلمة شخص
مناظرة العصر	103	دعوني أولاً أصحح ما قاله الأخ شروش	طلب التركيز حتى يتم فهم الرد على أباطيل أنيس شروش
أخطر المناظرات	46	تعالوا بنا نذهب إلى تلك الحجرة العلوية التي كان يجتمع فيها المسيح عليه السلام مع تلاميذه	توجيه الحضور إلى الانتباه من أجل سماع قصة مهمة جداً في موضوع صلب المسيح
أخطر المناظرات	51	افتحوا كتابكم المقدس على سفر يونان وأنا أوجزه لكم توفيراً للجهد والوقت	دعوة الجماهير لتصفح العهد القديم من الإنجيل لمعرفة القصة الحقيقية عن معجزة النبي يونان
مناظرة ستوكهولم الأولى	16	ابحثوا تحت الحرف j ابحثوا تحت الحرف ch	توجيه الجمهور إلى طريقة البحث عن الكلمات في ترجمة يوسف علي للقرآن
مناظرة ستوكهولم الأولى	18	انظروا إلى هذا الإنجيل. إنه إنجيل الروم الكاثوليك	توجيه الجماهير إلى النظر في إنجيل الروم الكاثوليك الذي لا يؤمن به القسّ شوبيرج

الفصل الخامس: السلاالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة ستوكهولم الأولى	80	هيا نتفق	المناظر المسلم يدعو الحضور للاتفاق حول قضية معينة
مناظرة ستوكهولم الأولى	84	أريد أن تقدّم دليلا	مطالبة السائل بتقديم دليل على صحة كلامه
مناظرة ستوكهولم الأولى	85	إنني أريد أن أعرف	مطالبة الخصم بتقديم الحلول التي يقدمها الإنجيل لعلاج مشكلة النساء
مناظرة ستوكهولم الثانية	134	ولنتأمل أيها الإخوة الأعزاء ما يقوله القرآن الكريم عن المسيح	توجيه الجمهور للانتباه والتركيز من أجل استشفاف الحقيقة
مناظرة ستوكهولم الثانية	135	أطلعوني من فضلكم على أيّ جملة بالإنجيل يقول فيها عيسى بنفسه أنه إله	مطالبة المسيحيين بتقديم الدليل على ألوهية المسيح
مناظرة ستوكهولم الثانية	163	وأنا أسأل الناس الذين يعرفون الإنجليز	المطالبة بتوضيح للنص السابق من العارفين باللغة الإنجليزية
مناظرة ستوكهولم الثانية	164	انظروا إلى صورته التي تخيلتموها له	توجيه المسيحيين للنظر إلى رسومات المسيح الزائفة
مناظرة ستوكهولم الثانية	170	خذ هذا هو القرآن الكريم	الشيخ يطلب من السائل أخذ المصحف

الفصل الخامس: الساللم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة ستوكهولم الثانية	170	استخرج لي النصّ القرآني الذي يقول ما زعمت	مطالبة السائل باستخراج النصّ الذي زعم وجوده
مناظرة ستوكهولم الثانية	177	طلبت من استانلي أن يعطيني نصّا من الإنجيل	الشيخ يسأل محاججه الإتيان بالنصّ الذي يؤلّه عيسى
مناظرة ستوكهولم الثانية	177	صدّقوني	المحاجج المسلم يطلب من الحضور تصديق حقيقة أنّه لا يوجد نصّ واحد يؤلّه عيسى

التحليل:

يُستنتج من خلال الجدول السابق جنوح المحاجج المسلم إلى توظيف جملة من الأفعال التوجيهية في مناظراته مع خصومه من العلماء المسيحيين، وأغلب هذه الأفعال أمرية طلبية بصيغة الجمع المخاطب؛ حيث إنّ الشيخ أحمد ديدات لا يوجّه حديثه إلى محاججه المسيحي فقط، بل يوسّع مداه إلى مخاطبة جميع النصارى الحاضرين في قاعة المناقشة وإلى كافة النصارى في أنحاء هذا العالم ممن يشاهدون مناظراته ويتابعون وقائعها؛ لأنّ الأمر يتعلّق بعقيدتهم المسيحية التي يعتنقها أكثر من مليار ونصف مليار شخص. وجاء توظيف أغلب هذه الأفعال في المناظرة الكبرى ومناظرة ستوكهولم الثانية، وعلة ذلك أنّ هاتين المناظرتين شهدتا جولة أخرى من الحوار تعادل المناظرتين نفسيهما بين الشيخ والجمهور من جهة، وبين الشيخ والمناظرين المسيحيين البروتستانتين جيمي سواجارت واستانلي شويرج.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ومّا يلاحظ من خلال النظر في المناظرات تتمتع المحاجج المسلم بالقدرة على سبك خطابه الحجاجي ورصف جزئياته وحبك خيوطه النصية؛ إذ وردت الأفعال التوجيهية التي وظفها في سياق خطابي حاسم، فهو يتميز بانطلاقة الحاسمة في جميع مناظراته؛ حيث يضع خصمه المسيحي في مأزق كبير منذ بداية المناظرة، فيفحمه ويلجمه ويضعه في مأزق كبير، ويدسّ في حيثيات خطابه فعلاً طلبياً يروم من ورائه توجيه المحاجج أو السائل المسيحي نحو الاتجاه الذي يريده، وقيادته إلى زاوية الهزيمة من خلال التلطف في الطلب الذي ينفّذه المحاجج المسيحي طائعاً راضياً دون استنكار أو إهمال.

ففي مناظرته مع القسّ جيمي سواجارت يوجّه الشيخ أحمد ديدات خطابه إلى الجماهير المسيحية الحاضرة، داعياً إياهم إلى الانتباه والنظر إلى نسخة الإنجيل التي رفعها بيده مصرّحاً بأنّ خصمه المسيحي لا يعترف بها، حتى يؤلّب الرأي على القسّ سواجارات الذي يدافع عن إنجيل وينبذ آخر. وفي المناظرة نفسها يدعو المحاجج المسلم الجماهير إلى تهيئة أنفسهم والاستعداد لتلقي صدمة عنيفة مدارها إجماع أرفع علماء المسيحية على وجود عيوب كبيرة جدّاً في إنجيل الملك جيمس الذي يقدره جيمي سواجارات، ويوجّه المسيحيين للنظر في الفرق الكبير بينهم وبين المسلمين ساخراً من الأمة الأمريكية العظيمة التي تغرق في الانحلال الأخلاقي، كما أنّه يتعمّد إعجاز المسيحيين بطلب تفسيرات وتأويلات لنصوص إمّا لم يفهموها أو فسروها على غير وجهها، ويطلب منهم الرجوع إلى مصادرهم لمعرفة بواطنهم، وأحياناً يتلطف في القول حتى يشدّ انتباههم ثم يقصم عقيدتهم ببراهين ثقيلة.

وفي مناظرته مع القسّ أنيس شروش يدعو الشيخ أحمد مستغرباً ومتعجباً محاججه المسيحي والجمهور الحاضر ممن يتكلمون اللغة الإنجليزية إلى شرح عبارة "الآب شخص، و الابن شخص، والروح القدس شخص، لكن الثلاثة شخص واحد"، كما يطلب منهم متلطفاً أن يشرحوا له معنى الشخص في لغتهم حتى يفهم ويعي العبارة السابقة ومثيلاتها الكثيرة الواردة في كتابهم المقدّس.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ويبدو أن الشيخ قد وجههم إلى هزيمتهم؛ لأنه يعلم أنهم سيعجزون، فلم يستطع القس أنيس شروش والجمهور الحاضر شرح هذه الطلاسم الغامضة، كما يطلب في موضع آخر من الجماهير الانتباه والتركيز حتى يستطيع الرد على الأباطيل التي بسطها القس الفلسطيني، ونسفا بالأدلة والبراهين والحجج.

وفي أخطر المناظرات يطلب الشيخ أحمد من الجماهير أن يرافقه بتركيزهم، ويتصوّروا معه الحجر العلوية التي كان يجتمع فيها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام مع حواريه، حتى يبين لهم أن التصور المسيحي لعملية الصلب باطل وزائف بالدليل القاطع، وفي موضع آخر يدعوهم لفتح كتابهم المقدس على سفر يونا وقراءته من أجل الوقوف على حقيقة قصة معجزة النبي "يونا" الذي قال المسيح بأن معجزته ستكون مثلها، ولا يصدقوا الروايات التي يسوقها القسيسون المسيحيون الذين يتعمدون التحريف والتزييف.

ويوجه الشيخ أحمد الجماهير في مناظرة ستوكهولم الأولى إلى الاطلاع على النسخ المترجمة للقرآن الكريم من أجل الوقوف على حقيقة ما يقوله الإسلام عن المسيح عيسى بن مريم والمسيحيين الطيبين وعدم الاستماع إلى من يريدون تشويه الإسلام. وفي موضع آخر يدعوهم للنظر في إنجيل الروم الكاثوليك الذي لا يعترف به القس استانلي شوبيرج حتى يؤلب الجماهير الكاثوليكية عليه، ثم يدعو الجمهور للاتفاق حول حقيقة أن كلاً من الإنجيل والقرآن يدعوان للسلام، حتى يستدر تعاطفهم وتأييدهم لكونه منصفاً عادلاً غير متحيز، ويستخدم الشيخ أيضاً الطلبات لمطالبة الخصوم بتقديم الدليل والبرهان على صحة ادعاءاتهم، كما يطلب منهم تقديم الحلول التي يعرضها الإنجيل للمشاكل المختلفة التي تواجه المجتمعات المعاصرة.

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية يدعو الشيخ أحمد الجماهير المسيحية إلى التركيز من أجل استشفاف ما يقوله القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام، ولا يصدقوا ما يقوله خصوم الإسلام الذين يحاولون اتهام المسلمين بأنهم لا يؤمنون بالمسيح وولادته المعجزة، وفي موضع آخر يُفحم

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

المحاج المسلم خصمه حين يطلب منه ومن الجماهير المسيحية أن يطلعوه على نص واحد قال فيه المسيح بأنه إله أو دعا فيه الناس لعبادته، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، ثم يطالب الجميع بتفسير العبارة المشهورة التي تقول إن كلاً من الثلاثة شخص لكنهم ليسوا شخصاً واحداً، حتى يضعهم في مأزق كبير، ثم يأتي وقت تويخهم على أفعالهم غير المقبولة وعلى رأسها رسم صور يسوع في الكنائس بكل صلافة، وفي فترة الأسئلة والأجوبة يكت الشيخ أحد الحاضرين الذي ادعى ادعاءً باطلاً حول القرآن، فيطلب منه أخذ المصحف والبحث عما ادعاه؛ ولأنه كاذب فقد حار جواباً، ويأتي وقت النيل من المحاج المسيحي الذي عجز عن الإتيان بنص يؤله عيسى، فيطلب الشيخ من الجماهير الانصياع لحقيقة أنه لا يوجد نص مثل هذا على الإطلاق، فلا يوجد داعٍ للتمحل وسوق الأباطيل.

3-3-الإلزاميات:

يطلق عليها اسم الوعديات، ومدار القصد المتضمن في القول بخصوص الإلزاميات هو أن يلتزم المتكلم بإنجاز عمل أو أعمال في المستقبل¹، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، ويتعلق شرط النزاهة بالقصد، والمحتوى القضوي هو أن المتكلم سيقوم بفعل شيء ما.² وتتوفر نماذج الإلزاميات في المواعيد، والندور، والرهنون، والعقود، والضمانات، والتهديد، ولكن هذا الأخير بخلاف بقية النماذج يقوم ضد مصلحة المستمع، ولا يعود عليه بالنفع.³

وقد عقد سيرل مقارنة بين الأفعال التوجيهية والإلزامية من خلال مثال الوعد "فعل إلزامي"، فهو يلزم المتكلم بأن يفعل شيئاً ما، ولكن لا يحاول بالضرورة التأثير على نفسه كي يفعله، في حين أن هدف الالتماس "فعل توجيهي" هو محاولة التأثير على المتلقي ليقوم بفعل شيء

1- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجاج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، ص: 186.

2- ينظر: آن روبرول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 76.

3- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص: 218.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ما، وليس إزمه.¹ ولا يمكن أن توصف الإزميات بالصدق أو الكذب؛ حيث يمكن أن يتم تنفيذها أو المحافظة عليها أو الحنث بها.²

والجدول الآتي يوضح نماذج من الإزميات الواردة في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

المناظرة	الصفحة	الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
المناظرة الكبرى	96	سأعطيك مائة دولار وماذا تعني مائة دولار بالنسبة للأخ سواجارت؟	المحاجج المسلم يعد سواجارت بإعطائه مائة دولار في حال قراءته الأسفار المحددة من سفر حزقيال
المناظرة الكبرى	100	سأتناول هذا الموضوع غدا حين أتحدث عن "محمد" الخليفة الطبيعي للمسيح	أحمد ديدات يعد الجمهور بالحديث عن ولادة المسيح المعجزة في اليوم التالي
المناظرة الكبرى	129	سوف أتلو وأترجم	المناظر المسلم يلزم نفسه بتلاوة القرآن وترجمة المعاني للجماهير
المناظرة الكبرى	130	أحتفظ به للغد	المناظر المسلم يلزم نفسه الاحتفاظ بجزء من حججه إلى الغد
المناظرة الكبرى	139	إني على استعداد أن أقدم عشرة آلاف دولار عن كل لقاء	المحاجج المسلم يعد خصمه بدفع أموال له مقابل مناظرته مرة أخرى
مناظرة ستوكهولم الأولى	33	إني لن أزعم خواطركم بذكر نصوص فاحشة في تناول الكتاب المقدس لمسألة	المحاجج المسلم يعد الجمهور أنه لن يؤدي أسمعهم بذكر القصص الفاحشة الموجودة في الإنجيل

1- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 234.

2- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص: 218.

الفصل الخامس: السلالم الحجائية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

الجنس			
مناظرة ستوكهولم الأولى	72	وفي الليلة القادمة يشرفني بإذن الله أن أقدم للراغبين منكم المزيد من المعلومات	أحمد ديدات يلزم نفسه بتقديم معلومات جديدة عن المسيح في المناظرة الثانية
مناظرة ستوكهولم الأولى	93	سأقارن الترجمة بين طبعتين	المناظر المسلم يتعهد بإجراء مقارنة بين طبعتين للإنجيل نفسه
مناظرة ستوكهولم الثانية	136	إنني سأوجه بعض الأسئلة	الشيخ أحمد يلزم نفسه بطرح أسئلة محرجة على خصمه
مناظرة ستوكهولم الثانية	139	سأضع رأسي تحت المقصلة لو أطلعتموني على نص واحد قال فيه عيسى "أنا إله" أو اعبدوني"	المحاجج المسلم يعبر عن استعداده لوضع رأسه تحت المقصلة في حالة تقديم النصارى نصاً واحد يؤله المسيح
مناظرة ستوكهولم الثانية	170	سأقرؤه بنفسي على الناس	المناظر المسلم يتعهد بقراءة الجملة التي يدعي السائل وجودها
مناظرة ستوكهولم الثانية	173	سأقول كلماتي بالضبط	الشيخ أحمد يلزم نفسه بقول كلماته الحقيقية للسائل
مناظرة ستوكهولم الثانية	174	لقد تحدّيت أن أعطيه مائة دولار	المحاجج المسلم يتعهد بمنح مائة دولار لسواجارت إذا قرأ سفر حزقيال
مناظرة ستوكهولم الثانية	174	فإنني أعطيه الفرصة	أحمد ديدات يعدُّ بإعطاء الفرصة لستانلي حتى يقرأ نصوص سفر حزقيال

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

التحليل:

اللافتُ للنظر أنّ عددَ الأفعالِ الوعدية التي وظّفها الشيخ أحمد ديدات في مناظراته مع خصومه المسيحيين أقلّ وروداً من غيرها، ولعلّ مردّ ذلك إلى التزام الشيخ بموضوع المناظرة، ودوران كلامه في أفلاكها، ومحاولته استخدام أكبر كمّ من الحجج، والتطرّق إلى أكثر موضوع، وعرض جملة من الأفكار والآراء والنصوص في الوقت المخصّص له، والذي ينبغي أن يتمّ التعامل معه بشكل حسن ومنهجي مع مراعاة الترتيب وحسن الربط وبلاغة الإقناع، ومن جانب آخر فإنّ الفاعلية التي تتحقّق من هذه الأفعال الكلامية غير مرتبطة أساساً بكثرة ورودها، بل بدقّة توظيفها وحسن توجيهها حتى تحقّق الغاية الحجاجية المرجوة منها.

وفي ما يخصّ صفة الأفعال الوعدية التي وردت في المناظرات الخمس المدروسة فجاءت في سياق حجاجي حاسم أنّهم فيه المحاجج المسلم العلماء النصاري، وقرّعهم بالدليل القاطع، والبرهان الساطع، فجاء فيها الإلزام مرتبطاً بالعزم الإقدام والثقة بالنفس وأمن اللبس، فمن منطلق علمه وإدراكه لعجزهم وتهافت حججهم، علم أنّ إلزام نفسه بالشيء لن يضير مقام حججه، ولن يزيد النصراني إلا استكانة وسقوطاً، ووردت أغلب هذه الأفعال في المناظرة الكبرى ومناظرة ستوكهولم الثانية، في حين لم تحتوِ مناظرة العصر وأخطر المناظرات على أيّ فعل كلامي من هذا القسم.

وارتبط الفعل الإلزامي الأوّل في مناظرة الشيخ أحمد مع القسّ جيمي سواجارت بسياق الحديث عن الكم الهائل من الجحون والفحش الذي حوته دفتا الكتاب المقدّس، مخضّباً بنبرة من السخرية والاستهجان من نصوص بالغة الفسق تملأ ما يتجاوز تسع عشرة صفحة في سفر حزقيال جعلت المحاجج المسلم يُطلق وعداً لخصمه بأنّه سيعطيه مائة دولار لو قرأ تلك الصفحات المذكورة أمام الجماهير، وقام المحاجج المسيحي فعلاً بقراءتها وتغنّى بعباراتها، فاستبان للجمهور ما فيها من عبارات قبيحة وسافرة، ومنح الشيخ أحمد خصمه الدولارات المائة كما وعده، كما منح نفسه

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

مصدقية ورجحانا في مجال نقضه لقداسة الإنجيل، بعد أن وقف الجمهور على حقيقة بعض ما في الإنجيل من عبارات لا تجدها في بعض الروايات الإباحية. وفي ختام المناظرة نفسها يلزم الشيخ أحمد ديدات نفسه بأن يبين للجمهور في لقاء آخر موقف الإسلام الحقيقي من المسيح عليه السلام وولادته المعجزة؛ حيث إنه التزم في هذه المناظرة بالموضوع الذي يناقش الإنجيل وقداسته من عدمها، فوعدهم بأنه سيصحح الفكر الخاطئ الذي يحملة النصارى تجاه الإسلام والمسلمين والقرآن الكريم والسنة النبوية، كما يبين لهم أنه يعتمد إلى الاحتفاظ بجزء كبير من حججه؛ لأنّ المقام لا يكفي لعرضها جميعا والسياق لا يستحضرها كلها، كما نجده يلزم نفسه بتقديم عشرة آلاف دولار للمحاجج المسيحي مقابل كلّ مناظرة يقبل إجراؤها معه، حتى يشير إلى أنه يتمتع بالثقة لمناقشة أيّ موضوع يريده النصارى، وفي المكان الذي يريدونه أيضا، ثم إنه يتمتع بالقدرة على هزيمتهم ودحرهم بغضّ النظر عن الزمان والمكان والموضوع المناقش.

وفي مناظرة ستوكهولم الأولى يستخدم المناظر المسلم فعلا وعدليا يلزم فيه نفسه بالانصراف عن ذكر نصوص جنسية سافرة من الكتاب المقدس حتى لا يزعج خواطر الجمهور الحاضر؛ نظرا لحجم التقرّر الذي سيصيبهم بالغثيان جراء سماعها، مبينا لهم أنّهم يستطيعون أن يقفوا عليها بمجرد قراءة لم بعض الأسفار التي تعجّ بالحديث عن الزنا والدعارة واللواط، مسببا لخصمه الإحراج والضيق والسقوط الكبير بعد أن شوّه صورة الكتاب الذي يدافع عنه. وفي ختام هذه المناظرة يعد الشيخ أحمد الجمهور الحاضر بأنّ مناظرة الغد مع القس استانلي شويرج ستكون بديعة، وسيكون له الشرف في أن يتحدّث عن المسيح عيسى بن مريم الذي جاء ليصحح لبني إسرائيل ما أفسدوه من دين الله الذي جاء به موسى، فشوقهم بذلك ودفعهم إلى التساؤل عمّا سيتناوله في المناظرة؛ مما سيجعلهم يتهافتون لحضورها والاستفادة مما سيقدمه الشيخ أحمد ديدات. ويلزم نفسه في الوقت المخصص للأسئلة والأجوبة بإجراء عملية مقارنة توضيحية بين الإنجيل والقرآن حتى يزيل اللبس ويكشف الغموض عن بعض المسائل التي بتجليتها يمكن الوصول إلى أرضية اتفاق، ونسج خيوط حوار بناء.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية يُلزم المحاجج المسلم نفسه بطرح جملة من الأسئلة على خصمه المسيحي، وبالفعل التزم بما قاله وطرح الأسئلة على خصمه الذي يعدّ عالما لاهوتيا مريدا بذلك وضعه في موقف محرج، فكأنّ الفعل الإلزامي في هذا المقام "أوجه" مشبع بالتحذير والإنذار مما سيلاقيه خصمه من أسئلة قد لا يستطيع الإجابة عليها، كما أنّ خصمه الذي يعرف قدرات الشيخ أحمد جيّدا أصيب بالإحراج، ولم يستطع الإجابة عن السؤال. ومثّل الفعل الإلزامي الثاني في هذه المناظرة ذروة سنام الحجاج عن طريق الوعديات عند الشيخ أحمد؛ حيث يلزم نفسه مبيّنا لخصمه والجمهور المسيحي بأنّه على استعداد تام لوضع رأسه تحت المقصلة إذا استطاع أيّ مسيحي أن يجد نصّا واحدا في الإنجيل يقول فيه المسيح بأنّه إليه، أو يأمر فيه الناس بعبادته، وتتأججّ من هذا الفعل الإلزامي شعلة تحدّ واضح وثقة كبيرة في النفس، مبناهما الاطلاع الواسع والبحث العميق الذي جعل المحاجج المسلم يستعد للتضحية بنفسه مقابل الحصول على جواب لسؤاله، وتبقى قضية الالتزام بهذا الفعل من عدمها منوطة بوجود النص المطلوب من انتفائه، غير أنّ القوّة الحجاجية التي تفجّرت منه أكسبت الشيخ أحمد كثيرا من التأييد، وشحنت كلامه بشحنة كبيرة من الإقناعية التي تخدمه في إطار محاولته تغيير أفكار الجمهور المسيحي وإفحام خصمه، والتقليل من علمه والطعن في كفاءته المعرفية؛ لأنّه لم يعثر على ذلك النص ولن يعثر عليه. وفي الوقت المخصص للأسئلة والأجوبة يقدّم الشيخ أحمد وعدّا لأحد الجماهير الذي ادّعى وجود نصّ في القرآن يؤلّه عيسى بأنّه سيقراً النصّ دون هوادة في حال ثبوت وجوده؛ والنصّ غير موجود طبعا، وما ادّعاه السائل باطلٌ وزيف، ثم يلزم الشيخ نفسه بإعادة قول كلماته الحقيقية للسائلة التي اتّهمته بأنّه زعم شيئا باطلا، فيوضّح لها الحقيقة التي إمّا تغافلت عنها أو تعمّدت إساءة الفهم حتى يلجمها ويكبتها، كما نجد المحاجج المسلم يستحضر قصّة التحدي الذي جرى بينه وبين سواجارت، ووعدّه إتياء بمنحه مائة دولار في حالة قراءته النصوص الفاسقة في سفر حزقيال، ويؤدي استعداده لمنح الفرصة الكاملة للمحاجج السويدي حتّى يقرأ هذه النصوص التي لا يفترض أن تسبّب إحراجا له؛ لأنّها موجودة في الكتاب المقدّس.

3-4-التعبيريات:

ويطلق عليها أيضا اسم الإفصاحيات، ومدار القضية التي يتضمّنهما القول في مستوى التعبيريات تتحدّد في أنّ المتكلم يعبر عن حالته النفسية أو حالاته النفسية¹ التي «تعيّن شروط الصدق حول واقعة ما يحددها المحتوى القضوي للجملة»²؛ أي التعبير عن صدق الفعل الكلامي، والنماذج على التعبيريات هي الاعتذارات، والتشكرات، والتهاني، والترحيبات، والتعزيات.. الخ.³ ولا يوجد اتجاه مطابقة في الأفعال المعبرة، ولا يحاول المتكلم عن طريق الفعل التعبيري أن يؤثّر في العالم فيماثل الكلمات، ولا الكلمات لتماثل العالم.⁴

وعليه فالمحتوى الخبري للتعبيريات من الناحية النمطية ليس له اتجاه ملاءمة؛ لأنّ حقيقة المحتوى الخبري يسلم بها فحسب،⁵ فإذا قلت: أعتذر لضربك أو تهانينا على فوزك بالمسابقة، فأنا أسلم بأنني ضربتك، أو أنك فزت بالمسابقة، ولذلك أفترض تطابق المحتوى القضوي والواقع، ويقاس شرط النزاهة في التعبيريات بالنظر إلى حالة الأشياء التي تتضمّنهما القضية، وصدقها هو صدق مقتضى، وبالتالي فالاعتذار صادق إذا كان المعتذر صادقا محسّا بالندم، والمهتئ يتهجج بتهنئة المستمع.⁶ والجدول الآتي يوضّح التعبيريات الواردة في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

المناظرة	الصفحة	الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
المناظرة الكبرى	98	وأنا أحب لغتها	الشيخ أحمد يعبر عن إعجابه بنسخة إنجيل الملك جيمس المنقحة
المناظرة الكبرى	102	صرخت ماذا؟	المحاجج المسلم يفصح عن انفعاله

1- ينظر: آن روبول وحاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 76.

2- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010م، ص: 21.

3- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص: 219.

4- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 234.

5- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص: 219.

6- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجاج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، ص: 187.

الفصل الخامس: السلاالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

بالصراخ بعد سماعه إجابة الرجل المسيحي			
المناظر المسلم يعبر عن خيبة أمله؛ لأنه لم يسمع ما قاله عيسى بنفسه	كنت أودّ الاستماع إلى ما قاله عيسى	128	المناظرة الكبرى
أحمد ديدات يعبر عن أمله في أن يفهمه السائل	أرجو أن تكون فاهما لإنجليزيتي	142	المناظرة الكبرى
المحاجج المسلم يفصح عن خيبة أمله؛ لأن خصمه لم يقدم الإجابة المطلوبة	كنت أرجو أن يقدم لنا القسّ شروش مثل هذه الجملة القصيرة	61	مناظرة العصر
العلامة المسلم يفصح عن احترامه وتقديره لمدير المناظرة والتزامه بتوجيهاته	ولكنني أحترم إشارة مدير المناظرة	92	مناظرة العصر
المحاجج المسلم يعبر عن رجائه وأمله في أن يدرك الجمهور الفرق بين القضيتين	هناك فرق واضح... أرجو أن تدركوه	49	أخطر المناظرات
الشيخ أحمد يعبر عن استنكاره للأشياء التي ينسبها النصارى إلى للمسيح	كل هذه التناقضات تجعلنا نرفض	56	أخطر المناظرات
المناظر المسلم يعبر عن خيبة أمله؛ لأنه لا يوجد وقت لكي يُسمع الحضور كلام ستانلي	كنت أودّ أن يكون لديكم متسع من الوقت	15	مناظرة ستوكهولم الأولى
المحاجج المسلم يشكر شوبيرج الذي وعد بتقديم إجابة جيّدة جدا	أشكرك يا سيّدي	17	مناظرة ستوكهولم الأولى
المحاجج المسلم يعبر عن التماسه العذر لخصمه الذي كان يرتعش	أنا ألتمس له العذر	133	مناظرة ستوكهولم الثانية
العلامة المسلم يعبر عن تقديره لكلام	إنني أحبّ ما قاله	138	مناظرة ستوكهولم

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

عيسى الحقيقي لا تلك النصوص التي نُقِلَتْ عنه	عيسى بنفسه		الثانية
المناظر المسلم يشكر الله الذي أنقذه من موت محقق	أرجو أن أشكر الله أن أنقذ رقبتي	162	مناظرة ستوكهولم الثانية
المحاجج المسلم يشكر الله الذي أنقذه من موت محقق	أشكر الله الذي أنقذ رقبتي	163	مناظرة ستوكهولم الثانية
أحمد ديدات يعبر عن خجله من النصوص الإباحية الموجودة في الإنجيل	إني أشعر بالخجل	174	مناظرة ستوكهولم الثانية
الشيخ يعبر عن أمله في أن السائلة قد فهمت ما يعنيه	أرجو أن يكون قد تم لك التأكد	174	مناظرة ستوكهولم الثانية
المناظر المسلم يشكر الجمهور على سمعهم وانتباههم	أشكرهم	174	مناظرة ستوكهولم الثانية
المحاجج المسلم يعبر عن أمله في أن يكون قد فهم السؤال جيّداً	أرجو أن أكون فهمت	185	مناظرة ستوكهولم الثانية

التحليل:

جنح المحاجج المسلم إلى استخدام جملة من الأفعال الكلامية التعبيرية التي أفصح بها عن جملة من المشاعر والأحاسيس والانفعالات المختلفة من حب، واحترام، ورجاء، وشكر، واعتذار طرز بها مناظراته في طريق محاورته للمحاججين النصاري بما يخدم موقفه، ويعضد رأيه، ويقوّي براهينه، ويجلي أدلته التي يسوقها في مواضع مخصوصة مستفيداً من هفوات الخصم المسيحي ومعتمداً على ذكائه الكبير، وفطنته المشهودة، ومقدرته الفذة على ربط خيوط خطابه الحجاجي وحسن توظيف الآليات التي ترجح كفته، وتجعله محافظاً على تفوّقه وتقدمه في مضمار الحجاج أمام جميع القسيسين.

الفصل الخامس: السالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

ففي مناظرته مع القسّ الأمريكي جيمي سواجارات يفصح الشيخ أحمد ديدات عن حبه وتقديره للغة نسخة إنجيل الملك جيمس التي يتعبّد بها خصمه ويقسم عليها ويدافع عن قداستها، إلا أنّ هذا الانفعال الذي أبداه الشيخ أحمد (الحبّ والإعجاب بنسخة الملك جيمس) في ما يبدو محمّل بالسخرية والاستهزاء من حجم الأخطاء التي تزري بهذا الإنجيل؛ مما يدلّ على تحريفه وتزييفه، فاللغة الساحرة الجميلة التي أحبها وأعجب بها يقابلها استهجان واستقبح الأخطاء التي يعجّ بها الإنجيل. وفي المناظرة نفسها يستخدم الشيخ أحمد فعلا إنجزيّا "صرخت" ليعبّر به عن تعجّبه من الجواب الذي قدّمه الرجل المسيحي الذي سأله عن معنى كلمة (Begotten) التي تعني ولد ولم يخلق؛ حيث قال بأنّ معناها ولده الله، فكانت نتيجة هذا الانفعال (الصراخ) ارتباك الرجل المسيحي وتراجعه عن إجابته ودخوله في حلبة التمحّل والتفكّر في الكلام. ثم يفصح عن خيبة الأمل الكبيرة التي أصابته جرّاء فشل المحاجج النصراني في الإتيان بنصّ واحد يتحدّث فيه عيسى عليه السلام مباشرة؛ لأنّ كلّ ما تمّ عرضه هي نقول عنه لا يميّز صحيحها من خطئها، مع غلبه الثاني دون شكّ. ونجد الشيخ أيضا يفصح عن أمله ورجائه بأن يكون السائل الذي أراد معرفة الفرق بين النسخ في الإنجيل والقرآن قد فهم ووعى الإجابة جيّدا.

وفي مناظرة العصر مع القسّ أنيس شروش يستخدم المحاجج المسلم فعلا تعبيريا ممثلا في الرجاء الذي أفصح به عن أمنياته الصادقة في أن يجد خصمه المسيحي جملة واحدة في الإنجيل يقول فيها المسيح أنّه ابن الله أو يأمر فيها الناس بعبادته غير أنّ أمله خاب؛ لأنّ خصمه فشل في ذلك، وينضح هذا الفعل أيضا بنبرة السخرية من الخصم الذي بدا عاجزا ضعيف الموقف. ويعبّر الشيخ في ختام المناظرة عن احترامه لمدير اللقاء الذي أشار إليه بأن الوقت انتهى على الرغم من أنّه ما يزال في جعبته كثير من الحجج التي يريد أن يبسطها، وعن طريق هذا الفعل التعبيري (أحترم) يثبت المحاجج المسلم دماثة أخلاقه وطيبة شيمه؛ ليكسب تعاطف الجماهير وتأييدها، ويرسم نفسه في صورة محترمة ولائقة.

الفصل الخامس: السلالم الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

وفي أخطر المناظرات يعبر الشيخ أحمد ديدات عن رجائه في أن يدرك الجمهور المسيحي الفرق بين رؤية الحواريين للمسيح بعد صلبه وبين رؤية شاؤول له؛ فالشيخ يفصح عن أمله ورغبته في أن يفتح المسيحيون عقولهم حتى يدركوا الفرق الكبير بين الرؤيتين، حتى يتبينوا الحقيقة وينجلي غبش الغفلة عن عقولهم. وفي موضع آخر من المناظرة نفسها يعبر الشيخ عن رفضه واستهجانته للتصوّر المسيحي حول صلب المسيح ودفنه؛ نظرا للتناقض الكبير في الروايات التي تناولت هذه الحادثة، وعليه فالمسلمون لا يؤمنون بما يذهب إليه المسيحيون بل يشجبونه ويستقبحونه؛ لأنّه غارق في التناقض والتهافت، كما أنّه يناقض التصوّر الإسلامي الذي عبر عنه القرآن الكريم تماما.

وفي مناظرة ستوكهولم الأولى يعبر المناظر المسلم عن خيبة أمله بسبب ضيق الوقت الذي لا يسمح للجمهور بسماع شريط الكاسيت الذي أرسله إليه القسّ استانلي مشبعا بكل معاني الخنوّ والصدّاقة والإخاء؛ فالشيخ أحمد رجل صاحب أخلاق كريمة، فعلى الرغم من أنّه وخصمه يدافعان عن قضيتين متشاكستين إلا أنّه لم يبخسه حقّه ومدحه وأثنى عليه. وفي خضمّ هذه المناظرة يشكر المحاجج المسلم خصمه؛ حيث طلب منه أن يبيّن له أيّ الأناجيل يؤمن بها كي يعرف كيف يناقشه ويحاوره، فأجاب المحاجج المسيحي بأنّه سيحبب لاحقا، فما كان من الشيخ إلا أن شكره وهو عالم أنّه أبجز ما يريد في إحراجة؛ لأنّه يعلم كونه سيضطرب ويسقط، وهذا ما حدث بالفعل؛ إذ لم يقدّم باستر استانلي شويرج أيّ إجابة.

أما في مناظرة ستوكهولم الثانية فيعبر الشيخ أحمد عن سماحته والتماسه العذر لخصمه المسكين الذي كان يرتحف في المناظرة الأولى؛ حيث يبدو أنّه لم يناظر شخصا في العلن من قبل الأمر الذي جعله يتلکأ ويخطئ، ويبيّن له أنّ ذلك شيء طبيعي يمكن أن يحدث لأيّ شخص حتى يهدّئه ويسكّن قلقه واضطرابه، فكسب الشيخ بذلك حبّ الجماهير المسيحية الحاضرة التي أعجبت بأخلاقه الرفيعة وكرمه الكبير. وفي خضمّ المناظرة يعبر الشيخ أحمد عن حبّه لكلام المسيح الذي يؤمن به؛ إذ يريد أن يعرف ما قاله المسيح بلسانه، وليس ما نقل عنه؛ لأنّ المنقول لا يمكن

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

أن يُجزم بصحته، بسبب الألسنة والأقلام الكثيرة التي تعتوره فتغير فيه وتبدله. وعليه فالمحاجج المسلم يفصح عن حبه لكلام المسيح الذي هو وحي إلهي يؤمن به، وهو في المقابل لا يؤمن بالكلام المنقول الذي عبث به النصارى وحرّفوه. وبعد فشل المحاجج المسيحي في الإتيان بنصّ يدّعي فيه عيسى الألوهية يشكر المحاجج المسلم الله ويحمده؛ إذ أنقذ رقبته من الإعدام بالمقصلة. ثمّ يستأنف نقده للكتاب المقدّس، ويعبّر عن خجله وحيائه من تلك النصوص الفاسقة الموجودة فيه، كما نجده يفصح عن أمله في أنّ يكون أحد الجماهير قد فهم ما يعنيه من كلامه، والثاني في أن يكون قد فهم هو السؤال جيّدا كي يقدّم الإجابة اللازمة، ويتقدّم بالشكر الجزيل للجماهير الغفيرة الطيبة التي حضرت المناظرة، وأبدت تفاعلا كبيرا وصققت كثيرا.

3-5- التصريحيّات:

يتوسّلتها المتكلم لتغيير العالم بتمثيله وكأنّه قد تغيّر، واتّجاه المطابقة فيها مزدوج؛ حيث تهدف الأفعال التصريحية إلى جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم،¹ نحو قول الرئيس: أعين زعيم الحزب الفلاني وزيرا، القائد العسكري: أعلن اندلاع الحرب، الموظف: أنا مستقيل، حكم المباراة: أنت مطرود، فإذا تمّ تعيين الوزير، وأصبحت الحرب فعلية، وانتهت علاقة الموظف بوظيفته، وحُرم اللاعب من مواصلة اللعب،² يكون لدينا اتّجاه ملاءمة من العالم إلى الكلمة بتمثيله وكأنّه قد تغيّر.³

وتحجب البنية السطحية التنظيمية المستخدمة لأداء التصريحيّات هذه المسألة؛ لأنّه لا يوجد فيها تمييز نظمي سطحي بين المحتوى القضوي والقوة الغرضية، وعليه فالتصريحيّات لا تتيح تمييزا بين القوة الغرضية والمحتوى القضوي⁴ ويشترط في التصريحيّات أن يتقلّد المتكلّم والمخاطب دورا

1- ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 158.

2- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجاج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، ص: 187.

3- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والاجتماع، ص: 219.

4- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 235-236.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

مؤسساتيا، وظروفا مخصوصة لإنجازها بشكل تام وصحيح،¹ وتنفرد التصريحيات بين الأفعال الكلامية في كونها تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي.²

والجدول الآتي يوضح نماذج من التصريحيات الواردة في مناظرات الشيخ أحمد ديدات:

المناظرة	الصفحة	الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
المناظرة الكبرى	96	لا يقبلها البروتستانت بأنها كلمة الله	التصريح بأن البروتستانت يستبعدون الأسفار السبعة الموجودة في إنجيل دوي
المناظرة الكبرى	99	إن نسخة الملك جيمس اصطلح على وصفها بأعظم الآثار	التصريح بأن نخبة علماء المسيحية يشيدون بنسخة إنجيل الملك جيمس
المناظرة الكبرى	130	أنا أتحدى إن وجد بينهما مخطوطان متطابقان	المحاجج المسلم يصرح بحقيقة عدم وجود نسختين متطابقتين من المخطوطات
المناظرة الكبرى	132	الأخ سواجارت اعترف أنّ الجزء الوحيد الذي كتبه الله هو ألواح موسى	التصريح بالاعتقاد الديني الذي يؤمن به القسّ المسيحي وإلزامه به
المناظرة الكبرى	136	نحن نقول إنّه من المقربين	التصريح بأنّ عيسى من الرسل الكرام أولي العزم المقربين
المناظرة الكبرى	137	القرآن يقرّر	التصريح بأنّ القرآن يقرّر كون قدرة الله على الخلق لا حدود لها
المناظرة الكبرى	141	توجد سبعة أسفار مزيفة لا يعترف بها	التصريح بأنّ سواجارت ينكر سبعة أسفار من الإنجيل

1- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجاج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، ص: 187.

2- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص: 220.

الفصل الخامس: السالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة العصر	66	ووفقا للعقيدة الإسلامية لا يصح أن ننسب لله كل ما تحدّه قدرة الإنسان على التخيل	التصريح بأنّ العقيدة الإسلامية تنزّه الله عزّ وجل عن الصفات التي نسبها إليه النصارى
مناظرة العصر	68	لقد أعلن نصف علماء اللاهوت بالكنيسة هنا في بريطانيا أن المسيحيين ليسوا مرغمين على الاعتقاد بأنّ المسيح قد ولد	التصريح بأنّ كثيراً من علماء النصرانية لا يلزمون أتباعها بالاعتقاد أنّ عيسى هو الابن البيولوجي لله
أخطر المناظرات	52	يوافق المسلمون واليهود والمسيحيون على أنّ يونان كان حيّاً	التصريح بأنّ الديانات الثلاث تتفق حول قضية بقاء يونان حيّاً حين التقمه الحوت
أخطر المناظرات	56	خمسة وسبعون بالمائة من قساوسة وعلماء الكنيسة الأنجليكانية لا يرون أنّه من الضروري أن يؤمن أحد بألوهية المسيح	التصريح بأنّ أغلب علماء الكنيسة التي ينتمي إليها البروفيسور كلارك لا تلزم أتباعها بتأليه المسيح
مناظرة ستوكهولم الأولى	15	قررّ أننا لا نستطيع أن نجد أيّ دليل يدل على أن الإنجيل ينحدر من الله مباشرة	التصريح أنّ "هانز كومب" رئيس اللجنة المكلفة بدراسة الإنجيل قرّر أنّه ليس كلام الله المباشر
مناظرة ستوكهولم الأولى	17	إنّ القرآن الكريم يضع لاختبار مصداقية كلام الله اختباراً ومقياساً حاسماً	التصريح بأنّ القرآن يستبعد وجود التناقض في كلام الله
مناظرة ستوكهولم	79	نحن المسلمون نعتبر أنّ	التصريح بأنّ المسلمين أجمعين

الفصل الخامس: السالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

الأولى	القرآن آخر صور الوحي	يجعلون القرآن آخر وحي نزل
مناظرة ستوكهولم الأولى	80	القرآن يقَرَّر أن عيسى هو المسيح
مناظرة ستوكهولم الأولى	93	وكتابنا يشير إليها ويؤكد عليها
مناظرة ستوكهولم الثانية	133	لقد أوضحت هذه الآية أن عيسى هو المسيح لكنه ليس إلهًا
مناظرة ستوكهولم الثانية	138	إن الإنجيل الذي أمر النبي أن نحترمه هو إنجيل عيسى
مناظرة ستوكهولم الثانية	164	إن علماء المسيحية أنفسهم قد أزالوا شعار التثليث
مناظرة ستوكهولم الثانية	164	وقرر علماء المسيحية أنفسهم حذف هذه الزيادة
مناظرة ستوكهولم الثانية	170	لقد جاء في شريعة موسى أن العين بالعين
مناظرة ستوكهولم الثانية	165	لقد نادى سيدنا عيسى دون ريب بوحدانية الله كما نادى بها موسى
مناظرة ستوكهولم الثانية	180	أعلن عن إسلامي إعلاناً صريحاً
مناظرة ستوكهولم الثانية	180	لقد كان عيسى يتحدث عن منازل كثيرة
مناظرة ستوكهولم الثانية	181	إن معنى ذلك أن عيسى كان قد بين لهم ووضح المنهج
		التصريح أن القرآن يعترف بكون عيسى هو المسيح
		التصريح أن القرآن يوافق بعض النصوص الصحيحة في الإنجيل
		التصريح أن القرآن الكريم ينفي ألوهية المسيح
		التصريح أن النبي أمرنا باحترام الإنجيل الذي جاء به عيسى
		التصريح أن العلماء النصارى قرروا إزالة نص التثليث
		التصريح أن علماء المسيحية قرروا حذف تلكم العبارة
		التصريح أن شريعة موسى تدعو للمساواة
		التصريح أن عيسى كان يدعو للتوحيد
		الشيخ أحمد يصرح بعقيدته الدينية
		أتباعه عن أمور لم يفهموها
		التصريح أن عيسى وضح لأتباعه الطريق المستقيم

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

مناظرة ستوكهولم الثانية	181	لقد عبّر المسيح عن سوء فهمهم لأقواله	التصريح أنّ المسيح امتعض من سوء فهم أتباعه لأقواله
مناظرة ستوكهولم الثانية	179	صحّ لهم المسيح فهمهم الخاطئ	التصريح أنّ المسيح صحّ لليهود اعتقاداتهم الخاطئة

التحليل:

استخدمَ المحاجج المسلم جملة من الأفعال التصريحية التي رام من ورائها إثبات مسألة وجود سلطة عليا تحكم حدود التصورين المسيحي والإسلامي، فعلى الرغم من كون الإنجيل محرّفًا بحكم التغيير والتبديل الذي طاله تحت مسمى التصحيح والتنقيح، بما لا يليق أن يمسن كتابا إلهي المصدر، فالمسلمون لا يمنعون النصارى أن يقبلوا مثل هذا العبث البشري، ولكنهم حتماً- أي النصارى- ملزمون بأن يطيعوا ما يقوله الإنجيل، وما يقوله عيسى عليه السلام، وكذلك ما يقوله قساوستهم ورهباؤهم مع كلّ ما يترتب عن ذلك من نتائج دون نقاش أو جدال، بحكم أنّهم سلّموا لهم بالتقديس والتبجيل والسمع والطاعة. وفي الجانب الآخر فالقرآن الكريم وكلام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم يمثّلان للمسلمين السلطة الإسلامية العليا، فهما المرجعان العلويان؛ لأنّ المسلمين يؤمنون بأنّهما محفوظان من كلّ تحريف أو تزييف، فهم يصدّقون ويسلّمون بما أنزله الله على نبيّهم ويطيعونه ويعملون به ويحجّلونه ويقدّسونه.

ففي المناظرة الكبرى يوضّح الشيخ أحمد ديدات أنّ قساوسة طائفة "البروتستانت" التي ينتمي إليها القسّ جيمي سواجارت تصرّح أنّها لا تؤمن بالأسفار السبعة التي تم حذفها من نسخة الملك جيمس في حين أنّها مثبتة في أناجيل أخرى، ولعلّ الشيخ أراد من وراء هذا تأليب جماهير الطوائف الأخرى من الأرثودوكس والكاثوليك على مناظره المسيحي. وفي موضع آخر يصرّح الشيخ أحمد أنّ اثنين وثلاثين عالما من أعظم علماء المسيحية قدرا يتبعهم خمسون من الطوائف يعدّون نسخة الملك جيمس أعظم الآثار الأدبية، فهذا الحكم صادر من سلطة عليا، لكنه حكم قاصر؛ لأنّ علماء نصرانيين آخرين يصرّحون أنّ هذه النسخة نفسها تحتوي عيوباً كثيرة. ثم يجعل

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

المحاج المسلم نفسه سلطة عليا بعدة رجلا متمرسا في دراسة الإنجيل والبحث فيه طوال ثلاثين سنة، ويتحدى أن توجد مخطوطتان إنجيليتان متطابقتان، والحق أن هذا التصريح ليس صادرا من المحاج المسلم فقط؛ بل يقره أعتى علماء المسيحية قدرا. ثم ينقل الشيخ إفصاح المحاج المسيحي بأن الجزء الوحيد الذي كتبه الله من الإنجيل هو الوصايا العشر، وهذا اعتراف نافذ يحيل بالضرورة إلى أن ما عدا هذا مما كتبت في الإنجيل قابل للنقض والنقد. ثم يصرح الشيخ أحمد بأن سواجارات المدعي لا يعترف بسبعة أسفار كاملة وبعدها تحريفا، وليس الأمر متعلقا بسواجارات فقط بل بطائفته كلها، وهنا يتضح أنه لا يدافع عن الإنجيل بصفة عامة لكنه يدافع عن إنجيله الذي يتعبد به فقط. ويصرح الشيخ في موضعين بأن القرآن يقرأ بكون عيسى من المقربين والرسل المكرمين، وكذا كون الله عز وجل عظيما مطلق القدرة التي لا تحدها حدود.

أما في مناظرة العصر فيصرح الشيخ أحمد أن العقيدة الإسلامية -على عكس العقيدة المسيحية- تنزه الله عز وجل عن كثير من الصفات التي لا تليق به من تلك التي نسبها النصارى إليه، فهذا أمر مسلم به لا يناقش ولا ينقض. ويصرح في موضع آخر أن أكثر من نصف علماء اللاهوت الكنسيين في بريطانيا الذي هم سلطة عليا ومرجعية دينية يعلنون أن النصارى غير مرغمين على الاعتقاد بأن المسيح ولد ميلادا بيولوجيا بما يجعله ابنا لله كما يزعم أكثر النصارى، فليس كل النصارى ملزمين أن يسلموا بهذا التصور السخيف.

ويصرح الشيخ في أخطر المناظرات أن المسلمين واليهود والنصارى يعلنون أن النبي "يونان" كان حيا في بطن الحوت، ولا يختلفون في هذا أبدا ويشكلون بهذا سلطة تنفيذية قوية، في حين يزعم النصارى وحدهم أن عيسى كان ميتا في قبره، فهم يخالفون إجماع غيرهم ليمزروا عقيدتهم الزائفة. ويصرح الشيء في موضع آخر أن ثلاثة أرباع الكنيسة الأنجليكانية يعلنون أن النصارى غير مجبرين على القول بألوهية المسيح؛ مما يشكل مرجعية قوية تطرح فكرة تأليه المسيح بعيدا، وتجعل النصارى البريطانيين في حرج كبير بين القول بالألوهية وإنكارها.

الفصل الخامس: السلالمة الحجاجية والأفعال الكلامية في مناظرات أحمد ديدات

كما يصرّح المحاجج المسلم في مناظرة ستوكهولم الأولى أنّ هانز كومب الذي عيّنه البابا رئيسا مكلفا بدراسة الإنجيل أعلن بعد دراسة دقيقة ومحصّصة أنّه لا يوجد دليل واحد على أنّ الإنجيل ينحدر من عند الله مباشرة، وهذا الكلام الذي صدر من أعلى مرجعية دينية لا يدع مجالاً للمتعبين من النصارى أن يقولوا بقداسة كتابهم. كما يؤكّد الشيخ أنّ القرآن الذي يمثل المرجعية الإسلامية العليا يصرّح أنّ هناك مقياسا واضحا لاختبار مصداقية كلام الله مداره نزاهته من التناقض، وهذا ما لا يتوفر في الإنجيل، فتتأكد فكرة تحريفه وتزييفه. ويصرّح كذلك أنّ المسلمين الذين يربو عددهم على المليار يعدّون القرآن الكريم آخر صور الوحي. كما يصرّح أنّ القرآن يوافق كثيرا من النصوص التي وردت في الإنجيل كونها لم تتعرض للتحريف والتزييف؛ ولذلك فالمسلمون لا ينكرونها، لكنهم ينكرون ما يخالف القرآن الكريم. ومن بين الأمور التي تتفق فيها نحن والنصارى ويصرّح بها المحاجج المسلم هي كون عيسى عليه السلام هو المسيح، لكنّه حسب عقيدتنا ليس إلها وليس الابن الوحيد لله.

ويؤكّد الشيخ في مناظرة ستوكهولم الثانية أنّ القرآن الكريم يصرّح بنفي ألوهية المسيح؛ لكنه لا ينفي نبوته وولادته المعجزة، وهو مرجعية عليا تلزم المسلمين جميعا فيؤمنون بها، ولا ينبغي أن يتهم النصارى المسلمين بأنهم لا يؤمنون بالمسيح، ويفتروا عليهم دون وجه حق. كما يصرّح أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذي هو مرجعية عليا عند المسلمين؛ حيث أمر الله المؤمنين بأن يطيعوه ويتبعوه في ما أمرهم وينتهوا عمّا نهاهم عنه، وقد دعانا إلى أن نصدّق بالمسيح وإنجيله الحقّ الذي أوحى به الله إليه، وليس الإنجيل المحرّف الذي عبث به النصارى. كما يصرّح الشيخ أنّ أعتى علماء النصرانية قد قرّروا حذف النصّ الدال على التثليث، وإزالة العبارة التي تدلّ عليه واستبعادها تماما من كتابهم المقدّس؛ لأنّها محض تحريف وتزييف. كما يصرّح بكون شريعة موسى ميثاقا عادلا يقول إنّ العين بالعين. ثم ينقل جملة من الأفعال التصريحية مبناها على أنّ المسيح كان يعاني جزاء سوء فهم أتباعه لكلامه، ولذلك فقد كان يصحّح لهم اعتقاداتهم الخاطئة في أكثر من موضع، ويوضّح لهم المنهج الصحيح والطريق القويم ويوجههم ويرشدهم، وهو كذلك كان ينادي بالتوحيد

الفصل الخامس: السلاّم الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة في مناظرات أحمد ديدات

كما نادى موسى ومحمد صلوات الله عليهما، لكنّ اليهود حرّفوا مقاصده وحملوها على غير وجهها. وتمثّل زبدة التصريحيات عند المحاجج المسلم إعلانه إسلامه بكلّ وضوح وفخرٍ متّبعا لأوامره ومجتنبا نواهيها، على العكس ممّا يفعله النصارى الذين يلتوون ويتمخّلون ويسلكون طرائق قذّداً.

خلاصة الفصل: نخلص في ختام هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

- مُتعلّق السلاّم الحجاجي حسن التوجيه والقصد، بعدّ الحجاج سيورة للأقوال والأفكار التي يتضمّننها الخطاب المتداول.
- من سماتِ قوّة أيّ خطابٍ حجاجيّ حسنُ الربط بين الأدلّة، والترتيب المنطقي للبراهين المتنوّعة التي يوظّفها المحاجج.
- تميّز المحاجج المسلم بحسن ترتيب حججه التي تنصهر في بوتقة الموضوع الذي يدافع عنه أو يدفعه؛ مما يحوّل إلى تحضيره المسبق للمنهج الذي سيسير في إطاره أمام مناظريه.
- تشكّل المناظرات الخمس المدروسة سلّما حجاجيّاً عامّاً يتناول بالنقض والتكذيب قضيتي ألوهيّة المسيح وقدااسة الإنجيل.
- تتفرّع المناظرات بدورها إلى سلاّم جزئية (من ثلاثة إلى خمسة سلاّم) تخدم الموضوع الذي تسير في دربه كل مناظرة محمّلة بحشد من الأدلة والبراهين.
- استطاعت نظريّة الأفعال الكلاميّة أن تعيد تشكيل العالم من خلال اللّغة، وهي آليّة حجاجيّة بارزة ومهمّة.
- حفلت مناظرات الشيخ أحمد ديدات بحشد وافر من الأفعال الكلاميّة المتنوّعة أكثرها حضوراً هي الإخباريات وأقلّها حضوراً هي الوعديات.
- وظّف المحاجج المسلم الأفعال الكلاميّة بذكاء واقتدار واختار لها السّياق المناسب الذي ساعد على شحنها بقوّة إقناعيّة وخطابيّة أفحمت خصومه وأجمتهم، وأكسبته تأييد وتعاطف الجماهير التي صفقت إعجاباً بذكائه وقدرته الفدّة على المحاججة والجدل.

الفصل السادس : أقسام الحجج في

مناظرات أحمد ديدات

■ الحجج شبه المنطقية

○ الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية

○ الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية

■ الحجج المؤسسة على بنية الواقع

■ الحجج المؤسسة لبنية الواقع

○ الحجج المؤسسة للواقع التي تعتمد على الحالات الخاصة

○ الحجج المؤسسة بواسطة التمثيل

توطئة:

يرى شايم بيرلمان أنّ الحجج لا تخضع لمبدأ الاختيار فقط؛ وإنما تتطلب طريقة معيّنة في تنظيمها وترتيبها، فنجاح المحجاج رهين بخضوعه لنظام ما، فلا يعدّ رصف الحجج إلى جانب بعضها بعض كافيًا لتحقيق الإقناع؛ بل يجب أن تعرض وفق نظام معيّن يضمن لها نجاحها؛ لأنّ المستمع يقع أثناء الكلام تحت تأثير الخطاب، وبانعدام نظام واضح للحجاج قد لا تؤدي حجة بعينها وظيفتها في التأثير على المتلقي وإقناعه.¹

وتقسّم الأشكال الحجاجية التي يمكن اعتبارها مواضع حجاجية أو معاني حجاجية على نوعين طرائق الوصل أو الاتصال وطرائق الفصل أو الانفصال؛ أي إنّ هناك أشكالًا حجاجية اتّصالية وأخرى انفصالية، فالاتصالية تقرّب بين العناصر المتباينة، وتسمح إقامة نوع من التآزر بينها لغاية بلورتها وهيكلتها في بنية واضحة، أو لغاية تقويم أحد العناصر عن طريق الآخر بشكل إيجابي أو سلبي. أمّا الانفصالية فتستخدم لإحداث القطيعة وإفساد اللحمة الموجودة بين العناصر التي تشكّل عادة كلاً لا يتجزأ ولا تنفصم عراه بحكم انصهاره في بوتقة فكرية واحدة، وعن طريق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد، ويلاحظ ذلك في انعدام الانسجام بين العناصر المكونة له.²

والبحث في بنية الحجج من أجل استنباط التقنيات الحجاجية لأيّ خطاب يستلزم النظر في مختلف الآليات التي وظّفها المحجاج لدفع الأباطيل والافتراءات من أجل دفع خصمه إلى حلبة الاستسلام وحمله على الإذعان والتسليم، ومحاولة جعله يتبنّى الأطروحات والمعتقدات التي يبسطها ويقدمها. ومن المسلمّ به أنّ الحجج التي تُوظّف تتفاوت في درجة القوّة والضعف، كما أنّ مجال الحجج يبقى نسبيًا، فقد يبدأ المحتج بمقدمات متفق عليها ولكنّها ليست بالضرورة صادقة لتفضي إلى نتائج ملزمة، فهي أحيانًا لا تتجاوز درجة الممكن والمتوقع.

1- ينظر: حسن محمد مرزوقي، مدخل إلى الحجج، مجلة التربية، البحرين، ع 15، 2005م، ص: 44.

2- ينظر: عبد الله صولة، الحجج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجج الخطابية الجديدة لبييرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 324.

I- الحجج شبه المنطقية:

إنّ تصنيف الحجّة إلى شبه منطقيّة يستدعي الاهتمام ويلفت النظر؛ بل يجعلنا نشعر بالحيرة، فالمفترض أنّ الحجّة يجب أن تكون منطقيّة أو لا منطقيّة، أما هذه المنزلة بين المنزلتين فإنّها «تثير إشكالا محيّرًا تمامًا كأبي منزلة وسطى متأرجحة بين قطبين متناقضين، ولكننا نعلم كذلك أنّ الحجج في جوهره ينبذ قانون الكلّ أو لا شيء، ويرفض الصّرامة في ضبط الحدود والفروق ويجد في المنطقة الوسطى المتشحة بالغموض تربة خصبة»¹.

وتستمدّ الحجج شبه المنطقيّة قوّتها الإقناعيّة من مشابقتها للطرائق الشكلية والمنطقيّة والرياضيّة في عمليّة البرهنة، لكنّها تشبهها فحسب وليست هي نفسها؛ حيث يوجد في الحجج شبه المنطقيّة ما يثير الاعتراض، فوجب من أجل ذلك تدقيقها من خلال بذل جهد غير شكلي لاستدلالها. وعلى الرغم من ذلك تبقى الحجج شبه المنطقيّة معتمدةً على البنى المنطقيّة مثل: التناقض، والتماثل التام أو الجزئي، ومثل قانون التعديّة، كما تعتمد الحجج شبه المنطقيّة العلاقات الرياضيّة، مثل: علاقة الجزء بالكل، وعلاقة الأصغر بالأكبر، وعلاقة التواتر بغيرها.²

1- الحجج شبه المنطقيّة التي تعتمد البنى المنطقيّة:

تتمثّل أنواع الحجج شبه المنطقيّة التي تعتمد على البنى المنطقيّة في التناقض وعدم الاتفاق، والتماثل والحدّ في الحجج، وحجج التعديّة، والحجج القائمة على العلاقات التبادليّة، وتفصيل ذلك كالآتي:

1- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 191.

2- ينظر: عبد الله صولة، الحجج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجج الخطابية الجديدة لبييرمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 325.

1-1- التناقض وعدم الاتفاق:

المقصود بالتناقض أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى؛ أي قضية صحيحة وأخرى خاطئة؛¹ حيث يعتمد المحاجج إلى توظيفهما وهو يريد الصحيحة منهما، وتعدّ غايته ودعامته للوصول إلى دعوى الحجاج، فيقف المتلقي أمام أمرين متناقضين، ليسعى استنادا إلى المنطق لتقبل الصحيح منهما ورفض الخاطئ، وهو عين ما يهدف إليه المتكلم.²

والفرق بين التناقض والتعارض أنّ الأول يحدث في علاقة الملفوظات بالمقام، فمثلا يعدّ من باب التعارض موقف من يحجّر قتل الكائن الحي، ويدعو بالرغم من ذلك إلى معالجة المرض الذي يشكو التهابا. فالأطروحتان متناقضتان؛ حيث ينبغي التساؤل هنا عن موقفه من استخدام البنسيلين الذي يقضي على الجراثيم التي تعدّ كائنات حيّة.³

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ نسخة الملك جيمس اصطلح على وصفها بأعظم الآثار الأدبية في النشر الإنجليزي... ورغم كلّ ذلك فإنّ في نسخة الملك جيمس عيوباً خطيرة»⁴. يتفتّق التناقض في هذا القول من خلال استخدام الشيخ أحمد لحجّتين تسييران في اتجاهين مختلفين؛ فمدار القضية الأولى قدسيّة إنجيل الملك جيمس الذي يتعبّد به المحاجج المسيحي، ويقسم عليه، ويعدّه كلمة الله، ولا يؤمن بغيره من الأناجيل الأخرى؛ لأنّه تمّ تنقيحه وتصحيحه، وإسقاط كثير من النصوص التي تمّ الحكم عليها بأنّها خاطئة ولا تدخل في إطار "كلمة الله"؛ مما جعله الإنجيل المفضّل والمرغوب الذي نال ما نال من التقريظ والمدح والثناء من طرف جهابذة المسيحيّة وقساوستها. وفي الجانب المقابل تترجّح قداسة إنجيل الملك جيمس حين يؤكّد المحاجج المسلم على قضية أنّ العلماء أنفسهم الذين كالوا سيول المديح له

1- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م، ص: 42.

2- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 182.

3- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص: 43.

4- المناظرة الكبرى، ص: 99-100.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

حذروا من حجم الهفوات الكبيرة والأخطاء الفادحة والعيوب المزرية التي يعجّ بها هذا الإنجيل؛ مما يجعل مسألة التسليم بمصدره الإلهي مشكوكا فيها، وبالتالي فهو يتكدّس مع غيره من الأناجيل الأخرى التي لا يعترف المسلمون بقدسيّتها، ويؤمنون بتحريفها وتزييفها. ومن خلال بسط المحاجج المسلم لهاتين القضيتين المتناقضتين يؤكّد على صحّة القضية الثانية التي تبطل القضية الأولى وتردّها وتنفي صدقها ومقبوليتها.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «شخص وشخص وشخص، ولكنهم ليسوا ثلاثة أشخاص؛ بل هم شخص واحد... قولوا لي ما إذا كانت هذه لغة إنجليزية؟ إنها تبدو كما لو كانت لغة إنجليزية ولكنها ليست كذلك! إنّ اللغة الإنجليزية دقيقة في تعبيرها عن المعاني»¹. تتجلى حجّة التناقض وعدم الاتّفاق في هذا القول من خلال استخدام المحاجج المسلم لقضيتين متناقضتين، فهو تارة يحكم على العبارة التي وردت في تقرير المؤتمر العالمي بأنّها باللّغة الإنجليزية، ثم ينفي أن تكون باللّغة الإنجليزية، ذلك أنّه يريد أن يضع المتلقي المسيحي في موقف محرج ومربك، فإمّا أن يسلم أنّ العبارة لا تمتّ باللّغة الإنجليزية بصلّة؛ لأنّها غامضة ومبهمّة ومعقّدة، بل تافهة ومضحكة، وإمّا أن يعتبرها مكتوبة بغير اللغة الإنجليزية؛ لأنّ الإنجليزية دقيقة في التعبير عن المعاني. والشيخ أحمد ديدات يريد طبعاً من المتلقي المسيحي أن يتبّع الأطروحة الأولى (كون العبارة باللّغة الإنجليزية، لكنها مبهمّة وغامضة، بل تالفة ومرذولة).

ووردت في المناظرة نفسها حجّة تناقض في قول المحاجج المسلم: «ألا تقولون إنّ الإله خالد لا يموت ثم تقولون أنه يموت؟ فماذا يحدث لمخلوقاته؟ وإذا كان مات ودفن في أحد المدافن لمدة ثلاثة أيام... فمن ذا الذي كان يُعنى بالعالم طوال تلك الأيام الثلاثة وتلك الليالي»². ييسط الشيخ أحمد من خلال هذا القول حجّتين متناقضتين، أولاهما: تصريح المسيحيين بأنّ الإله خالد لا

1- مناظرة العصر، ص: 63.

2- المرجع نفسه، ص: 69.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

يموت، ثم حديثهم عن إله يموت هو المسيح عليه السلام، وعليه فهو يضعهم في موقف يتجادبهم فيه أتجاهان متشاكسان تماما، فهم إن قالوا بأنّ الإله لا يموت، فلن يكون المسيح إلهًا؛ لأنّه صُلب ومات حسب معتقداتهم، وإن قالوا بأنّ الإله يموت نقضوا ما ورد في كثير من نصوص الإنجيل التي تقرّ بأنّ الإله لا يموت. والمهاجج المسلم يريد من الجمهور المسيحي أن يتبنى الأطروحة الأولى (الإله لا يموت) حتى ينجح في تغيير قناعاتهم ووجهة نظرهم؛ حيث سيعني ذلك أنّ المسيح ليس إلهًا، بل بشرا رسولا ونبيا مختارا.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المهاجج المسلم: «إنّ مريم المجدليّة كانت قد ذهبت إلى القبر الذي كان المسيح قد دفن فيه فجر يوم الأحد... يقول كتابكم المقدس: لكي يقمن بوضع الحنوط على جسده الميت... إنّ الجسد يبدأ في التحلل في اليوم الثالث للوفاة ولا يجدي حنوط»¹. وأساس حجّة التناقض وعدم الاتّفاق هنا النصّ الذي ورد في إنجيل القديس يوحنا؛ حيث أكّد فيه أنّ مريم المجدلية ورفيقاتها ذهبن إلى القبر يوم الأحد- أي بعد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ حسب التصوّر المسيحي بعد عملية الدفن- لوضع الحنوط على جسد المسيح، ولكن الواقع يثبت أنّ الجسد بعد ثلاثة أيام يبدأ في التحلل والتعفن، ولا يجدي فيه حنوط، فالشيخ أحمد يضع المسيحيين أمام قضيتين متناقضتين، إحداهما صحيحة وهي أنّ مريم ورفيقاتها لم يذهبن إلى القبر لوضع الحنوط؛ بل من أجل مساعدة الرجل الذي لم يمّت وما يزال حيا، والقضيّة الخاطئة هي أنّ يوحنا يكذب ويكتب من عند نفسه، فالمسيحيون إن سلّموا بصدق رواية يوحنا ناقضوا واقع الحال الذي يؤكّد على أنّ الحنوط لا يوضع بعد ثلاثة أيام، بل يوضع مع الميت وقت دفنه، وهم إن حكموا بتهافت رواية يوحنا حكموا على الإنجيل كلّه بالضعف والتناقض، وصاروا في موقف مخرج.

1- أخطر المناظرات، ص: 57.

1-2- التماثل والحدّ في الحجج:

يعبّر التعريف أو الحدّ عن علاقة تماثليّة بين العنصر المعرّف والعنصر المعرّف، إلّا أنّ التعريف الحجاجي شبه المنطقي يعكس علاقة غير متماثلة بينهما،¹ أيّ إنّ صيغة التماثل تعدّ علاقة شكليّة تقوم على التعريف بالفكرة وضبط حدّها عن طريق الكلمات التي تتفق وتتشابه لفظاً وتتوّع دلالة، وتتوخّى لتقويم شيء ما تقويماً إيجابياً أو سلبياً، كأن يقول أحدنا "المال هو المال" مقدّماً بذلك تعريفاً يفتقر إلى الصرامة المنطقيّة وإلى وضوح طرفيه، فقد يتوّع مفهوم المال بحسب مستويات المتلقّين، فقد نفهم المال بأنّه السّعادة والرخاء، أو الفتنة والبلاء.² فصيغة التماثل هي من قبيل تحصيل حاصل، وبعض هذه الصيغ القائمة على التماثل انتهت إلى أن تكون حكماً أو مسلّمات لا يمكن أن تكون لها دلالتها الحجاجيّة إلّا في مقام بعينه، فهذا المقام هو الذي يعطي لهذه العبارات دلالتها المخصوصة.³

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «وأين هو العقل الذي يتصوّر أنّ هذه التصورات الثلاثة إنّما هي تصور واحد؟ إنّ الثلاثة تظلّ إلى الأبد ثلاثة»⁴. تظهر حجّة التماثل في قول المحاجج المسلم: "إنّ الثلاثة تبقى ثلاثة"، وقد أعطى الموضوع الذي وظّف فيه الشيخ أحمد ديدات هذا النصّ قوّة حجاجيّة؛ حيث إنّّه في خضمّ مناقشة مسألة التثليث يُعرّض بالسخرافة التي تضمّنها التقرير الصادر عن المؤتمر العالمي للكنايس، فقد توصل إلى نتيجة عجيبة مفادها أنّ "الآب شخص، والابن شخص، والروح القدس شخص، لكنّهم ليسوا ثلاثة أشخاص، بل هم شخص واحد"، فيستخدم المناظر المسلم حجّة الحدّ والتماثل لإثبات أن الثلاثة تبقى ثلاثة؛ لأنّ هذا منطوق رياضي لا يمكن العبث به، والثلاثة الأولى هي العدد المعروف

1- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، ص: 273.

2- ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيتة وأسالبيه، ص: 200.

3- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 45.

4- مناظرة العصر، ص: 63.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

والثلاثة الثانية هي "الآب والروح والابن"؛ أي الأقانيم التي يزعم النصارى أنّ كلّ واحد منهم يعدّ شخصا، لكنهم ليسوا ثلاثة أشخاص، بل هم شخص واحد.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «والإنسان هو الإنسان في كلّ زمان ومكان»¹؛ حيث يؤكّد أحمد ديدات أنّ الإنسان يبقى إنسانا بصفاته الإنسانية المعروفة، فهو يجوع ويعطش، ويمرض، ويفرح، ويجزن، ويموت، وتجري عليه القوانين التي تجري على جميع البشر، ولا يمكن أن يكون الإنسان غير الإنسان، فمهما ادّعى الربويّة مثل فرعون وكسرى، أو تمّ عدّه إلهًا مثل ما يفعل المسيحيون في جعلهم عيسى عليه السلام إلهًا، فإنّ صفة البشرية لن تنسحب عنه؛ لأن مقتضيات الربويّة والألوهيّة لا تتوفر فيه.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «هذا هو الخلاص، الخلاص في الإيمان بالله وطاعته، ولو أطعتم الله بحقّ واتبعتم كلامه الذي تضمنته رسالات رسله لما كان لكم سبيل آخر سوى أن تصبحوا مسلمين»²؛ حيث يؤكّد الشيخ أحمد ديدات أنّ الإنسان يبحث عن الخلاص، والخلاص يعني الانعتاق عن طريق عبادة الله، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، واتباع كلامه الذي جاءت به رسله.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «ويوجد في التوراة سفر هو سفر يونان، وهو سفر قصير يقع في صفحة أحيانا، ويقع في صفحة ونصف في أحيان أخرى»³. والشيخ أحمد ديدات يستخدم حجّة التماثل في سياق معيّن وخاص، يريد به تخصيص هذا السفر وتوضيحه، والأمر هنا يتعلّق بسفر النبيّ "يونا" الذي يعدّ أقصر أسفار العهد القديم.

1- المرجع السابق، ص: 67.

2- المصدر نفسه، ص: 78.

3- أخطر المناظرات، ص: 51.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة ستوكهولم الأولى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ النص العربي للقرآن هو القرآن»¹. ونلاحظ هنا أنّ الشيخ أحمد ديدات يريد أو يوضّح للسائل مسألة كون القرآن الكريم محفوظاً بنصّه الأصلي الذي تلقّاه النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام دون تغيير أو تبديل؛ أي إنّه بقي على حاله، فالنصّ العربي الموجود بين أيدي المسلمين اليوم هو نصّ صحيح لم يتمّ تحريفه أو تزيفه أو العبث به، فالقرآن هو القرآن، أمّا في حالة الترجمة، فالمترجمون يختلفون في ترجماتهم، وليس في ذلك حرج؛ نظراً لاختلاف اللغات وصعوبة إيجاد مقابل حرفي لكل لفظ، لكن يتمّ ذلك دون الإخلال بالمعنى ودون تحريف الدلالة.

3-1- الحجّة القائمة على العلاقة التبادليّة:

تقوم هذه الحجج على مبدأ العدالة بين الأفراد والعناصر؛ حيث إنّ ما ينطبق على الأول ينطبق على الآخر، وهدف الحجج القائمة على العلاقة التبادليّة يتمثّل «في محاولة الموازنة بين الحجج العكسيّة، ويمثّل بيرلمان لهذا بمقولة: ضع نفسك مكاني»²، وتقتضي قاعدة العدل أن تكون معاملة الكائنات والوضعيات الداخلة في مقولة واحدة متماثلة ومتساوية.³ وعلى الرغم من أنّ علاقة التبادل تبدو منطقيّة خالصة، إلا أنّ الحجج التي تندرج تحتها تظلّ شبه منطقيّة؛ لأنّها «إسناد للحكم ذاته إلى أمرين ندعي أنّهما متماثلان، والحال أننا لو أخضعناهما إلى الدراسة الدقيقة لانتبهنا إلى فروق عديدة»⁴.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لا توجد جمل واحدة يمكن أن نجد بها عيسى عليه السلام يقول: أنا إله أو اعبدوني»⁵. وتجلّى حجة

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 92.

2-محمد سالم الأمين الطلبة، المحاجج في البلاغة المعاصرة، ص: 129.

3-ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 45.

4-سامية الدريدي، المحاجج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، ص: 200.

5-مناظرة العصر، ص: 60-61.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

التبادل انطلاقاً من السياق في قول المحاجج المسلم " لا توجد جملة واحدة"؛ حيث يطالب محاججه المسيحي والجمهور الحاضر بتطبيق قاعدة العدل، ووضع أنفسهم مكانه، فهو طوال أربعين سنة من البحث والتنقيب الجاد في مختلف الأناجيل لم يقع على جملة واحدة يقول فيها المسيح لأتباعه "أنا إله" أو "اعبدوني"، فمحاولة المسيحيين إقناعه بأن المسيح إله لا تجدي معه ولا يمكنه أن يتقبل هذه الفكرة ولا أن يستسيغها؛ لأنّ الدلائل والبراهين جميعها تقف ضدها وترميها بعيداً في مدارك الرفض والنقض. فالمسيحي الذي يجهل كثيراً من تعاليم دينه ويجزم بصدق ما يجزعه له قساوسته وعلمائه، لو أوقف نفسه موقف المسلم وأعمل عقله، لما استطاع أن يتقبّل كثيراً من مبادئ دينه.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «ولا يعقل أن نقبل مزاعم الإخوة المسيحيين بهذا الصدد لتناقض مزاعمهم مع نصوص كتابهم المقدّس... ويحق لنا نحن المسلمين أن نتمسك بما يقوله القرآن الكريم لنا في هذا الصدد؛ حيث إنّه واضح ومحدّد ودقيق»¹. وتتجلى حجّة التبادل هنا في استبعاد الشيخ أحمد ديدات فكرة قبول المسلمين التصور المسيحي حول مسألة صلب المسيح؛ نظراً للتناقض الكبير الذي تعجّ به الأناجيل، فهو يدعوهم إلى أن يضعوا أنفسهم مكان المسلمين، ويقفوا وقفة حق من هذه القضية، ويُعملوا عقولهم ويلتزموا بحبوة التحقيق والحقيقة، فالمسيحيون أنفسهم لا يؤمنون بالإسلام، ولا يؤمنون بالقرآن العظيم، ولا يؤمنون بنبوّة محمد صلوات ربي وسلامه عليه، دون أن يملكوا دليلاً واحداً، ولا برهاناً بيننا يجعلهم يديرون ظهورهم لذلك، وكلّ ما يحركهم ويقودهم هو مآربهم التي يرومون تحقيقها، بينما يجد المسلم تناقضات لا تنتهي في الإنجيل بعهديه القديم والحديث، فلا يرفض المسيحية برمّتها، ولكنّه يرفض الإنجيل الحالي الذي عبثت به أيدي البشر، ويرفض العقائد الشركية التي تجعل الله ثالث ثلاثة، فتغور في وحول الوثنية.

1- أخطر المناظرات، ص: 59.

2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية:

تعتمد هذه الحجج في واقع الأمر على قواعد رياضية تشكل خلفيتها العميقة ونسيجها الداخلي؛ بل تؤسس طاقتها الحجاجية وتعّد معيها وبؤرتها الإقناعية، وهي عديدة أهمها على الإطلاق حجة التعدية.

2-1- حجة التعدية:

تتخذ حجة التعدية شكلا رياضيا يقوم على أطراف متعدّدة وعلاقة ما تجمع بين هذه الأطراف؛ حيث يتم الانتقال من طرف إلى آخر اعتمادا على مبدأ الاستنتاج والقياس، ويتجسّد غالبا في شكل مقدّمة كبرى تليها مقدّمة صغرى تؤدّيان إلى نتيجة نهائية؛¹ إذ تسمح لنا بالمرور بين أ و ب وبين ب و ج بحكم العلاقة التي توجد بين أ و ب وبين ب و ج؛ حيث يصبح ب وسيطا بين أ و ج اللذين لا تربطهما علاقة مباشرة ظاهرة.² وتقدّم أغلب الدراسات المتّصلة بالحجاج المثال التوضيحيّ نفسه من أجل التمثيل لهذه الحجة وهو القول: بأنّ عدوّ صديقي عدوّي.³ وتهدف الآلية الاستنتاجية في حجة التعدية إلى إشراك ذهن المتلقّي للوصول إلى النتيجة الحجاجية المرجوة، انطلاقا من تسليمه بصحّة المقدمتين الكبرى والصغرى.⁴ «ومن ضروب العلاقات التي تقوم على خاصية التعدية هي علاقات التساوي والتفوّق والتضمّن».⁵

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «المعجزة إذن ليست الدليل... المسيح الدجال يستطيع تحقيق ذلك... لكن المعجزة الكبرى أن تتحول

1- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفّع، ص: 191.

2- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص: 46.

3- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 204.

4- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفّع، ص: 191.

5- عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج الخطابة الجديدة لبييرمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم نظريات

الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 329.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

الأمم وتتبدّل أحوالها من دون المعجزات، إن ألف مليون من البشر لا يتعاطون الخمر بفضل محمد¹. وتتجلّى حجّة التعديّة في العلاقة الجدليّة بين المعجزات وبين العظمة والقدرة على تغيير المجتمعات وتهديب سلوكها؛ فالمعجزات التي جاء بها المسيح عليه السّلام ويطبّل لها جيمي سواجارت ليس لها أثر فاعل في المجتمع المسيحي الذي غرق قديما وحديثا في بحر من الآفات الاجتماعيّة، في حين إنّ النبيّ محمّدا صلوات الله عليه وسلامه الذي يعيّره النصارى بعدم الإتيان بمعجزات استطاع أن يغيّر مجتمعا كاملا وينشر أخلاقه السمحة في جميع أنحاء العالم دون الحاجة لمعجزات. ويمكن أن نسوق هذه الحجّة على شكل المعادلة الآتية:

على الرغم من معجزات عيسى فالمجتمع المسيحي
يغرق في الآفات الاجتماعيّة
استطاع النبيّ محمّد أن تهديب المجتمع وتقويمه دون
الحاجة إلى معجزات

المعجزات وحدها ليست الدليل على
العظمة، ولا تغيّر أحوال المجتمع.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «الكتب لم تحفظ، وأنت بسؤالك تلحّ على السؤال نفسه...الكتب لم تحفظ، ولو كانت قد حفظت لكانت أهلا للاعتراف بها»². وتتجلّى حجّة التعديّة في كون الشرط الرئيس في الاعتراف بقداسة الكتب هو حفظها، فالقرآن الكريم حفظه الله عزّ وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³، كما أنّ المسلمين اعتنوا بقراءته وتلاوته، ولم يضيفوا أو ينقصوا شيئا، أما التوراة والإنجيل فلم يحفظا، وعبث بهما اليهود والنصارى، وحرفوهما كما شاؤوا وبما يتفق وأهواءهم وأغراضهم. ويمكن أن نسوق هذه الحجّة على شكل المعادلة الآتية:

1-المناظرة الكبرى، ص: 126.

2-المرجع نفسه، ص: 132.

3-سورة الحجر/ 9.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

الحفظ هو معيار الاعتراف بالكتب
الإنجيل والتوراة غير جديرين بالاعتراف
الإنجيل والتوراة لم يتم حفظهما

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لقد كان تعبير ابن الله مألوفاً في لغة اليهود الذين ظهر المسيح بينهم وتكلم لغتهم»¹. وتجلّى حجة التعديّة في العلاقة التي تربط بين اليهود والمسيح؛ حيث إنّ عيسى عليه السلام كان يهودياً، فهو واحد منهم نشأ في بيئتهم وترى على تعاليمهم، وبالتأكيد ورث كثيراً من صفاتهم وتصرفاتهم التي أصبحت شيئاً راسخاً في كيانه وشخصيته. ومن الأمور التي شاعت عندهم في ذلك الوقت تعبير "ابن الله"، ومن هذا المنطلق فإنّ المسيح عليه السلام حين تحدّث عن أبيه الذي في السماء كان يتكلم وفق المفهوم الشائع عندهم (الأبوة المعنوية وليست الأبوة البيولوجية). ويمكن أن نسوق هذه الحجّة على شكل المعادلة الآتية:

تعبير ابن الله شائع عند اليهود الذين بمعناه المجازي
المسيح يقصد المعنى المجازي للأبوة
المسيح نشأ في المجتمع اليهودي وقال بأنّه الله أبوه

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «لقد كان عيسى يأكل الطعام، وكانت أمّه تأكل الطعام»². والمعروف عندنا أنّ أكل الطعام خاص بالبشر؛ لأنّ الآلهة لا تأكل الطعام ولا تمشي في الأسواق؛ حيث يترتب عن أكل الطعام امتلاء المعدة، ثم حصول الرغبة في التغوّط بعد مدّة من الزمن. ويمكن أن نسوق هذه الحجّة على شكل المعادلة الآتية:

1-مناظرة العصر، ص: 64.

2-المرجع نفسه، ص: 75.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

البشر هم من يأكلون الطعام
المسيح وأمه ليسا إلهين
المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام

كما وردت حجة تعديية في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «القرآن الكريم إذن يطالب الإنسان المسلم أن يطلب من المدّعين أيّ دعوى أن يجيئوا ببرهانهم على صحتها»¹. والقرآن الكريم واضح الدلالة ويبيّن النهج، فهو كلام الله العادل المنصف الذي حرّم البغي والظلم على نفسه، ودعا العباد إلا أن لا يتظالموا، ويؤكد الشيخ أحمد أنّ القرآن يوجّه المسلمين دائما إلى أن يطالبوا أيّ مدّعٍ بتقديم الدليل والبرهان على صحة دعواه. ويمكن أن نسوق هذه الحجّة على شكل المعادلة الآتية:

القرآن الكريم يطالب بتقديم الدليل
المحاجج المسلم يطالب المسيحيين بتقديم الدليل
أحمد ديدات رجل مسلم يقرأ القرآن

كما وردت في المناظرة نفسها حجة تعديية في قول المحاجج المسلم: «إنّ الميت هو من توقف قلبه وجميع أعضائه جسمه عن سائر العمليات الحيوية توقفا لا رجعه فيه»². فمقتضيات الموت واضحة بيّنة أساسها توقّف الأعضاء عن وظائفها، وانقطاع الأنفاس انقطاعا لا رجعة فيه، أما الشّخص الذي يُغمى عليه، أو تتوقّف أعضاؤه لوقت معيّن ثم تعود إلى ممارسة وظائفها الحيويّة فلا يسمّى ميتا، بل هو حيٌّ يرزق. ويمكن أن نسوق هذه الحجّة على شكل المعادلة الآتية:

1- أخطر المناظرات، ص: 44.

2- المرجع نفسه، ص: 49.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

الميت تتوقف أعضائه بشكل نهائي
عيسى لم يميت، أغمي عليه ثم عاد إلى الحياة
عيسى دُفن ثم قام من الموت

كما وردت في المناظرة نفسها حجة تعديّة في قول المحاجج المسلم: «لقد كان لدى الرومان مراسم وخطوات وأدوات لتنفيذ أحكام الصلب»¹. فالرومان هم من صلبوا المسيح تحت مرأى اليهود؛ حيث إنّ زعماءهم اعتقلوه بعد أن وشى به "يهودا الإسخریوطي"، وكالوا له الشتائم والتهم، ثمّ ذهبوا به إلى "بيلاطس البنطي" الذي رفض أن يصلبه في البداية، لكنه رضخ بعد ذلك لمطالبهم حين شعر أنّهم يخطّطون لإشعال فتيل ثورة وتمرد شامل يطيح بملكه. ويمكن أن نسوق هذه الحجّة على شكل المعادلة الآتية:

الرومان لديهم خطوات وأدوات في الصلب
تم تطبيق مراسم الصلب على المسيح
المسيح صلبه الرومان في جلثوثة

2-2- تقسيم الكلّ إلى أجزائه:

إنّ تصوّر الكلّ على أنّه مجمل أجزائه تُبنى عليه جملة من الحجج يمكن أن نطلق عليها اسم حجج التقسيم أو التوزيع، مثل قولنا: الكلام اسم، وفعل، وحرف،² ويفيد توظيف هذا النوع من الحجج شبه المنطقيّة تسليمنا سلفاً بأنّ الكلّ موجود فنقوّي حضوره؛³ حيث يذكر المرسل حجّته كلياً في أوّل الأمر، ثم يعود إلى تعداد أجزائها إن كانت لها أجزاء، وذلك من أجل المحافظة على

1- المرجع السابق، ص: 54.

2- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 48.

3- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجج في الخطاب الأدبيّ عند المعتزلة، ص: 276.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

قوتها الحجاجية، فكلّ جزء منها بمثابة دليل على دعواه،¹ ويتسّى للمحاجج من خلال توظيف الأجزاء تحميلها الشحنة الإقناعية التي كانت لها مجتمعة، وعلى المتكلم عند استخدامه لهذا النوع من الحجج الحرص على أن يكون تعداده للأجزاء شاملاً.²

وتتمثّل الغاية الأساسية من توظيف هذه الحجج حسب "بيرلمان" البرهنة على وجود المجموع، ومن ثمّ تقوية الحضور؛ أي إشعار الآخرين بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه³، «فعلى سبيل المثال برهنتنا على أنّ مدينة بحالها قد هُدّمت لشخص ما ينفي هدمها يكون بتعداد الأحياء المتضرّرة تعداد شاملاً، لكن تعدادنا الشامل هذا لا يكون لغاية البرهنة على صحة تضرّر المدينة إذا كان المخاطب لا ينكر خبر الضرر؛ وإنما يكون حسب بيرلمان لغاية حجاجية أخرى هي إبراز حضور الأشياء».⁴

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة ستوكهولم الثانية؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «نحن المسلمون نؤمن بالمسيح كرسول من رسل الله العظام أولي العزم... ولد بطريقة إعجازية من أمّه العذراء مريم... هو المسيح الذي يطلق عليه لقب "كرايست" في اللغات اللاتينية الحديثة، ونحن نؤمن أنّه كان يشفي المرضى... وأحيا ميتا بإذن الله وبقدرة الله التي منحها إياه»⁵. وبؤرة حجة التقسيم في هذا النصّ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي يمثّل كلاً تمّ تقسيمه إلى أجزاء؛ حيث يعدّد الشيخ أحمد ديدات الجوانب التي يؤمن بها المسلمون في شخصية هذا الرسول الكريم العظيم، وهي: "رسول من أولي العزم، مولود بطريقة إعجازية، هو الملقب بكرايست، كان يشفي المرضى بإذن الله، كان يحيي الموتى بإذن الله"، ويعدّد هذا التقسيم كافياً شافياً أحاط بكلّ علامات

1- ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 494.

2- ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجج في البلاغة المعاصرة، ص: 129.

3- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 48.

4- عبد الله صولة، الحجج: أطرها ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجج الخطابية الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب أهم نظريات

الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 331.

5- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 133.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

شخصية المسيح التي تميّز واختص بها، وكلّها كانت حاضرة ومتجسّدة فيه يؤمن بها النصارى والمسلمون على السواء باستثناء الخاصية الأولى التي ينفها النصارى؛ حيث لا يعدّون المسيح رسولا بل يعتبرونه ابنا لله وشريكا له في سلطانه وملكه، لكن الدلائل على هذا الزعم باطلة ومتهافنة؛ مما يجعل حجة الشيخ أحمد ديدات أقوى وأحزم وأكثر تقبّلا. ويبدو أنّ المحاجج المسلم يهدف من خلال استخدام حجة التقسيم في هذا المقام تحقيق أمرين، أولهما: دحض الفرية التي تقول إنّ المسلمين لا يؤمنون بالنبيّ عيسى عليه السلام، والثانية إيجاد نوع من التقارب المبدئي من الديانتين الكبيرتين النصرانية والإسلامية من خلال التركيز على نقاط الاتفاق والتلاقي، ثم محاولة نقض نقاط الاختلاف وإثبات صحّة اعتقاد المسلمين، وبطلان معتقدات النصارى وزيف مزاعمهم.

كما وردت حجة تقسيم أخرى في المناظرة نفسها في قول المحاجج المسلم: «وهم يعتقدون أنّ الله هو الآب والابن والروح والقدس، وهم يعتقدون أنّ الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله»¹. والشيخ أحمد ديدات ينجح هنا للتقسيم من أجل تقريب الفكرة وتوضيح طبيعة تصوّر المسيحي للإله؛ لأنّ كثيرا من الحضور هم مسلمون لا يعرفون أسس التدين المسيحي، ولا يحيطون بمداركة، كما أنّ هناك أشخاصا من غير المسلمين والمسيحيين (ملحدين، ومن ديانات أخرى).

وفي السياق ذاته وردت حجة تقسيم في قول المحاجج المسلم: «للآب صورة ذهنية وللابن صورة ذهنية، وللروح القدس تصوّر ذهني، وعندما تقولون باسم الآب، يكون لديكم تصوّر ذهني معيّن للآب، وأنتم تتصورونه شيخًا أبيض اللحية في أعياد الميلاد، وعندما تقولون باسم الابن يكون عندكم تصوّر ذهني معيّن للابن، وأنتم ترسمونه في لوحاتكم شابا وسيما، هو في نظركم ملك الملوك عيناه لونهما أزرق، شعره لونه أصفر، إسكندنافي المظهر، له أنف متميّز كأنف اليهود»².

1- المرجع السابق، ص: 163.

2- المرجع نفسه، ص: 163-164.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ونلاحظ أنّ المحاجج المسلم في إطار محاولته نسف فكرة التثليث، يستند إلى ربط الملفوظ بالدلالة، فيستحضر التصوّرين الذهنيين، لكلّ من الآب والابن، ونجده يفصّل في تقسيم الصّفات الخلقية للمسيح بحكم أنّ موضوع المناظرة يدور حوله، حتى يعطي صورة واضحة عن العبث الذي يقوم به النصارى؛ حيث اختلقوا له صورة من عند أنفسهم دون دليل ولا برهان.

وورد في مناظرة العصر قول المحاجج المسلم: «لقد كان المسيح يتحدّث عن حواريه الاثني عشر، وكان بينهم بطبيعة الحال "يهودا" الخائن، و"توما" الشكّاك، و"بطرس" إلى جانب التسعة الآخرين»¹. والشّيخ هنا يذكر الحوارين ويركّز على أربعة أقسام: الخائن (يهودا)، والشكّاك (توما)، والصالح (بطرس)، ثم باقي الحوارين، حتّى يوضّح فكرته، ويقرب المعنى الذي يريده، فلم يكن كلّ الحوارين حسب الإنجيل صالحين، فيهودا مثلاً خان يسوع، وتوما شكّ فيه وتركه، كما أنّ الملاحظ عليهم أنّهم جميعاً اشتركوا في شيء واحد، وهو عدم فهم أغلب أقوال المسيح.

ومن نماذج هذه الحجج أيضاً ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «هذا هو تصوّر المسيحي لشأن المسيح الذي يزعمون أنّه إله، وأنه صلب ومات على الصليب ليفدي خطايا البشر والخطيئة الأصلية بدمه، وأنه دُفن وبقي ميتاً في قلب القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال، وقام من بين الموتى ورفع حيّاً إلى السماء بعد أربعين يوماً من صلبه ليجلس على يمين العظمة ويحاسب النّاس»². إنّ بؤرة حجّة التقسيم هنا هي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي يمثّل كلّاً تمّ تقسيمه إلى أجزاء؛ حيث يعدّد المحاجج المسلم الجوانب التي يؤمن بها المسيحيون في شخصيته، وهي: "أنّه إله، صُلب ومات على الصليب ليفدي خطايا البشر والخطيئة الأصلية بدمه، دفن ميتاً في قلب القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم قام من بين الأموات، رفع إلى السماء بعد أربعين يوماً من صلبه ليجلس على يمين العظمة ويحاسب النّاس"، والمسلمون يعتبرون هذا التصور كفراً وشركاً؛ لأنّه يناقض تصوّر القرآني، ويعارض مقتضيات الألوهية والربوبية؛ لأن الله لم يلد ولم

1-مناظرة العصر، ص: 99.

2-أخطر المناظرات، ص: 56.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

يولد، ولم يتزوج، وليس له شريك في ملكه وسلطانه، فهو المتفرد العظيم. والشيخ أحمد ديدات يحاول أن يبيّن أنّ التصور المسيحي الذي يؤله عيسى ويسحب عليه كلّ الصفات السابقة مذهب مغلوّط وزائف، وكلّ جزئية مرتبطة بتصوّر الألوهية سخيّف ومردود، فلا يثبتها شيء ولا يقوم بها برهان.

كامل وردت حجّة تقسيم في المناظرة نفسها في قول المحاجج المسلم: «عندما يقول لك شخص: أنا حيّ، أنا لم أمت، أنا لست روحا، أنا لست شبعا، وتقول له: برهن على أنّك لست روحا ولست شبعا، ويقول لك: أنا بجسمي لحم وعظم يكون هذا دليلا كافيا على أنّه لم يمّت وعلى أنّه حيّ»¹. ومدار التقسيم هنا هو الشخص الحيّ الذي تتوفّر فيه صفات الأحياء، فعندما يقول شخص ما أنّه حيّ يرزق، وأنّه لم يمّت، وأنه ليس روحا، وأنه ليس شبعا، فإنّه بتقسيمه هذا يبيّن لنا حضور الأشياء والظواهر التي تدلّ على حياته، وعلى أنّ الأنفاس ما تزال تخرج منه وتدخل إلى رئتيه، ولا يكن أن نقول له أنّه ميت، ومن الغباء الواضح أن نقول له أنّك تتنفس، ولست شبعا، ولست روحا لكنك ميت.

كما وردت حجّة تقسيم في المناظرة نفسها؛ حيث يقول أحمد ديدات: «إنّ كلمة "Raised" قام استخدمت في الأناجيل الأربعة: إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. ولم يستخدم تعبير "بعث من الموت" "Resurrected" ولا مرّة في الأناجيل الأربعة»². ونلاحظ هنا أنّ المناظر المسلم استخدم حجّة تقسيم حتى يثبت فكرته ويجليها، فلم يكتب بذكر الأناجيل الأربعة فقط؛ بل جزأها وسمّاها "متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا" حتى لا يبقى عند المخاطب أيّ شكّ ولا ريب في أنّ تلك الكلمة لم يتمّ توظيفها مطلقا، وبإمكان المخاطبين أن يتأكّدوا من صحّة كلامه بأنفسهم، والتنقيب عنها في الأناجيل المذكورة.

1- المرجع السابق، ص: 48.

2- المرجع نفسه، ص: 67.

2-3- إدماج الجزء في الكلّ أو حجّة الاشتمال:

يكون الحجج في هذه الحالة قائما على النموذج التالي: "ما ينطبق على الكلّ ينطبق على الجزء"¹ لأنّ الجزء يعدّ قيمة مناسبة داخل الكلّ؛ فالحكم الذي يطلق على هذا الكلّ يمكن سحبه ليطلق على الجزء.² وأفضل تمثيل لهذا النوع من الحجج القاعدة المشهورة عند الفقهاء في تحريم الخمر: "ما أسكر كثيره فقليله حرام".³ فعلة التحريم هي الإسكار، والسؤال الذي يبسط نفسه هنا: هل تناول قليل من الخمر غير المسكر حرام؟ وهل مدار التحريم في علة الإسكار أم المواضع الكميّة؟⁴ ومن الواضح أنّ هذا النوع من الحجج يبني على رؤية كميّة، فالكل يتضمّن الجزء، ومن ثمّ فهو أهمّ من الجزء بكثير، ولذلك تعدّ قيمة الجزء مناسبة لما تمثّله بالنسبة إلى الكلّ.⁵ وغاية هذا النوع من الحجج توجيه المتلقّي واستدراجه نحو المقصود من نتائج الحجج، فاعتقاد المتلقّي بالحكم الموجّه إلى الكل لا يمنعه من الإيمان بأنّ الجزء منه، وعليه تصبح حجّة الاشتمال أقرب إلى منطق الإقناع والتأثير في المتلقّي.⁶

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «يخبرنا كلّ واحد من هذه الأناجيل أنّ المسيح ركب الحمار في القدس»⁷. ومدار حجّة الاشتمال هنا اتّفاق كلّ الأناجيل على مسألة أنّ المسيح عيسى عليه السلام ركب الحمار في القدس؛ حيث لم ينف لوقا، ومتى، ويوحنا، ومرقس هذه القضية؛ بل أكدّوها وأحووا على صدقها وحقيقتها، فما ينطبق على الكلّ ينطبق على الأجزاء التي لم تشدّ عن القضية التي يدافع عنها الشيخ. وهدف الشيخ من

1- ينظر: عبد الله صولة، الحجج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجج الخطابية الجديدة لبييرمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 330.
2- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفّع، ص: 194.
3- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 47.
4- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، ص: 276.
5- ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيتها وأساليبه، ص: 211.
6- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفّع، ص: 194.
7- المناظرة الكبرى، ص: 104.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

هذه الحجّة التأكيد على أنّ الأنجيل كلّها لم تغفل قضية ثانوية مثل مسألة ركوب المسيح الحمار في القدس في الوقت الذي كان يركب فيه من هبّ ودب الحمار في القدس، بل أعطتها اهتماما كبيرا للتدليل على تواضع المسيح وأخلاقه الرفيعة التي لا تختلف معهم فيها، بينما أغفلت كثيرا من القضايا الأساسية التي تنبئ عليها عقائد النصارى، مثل مسألة الصعود التي تعتمد منقّحو الإنجيل حذفها وطمسها، وشأنها في ذلك شأن كثير من النصوص الأخرى التي عبثوا بها؛ لأنّها تحمل في طياتها كثيرا من التناقض والتهافت، بما يجرّ على عقيدتهم الرفض والردّ، ويزرع بذور فنائها وسقوطها.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة نفسها في قول الحاجج المسلم: «والتقرآن الكريم يقول مخاطبا كلّ المؤمنين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾¹؛ أي كلّ "المسكرات"، و"الميسر"؛ أي القمار»². ونجد هنا حجتي اشتمال الأولى في تأكيد الشيخ أحمد ديدات على كون الأمر باجتناب المسكرات شاملا لجميع المسلمين بكلّ طوائفهم ومذاهبهم، والثانية في تشديده على فكرة أنّ الأمر بالانتهاء يشمل كلّ المسكرات بجميع أنواعها دون استثناء؛ لأنّ فقه المقاصد جاء ليحمي العقل، والمسكرات مضرّة بالجسد، مذهبة للعقل.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول الحاجج المسلم: «يقول المسيحي من أيّ جنسيّة: كتابي المقدّس يقول كذا. ويقول كتابي المقدّس كذا»³. ومدار حجّة الاشتمال هنا اتّفاق المسيحيين جميعا حول ما يقوله كتابهم المقدّس في شأن مسألة صلب المسيح عليه السلام مهما اختلفت جنسياتهم؛ إذ يتفق المسيحي الفرنسي، والبريطاني، والأمريكي،

1-المائدة/ 90.

2-المناظرة الكبرى، ص: 124.

3-أخطر المناظرات، ص: 44.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

والسويدي، والروسي، والفيليبيني، والفلسطيني وغيرهم، ولا يخالفون ما يقوله كتابهم المقدس، والجهل المركب بحقيقة مسألة الصلب والفداء ظاهرة عامة عند المسيحيين الذين يتبنون ما يقوله الإنجيل وفق فهم مغلوط ينم عن عدم القراءة، وغياب الفهم والاستيعاب لنصوص كتابهم.

وفي المناظرة نفسها يقول المحاجج المسلم: «إنّ المسيحيين في كلّ أنحاء العالم يحتفلون بيوم الجمعة الحزينة»¹. والشيخ أحمد ديدات يبيّن من خلال استخدام حجّة اشتمال أنّ جميع المسيحيين في كلّ أنحاء العالم يحتفلون بيوم الجمعة الحزينة، ولا يشدّد منهم أحد، فهم يتفقون أنّ المسيح تم صلبه يوم الجمعة، وأنزل من الصليب في ليلتها، فقد كان اليهود يتعجلون إنزاله من الصليب لدفنه؛ لأنهم لا يعملون يوم السبت.

ويقول المحاجج المسلم في المناظرة نفسها: «وكلمة الجميع تعني أنّهم جميعاً لم يشهدوا عملية الصلب ولم يكن أحدهم موجوداً بين شهودها»². والشيخ أحمد ديدات يبيّن من خلال استخدام حجّة اشتمال أنّ جميع الحواريين هربوا، ولم يشهد أحد منهم عملية الصلب، فقد ظنوا أنّ المسيح عليه السلام مات، وهذا ما يجعل وقائع عملية الصلب والدفن غامضة؛ لأنّ أنصار المسيح المقربين هربوا جميعاً ولم يحضروها، وبالتالي فلا يمكن أن نعول على موقفهم من هذا الأمر.

كما وردت حجّة اشتمال في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لقد بحثت في جميع أسفار الإنجيل المعترف بها لدى كلّ الطوائف المسيحية، ووجدت أنّهم جميعاً يعتقدون بالثالوث المقدس»³. والشيخ أحمد ديدات يبيّن من خلال استخدام حجّة اشتمال أنّه قام بعملية بحث شاقة ودقيقة ومتأنية في جميع أسفار الأناجيل التي تعترف وتقرّ بها كلّ الطوائف المسيحية وتتعبّد بها وتقسم عليها، فوجد أنّهم جميعاً يعتقدون بفكرة الثالوث المقدس، أو ما يطلقون عليه اسم الأقانيم الثلاثة "الإله الأب، والإله الابن، والروح القدس"؛ مما يدلّ على أنّ العقيدة النصرانية

1-المرجع السابق، ص: 54.

2-المرجع نفسه، ص: 47.

3-مناظرة العصر، ص: 62.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

الموحدة تمّ العبث بها، فلم يبق إنجيل فيها واحد إلا وتم حشر فكرة التثليث في متنه من أجل العبث برسالة عيسى عليه السلام، وتكريس عقيدة التثليث الوثنية الباطلة التي ابتدعها بولس ونُشرت بحدّ السيف.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «إنّ هناك الملايين من الناس يعتقدون أنّ الله سبحانه وتعالى قد أنجب ابنا، والإنجاب إنّما يتم من خلال عمليّة جنسية لا بد منها في عالم الحيوان وعالم الإنسان»¹، فالشيخ أحمد ديدات يؤكّد أنّ عقيدة التثليث الباطلة منتشرة وشائعة في صفوف ملايين الناس، وهو يقصد المسيحيين المبتوثين في جميع أنحاء العالم ويبلغ عددهم حاليًا زهاء المليار، وجميعهم تشربوا فكرة باطلة مؤسّسة على فرية أنّ المسيح عيسى ابن الله، وأنّ الله تعالى أنجبه.

وورد في مناظرة ستوكهولم الأولى قول المحاجج المسلم: «كلّ من يدّعي تلقّي الوحي الإلهي بعد محمّد صلى الله عليه وسلّم كاذب مخادع أو مخدوع»²، ونلفي هنا حجّة اشتمال؛ حيث يؤكّد الشيخ أحمد ديدات أنّ الرسول محمّدا عليه الصلاة والسلام هو آخر الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم أجمعين، ورسالته جامعة جاءت مكّملة ومصحّحة لما بعدها، حتّى إنّ الإنجيل يحمل بشارة بمجيء هذا المعزّي، في حين يظنّ النصارى أنّ قساوستهم لديهم اتّصال مباشر مع الله عزّ وجلّ، وهذا حسب تصوّراتنا باطل ومرفوض بالدلائل القطعيّة.

كما وردت حجّة اشتمال في مناظرة ستوكهولم الثانية؛ حيث يقول الشّيخ أحمد ديدات: «هذا هو الحال في كلّ اللّغات، هذا هو الحال في لغة الزولو الموجودة في جنوب إفريقيا»³. وبؤرة حجّة الاشتمال هنا هو تأكيد المحاجج المسلم على كون جميع اللّغات في العالم دون استثناء تستخدم كلمة "سيد" أو "Lord" في موضع الاحترام والتبجيل للأشخاص المرموقين والنافذين؛ أي

1-المرجع السابق، ص: 91.

2-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 81.

3-المرجع نفسه، ص: 180.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

أصحاب الرتب العالية، ويضرب مثلا لذلك بلغة الزولو، التي لا يخرج فيها المحمول الدلالي والوظيفة الاستعمالية لهذه اللفظة عن غيرها من اللغات على اختلاف منطوقها، وعليه فليس هذا دليلا على أنّ المسيح ربّ أو أنّ الحواريين عبده.

2-4-حجة الاحتمال:

الاحتمالات هي حجج شبه منطقيّة، وهي عبارة عن أفكار متضمّنة في حساب المحتمل النسبي، فليس هناك أمر مطلق، بل في أغلب الحالات محتمل؛ أي إنّ هذا النوع من الحجج قائم على «حظوظ المرء في تحقيق أمر ما أو إنجاز حدث معيّن، أو اتّخاذ موقف محدّد وخلفيّته واضحة، إنّها الإيمان بأنّ المطلق نادر، وأنّ الأمر لا يعدو أن يكون في أغلب الحالات محتملا»¹. وغاية هذا النوع من الحجج استمالة المتلقي نحو النتائج الحجاجيّة المرجوّة والمأمولة، بعدها تعبيرا صريحا عن قناعاته وأفكاره التي اعتمدها في مجال الترجيح تبعا للسياق المحيط بالحجاج، بما يفرزه من قرائن مساعدة على الحجاج.²

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لو كان مات لما استطاع أن يعود إلى الحياة بجسم حتى تدب في أطرافه الحياة وتعمل فيه الحياة وظائفها. يجوز أن يكون أغمي عليه مدة طويلة أو قصيرة. يجوز أن يكون قلبه قد توقف عن العمل ثم عاد إلى العمل مرّة أخرى»³. في هذا النصّ يحاول الشيخ أحمد ديدات أن يساير خصمه المسيحي في خضم مناقشة مسألة صلب المسيح وموته ودفنه ثم قيامته؛ حيث يسلم جدلا بأنّ مسألة الصليب وقعت فعلا، ولكنه لا يسلم بما يترتب عنها؛ أي مسألة الدفن ومكوث المسيح في قبره ثلاثة أيام وثلاث ليال، فهي مرفوضة ومردودة من عدّة أوجه ناقشها وبرهن عليها بحجج كثيرة، وهو هنا يقدّم حجة احتمال مبناهما على ظهور المسيح حيّا أمام الحواريين بجسده، وانطلاقا من تأكيد

1- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 213.

2- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفّع، ص: 196.

3- أخطر المناظرات، ص: 48.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

المسيح أنّ القيامة هي قيامة أجساد وليست قيامة أرواح، فإن الاحتمال الذي رجّحه المحاجج المسلم هو أنّ المسيح أغمي عليه لمدة طويلة، أو أنّ قلبه توقف لمدة معيّنة ثم عاد إلى الحياة مرّة أخرى، وهذه هي النتيجة التي توصل إليها بعد تمحيصه لروايات الإنجيل وتلفيقه بينها، وهي النتيجة الأقرب للتحقق والأدعى للتصديق.

كما وردت حجة احتمال في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «وإذا كان حواريوه قد تركوه وهربوا جميعاً فإن أتباعه من النساء لم يلزمهن الهرب... لقد شهدوا عملية الصلب، النساء شهدنها، ربما شهدتها مريم المجدلية، ربما لاحظت ولم يشبه لها ما شبّه لهم من موته على الصليب كما ظنّوا، ولذلك تكون قد مُنعت من الحركة كيهودية يوم السبت، وفجر يوم الأحد سارعت إلى مدفنه؛ إذ ربما كان لا يزال حياً، وربما يحتاج إلى المساعدة، وعندما وصلت إلى المدفن وجدت القبر مفتوحاً والحجر مدحرجاً؛ إذ سبقها إلى تقديم المساعدة آخر أو آخرون»¹.

يعقد الشيخ أحمد ديدات راية حجة احتمال من أوجه عديدة، وبؤرتها دائماً قضية صلب المسيح عليه السلام وموته ودفنه ثم بعثه؛ حيث إنّه استناداً إلى النصوص التي وردت في الإنجيل التي تؤكّد أنّ الحواريين هربوا ولم يحضروا عملية الصلب، بينما شهدتها النساء والمتعاطفون مع المسيح ومن يتبعونه سرّاً، وبالنظر إلى السياق العام للقصة والتناقضات التي يضحّ بها الإنجيل حولها، فإنّ الاحتمال الأقرب إلى التصديق والقبول هو أنّ مريم المجدلية شهدت عملية الصلب، وبناءً على هذا فقد لاحظت ما لم يلاحظه غيرها، لقد رأت أشياء جعلتها توفن أنّ المسيح لم يموت، ولم يشبه لها ما شبّه لغيرها؛ ولأنّها يهودية فمن المحتمل أنّها منعت من الحركة يوم السبت، فسارعت فجر يوم الأحد إلى مدفن المسيح؛ لأنها ربما تعلم أنّه ما يزال حياً لكي تساعد وتقدّم له يد العون، لكنها وجدت الحجر مزحزحاً والقبر مفتوحاً؛ مما يشير إلى أنّ آخرين سبقوها إلى تقديم المساعدة.

1- المرجع السابق، ص: 57.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

كما وردت حجة احتمال في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لماذا ظننت أنه البستاني؟ لا بد أنه كان متنكراً في ملابس يرتديها عمال البساتين. ولماذا كان متنكراً في ملابس عمال البساتين؟ لأنه كان يخاف من اليهود الذين كانوا استصدروا أمرا من الحاكم الروماني بقتله صلباً»¹. وفي هذا النصّ يستعمل المحاجج المسلم حجة شبه منطقية مبنها على الاحتمال في شيئين، أولهما: في أنّ المسيح حين لقيته مريم المجدلية بجوار القبر كان يرتدي ملابس عمال البساتين، وثانيهما: خوف المسيح أن يعيد اليهود القبض عليه؛ حيث لا يوجد نصّ يتحدث عن هذا، ولكن السياق والحجيات التي استند إليها المحاجج المسلم جعلته يرجح هذا الاحتمال الذي يبدو منطقياً ومقبولاً جداً وأقرب إلى التصديق، انطلاقاً من الروايات التي وردت في الإنجيل، فهو يدافع عن فكرته التي استقاها من وجهة النظر الإسلامية.

II- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

لئن كانت الحجج شبه المنطقية ترمي إلى صحة الموضوع ومشروعيتها بفضل ما لها من بعد عقلائي تستقيه من علاقتها ببعض الصيغ المنطقية، «فإنّ الحجج القائمة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلمّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلمّم بها»². ومنه فالحجج المؤسسة على بنية الواقع تتأسّس على التجربة وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكوّنة للعالم، والحجاج هنا لم يعد محض افتراضٍ وتضمين؛ بل غداً تفسيراً للأحداث والوقائع، وتوضيحاً للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشياءه المختلفة³. ويصحّ أن يُطلق على هذه الحجج اسم "الحجج الاتّصالية" أو القائمة على الترابط؛ لأنّها تردّ مضمون القول إلى سببه الذي أحدث بموجبه، وهو ما يسمّى بالاتّصال التتابعي، وترابط يحصل بين الآراء

1- المرجع السابق، ص: 58.

2- عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج الخطابية الجديدة لبييرمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 331.

3- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 214.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

أو الأحكام اتّصالا تواجديًا، ويكون بين الشخص وأعماله.¹ وتتفرّع الحجج المؤسسة على بنية الواقع إلى ما يأتي:

1- حجة التابع أو الحجة السببية:

تتأسس هذه الحجة على مبدأ تسلسل الأحداث الواقعية التي يربط بينها رابط سببي يسبك بين الحجة والنتيجة المقصودة، أو بين النتيجة المقصودة والحجة؛ لأنّ التقديم والتأخير بينهما خاضع لمقاصد المتكلم أثناء الحجج.²

ويحقّق هذا القسم من الحجج ثلاث وظائف:³

أ- يربط تتابعيًا بين حدثين عن طريق رابط سببي مثل، مرض فمات.

ب- استخلاص سبب أو حدث أو واقعة ما، مثل: نجح؛ لأنّه اجتهد.

ج- التنبؤ أو التكهّن بالنتائج التي تترتب عن واقعة ما، مثل: برشلونة يعلب جيّدًا، سيفوز حتماً.

ويسعى المخاطب من خلال استخدام هذا النوع من الحجج إلى التأثير في المتلقي من خلال تمييز النتيجة الحجاجية في ذهنه، وجعلها مطابقة لحقائق الواقع اعتماداً على استدلال حجاجي مباشر؛⁴ حيث يحصل عن طريق هذه الحجة تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية، ومن هنا فللحجة السببية تأثير مباشر في توجيه سلوك الفرد، وعليه فهي تعدّ واحدة من أهمّ وسائل الحجج.⁵

1- ينظر: مصطفى العطار، لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات المناظر عند ابن حزم، ص: 171.

2- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 196.

3- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 49-50.

4- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 196.

5- ينظر: عبد الله صولة، الحجج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجج الخطابية الجديدة لبييرمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم

نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 331.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى بين الشيخ أحمد ديدات والقس جيمي سواجارت؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «رغم أنني كنت أنوي الدخول في الموضوع، إلا أن الحجج والدعاوى التي ذكرها الأخ سواجارت تضطرنني أن أجهر ببعض مبادئ عقيدتي، ذلك أننا معشر المسلمين - في الحقيقة - العقيدة الوحيدة غير المسيحية التي تلزم معتنقيها أن يؤمنوا بالمسيح عيسى، فلا يكون المسلم مسلماً إذا لم يؤمن بالمسيح عيسى أحد أعظم الرسل التي بعثها الله، ونحن نؤمن بالمسيح، ونحن نؤمن بميلاده المعجز الذي ينكره كثير من المسيحيين في عالم اليوم، ونحن نؤمن بأنه أحيا الموتى بإذن الله، وأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، نحن نتفق مع المسيحيين في هذا. أما الذي يفرق بيننا في السبل، بل الفرق الحقيقي والوحيد بين المسلمين والمسيحيين هو أننا نقول إن المسيح ليس الله... وليس تجسيدا للإله... وهو ليس الابن الذي ولده الله»¹. وفي هذا النص مجموعة من الحجج المتتابعة أوردتها المحاجج المسلم، وتخدم الحجّة السببية وفق التفصيل الآتي:

- كنت أنوي الدخول مباشرة في الموضوع ← مقدّمة 1

- الحجج التي ذكرها سواجارت تضطرنني للجهر ببعض مبادئ عقيدتي ← نتيجة 1 ومقدّمة 2.

- الإسلام هو العقيدة الوحيدة التي غير المسيحية التي تلزم أتباعها أن يؤمنوا بالمسيح ← نتيجة 2 ومقدّمة 3.

- فلا يكون المسلم مسلماً إذا لم يؤمن بأنّ المسيح من أعظم رسل الله ← نتيجة 3 ومقدّمة 4.

- فنحن نؤمن أنه المسيح، ونحن نؤمن بميلاده المعجز، ونؤمن بأنه أحيا الموتى بإذن الله، وأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ← نتيجة 4 ومقدّمة 5.

1- المناظرة الكبرى، ص: 95.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

-الذي يفرق بيننا في السبل، بل الفرق الحقيقي والوحيد بين المسلمين والمسيحيين هو أننا نقول إنّ المسيح ليس الله، وليس تجسيدا للإله وليس الابن الذي ولده الله ← النتيجة النهائية.

استطاع الشيخ أحمد ديدات بكل براعة أن ينسج خيوط حجّة سببيّة حتى يصل إلى تأكيد نتيجة مدارها الفرق الحقيقي بين وجهة النظر المسيحيّة والإسلاميّة حول المسيح عليه السلام.

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «قدّمت لكم في الواقع ما تعنيه هذه الآية، دون الدخول في التفاصيل؛ لأنني كنت أدرك أهميّة الوقت أساسا، كنا قد اتفقنا لتخصيص ساعة لكل واحد منّا، ولأسباب غامضة حرمت من عشرين دقيقة، فكان عليّ أن أختصر كلّ شيء، وكان باستطاعتي أن أقدم أكثر من هذا، ولكيّ أحتفظ به للغد، وهكذا فأنتم ترون أنّ ما قدّمته كان في الواقع تعليقا على الموضوع، وأنّ هذا الكتاب قد كتب بأيديهم هم»¹. وفي هذا النصّ مجموعة من الحجج المتتابعة أوردتها المحاجج المسلم، وتخدم الحجّة السببيّة وفق التفصيل الآتي:

- قدّمت لكم في الواقع ما تعنيه هذه الآية، دون الدخول في التفاصيل ← مقدّمة 1

- لأنني كنت أدرك أهميّة الوقت أساسا ← نتيجة 1 ومقدّمة 2.

- كنا قد اتفقنا لتخصيص ساعة لكل واحد منّا، ولأسباب غامضة حرمت من عشرين دقيقة ←

نتيجة 2 ومقدّمة 3.

-فكان عليّ أن أختصر كلّ شيء ← نتيجة 3 ومقدّمة 4.

- وكان باستطاعتي أن أقدم أكثر من هذا، ولكيّ أحتفظ به للغد ← نتيجة 4 ومقدّمة 5.

-فأنتم ترون أنّ ما قدّمته كان في الواقع تعليقا على الموضوع، وأنّ هذا الكتاب قد كتب بأيديهم هم ← النتيجة النهائية.

1-المرجع السابق، ص: 129.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

استطاع الشيخ أحمد ديدات بكل براعة أن يجبك خيوط حجّة سببيّة حتى يصل إلى تأكيد نتيجة مدارها أنّه كان بإمكانه أن يبسط حججا أكثر مما قدّم، ولكنّ الوقت لم يسعفه لذلك، وعلى الرغم من ذلك، فما ذكره دليل كافٍ على أنّ الإنجيل تمّ تحريفه.

ومن نماذج هذه الحجج أيضا ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «كان ليسوع لسان، وشففتان وتكلم مع اليهود، وكان له عينان، والعينان في الوجه، واللسان يمتد من البلعوم، وكانت له أمعاء، وباختصار كان إنسانا وله جسم الإنسان»¹. في هذا النصّ مجموعة من الحجج المتتابعة تخدم الحجّة السببيّة وفق التفصيل الآتي:

- كان ليسوع لسان وشففتان ← مقدّمة 1

- تكلم مع اليهود ← نتيجة 1 ومقدّمة 2.

- كانت له عينان ← نتيجة 2 ومقدّمة 3.

- العينان في وجه ← نتيجة 3 ومقدّمة 4.

- اللسان يمتد من البلعوم ← نتيجة 4 ومقدّمة 5.

- كانت له أمعاء ← نتيجة 5 ومقدّمة 6.

- باختصار كان إنسانا ← النتيجة النهائيّة.

استطاع الشيخ أحمد ديدات بكل براعة أن ينسج خيوط حجّة تتابعيّة حتى يصل إلى تأكيد نتيجة مدارها أنّ المسيح عليه السلام إنسان، فهو رسول الله ونبيّه الكريم الذي اختاره واصطفاه، وليس إلها بأيّ حال من الأحوال.

1-مناظرة العصر، ص: 66.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «قال لهم المسيح خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني؛ أي إنها تصدقني وتصدق برسالتني وأنا أعطيها حيوية أبدية، هي حيوية الإيمان بصدق رسالتني والإله الحق. فهي رعيتي ولن تهلك إلى الأبد؛ لأنه لا يهلك في الآخرة إلا الكافرون بالله وبرسل الله، ولا يخطفها أحد مني لثبات الإيمان في قلوبهم فلا يستطيع أحد من زعماء اليهود المبطلين لتعاليمي أن يغويهم أو يؤثر عليهم. إن الله سبحانه وتعالى أعظم وأقوى منهم ومتي»¹. وفي هذا النص مجموعة من الحجج المتتابعة تخدم الحجّة السببية وفق التفصيل الآتي:

-قول المسيح أنّ الخراف تسمع صوته ← مقدّمة 1

-أي إنها تصدقني وتصدق برسالتني ← نتيجة 1 ومقدّمة 2.

-هي حيوية الإيمان بصدق رسالتني والإله الحق ← نتيجة 2 ومقدّمة 3.

-فهي رعيتي ولن تهلك إلى الأبد ← نتيجة 3 ومقدّمة 4.

-لأنه لا يهلك في الآخرة إلا الكافرون ← نتيجة 4 ومقدّمة 5.

-ولا يخطفها أحد مني لثبات الإيمان في قلوبهم ← نتيجة 5 ومقدّمة 6.

- ولا يستطيع أحد من زعماء اليهود المبطلين لتعاليمي أن يغويهم ← نتيجة 6 ومقدّمة 7

-إنّ الله سبحانه وتعالى أعظم وأقوى منهم ومتي ← النتيجة النهائية

استطاع الشيخ أحمد ديدات بكل براعة أن ينسج خيوط حجّة سببية حتى يصل إلى تأكيد نتيجة مدارها أنّ قدرة الله تعالى فوق قدرة الجميع، فرسالته ستصل على الرغم من كيد الكائدين.

1-المرجع السابق، ص: 73.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج أيضا ما ورد في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «قال توما للمسيح ذلك؛ لأنّ المسيح كان قد عاد ودخل على الحواريين في الحجرة العلوية التي يعرفونها، والتي كانوا يجتمعون فيها بمنزل أحد الحواريين قبل الصلب. إنهم كانوا يحسبونه شبعا؛ لأنّه دخل عليهم فجأة، وكانوا قد حسبوا أنّه قد مات على الصليب كما توهموا، ورآه توما يأكل من الطعام الذي كان أمامهم سمكًا وعسلًا. والأشباح لا تأكل. والأرواح لا تأكل»¹. وفي هذا النصّ مجموعة من الحجج المتتابعة تخدم الحجّة السببيّة وفق التفصيل الآتي:

- قال توما للمسيح ذلك ← مقدّمة 1

- لأنّ المسيح كان قد عاد ودخل على الحواريين في الحجرة العلوية التي يعرفونها، والتي كانوا يجتمعون فيها بمنزل أحد الحواريين قبل الصلب ← نتيجة 1 ومقدّمة 2.

- إنهم كانوا يحسبونه شبعا ← نتيجة 2 ومقدّمة 3.

- لأنّه دخل عليهم فجأة، وكانوا قد حسبوا أنّه قد مات على الصليب كما توهموا ← نتيجة 3 ومقدّمة 4.

- ورآه توما يأكل من الطعام الذي كان أمامهم سمكًا وعسلًا ← نتيجة 4 ومقدّمة 5

- والأشباح لا تأكل، والأرواح لا تأكل ← النتيجة النهائيّة

استطاع الشّيخ أحمد ديدات بكل براعة استنادا إلى السّياق أن ينسج خيوط حجّة سببيّة حتى يصل إلى تأكيد نتيجة مدارها أنّ سبب قول الحواريّ "توما" جملة عبارة "يا إلهي" تعجّبه وذهوله لرؤية المسيح حيّا بعد ما كان يظنّه صُلب ومات، وليس المعنى أنّه يعدّه ربّا خالقا أو إلهًا معبودا.

1-المرجع السابق، ص: 95.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج أيضا ما ورد في مناظرة ستوكهولم الأولى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «محمد صلى الله عليه وسلم علم الناس كل شيء عن دينهم... ولأنه قد أتم للناس دينهم؛ ولأن القرآن قد بين كل شيء يلزم الناس بيانه بشأن دين الحق، نعتقد أن لا نبي ولا رسول قد بين كل شيء يلزم الناس بيانه بشأن دين الحق، نعتقد أن لا نبي ولا رسول بعد رسول الإسلام خاتم الأنبياء والمرسلين، ونعتقد أن القرآن الكريم هو أتم وأكمل صور وحي الله إلى الناس أجمعين، وكل من يدعي تلقي الوحي الإلهي بعد محمد كاذب مخادع»¹.

وفي هذا النص مجموعة من الحجج المتتابعة تخدم الحجّة السببيّة وفق التفصيل الآتي:

- محمد صلى الله عليه وسلم علم الناس كل شيء عن دينهم ← مقدّمة 1

- لأنه قد أتم للناس دينهم ← نتيجة 1 ومقدّمة 2.

- ولأن القرآن قد بين كل شيء يلزم الناس بيانه بشأن دين الحق ← نتيجة 2 ومقدّمة 3.

- نعتقد أن لا نبي ولا رسول بعد رسول الإسلام خاتم الأنبياء ← نتيجة 3 ومقدّمة 4.

- ونعتقد أن القرآن أتم وأكمل صور وحي الله إلى الناس أجمعين ← نتيجة 4 ومقدّمة 5.

- كل من يدعي تلقي الوحي الإلهي بعد محمد كاذب مخادع ← النتيجة النهائية

استطاع الشيخ أحمد ديدات بكل براعة أن ينسج خيوط حجّة سببيّة حتى يصل إلى نتيجة مدارها أن محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وصاحب آخر الكتب السماوية التي أنزلها الله هدى وتبيانا للناس، وكل من يدعي أنه موخًا إليه بعد محمد عليه السلام كاذب ومخادع وأفّاك.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 81.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج أيضا ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «وهكذا نجد سيدنا عيسى عليه السلام يجيب عن سؤال: لمن تكون المرأة زوجة بعد القيامة بأن الرجال بعد القيامة لا يزوّجون ولا يزوّجون؛ لأنهم يعيشون بعد القيامة من الموت حياة روحية... لن يتزوجها أحد منهم؛ لأنّ من قام من الموت يوم القيامة ستكون قيامته بالروح فقط... ولن يكون بحاجة إلى أن يتزوج»¹. وفي هذا النصّ مجموعة من الحجج المتتابعة تخدم الحجّة السببيّة وفق التفصيل الآتي:

-الرجال في القيامة لا يزوّجون ولا يزوّجون ← مقدّمة 1

-لأنهم يعيشون حياة روحية ← نتيجة 1 ومقدّمة 2.

- لن يتزوجها أحد منهم ← نتيجة 2 ومقدّمة 3.

-لأنّ القيامة قيامة روح فقط ← نتيجة 3 ومقدّمة 4.

-لن يكون أحد بحاجة إلى أن يتزوج في القيامة ← النتيجة النهائية

استطاع الشيخ أحمد ديدات بكل براعة أن ينسج خيوط حجّة سببيّة حتى يصل إلى نتيجة مدارها أنّ المسيح عيسى عليه السلام أكّد لليهود الذين سألوه حول زواج الرجال في القيامة بأنّ ذلك لن يحصل؛ لأنّهم سيعيشون حياة روحية غير حياتهم الجسديّة المألوفة في حياتهم الدنيا.

2-الحجّة الغائية:

يقول نيكولا ميكيافيلي "إنّ الغاية تسوّغ الوسيلة"، ولا مرأى في أنّ الغائية تحتل ركنا أساسيا في الأحداث الإنسانيّة، ومن خلالها نستطيع أن نشق حججا كثيرة تبني كلّها على الفكرة القائلة

1-أخطر المناظرات، ص: 46.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

بأن قيمة الشيء متصلة بالغاية التي تكون وسائلها حججا تدور في إطار "من أجل كذا".¹ وتقوم الحجّة الغائية على الاتصال والتتابع، وتعتمد بشكل واضح وأساسي على العلاقة القائمة بين الوسيلة والغاية؛ حيث تصبح الغاية المحرك الرئيسي الذي يقود الشخص إلى القيام بعمل ما أو جملة من الأعمال، وقد تكون هذه الغاية نبيلة أو خسيصة.²

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «الويل والعذاب لأولئك الذين يكتبون ويحرفون بأيديهم ثم ينسبون ذلك إلى الله إثم يحرفون بأيديهم لتحقيق مآرب تافهة»³. والشّيخ أحمد ديدات يبيّن في هذه الحجّة أنّ غاية النصارى -الذين يزعمون أنّهم يتبعون دين عيسى عليه السلام- من وراء تحريف وتزييف الكتاب المقدّس هي نيل الدنيا، والتمتّع بملذّاتها المختلفة، وتحقيق مآربهم الدنيئة والخسيصة، فقد استطاعوا بذلك خداع ملايين البشر، وجمعوا مئات الملايين من الدولارات.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة ستوكهولم الثانية؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لم تلتزموا الدقة عند ترجمة كلمة Tontheos عندما وردت بأول جملة من أول إصحاح بإنجيل يوحنا. إنّ هذا هو ما تريدون أن تعتقدوه. إنّ هذا هو ما تريدون للناس أن يعتقدوه»⁴. هنا يبيّن المحاجج المسلم عن طريق استخدام الحجّة الغائية عملية الغش التي يقوم بها قساوسة وعلماء المسيحيّة الذين حرّفوا ترجمة كثير من الكلمات في كتابهم المقدّس، ومن بينها كلمة "Tontheos" التي تعني الإله غير المعبود بحق؛ حيث عبثوا بترجمتها عامدين في إنجيل القديس يوحنا حين جعلوها مساوية لكلمة "Hotheos" التي تعني الإله المعبود بحق من أجل خداع الجماهير المسيحيّة واللّعب بعقولها، وتلقينها الخطأ وجعلها تعتقده وتؤمن به. فالغاية التي يسعى المسيحيّون إلى تحقيقها والمتمثلة في

1- ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 221.

2- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 49-50.

3- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 129.

4- المرجع نفسه، ص: 137.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

كسب تأييد الجماهير الغافلة التي لا تدري شيئاً على الألاعيب التي يقوم بها رؤوس الطوائف المسيحية عبر العصور، جعلتهم يستخدمون كلّ الوسائل المباحة والممنوعة حتى لو كانت العبث بكتابتهم المقدّس وتحريف نصوصه وآياته، من أجل الحفاظ على مكانتهم ونفوذهم وسمعتهم.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ كلّ ما يهم الفكر المسيحي هو خلاص المسيحيين عندما يفتردي يسوع خطايا البشر وآثامهم! بدمائه هو وبآلامه هو وهامهم أولاء لا يزالون يعتقدون أن المسيح يجب أن يموت من أجلهم كإله! وليس كإنسان!»¹. ويؤكد الشيخ المسلم من خلال استخدام حجّة غائية محوراً اهتمام المسيحية بفكرة موت الإله أنّ المسيحيين يبحثون الخلاص من خلال الاعتقاد بقضية صلب الإله وموته من أجلهم، وتقديمه لنفسه قرباناً من أجل خلاصهم؛ لأنه يحبهم ويريد له الخير، فيأثمهم بهذه الفكرة هدفه وغايته إرضاء أنفسهم المريضة التي تدفعهم لارتكاب الشرور والآثام والمعاصي، ثم يتبجحون بأنّ المسيح عليه السلام قد فداهم بدمه ولحمه، ويتعجب الشيخ من اعتقاد النصارى أنّ رجلاً واحداً يمكنه أن يتحمل كل خطايا البشر. إنّ فكرة الفداء تبدو فكرة رومانسية يهدف من خلالها رؤوس النصارى إلى خداع أتباعهم وإقناعهم أنّ جميع ذنوبهم وآثامهم مغفورة؛ لأنّ المسيح افتداهم بنفسه حتى يعيشوا كما يشاؤون ويفعلوا ما يريدون.

كما وردت حجّة أخرى في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «كان يقول لهم أنا المسيح الذي كنتم تنتظرون مجيئه وتشتاقون إلى أن يرسله إليكم، ولكن اليهود كانوا يكذبونه ويستكثرون عليه ذلك. وكان أحبارهم يخشون منه على سلطاتهم ومكاسبهم التي رسخت لهم على مرّ الزمان»². ويستخدم الشيخ أحمد ديدات في هذا النصّ حجّة غائية مدارها مقابلة اليهود لدعوة المسيح عليه السلام بالتكذيب والازدراء والاحتقار؛ حيث كانوا يتهمونه بالتجديف والمهرطقة، لا لشيء إلا لأنهم خافوا على دنياهم التي هي كل اهتماماتهم؛ لأنهم لو اتبعوا دعوة

1-مناظرة العصر، ص: 68.

2-المرجع نفسه، ص: 72.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

المسيح فسوف يؤول له الأمر في التصرف، وسوف يصير القائد الفعلي والموجه، والمرجع المعتمد في ما يقومون به من أفعال، وقد بعثه الله أساسا من أجل محاربة التسيب الديني والتحريف الذي أصاب شريعة موسى، ولقد تبدى لليهود من معجزات السيد المسيح آيات بيّنة، لكنهم استمروا في كفرهم وعنادهم، وحاربه رؤوسهم الذين خافوا أن يفقدوا مناصبهم، وألبوا عليه الناس، ثم أمسكوا به وسلّموه إلى السلطات الرومانية، وهددوهم إن هم لم يصلبوه أن يتمردوا عليهم ويشيروا الفوضى في دولتهم.

ووردت حجة غائية في المناظرة نفسها في قول المحاجج المسلم: «إنه موجود في إنجيل الكاثوليك، وهو أيضا موجود في إنجيل الأرثوذكس، ولكنه ليس موجودا في الطبعة المنقحة من الإنجيل، لقد تم حذفه على أساس أنه تحريف، ويجري حذفه من كل الطبعات الحديثة»¹. يبيّن الشيخ أحمد ديدات أنّ قساوسة وعلماء النصارى عبثوا بالطبعة المنقحة من الإنجيل؛ إذ قاموا بحذف نص «فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد»²، من أجل تحقيق غاية خداع الجماهير المسيحية، والحرص على عدم استفاقتها من غفلتها، وتحججوا بأن هذا النصّ تحريف، وهذا يبسط سؤالا جوهريا عن كيفية معرفة القساوسة مواضع التحريف من غيرها؛ مما يجعلنا نجزم بأنهم يظنون أنفسهم مفوضين من عند الله—وهذا عين الباطل—، وهم حقيقة غير مفوضين ولا محولين بذلك، والتعليل الوحيد لتصرفهم هو مبدأ الغاية تسوّغ الوسيلة؛ أي إنّ حفظ ماء وجوههم وخداع الجماهير الغافلة هو مآربهم الوحيد.

وورد في أخطر المناظرات قول المحاجج المسلم: «لقد كان اليهود يوجهون مثل هذه الأسئلة إلى المسيح من أجل إحراجه»³، والشيخ أحمد يؤكّد أنّ غاية اليهود كانت خسيصة؛ إذ كانوا

1-المرجع السابق، ص: 90.

2-في نسخة الإنجيل التي اعتمدنا عليها تمّ تحريف الترجمة إلى الآتي: "والذين يشهدون ثلاثة: الروح والماء والدم"، ينظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، ص: 779.

3-أخطر المناظرات، ص: 46.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

يعملون على إحراج المسيح عليه السلام، وانتقاص قيمته، وتحذيل الناس عنه؛ لأنهم خافوا على دنياهم وسلطانهم الزائل، فحاربوه بكل ما استطاعوا وألبوا عليه الجميع حتى رفعه الله إليه، ونجّاه من القوم الظالمين.

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية وردت حجة غائية؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لقد قال عيسى عليه السلام في إنجيل متى "مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ؛ بَلْ لِأُتَمِّمَهُ" واعتبرت أن هذا يعطيكم الحق في الأخذ بشريعة موسى، ويعطيكم الحق في أخذ التوراة من أيدي اليهود كما هي بأيديهم ضمن كتابكم المقدس»¹، ويشير الشيخ هنا إلى البراغماتية التي تدثر بها النصارى، حين استندوا إلى هذا النص الذي ورد في إنجيل متى، حتى يضموا التوراة التي جاء بها موسى إلى الإنجيل المزعوم، وغايتهم في هذا هي تسويغ كثير من العقائد الفاسدة والمنحرفة؛ لأن التوراة الأولى ضاعت، كما ضاع الإنجيل، وما هو متوفّر حاليًا عبث بشري متناقض ومتهافت.

3- حجة الاتجاه والانتشار:

تقوم هذه الحجج في جوهرها على نبذ السير في اتجاه معيّن؛ لأنه قد يوصلنا إلى غير ما نرجوه ونأمله،² وأيضا التحذير من تقديم التنازلات التي تستلزم تقديم تنازلات أكبر في المستقبل، أو التحذير من مغبة انتشار ظاهرة ما؛ أي ما يسمّى حجة الانتشار، أو حجة العدوى.³ ويكثر هذا النوع الحجاجي خاصّة في القضايا الأخلاقية؛ لأنّ التنازل فيها خطير، وإدخال ما ليس منها فيها سيصيب المنظومة القيمية كلها بالفساد.⁴

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ الطعام الذي تتناوله إذا كان فاسدا فإنّك تصبح فاسدا، وإذا قرأت مواد فاسدة فإنّ عقلك يصبح

1- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 170.

2- ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 226.

3- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 51.

4- ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجج في البلاغة المعاصرة، ص: 129.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

فاسدا.. أنت تقرأ زنا المحارم... الأب مع بناته، والابن مع أمه، والأب مع زوجة ابنه، والأخ مع أخته... ليس غريبا أن الشذوذ سيبلغ معدّلات وبائية¹. وتتجلّى حجة العدوى في تحذير الشيخ أحمد ديدات من معبّة انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي وبلوغه معدّلات وبائية وكارثية بسبب المواد الفاسدة التي يقرأها النصارى في كتابهم المقدّس الذي يفترض أنّه كلمة الله؛ حيث يوجد فيه ذكر لعشر حالات زنا محارم ذكرها المحاجج المسيحي بنفسه ولم يستطع نفيها، ومنه فالإنجيل يعدّ محفّزا لانتشار الانحلال والتفسّخ الأخلاقي؛ لأنّه يؤثّر بشكل أو بآخر في أذهان من يقرؤونه، ويقودهم إلى فعل أشياء خبيثة وشريرة، بسبب تأثيره الكبير على عقولهم وتصرفاتهم.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «إذا أردنا قراءة ما دونه الشخص الذي اختزل كتابة ما قلت، فلن نستطيع أن نتبيّن أنّك كنت تتحدّث عن عثمان، الخليفة الثالث في الإسلام، أو عن عمر الخليفة الثاني في الإسلام»². والمعنى أنّ تسليمنا بالطريقة التي نطق بها المحاجج المسيحي اسم هذين الخليفين، وتدوينه دون تصحيح سيقودنا إلى مطبّ عدم تبين المقصود؛ مما سيسبّب لبسا لمن سيقرا هذه المناظرات المكتوبة بالإنجليزية لاحقا.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «ومهما حاولتم فلن تتطابق هذه الصور الثلاثة في صورة واحدة»³. وهو يقصد هنا الصور الثلاثة التي تنتج عن تحيّل الإله الأب، والإله الابن، والروح القدس، ومهما حاول النصارى أن يسيروا في هذا الاتجاه، ويجعلوهم شيئا واحدا، فهم لن يكونوا أبدا شيئا واحدا، فهو يحذّرهم من السخرية والابتذال التي يتلقونها جراء العنت والتشدد في الدفاع عن هذا المبدأ الخاطيء.

ومن نماذج هذه الحجج أيضا ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم «وإذا كانت بكتابتكم المقدس بشأن ما تزعمونه من موت المسيح عليه السلام على الصليب تناقضات

1- المناظرة الكبرى، ص: 107.

2- المرجع نفسه، ص: 121.

3- المرجع نفسه، ص: 121.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

خطيرة وحقيقية وهامة، يكون من حقنا نحن المسلمين أن نتمسك بما يقوله لنا القرآن الكريم»¹. فالشيخ أحمد ديدات يستخدم حجة اتجاه مدارها أنّ المسلمين لهم كل الحرية في أن يتمسكوا بكتابهم وتعاليمه، وأن يكفروا بالمسيحية في حالة وجود تناقضات وتحريفات، والشيخ متأكد جدًا مما يقول، فكأنه يحذر يخصمه ويجزم له بأنه سيهزم ويتهلل أمام الجمهور، كما سيتهلل دينه وعقيدته.

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم «وإن لم تكن هذه القيامة من بين الأموات صحيحة تنهار المسيحية كلها»². والشيخ أحمد ديدات يريد أن يبين الاتجاه الذي ستصل إليه المناظرة في حال عدم ثبوت قصة الصلب والقيامة من بين الأموات؛ حيث ستنتهز العقيدة النصرانية برمتها، وكأنه يحذر خصمه من النتيجة التي ستحقق قياسا على حجم المغالطات التي يعلم بها.

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «لو أصرّ إخوتنا المسيحيون على زعمهم أنّ المسيح كان "ميتا" في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، بينما كان يونان حيّا في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، يكون زعمهم هذا مخالفا لأقوال المسيح كما هي موجودة بكتابهم المقدّس»³. والشيخ أحمد ديدات يستخدم حجة اتجاه لبيّن للنصارى أنّهم إذا استمروا في مغالطة الحقائق، والاعتماد على الروايات المحرّفة، فإنّهم سيخالفون ما قاله المسيح، وبالتالي سيسيروا إلى حتوفهم بأنفسهم، فخير لهم أن يقولوا بأنّ الإنجيل تم تحريفه، وبأن رواته عبثوا به وغيروا نصوصه بما يوافق أهواءهم ويحقق مأربهم، بدلا من أن يعارضوا المسيح نفسه الذي هو الرسول الموحى إليه والذي لا ينطق عن الهوى.

1- أخطر المناظرات، ص: 43.

2- المرجع نفسه، ص: 44.

3- المرجع نفسه، ص: 53.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «إنّ استخدام الزمن الصحيح للفعل مسألة هامة، ولا مجال لأيّ تحريف، في القرآن الكريم»¹. والمناظر يستخدم حجّة اتّجاه لبيّن للجمهور أنّ فهم نصوص القرآن، والتفسير الصحيح لكلام الله عزّ وجل في محكم تنزيله منوط بالنظر الدقيق في أمور عديدة تعدّ آيات تسانديّة في التفسير وإغفالها يقود إلى التحريف والتزييف، وتأويل النصوص على غير حقيقتها، فينبغي الحذر والتثبت والدقّة.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ سوء الفهم يبدأ مع بداية الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا ويستمر»². وفي هذا النصّ حجّة اتّجاه مبناها انطلاق سوء الفهم من الإصحاح الرابع عشر لإنجيل يوحنا؛ حيث لا ينفك المسيح متحدثاً بعبارات مجازية لم يفهمها ولم يعها اليهود، فاتّهموه بأنّه كاذب مجدّف، والشيخ أحمد يقرّ بأنّ سوء الفهم هذا انتشر في صفوف المسيحيّين، فهو مثل المرض العويص الذي ما يزال ينتشر في ظلّ تفسير كلام المسيح عليه السلام على غير وجهه، ومحاولة فرض عقيدة التثليث بالقوّة، وتجريد النصوص من سياقها.

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «وهم قد فهموا أنّه يحدّثهم عن طريق من الطرق الموجودة في الأرض، ويمشي عليها الناس ليصلوا من مكان على الأرض إلى مكان آخر، يحدّثهم المسيح عن الروح، ويظنون أنّه يحدّثهم عن الجغرافيا، وعن الطبوغرافيا المتعلقة بتضاريس الأرض والهيئات الجغرافية الموجودة بها»³. وفي هذا النصّ حجّة اتّجاه مدارها على انغلاق أفهام اليهود أيضاً، وانسداد آفاق الإدراك عندهم، وغلبة الدنيا عليهم، وتكبرهم على الحق، فهم يوجّهون النصوص إلى غير مقاصدها. والشيخ أحمد ديدات يحذّر الجمهور المسيحي من معبّة

1- المرجع السابق، ص: 53.

2- مناظرة العصر، ص: 87.

3- المرجع نفسه، ص: 89.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

التدثّر بالفهم نفسه؛ لأن النتيجة ستكون وخيمة، فكلام المسيح يجب أن لا يفسّر على غير حقيقته؛ إذ إنّ التفسير الخاطئ الأبر هو ما جعل العقيدة المسيحية تقوم على شفا جرف هارٍ.

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «فإنه بدون الاستماع إلى كلام المسيح الحق بصدق وطاعة لا يمكن أن يُحكّم العالم»¹. وفي هذا النصّ حجّة اتّجاه يحذّر فيها الشيخ أحمد ديدات من معبّة مخالفة كلام المسيح؛ لأنّ ذلك سيؤدّي إلى الفشل وخسارة الدنيا والآخرة، وهو يقصد الكلام الذي قاله المسيح فعلا بما يحمله من تعاليم حقّة، وتشريعات ربّانية، لا كما يتصوّره النصارى الذين حرّفوه وعبثوا به، وأدخلوا فيه ما ليس منه.

كما وردت حجّة اتّجاه في المناظرة نفسها؛ حيث يقول الشيخ أحمد ديدات: «هكذا تكلم المسيح. وكانت كلّ أقواله لأتباعه أنّهم إن لم يزدادوا صلاحًا يميّزهم عن الفريسيين من اليهود، فإنّهم لن يروا ملكوت السماء؛ أي إنّهم كان قد أخبر أتباعه أنّهم إذا أخطؤوا الطريق إلى الله، ولم يؤمنوا به كما كان شأن اليهود فإنّهم لا يستحقّون الخلاص، ولن يحظوا برضوان الله»². والمحاجج المسلم يستخدم حجّة اتّجاه في هذا النصّ أساسها دعوة المسيح عيسى عليه السلام الناس إلى اتّباع أقواله الصالحة التي أوحى بها إليه الله، وأمره بتبليغها إلى خراف بني إسرائيل الضالّة، وكذا تحذير أتباعه المخلصين من معبّة الانسياق وراء الضلالات السائدة والمنتشرة في المجتمع اليهودي؛ لأنّ سيرهم في الطريق الخطأ يُغضب الله عزّ وجلّ؛ مما سيحرّمهم نعيم الله المقيم، وبالتالي فلن يتحقّق لهم الخلاص الذي ينشدونه ويعملون لنيله.

وورد في مناظرة ستوكهولم الثانية قول المحاجج المسلم: «لا ينبغي خلع جملة من سياقها، لتقول لي: "إنّ الرجل يقول هذا"... إنّ السياق ضروري لفهم حقيقة المعنى»³. والشيخ هنا يحذّر من النتيجة التي نقاد إليها، وانقاد إليها المسيحيّون فعلا بسبب تجريدهم نصوص الإنجيل من

1- المرجع السابق، ص: 92.

2- المرجع نفسه، ص: 103.

3- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 178.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

سياقها؛ لأنّ السياق مهمّ جدًّا في فهم المقاصد واستشفاف المعاني، ولا يمكن لعاقل أن ينفي ذلك، وهو يدعو النصارى إلى ضرورة إعادة النظر في طريقة تفسيرهم وتأويلهم للنصوص، فهو السبب الرئيسي في التهافت والتناقض الذي يعاني منه دينهم.

4-الشخص وأعماله:

يعدّ الإنسان في الحجج صاحب صفات معيّنة، كما أنّه موضع للتقويم من طرف الآخرين؛ فالشخص هو مجمل المعلوم من أعماله، ونحن نتحدّث هنا عن العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره لبّ الشخص، وبين أعماله التي هي تجلّيات الجوهر؛ أي علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله،¹ فيمكننا أن نبي الحجة انطلاقاً من علاقة تعايش بين الأشياء؛ فالحديث عن حجة الماهية أو الذات يبني على تفسير حدث أو موقف ما أو التنبؤ به انطلاقاً من الذات التي يعبر عنها ويوضّحها ويجليها،² ويتحرّك المسار الحجاجي في هذا النوع من الحجج في اتجاهين متعاكسين: من الشخص إلى أعماله، ومن أعماله إلى شخصه كأن نحكم على ذكاء شخص ما من خلال حصوله على جائزة نوبل.³

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لقد كتب الأخ سواجارت بعض الكتب الرائعة "زنا المحارم"، "الإباحية في الفن والأدب"، "اللواط والمسكرات"، "سدوم وعمورية"، ولا أتصوّر أنّي أستطيع أن أنافسه في ذلك»⁴. يحتج الشيخ أحمد ديدات على أخلاق محاججه المسيحي المشهور بقدرته العجيبة على الخطابة واستمالة الجماهير المسيحية التي تتابع مختلف برامج التلفزيونية، من خلال أعماله التي وصفها بأنها رائعة، وجميعها تعالج موضوعات تصبّ في خانة الطابوهات والممنوعات، فكتبه تتحدث عن الزنا، واللواط،

1- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 51.

2- ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 228.

3- ينظر: ميلود نزار، آليات الحجج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، ص: 279.

4- المناظرة الكبرى، ص: 106.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

والإباحية، وكلها موضوعات يستغرب الواحد منّا كيف يمكن لقسّ مسيحي متمرس ومختص في اللاهوت أن يهتمّ بها ويعالجها، ويصرف وقته وجهده في دراستها؛ بل إنّ جميع كتبه تعالج هذه الموضوعات العفنة والساقطة، أما المصيبة الكبرى فهي أنّ القسّ جيمي سواجارات نفسه بطل فضيحة جنسية مع عاهرة أمريكية، في حين أنّه أيضا يحقّق أرباحا طائلة من وراء التبشير، ولا ريب أنّ أخلاق الخصم المسيحي المتديّنة جعلته يسب القرآن الكريم والرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، ويتجنى على المسلمين، ويبالغ في تشويه صورة الإسلام، والتدجيل والكذب عليه.

كما ورد في المناظرة نفسها قول الشيخ أحمد ديدات: «والأخ سواجارات في كتابه عن المقامرة يقول إنكم تبدّدون أربعة وخمسين مليار دولار في القمار»¹. فالمنظر المسلم يحكم على أخلاق المجتمع المسيحي من خلال ما كتبه محاججه المسيحي نفسه، فهو يعترف في كتابه عن "القمار" أنّ قومه يبذرون ثورة طائلة في هذا المسلك المحرم؛ وهذا لأنهم لا يستمعون إلى أقوال المسيح، فلا يمكن أن نقول إلاّ أنّه "شهد شاهد من أهلها".

وورد في المناظرة نفسها قول المناظر المسلم: «الأخ سواجارات أراد أن يوحي من خلال حديثه أنّ القرآن مجرد نسخة منتحلة من القصص الموجودة في الإنجيل»². ونجد أنّ الشيخ يعرض هنا بمستوى النقاش عند خصمه، ومحاولته الجنوح إلى الخداع والمكر، حتى يوهم الحضور بوهم ليس عليه أيّ دليل، فالقرآن هو كلام المنزل على نبيّه ورسوله محمّد صلوات الله عليه، وليس منتحلا من إنجيلهم المحرّف، كما يزعم جيمي سواجارت.

ومن نماذج هذه الحجج أيضا ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «وأنت أيّها الأخ شروش، لقد قلت في كتابك: المسيحي المتحرّر... وإن كنت لا أعرف ممن تحرّرت، هل تحررت من اليهود أم من غيرهم.. يقول الدكتور: أيها الأب السماوي، أنا أشكرك على معجزة

1-المرجع السابق، ص: 125.

2-المرجع نفسه، ص: 135.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

إسداء الحياة لي»¹. يحكم الشيخ أحمد ديدات على خصمه المسيحي من خلال كتابه "المسيحي المتحرّر"؛ فهو رجل فلسطيني ولد في الناصرة ثم رحل إلى الأردن، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة، فالتحرر الذي يقصده هو تحرره من عروبتة وأصله، وتحرّره من دين آبائه وأجداده، وتحرّره من اليهود الذين يحتلون أرض ويسمّون أبناء وطنه الحسب والعذاب، واعتناقه الدين المسيحي ودفاعه عنه، لكن يبدو أنّه لا يفهم مبادئ الدين الذي يدافع عنه، فهو يشكر الإله الآب؛ لأنّه مات من أجله وفداه بروحه مناقضا ما تقوله الكنيسة التي تقرّ أنّ الآب قدّم ابنه قريبا ليفتدي به ذنوب بني آدم، ولم يقدم نفسه. وعليه فالمحاجج المسلم يقدم برهانا على جهل خصمه من خلال تقديم برهان من أعماله وهو كتابه الذي ارتكب فيه خطأ فادحا يجعلنا لا نستغرب الأخطاء والسقطات الأخرى التي ارتكبتها أثناء المناظرة.

وفي موضع آخر من المناظرة نفسها يقول المحاجج المسلم حول الكتاب المذكور آنفا: «إنه كان يتمشّي وقد تعلّقت بكل ذراع من ذراعيه فتاة. ودعته فتاة جميلة إلى منزلها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وذهب معها. وكان أبوها ينتظر ومعه مسدس. وكان عليه أن يتراجع، هذا ما يقوله الدكتور شروش في كتابه»². ويحكم الشيخ أحمد ديدات على أخلاق خصمه من خلال ما ورد في كتابه؛ حيث يتبيّح بأنّ بعض الفتيات تعلّقن بذراعه، وصاحب فتاة ما لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معها، لكن أباهما حمل المسدس فهدده به، فما كان منه إلا أن يتراجع، وهذه هي أخلاق القسّ الفلسطيني وأخلاق كثير من القساوسة المسيحيين الذين يطلقون العنان لشهواتهم ورغباتهم على الرغم من أنّهم يتعصّبون -في الظاهر- لديانتهم وكتابهم المقدّس، بينما تؤكّد هذه الحادثة التي ذكرها شروش -بكلّ تبجّح- أنّه يخالف هو نفسه يخالف كثيرا من نصوص الإنجيل التي تقول بأنّك تعدّ زانيا بمجرد نظرة فيها شهوة إلى امرأة ما.

1-مناظرة العصر، ص: 65-66.

2-المرجع نفسه، ص: 92.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «وقد ذكر الدكتور شروش أنّ كلمة إلهيم موجودة في التوراة بصيغة الجمع باعتبار أنّ الياء والميم مقطع يفيد صيغة الجمع، وزعم أنّ صيغة الجمع هذه التي ورد فيها اسم الله في التوراة تُرَجِّح فكرة التثليث وهذا خطأ. وحقيقة الأمر أنه في اللّغة العبريّة كما في اللّغة العربيّة تستخدم صيغة الجمع دلالة على تعظيم الفرد»¹. والشيخ أحمد هنا يطعن في كفاءة القسّ المعرفيّة، ويحكم عليه من خلال صفة الجهل؛ حيث إنّ أنيس شروش يزعم أنّ الياء والميم في كلمة "إلهيم" هي زيادة تدلّ على التثليث في محاولة منه لخداع الجماهير الحاضرة، وتلقينها هذه الفكرة البائسة التالفة، والحقيقة أنّ هذه الزيادة تفيد التعظيم حسب ما وضّح المحاجج المسلم، وهذا الاستعمال موجود أيضا في اللّغة العربيّة، وهذا يقطع الطريق أمام القسّ شروش الذي يفترى ويغالط، ويضعه في موضع الجاهل، ويحطّ من منزلته العلميّة.

كما نلّفني حضورا بارزا لهذا النوع من الحجج في مناظرة ستوكهولم الثانية؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّك حاصل على الدكتوراه في اللاهوت يا باستر استانلي. وأنت تعرف اللّغة اليونانيّة القديمة التي كُتبت بها النصوص الأصليّة للإنجيل وخاصة كتب العهد الجديد»². ونلاحظ هنا أنّ المحاجج المسلم يستند في تقييمه للكفاءة المعرفيّة لباستر استانلي شوبيرج على الشهادة العليا التي حازها (الدكتوراه)؛ ولذلك فسؤال سهل حول اللفظ اليوناني الذي يقابل "الله" لن يعزب عن ذهنه، ولن يحتاج إلى وقت كبير ليجد إجابة شافية كافية، ولكن القسّ الجاهل عجز وخنس، وحرار جوابا.

ويقول الشيخ أحمد ديدات في موضع آخر: «لقد قمت يا باستر استانلي بعملية خداع، لقد أظهرت للناس كتابا، وزعمت نسبة الكتاب إليّ، وأنت تقول إنّ أحمد ديدات قد قام بتأليف هذا الكتاب، وأنا أقول إن هذه كذبة مفتراة»³. والشيخ هنا يوبّخ خصمه ويفضح خداعه الذي

1- المرجع السابق، ص: 75.

2- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 136.

3- المرجع نفسه، ص: 142.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

قام به، ويسقطه أمام أعين الحضور، فقد قام بعمل لا يمتّ للأخلاق بصلة، فحين قصرت حججه، وضعف برهانه جنح إلى محاولة توريط المحاجج المسلم عن طريق الكذب والتدليس.

ويقول في موضع آخر: «لقد قال باستر استانلي بغير حقّ إنني قلت إنّ موسى أعظم من عيسى. هذه كذبة أخرى»¹. وهنا يوجّه المناظر المسلم ضربةً قاصمةً أخرى إلى خصمه؛ حيث يتّهمه بالكذب والنقل غير الأمين، وهو عمل مشين غير مقبول من رجل يعدّ كبير قساوسة السويد، ولا يمكن لرجل جاء يدّعي الدفاع عن الحقّ أن يقوم بفعل كهذا.

وفي موضع آخر يقول العلامة أحمد ديدات: «إنّك اتّهمت الشاب بأنّه شيطان وجعلته يرتجف في مقعده؛ ولقد كان كلّ ما يطلبه هو مجرد إيضاح بسيط. إنكم تزعمون لأنفسكم القدرة على طرد الشياطين مثل كثير من قبائل الزولو»². والمحاجج المسلم هنا يحكم على الأخلاق الرفيعة لخصمه من خلال تعامله الفظّ مع شاب سأل سؤالاً مشروعاً في المدة المخصّصة للأسئلة والأجوبة في مناظرة ستوكهولم الأولى، لكنّ المحاجج المسيحي بدل أن يتعاطى مع السؤال بموضوعيّة ومصداقيّة، اتّهم الشاب بأنّه شيطان، فارتعب الشاب المسكين وبدأ يرتجف، وهذا ما يدلّ على الأخلاق المهترئة الوضيعة لباستر استانلي شوبيرج.

وفي موضع آخر يقول الشيخ أحمد ديدات: «طلبت من الأخ استانلي أن يعطيني نصّاً من الإنجيل أو جملة واحدة يقول فيها عيسى "أنا إله" أو يقول فيها عيسى للناس "اعبدوني"، وهو لم ينجح في ذلك»³. والمحاجج المسلم هنا يطعن في كفاءة خصمه المسيحي الذي تدلّ جميع أعماله وحركاته في هذه المناظرة أنّه جاهل متعنّت، فعلى الرغم من كونه دكتوراً في اللاهوت المسيحي وكبير قساوسة السويد ويحفظ الإنجيل عن ظهر قلب، إلّا أنّه لم يستطع أن يأتي بالجملة التي طلبها الشيخ، وفشل فشلاً ذريعاً في ذلك.

1-المرجع السابق، ص: 144.

2-المرجع نفسه، ص: 150.

3-المرجع نفسه، ص: 177.

5- حجة السلطة:

هذه الحجة دعامة للمتكلم لإثبات صحة دعواه الحجائية أمام المتلقي من خلال الاستناد إلى القوانين أو التعليمات أو الشرائع،¹ مثل: "الكتب السماوية"، "الأنبياء"، "الإجماع"، "الرأي العام"، "العلماء"، "الفقهاء" الخ، وقد يعتمد هذا الحجج على ذكر أشخاص مشهود بنفوذهم وسلطتهم من طرف جمهور السامعين،² وعلى هذا تصبح حجة السلطة أقرب إلى البرهان واليقين الذي لا مرأى فيه؛ لأنها تنطلق من المرجعيات الدينية أو القانونية أو العلمية التي يؤمن بها المتلقي ولا يستطيع التنصل منها.³

وبالرغم من ثبوت القوة الحجائية لحجة السلطة والتسليم بطاقتها الإقناعية التي لا تُمَارَى، فإنّ دفعها ممكن إذا استخدمنا خطابا معارضا يتأسس على أحداث تفنّدها وتكذّبها، أو واجهنا السلطة المعتمدة بسلطة أخرى تناقضها وتدفعها وتردّها.⁴ ويأتي هذا النوع من الحجج مكتملا «لحجاج يكون غنيا بحجج أخرى غير حجة السلطة، كما أنّه كثيرا ما يعمد إلى الثناء على هذه السلطة قبل استخدامها حجة في كلامنا».⁵

وقد كثر هذا النوع من الحجج في مناظرات الشيخ أحمد ديدات مع العلماء النصارى، وتجدد الإشارة إلى أنّ المناظرين المسيحيين جميعهم لا يؤمنون بالقرآن، ولا بكلام النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، ولا بكلام العلماء والفقهاء المسلمين، وعليه فالمحاجج المسلم يعتمد على السلطة المسيحية ممثلة بشكل أساسي في الإنجيل بعهديه القديم والحديث، وما ينقله من كلام القساوسة والعلماء المسيحيين الذين يعدّون مرجعا نافذا وسلطة عليا.

1- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 212.

2- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 53.

3- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 212.

4- ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 235.

5- ينظر: عبد الله صولة، الحجج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجج الخطابية الجديدة لبييرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم

نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 324.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «وهكذا قال المسيح عليه السلام: إن قيامة الجسد بالروح. وقال بولس: إن قيامة الجسد بالروح. وأنا أريد أن أسمع شخصا واحدا في القاعة يخالف قول المسيح عليه السلام، وقول بولس من أن قيامة الجسد بالروح»¹. والشيخ أحمد ديدات يستخدم حجة سلطة استقاها مما قاله المسيح عيسى والقديس بولس اللذان يؤكّدان أن القيامة تكون بالجسد لا بالروح، وهذا عكس ما يروج له النصارى في حديثهم عن قيامة المسيح من الموت بعد أن تمّ صلبه ودفنه، وعليه فهو يتحدّى الجمهور المسيحي أن يعارضوا قول المسيح وقول بولس اللذين يشكّلان سلطة قويّة جدّا في الدين المسيحي لا يمكن ردّها أو رفضها.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «هذه معجزة يونان كما يرويها كتابكم المقدّس. إنّها معجزة فذة تتضمّن داخلها أكثر من معجزة. إنّ معجزة يونان التي قال المسيح لليهود إنّها المعجزة التي سيجريها الله بقدرته لهم على يدي المسيح، ستكون مماثلة لمعجزة يونان»². ويمكن أن نقول أنّ المحاجج والجمهور المسيحي تعرّضوا لقصف عنيف بعد أن هدم الشيخ أحمد ركنا أساسيّاً من أركان المسيحيّة، فقد حاروا جوابا حين أثبت الشيخ بالدليل القاطع أنّ ما يعتبره النصارى معجزة تؤيّد عقيدتهم، هو في حقيقة الأمر فجوة كبيرة وفتق متّسع، يدكّ حصون عقيدتهم ويكشف عورتها. والمحاجج المسلم من خلال استخدام حجة سلطة أساسها ما جاء في الكتاب المقدّس الذي ورد فيه قول عيسى عليه السلام لليهود حين جاؤوا يسألونه عن معجزة، بأنّهم لن يروا إلا معجزة كمعجزة يونان، في حين أنّ ما ورد من نصوص في العهد الجديد لا توافق معجزة يونان، وفي ظل هذا التضارب فإن قول المسيح هو الملزم، وهو السلطة العليا التي ينبغي الإيمان بها.

1- أخطر المناظرات، ص: 46.

2- المرجع نفسه، ص: 52.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة ستوكهولم الثانية؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «ولقد قدّم العلامة "هانز كومب" الأدلة الصريحة على أنّ الإنجيل إنّما هو كلام بشر مستدلاً على ذلك بما ورد بصدر إنجيل القديس لوقا»¹. ينضح هذا النصّ بحجّة سلطويّة قويّة جدّاً مدارها البحث الذي قام به العلامة "هانز كومب" الذي عيّنه "بابا الفاتيكان" شخصياً رئيساً للجنة مكلفة بدراسة الإنجيل، وبعد بحث طويل ومعّمق صرّح هذا العالم الشاب بأنّه لا يوجد أي دليل على أنّ الإنجيل يصدر من الله مباشرة، وعليه فقد توصل في نهاية بحثه إلى نتيجة مفادها كون الإنجيل كلاماً كتبه البشر، وليس هذا كلاماً إنشائياً فقط، فهناك أدلة قويّة جدّاً تثبت هذه النتيجة على رأسها ما ورد في إنجيل "لوقا" الذي يعدّ أحد رواة الأناجيل الأربعة إلى جانب "متى"، و"مرقس"، و"يوحنا"؛ حيث صرّح في إنجيله أنّه كتب الإنجيل من عند نفسه، ولم يكلفه الله بذلك، ولم يكلفه المسيح عليه السلام ولا الروح القدس أيضاً، وعليه فهو قام بنقل كلام من سبقوه فقط، ولم يستند في ذلك إلى أيّ مصدر مقدّس. ومنه فحجّة السلطة هنا قويّة جدّاً وملزمة؛ لأنّ مصدرها أولاً الإنجيل الذي هو الكتاب المقدّس عند المحاجج النصراني، وثانياً الفاتكيان الذي يعدّ عاصمة المسيحيّة في العالم، ولا يمكن للقسّ استانلي شوبيرج أن يماري في هذه الحجّة، بل سيتقبّلها ويخنس ويحاول الالتواء والمخادعة.

كما وظّف المحاجج المسلم في المناظرة نفسها حجج سلطة في مدار نسفه لفكرة التثليث المسيحي من خلال التأكيد على العبث الذي طال الإنجيل؛ حيث قرّر العلماء -الذين يعدّون هيئة عليا وسلطة نافذة معتبرة، أوامرهم مطاعة وقوانينهم سائرة- حذف الآية التي تشير إلى التثليث، يقول الشيخ: «إنّ علماء المسيحيّة أنفسهم قد أزالوا شعار التثليث من الجملة السابعة من الإصحاح الخامس عشر من رسالة يوحنا الأولى، وهي الجملة التي تتضمّن شعار التثليث المسيحي»²، والأمر يتعلّق بجملة «فإنّ الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 27.

2-المرجع نفسه، ص: 164.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد»¹، وقد عدّوا هذا النصّ تزيفاً وتحريفاً لا صلة له بالإنجيل؛ ولذلك فقد قرروا «حذف هذه الزيادة الدالة على أنّ الآب والكلمة والروح القدس هم واحد»². وبهذا فالشيخ يربح جولة مهمّة جداً في هذه المناظرة، فقد استند في إثباته لانتفاء مبدأ التثليث لحجّة قويّة جدّاً مصدرها قرار من سلطة مسيحيّة عليا، لا يمكن لخصمه أن يرفض أبحاثها، ولا أن يطعن في أفعالها.

ومن نماذج هذه الحجج أيضاً ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ أصحاب الكنيسة "الإنجيلكانية" هنا في إنجلترا قد جنحوا إلى الواقعيّة وتراجعوا عن زيف الخيال. لقد أعلن أكثر من نصف علماء اللاهوت بالكنيسة "الإنجيلكانية" هنا في بريطانيا في شهر يونيو الماضي أن المسيحيين ليسوا مرغمين على الاعتقاد بأنّ يسوع قد ولد»³. ومدار حجّة السلطة هنا الإعلان الذي خرج به علماء الكنيسة "الإنجيلكانية" حين تراجعوا عن الخيال والزيف وتدثّروا بجلباب العقل والمنطق، وعارضوا الموروث، وتمردوا على السائد والمنتشر في اعتقاد المسيحيين أنّ المسيح عليه السلام ابن الله؛ إذ لم يلزموا أتباعهم بهذا الاعتقاد، وقرروا أنه ليس حجر زاوية في الديانة المسيحيّة. وبما أنّ المناظرة جرت في "برمنجهام" في إنجلترا، فإنّ القسّ الفلسطيني أنيس شروش يلزمه الاعتراف بذلك واحترامه، والتسليم به، وأخذه بعين الاعتبار، وتحاشي المماراة والجدل والتعنّت.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «يقول المسيحيون إنّ عيسى قد ولد بطريقة إعجازية، ونحن المسلمون نوافق على هذا»⁴. وهذا القول يتضمّن حجّة سلطة تتمثل في الإجماع الذي يشكّل زاوية اتّفاق بين أكبر ديانتين منتشرتين في العالم (الإسلام والمسيحيّة)؛ حيث

1- المرجع السابق، ص: 164.

2- المرجع نفسه، ص: 164.

3- مناظرة العصر، ص: 62.

4- المرجع نفسه، ص: 67.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

تقرآن أنّ المسيح ولد بطريقة إعجازيّة، وقد كانت المسيحية الأولى موحّدة قبل أن يأتي بولس بعقيدة التثليث، ويناقض بها ما دعا إليه المسيح، ويفتق فتقا لم يرتق، وسلك طريقا زائغا، والدليل على أنّ المسيحيّة التي جاء بها عيسى عليه السلام كانت ديانة توحيد هو وجود مسيحيين موحّدين في العالم حتى يومنا هذا.

III- الحجج المؤسّسة لبنية الواقع:

إنّ منتهى الحجاج الناجع يقوم على بناء واقع جديد يستطيع من خلاله المحاجج أن يقنع الجمهور ويقوده نحو الاتجاه الذي يريده من أجل الإيمان بالأبسطيات التي يدافع عنها، ويرسم من خلاله معالمه الرؤيويّة وهيئاته التصوريّة.¹ وعليه فإنّ هذا النوع من الحجج يرتبط بالواقع ارتباطا وثيقا، ولكنها لا تتأسّس ولا تبني على بنيته؛ وإنما هي التي تؤسّس هذا الواقع وتبنيه، أو على الأقلّ تكمله وتظهر ما خفي من علاقات بينه وبين أشيائه، أو توضّح ما لم يكن متوقّعا من هذه العلاقات، وما لم نتظر من روابط بين عناصره ومكوّناته وأجزائه.² وتقوم هذه الحجج على مستويين أساسيين، أولهما: تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، وثانيهما: يقوم على استخدام التمثيل استخداما حجاجيا.³

1- الحجج المؤسّسة للواقع التي تعتمد على الحالات الخاصة:

يلجأ المتلقي في كثير من الأحيان أثناء الحجج إلى استعمال حالات منفردة مأخوذة من الواقع ليبنى على منوالها نتائج الحجج، فتحوّل تلكم الحالات الفردية من الخصوص إلى العموم، ويبنى على أساسها الواقع المقصود تصويره في ذهن المتلقي،⁴ ويختصر شايم بيرلمان

1- ينظر: علي الشبعان، الحجج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م، ص: 165.

2- ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، ص: 242.

3- ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجج في البلاغة المعاصرة، ص: 131-132.

4- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 216.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

وظائف هذه الحالات الخاصة بقوله: «ففي حال الشاهد ستسمح بالتعميم، وفي حال المثال ستسمح بدعم قاعدة قائمة سلفا، وفي حال القدوة ستدعو إلى الاقتداء». وعليه فإنّ هذا الصنف من الحجج يعتمد في تأسيسه على ثلاثة أنواع من الحجج تفصيلها كالتالي: ¹

1-1- حجة الشاهد:

إنّ الشاهد يشبه البنية التي تدعم القضية وتقوّيها، ويوظّف من أجل إثبات صحّة أطروحة معيّنة، ويهدف إلى تقوية حضور الحجّة؛ حيث يجعل القاعدة المجرّدة ملموسة وواقعيّة بواسطة الحالة الخاصة حين يستشهد بها عليها؛ فالاستشهاد صورة تدعم القاعدة وتوضّحها. ² وقد أشار فرانسوا مورو إلى أصول الاستشهاد المباشرة في البلاغة اليونانيّة التي تمثّلت من لدن "أرسطو"، و"شيشيرون"، و"كانتيليان" الذين ألحوا على احتياج الخطيب إلى المعرفة العميقة والعلم الدقيق بشواهد التاريخ والميثولوجيا، والخرافات البطوليّة أيضا. ³ ويستخدم المحاجج الشاهد الذي يعدّ معينا لا ينضب يُمتاح منه ما تطلّب المقام ذلك؛ لأنّ هذه الأصناف من الحجج تعدّ حقلا خصبا يقوّي الحجّة ويعضد الدليل، ويسبغ على أقوال المحاجج صفة القوة والصلابة، وإقامة الشاهد على هذا الأساس يتيح له فرصة إفحام خصمه وإجمامه، فيحمل المتلقي على تبني أفكاره التي يعرضها والاعتناع بها. ⁴ ولأنّ الشاهد يحظى بسلطة مصداقية ونفوذ، فإنّ هاتين السلطتين تختلفان مقدارا؛ إذ إنّ القرآن الكريم هو أعلى وأكبر «وسائل الاستشهاد في الثقافة العربية الإسلامية، وهذا التفوق الدرّجي يجعل منه الحجّة العليا؛ مما يجعل الفعل الحجّجي الذي يتم به أكثر إقناعا والشاهد القرآني سلطة غير شخصيّة؛ لأنّه العقيدة والكتاب المقدّس لعموم المسلمين؛ لذلك يشكّل محطّ إجماع

1- ينظر: محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 2005، ص: 403.

2- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص: 55.

3- ينظر: فرانسوا مورو، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جرير، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 1989م، ص: 53.

4- ينظر: مالك عوادي، الخطاب الحجاجي عند الإمام محمد الغزالي، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان العربي، مخطوطة، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خبضر، بسكرة، الجزائر، 1437هـ-2016م، ص: 181.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

عام، دونه كل الحجج»¹، والأمر نفسه ينسحب على الإنجيل عند النصارى، والتوراة عند اليهود. وعند استخدام الشاهد يجب أن يكون المتكلم على معرفة سابقة به، وقادرا على تصوّره بيسر وأن يمتلك الدراية على وجود أثر له في مجال التداول.²

وتعجّ جميع مناظرات الشيخ أحمد ديدات بالشواهد المختلفة التي كان يسردها في كلّ موضع من أجل تقوية حججه وزيادة كثافة خطابه الإقناعي، وأغلب الشواهد التي وظّفها الشيخ أحمد ديدات في سياقات محدّدة استقاها من الإنجيل الذي يتعبد به النصارى بعهديه القديم والحديث، كما أنّه يستشهد أحيانا بأقوال بعض العلماء والقساوسة النصارى، وكذلك آراء الطوائف المسيحيّة المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ توظيف المحاجج المسلم للقرآن الكريم والسنة النبوية جاء في مواضع قليلة؛ نظرا لإدراكه أنّ خصومه لا يؤمنون بالكتاب المقدّس للمسلمين، والأمر نفسه ينسحب على كلام الرسول الكريم، ولا خلاف في أنّهم لا يؤمنون أيضا بكلام العلماء والفقهاء المسلمين، فلا يبقى أمام الشيخ أحمد ديدات غير اللّجوء إلى محاولة نسف عقائد النصارى من داخلها؛ أي من خلال نصوص الإنجيل وآراء المذاهب المسيحيّة. ونظرا لكثرة هذا القسم من الحجج سوف يكتفي الباحث بنماذج فقط.

ففي المناظرة الكبرى مع جيمي سواجارت يتطرّق الشيخ إلى التحريف الذي قام به القسّ البروتستانتي؛ إذ عمد إلى الاستعاضة عن كلمة pricks بكلمة goads التي هي كلمة مستحدثة وغامضة، ويلومه على تغييرها؛ لأنّها لم ترد في النصّ الأصلي في سفر أعمال الرسل، وهو: «وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَعَثَهُ أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ

1- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 232-233.

2- ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص: 111.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلًا لَهُ: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهُدُنِي؟¹، والأمانة تقتضي أن لا يتم تغيير الكلمات حتى في الكتب التي خطها البشر، فما بالك بأقدس كتاب عنده ألا وهو الإنجيل، ولا ريب في أنّ تغييرها وراءه غرض وهدف معيّن. ثمّ يستشهد الشيخ بتحريف آخر قام به القسّ جيمي سواجارت الذي استعاض عن كلمة المولود بالله بكلمة المتفرد لغاية في نفسه، والنص كما ورد في الإنجيل: «لَأَنَّ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ»، واللفظ الأصلي بالإنجليزية Begotten وسواجارت غيّره إلى Unique لغاية في نفسه؛ فالظاهر أنّه يخجل من هذه الكلمة بالنظر إلى حملها مدلولاً جنسيّاً حسياً لم يرد أن يستثير به مشاعر المسلمين الحاضرين في قاعة المناظرة. وفي موضع آخر يستند الشيخ إلى نصوص من العهد القديم للتأكيد على أنّ موسى لم يكتب الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، والنصوص هي: «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى»²، «فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ»³، «فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ»⁴، ولا جرم أن مجيء هذه النصوص بصيغة الغائب يحيل إلى أنّ موسى لم يكتبها؛ بل كتبها من جاؤوا بعده، فضلاً عن أنّ موسى لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يكتب نعيه بعد وفاته، ولا يُعرف مكان دفنه حتى اليوم. ثم يحاول الشيخ إبطال تصوّر المسيحي الذي يرى أنّ محمّداً عليه صلوات الله وسلامه لا يمكن أن يكون بعظمة عيسى؛ لأنّ عيسى عليه السلام أتى بمعجزات عظيمة، فيستشهد الشيخ بما ورد في إنجيل متى: «كثيرون سيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنبَأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً»⁵، وهذا دليل على أنّ هناك من سيأتي بمعجزات

1-الكتاب المقدس، العهد الجديد، ص: 396-397.

2-المصدر نفسه، العهد القديم، ص: 161.

3-المصدر نفسه، ص: 414.

4-المصدر نفسه، ص: 303.

5-الكتاب المقدس، العهد الجديد، ص: 56.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

بعد المسيح، وعليه فالمعجزات ليس هي الدليل الوحيد على العظمة، ويمكن أن يُخدع الناس ويجعلوا كلَّ شخص يأتي بمعجزة دليلاً، ولذلك فقد تبهم المسيح إلى ذلك.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر بين الشيخ أحمد ديدات والقسّ أنيس شروش؛ حيث يقول ينقل المحاجج المسلم القول التالي من إنجيل يوحنا: «لَا تَتَعَجَّبُوا أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: يَنْبَغِي أَنْ تُوَلَدُوا مِنْ فَوْق»¹. وقد جرى توظيف هذا الشاهد في سياق حجاجي يحاول فيه الشيخ أحمد نفي فكرة الأبوة عن الله عزّ وجل، وبالتالي نفي فكرة النبوة عن المسيح؛ حيث يؤكّد أنّ الأبوة المقصودة هي الأبوة المعنوية، وليست الأبوة البيولوجية التي يعتقد بها المسيحيون، ويؤكّد هذا الشاهد الذي نقله عن المسيح عيسى، فقد دعاهم إلى عدم الشعور بالتعجب إن أخبرهم أنّهم ينبغي أن يولدوا من فوق؛ أي أن تكون قلوبهم وعقولهم معلقة برّبهم، فيطيعوا أوامره ويجتنبوا نواهيه، وعلى هذا فالمسيح نفسه كان يرى نفسه ابناً لله على سبيل المجاز، ولا يمكن أن نماري في أنّه أقربنا إلى الله بعدة نبيّا ورسولاً يوحى إليه، ومؤيّدًا بمعجزات. وفي خضم حديث الشيخ عن إنسانية المسيح عيسى، وتأكيد على أنّه بشر يصيبه ما يصيب البشر، ويفعل الأفعال التي يقوم بها كلّ البشر، فهو يحزن، ويفرح، ويمشي في الأسواق، ويأكل ويشرب ويقضي حاجته يستشهد الشيخ أحمد بإنجيل القديس لوقا في قوله: «وَلَمَّا انْقَضَتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ فَحَانَ لِلطُّفْلِ أَنْ يُخْتَنَ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا سَمَّاهُ الْمَلَائِكَةُ قَبْلَ أَنْ يُحْبَلَ بِهِ»²، فهذا النصّ يؤكّد أنّ المسيح تمّ ختانه كما يتم ختان جميع الأولاد، ولا يعقل أن يختن الرب كما يختن جميع البشر، وقد صفّق الحاضرون كثيراً بعد استشهاد الشيخ أحمد بهذا النص. وفي مدار الحجاج نفسه يستشهد الشيخ أحمد ديدات بنصّ آخر من إنجيل القديس يوحنا الذي يقول فيه: «أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِي، بَلْ أَحْكُمُ عَلَى مَا أَسْمَعُ، وَحُكْمِي عَادِلٌ؛ لِأَنِّي لَا أَتَوَخَّى مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ

1-المصدر السابق، ص: 296.

2-المصدر نفسه، ص: 195.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

الذي أرسلني». ¹ فهذا النص دليل واضح وبيّن، وحمّة قويّة في تبيان أنّ المسيح ليس إلها بل بشرا رسولا؛ لأنّه يقرّ بضعفه وبأنّه لا يستطيع أن يفعل شيئا من نفسه، فأفعاله كما يعترف مصدرها الأوامر التي يُوحى إليه بها من عند الله الذي أرسله واختاره. ومقتضيات الربوبية تفرض أن يكون الله قادرا من عند نفسه، و متمكّنا من عند نفسه، وإرادته فوق كلّ إرادة، فكيف يكون الإله الذي لا يستطيع أن يفعل شيئا من نفسه؟

وفي مناظرة الشيخ أحمد ديدات مع البروفيسور فلويد كلارك يوظّف المناظر المسلم شاهدا استقاه من إنجيل القديس متى في قوله: «يَا مُعَلِّمُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً، فَأَجَابَهُمْ: جِيلٌ فَاسِقٌ وَشَرِيرٌ يُطَالِبُ بِآيَةٍ، وَلَنْ يُعْطَى آيَةً سِوَى آيَةِ يُونَانَ النَّبِيِّ، فَكَمَا بَقِيَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، فَكَذَلِكَ يَبْقَى ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ»²؛ حيث جاء بعض الكتبة والفريسيين* اليهود وطلبوا من المسيح أن يريهم آية معجزة، فوصفهم بأنهم جيل فاسق وشيرير ولن يروا أي آية؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أخبره بأن أكثرهم سيكذبونه وينقلبون عليه، ويسلمونه إلى السلطات الرومانيّة. وأهميّة الشاهد الذي وظّفه المحاجج المسلم مداره التأكيد على فكرة التماثل بين معجزة النبي يونس عليه السلام، وبين معجزة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؛ أي إنّ المسيح سيمكث في قبره ثلاثة أيام وثلث ليل، كما مكث النبيّ يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلث ليل، والمفاجأة الكبيرة أنّ هذا النصّ الوارد في إنجيل القديس متى يناقض ما ورد في إنجيل القديس لوقا الذي يؤكّد أنّ المسيح دفن مع أضواء يوم السبت: «وَعِنْدَ فَجْرِ الْأَحَدِ جِئْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَهُنَّ يَحْمِلُنَ الطِّيبَ الَّذِي أَعَدَدْنَهُ، فَوَجَدْنَا الْحَجَرَ قَدْ

1-المصدر السابق، ص: 303.

2-المصدر نفسه، ص: 71.

*- الفريسيون (Pharisees): هم حزب سياسي ديني برز خلال القرن الأول داخل المجتمع اليهودي في فلسطين؛ يعود أصل المصطلح إلى اللغة الآرامية ويشير إلى الابتعاد والاعتزال عن الحاطقين؛ كان الفريسيون يتبعون مذهباً دينياً متشدداً في الحفاظ على شريعة موسى والسنن الشفهية التي استنبطوها. وحسب الاعتقاد المسيحي الفريسيون أنّهموا المسيح بأنّه مجدّف ومهرطق، وسلّموه إلى القائد الروماني بيلاطس البنطي، وهادّوه بالتمرد وإشعال فتيل ثورة إن هو لم يصلبه.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

دُخِرَجَ عَنِ الْقَبْرِ. فَدَخَلْنَا فَلَمْ يَجِدْنَا جُثْمَانَ الرَّبِّ يَسُوعَ»¹، وهذا النص الذي استشهد به المحاجج المسلم يؤكد أن المسيح مكث في قبره يوما وليلتين، وهذا يخالف قطعاً المعجزة التي أكد عليها المسيح حين نقل متى في إنجيله القول على لسانه بأن مدة مكوثه في القبر هي ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ؛ مما يجعلنا نرفض القصة برمّتها ونردّها بل نردّ الإنجيل نفسه ونكذّبه، ويزيدنا إيماناً بتناقضه وتهافته. ولا شكّ في أنّ المحاجج المسيحي سيقف مبهوراً ويطار جواً إزاء هذه الفضيحة الكبيرة التي تهمّز ركناً كبيراً من أركان المسيحية، وتمسّ عقيدة رئيسة يتعبد بها النصارى ويدافعون عنها، ألا وهي عقيدة الصلب والفداء المزعومة.

وفي مناظرة ستوكهولم الأولى بين الشيخ أحمد ديدات والقسّ السويدي استانلي شويبرج يستشهد المحاجج المسلم لإثبات التناقض في الإنجيل بنصّين أحدهما في العهد القديم (سفر التكوين)، وثانيهما في العهد الجديد (إنجيل يوحنا)؛ حيث ورد في سفر التكوين النص الآتي: «وَسَمِيَ يَعْقُوبُ الْمَكَانَ فَنُؤْيِلَ قَائِلاً: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ وَجْهًا إِلَى وَجْهِهِ، وَنَجَتْ نَفْسِي»²، وورد في إنجيل القديس يوحنا النص الآتي: «إِنَّ اللَّهَ مَا رَأَهُ أَحَدٌ قَطُّ، الْابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي فِي حُضْنِ الْآبِ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ»³. ويتساءل العلامة المسلم عن ما ينبغي تصديقه وما ينبغي تكذيبه، وعن الحق والباطل في هذين النصّين، فنحن إن سلّمنا بصدق ما ورد في سفر التكوين فسوف نكذّب القديس يوحنا، وإذا سلّمنا بصدق رواية يوحنا فسوف نكذّب ما ورد في سفر التكوين، وهذا تناقض صارخ في الكتاب المقدّس الذي يدافع عنه القسّ استانلي شويبرج. ومن صور التناقض الصارخ أيضاً ما ورد في إنجيل القديس يوحنا سابق الذكر؛ حيث ورد فيه النصّ الآتي: «لَمَّا كُنْتَ مَعَهُمْ حَفِظْتَهُمْ بِاسْمِكَ الَّذِي وَهَبْتَهُ لِي، وَسَهَرْتُ فَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا ابْنُ الْهَلَاكِ»⁴، وبعد صفحتين فقط يورد القديس المبجل نصّاً يتناقض مع النصّ السابق؛ إذ يقول:

1- الكتاب المقدّس، العهد الجديد، ص: 276.

2- المصدر نفسه، العهد القديم، ص: 119.

3- المصدر نفسه، العهد الجديد، ص: 291.

4- المصدر نفسه، ص: 347.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

«فَتَمَّتْ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا: إِنَّ الَّذِينَ وَهَبْتَهُمْ لِي لَمْ أَدْعُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَهْلِكُ»،¹ ويتساءل المحاجج المسلم من خلال استشهاده بهذين النصين عن سرّ تناقض كلام إنجيل يوحنا؛ إذ إنّ هناك فرقا بين أن يهلك واحد وأن لا يهلك أحد، ولا يمكن بأيّ حال أن تقع مثل هذه السقطة في كتاب منزل من عند الله؛ لأنّ كلام الله لا يصيبه التناقض والخطأ، وهذا دليل على أنّ الإنجيل الحالي ليس كلمة الله.

وفي مناظرة ستوكهولم الثانية يؤكّد المحاجج المسلم أنّ سبب الاعتقاد المسيحي بتأليه المسيح والتثليث مردّه إلى التفسير المنحرف للنصوص، وحملها على غير الوجوه التي قصدتها المسيح عليه السلام؛ لأنّ النصارى لا يحتكمون إلى السياق، ويفهمون النصوص فهما سطحيًا، كما أنّهم لا يميّزون بين الحقيقة والمجاز في كلام المسيح، فوقعوا في المطبّ نفسه الذي وقع فيه اليهود، وعلى الرغم من كلّ هذا فلا يوجد نصّ واحد يشير إلى أنّ المسيح إله، أو يأمر فيه عليه السلام الناس بعبادته، فعبارة «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»² وردت في سياقٍ معيّن يؤكّد أنّ ما يقصده المسيح هو أنّ غرضه وغرض الآب واحدٍ، وهدفهم واحد، «وهو هداية البشر إلى الاعتقادات الصحيحة في ما يتعلق بالله تعالى»،³ ولكن اليهود لم يفهموا قصده كما لم يفهمه النصارى اليوم، ويتحدّث يوحنا عن موقف اليهود من العبارة السابقة قائلا: «فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ حِجَارَةً أَيْضًا لِيَرْجُمُوهُ»،⁴ فاستغرب المسيح عليه السلام فعلهم، واستفسرهم عن السبب الذي دفعهم لرحمه، فقالوا: «لَسْنَا نَرَجُمُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا»،⁵ فهم لم يفهموا قصده؛ ولذلك تعاملوا معه بهذه الطريقة، واثّموه بالتجديف والهرطقة، وما يؤكّد أنّ المسيح يعني بكلامه أنّ غرضه وغرض الآب واحد ما ورد في الآية الخامسة من الإصحاح الرابع

1-المصدر السابق، ص: 349.

2-المصدر نفسه، ص: 323.

3-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 178-179.

4-الكتاب المقدّس، العهد الجديد، ص: 323.

5-المصدر نفسه، ص: 323.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

عشر من إنجيل يوحنا نفسه: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِإِذْنِي»¹، ومعنى ذلك أنّ عيسى عليه الصلاة والسلام «بَيَّنْ لَهُمْ وَوَضَّحْ لَهُمِ الْمَنْهَجَ، مِنْهَجَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ. وَلَوْ سَارُوا عَلَى مَنْهَجِهِ وَوَفَّقَ تَعَالِيمَهُ لَوَصَلُوا إِلَى الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ اللَّهِ»²، وليؤكد الشيخ أحمد ديدات فكرته يستشهد بنصّ آخر من إنجيل يوحنا يخاطب فيه المسيح عليه السلام أحد حواريه الاثني عشر: «إِنِّي مَعَكُمْ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ، أَفَلَا تَعْرِفُونِي، يَا فِيلِبُّسُ؟»³، وهذا ما يدل على أنّ كلام المسيح كان ثقيلا وصعبا، وغريبا نوعا ما، وغير مألوف بالنسبة للمجتمع اليهودي، وحتى بالنسبة لبعض الحواريين، وقد أساء المسيحيون التعامل مع كلامه وحرّفوه كما يحلو لهم، فجاؤوا بعقائد ما أنزل الله بها من سلطان.

1-2-حجة المثل:

يقوم المثل في الخطابة مثل ما يقوم الاستقراء في المنطق، ويمكن أن نعدّ المثل استقراءً بلاغياً؛ «إذ هو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدّمتهما، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، ويؤتى بالمثل في الحالات التي لا يكون فيها عادة مقدّمات»⁴، وتقتضي الحاجة بالمثل وجود بعض الخلافات حول القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لدعمها وتكريسها، ويمكن أن يكون المثل قاعدة عامّة تبلور لنا قانوناً؛⁵ حيث يتم الاستدلال في أحيان كثيرة بالمثل «المفرد المعزول الذي يعتمد لتعميم حكم ما أو فكرة معيّنة فيتأسّس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها؛ حيث تصبح حالة عامّة لا مجرد حالة خاصة تمّ الانطلاق منها وبناء الواقع عليها»⁶.

1-المصدر السابق، ص: 336.

2-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 181.

3- المرجع نفسه، ص: 337.

4-ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيّة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2002م، ص: 82.

5-ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دراسات وتطبيقات، ص: 54.

6-سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، ص: 243.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ويؤكد شايم بيرلمان أنّ مدار الأمر في المماثلة هو "التشابه في العلاقة" أكثر منه "التشابه في الحدث"؛ حيث إنّ المماثلة تقيم علاقة في داخل الموضوع، وعلاقة في داخل المثال.¹

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «وعلى سبيل المثال تصادف أنّ أمريكيًّا كان في زيارة لمدينة "ديربان" ضمن مجموعة سياحية وجاء لزيارة المسجد، وشاء القدر أن أقوم بدور المرشد. وسألته: ما معنى أن تقول: وُلد ولم يخلق؟ فقال: إنّها تعني أنّ الله أنجبه، صرخت ماذا؟ فقال: لا لا أنا أقول إنّ هذا ما تعنيه الكلمة»². والعلامة أحمد ديدات يريد أن يؤكّد للجمهور أنّه طوال أربعين سنة لم يستطع أن يشرح له إنجليزي واحد معنى كلمة (Begotten)، ويضرب مثلا أساسه قصّة واقعيّة حدثت له حين كان مرشدا سياحيا في جنوب إفريقيا؛ حيث جاء رجل أمريكيّ في زيارة إلى المسجد، وسأله الشيخ عن معنى الكلمة السابقة، فأجاب بقوله: أنجبه الله، ثم لما حاصره الشيخ أحمد بالأسئلة تراجع وتلملم، ولم يستطع أن يجيب ويشرح المعنى بدقّة، وهذا الشخص يمكن أن يصير قاعدة عامّة على كلّ نصراني جاهل لا يفهم العقيدة التي يدين بها.

ووردت في المناظرة نفسها حجّة مثل أيضا في قول المحاجج المسلم: «إذا اصطحبت معي بعض المجالات التي تباع في مطار هيثرو أو كينيدي أيّ مكان، وأخذتها إلى بلدي، فإنّهم يجسّونني لمدة عامين. هم أتقياء وصالحون»³. والمحاجج المسلم هنا يضرب مثلا للمجالات التي تباع في كثير من المطارات في الدول التي تُكسر فيها الطابوهات وتنتشر فيها الإباحيّة بشكل كبير، ولا ترى عيبا في وضع الصّور غير المحتشمة، ومعالجة المواضيع الساقطة المبتذلة بتلك التي تُباع في مطاري هيثرو البريطاني وكينيدي الأمريكي، بعدّها من أكبر المطارات وأشهرها في العالم، وهي مرفوضة في

1- ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 1432هـ-2011م، ص: 55.

2- المناظرة الكبرى، ص: 102.

3- المرجع نفسه، ص: 110.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

دولة جنوب إفريقيا، ولا تباع هناك على الإطلاق؛ نظرا للتدين الكبير الذي يتمتع به شعبه، ولذلك فهم يقومون بمعاقة أي شخص يُضبط ويجوزته مثل هذه المجالات بالسجن والغرامة المالية. والشَّيخ هنا لا يهّمه ذكر المطارين السابقين تحديدا؛ بل ما يهّمه هو التمثيل بهما لتثبيت هذه الفكرة التي يحاول بسطها وتوضيحها.

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «على سبيل المثال: إذا كتبنا بالإنجليزية "الرجل ينام على السرير" واختزلنا كلمة "bed" التي تعني السرير إلى b.d فأنتم تعرفون أنّها bed وليست "بِد" أو "بَاذ" أو "بَد"؛ لأنكم تدركون أنّ "b.d" تعني "bed"، فحسبكم اللغوي يساعدكم على استحضار حروف المدّ إلى أذهانكم»¹. وهنا يجنح الشَّيخ للتمثيل من أجل توضيح فكرته وتقريبها، ومتعلّقها بكون الاختصار مهيعا مطروقا وسبيلا مسلوكا عند أصحاب اللغة الأصليين؛ ويضرب مثلا بكلمة "bed" الإنجليزية التي تعني "السرير" باللغة العربية، والتي تُختصر إلى "b.d"، ولا يسبب هذا إشكالا عند أبناء اللغة الأصليين؛ لأنهم يستحضرون حرف المدّ المحذوف "e" دون وعي، لمعرفةهم وتعودهم على ذلك.

وليبيّن الشَّيخ أنّ التحريف النطقي يحدث لا محالة حين يتحدّث الأجانب باللغة العربية؛ نظرا لصعوبتها يقول: «وهكذا عندما دخل بعض أبناء الأمم الأخرى في الإسلام فكما سمعوا اللغة أخذوا ينطقونها، ثم يكتبونها محرّفة، كما في الإنجليزية بعض مواطني يلفظون "ديفُورس" "divorce" التي تعني الطلاق "ديفُورس"»². ولتوضيح فكرته وتجليتها أكثر للجمهور الحاضر، يمثّل بالتحريف الصّوتي الذي يقع عند بعض متحدّثي اللغة الإنجليزية في دولة جنوب إفريقيا؛ إذ يقولون "ديفُورس"، والصواب "ديفُورس".

1-المرجع السابق، ص: 122.

2-المرجع نفسه، ص: 122.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

وفي المناظرة نفسها يقول المحاجج المسلم: «بنو جنسي مثلاً وهم أكثر الشعوب عنصريّة على وجه الأرض، أنتم تعرفون الهندوس في الهند طائفة الهندوس الطبقة العليا للبرهمنيّة، أمّي التي أنحدر منها تجدون أنّ هذه الأمة التي كانت أكثر الأمم عنصريّة تتبدّل، ولا تفرّق بين الأبيض والأسود، والغني، والفقير، فكّلهم إخوة، لقد تبدّلوا»¹. والشّيخ هنا يمثّل للتغيير والتبديل الذي أصاب بعض المجتمعات التي كانت كافرة وأسلمت، بالمجتمع الهندوسي الذي كانت تشوبه فرقة كبيرة؛ لكن انضواءهم تحت راية التوحيد جعلهم إخوة متحابّين، متآلفين، كالبنيان المرصوص. وهو يقدر بهذا ضمناً في الأمة النصرانيّة التي تدّعي اتّباع دين عيسى عليه السلام، لكنها لم تستطع التخلّص من العنصرية والفرقة، ونلّف في انتشار الآفات الاجتماعيّة بشكل كبير ومرعب.

كما وردت حجّة مثل في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «رأى يوحنا اللاهوتي حيواناتٍ لها عيون داخلة وعيون خارجة، ورأى حيوانات لها قرون وبداخل القرون عيون، شأن أي رجل يتخّم معدته بطعام كثير قبل النوم، فيحظى في أحلامه بخيالات وتجارب مثيرة من هذا النوع»². وفي هذا النصّ يفنّد الشيخ أحمد ديدات الرواية التي نقلها القديس يوحنا ويتبيّح بها المسيحيون، فيرفعون بموجبها عيسى بن مريم إلى مرتبة الإلهيّة؛ حيث إنّ النصوص التي تضمنتها وحُملت على معنى تأليه المسيح لذاته، وتسويته لنفسه مع الخالق المدبّر وردت في سياق مقولة طويلة تضجّ بأخبار عجيبة وغريبة، يصلح أن تنتمي إلى عالم الفانتازيا والخيال، لا إلى عالم الواقع والملموس، ويوحنا لم يكن إلا رجلاً من الناس ويعتريه ما يعتري كل البشر، والرؤيا التي رآها تشبه ما يراه كثير من الناس حين يتخمون معدّهم بالطعام الكثير قبل النوم، ممّا يسبب لهم أحلاماً مزعجة تتفتّق فيها خيالات مجنّحة، فيحظون بتجارب مثيرة ومغامرات عجيبة.

1- المرجع السابق، ص: 124.

2- مناظرة العصر، ص: 62.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ووردت حجة مثل في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «وأنا كرجل مسلم أو من أنّ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان رسولا من رسل الله المكرمين المعظمين»¹. ومدار حجة المثل هو الشيخ أحمد ديدات نفسه الذي يعدّ رجلا مسلما صلب التدين؛ إذ يجبه ويتبعه ويحترمه ملايين الناس، وكلامه مسموع ومقبول عند كثير من الطوائف، وقد أعلن من خلال هذا النصّ نظرتة للمسيح عليه السلام، فهو يراه نبيا ورسولا مكرّما وعظيما، وجميع المسلمين يعتقدون هذا المذهب، فلا يوجد مسلم واحد يبغض المسيح، فمبغض المسيح عليه السلام يعدّ كافرا في العقيدة الإسلاميّة؛ لأنّ الإيمان برسل الله وأنبيائه واحد من أركان الإيمان الستة.

كما وردت حجة مثل في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «ولو قالت إنها رأت شبح عيسى لصدّقوها؛ لأنه في تلك الأيام كانت قصص الأشباح تحظى بالقبول عند استماع الناس لها، وأنتم تذكرون قصّة الألفي شبح التي دخلت أجسام الخنازير»². الشيخ أحمد ديدات هنا يتناول حادثة رؤية مريم المجدلية للمسيح عليه السلام حيّا، ثم هلعها وذهاها إلى الحوارين الذين لم يصدّقوا قولها؛ لأنّ هذا غير قابل للتصديق، لكنّها لو أخبرتهم قصّة من قصص الأشباح لصدّقوها؛ إذ إنّ اليهود كانوا يؤمنون بقصص الأشباح والعرافيت، وهذه الأمور محلّ قبول عندهم، ويضرب المناظر المسلم أحمد مثلا بقصّة الألفي شبح التي دخلت أجسام الخنازير بعدّها أمودجا رائجا ومشهورا عند النصارى.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة ستوكهولم الأولى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «المقصود أنّهم مسيحيّون مخلصون في تديّنتهم إلى حدّ أنّهم يلحظون ويتفهمون فضائل ومزايا الإسلام، كما حدث بالفعل من جانب المسيحيّين الذين لم يكونوا عربا بالحبشة عندما لجأ إليهم فريق من أوائل المسلمين المضطهدين»³. وتتجلى حجة المثل في هذا القول من خلال تأكيد

1- المرجع السابق، ص: 61.

2- أخطر المناظرات، ص: 50.

3- مناظرتان في ستوكهولم، ص: 46.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

المحاجج المسلم على حقيقة أنّ المسيحيين الطيبين يرون حجم التقارب بين الإسلام والمسيحية، ويبحثون في نقاط التقارب التي تجمع بين الديانتين، ويضرب مثالا بمسيحيي الحبشة الذين استقبلوا المسلمين المهاجرين واحتفوا بهم وأكرمهم ودافعوا عنهم، فهم ينضون تحت لواء أولئك المسيحيين المخلصين الذين عناهم القرآن.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة ستوكهولم الثانية؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لقد تحدّيت أحد الأصدقاء أن أعطيه مائة دولار لو قرأ إصحاحا موجودا علنا أمام الجمهور... إنّه في حقيقة الأمر لم يستطع هو نفسه أن يقرأ ما أعطيته له ليقرأه».¹ والشيخ هنا يتحدّث عن النصوص الإباحية والفاسقة الموجودة في الإنجيل، والتي يستحي أن يقرأها أيّ مسيحيّ علنا أمام الناس وأمام أهله وأقاربه إذا كانوا أناسا فاضلين أصحاب أخلاق، وحتى القساوسة أنفسهم يستحون من ذلك، ويمثّل بالقسّ "جيمي سواجارت" الذي استحي أن يقرأ النصوص الإباحية الموجودة في سفر حزقيال؛ مما يحيل إلى أنّ الكتاب المقدّس ليس كلام الله.

ويقول الشيخ في موضع آخر من المناظرة نفسها: «لقد وجهت هذا السؤال إلى قساوسة كبار مثل: ريفراند، وباستر... كنت أسألهم عن السياق، كنت أسألهم عن معنى قولة عيسى هذه في ضوء السياق الذي قالها فيه».² والمحاجج المسلم هنا يريد التنبيه إلى أنّه سأل كثيرا من علماء النصارى عن مقولة معيّنة وردت في إنجيل يوحنا جعلها النصارى حجّة لتأليه عيسى دون النظر في سياقها؛ لأنّ تجريدتها من سياقها يعطيها حملا دلاليًا آخر، ويضرب مثلا لمن سألهم من كبار القساوسة ريفراند وباستر حتّى يعطي لكلامه مصداقية وقوّة حجائية.

ويقول الشيخ في موضع آخر من المناظرة نفسها: «كان المسيح عليه السلام يتكلم عن الصراط المستقيم، وحسبوه يتكلم عن طريق من طرقات الأرض كالطريق إلى لندن أو إلى

1- المرجع السابق، ص: 174.

2- المرجع نفسه، ص: 178.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

أستراليا»¹ وعن طريق التمثيل بيّن الشيخ للحاضرين أن بني إسرائيل أسأؤوا فهم المسيح، فهو يتحدث عن طريق النجاة؛ عن الطريق المستقيم، والدرب السليم القويم، ولكنّ فهمهم المادي المستغلق قادهم إلى الظنّ أنّه طريق من طرق الدنيا، ويضرب الشيخ مثلا لذلك بالطريق إلى مدينة لندن والطريق إلى دولة أستراليا من أجل توضيح المعنى وتحليلته.

1-3-حجّة النموذج:

النموذج في تعريفه الدقيق «هو مثال نقترحه لأنفسنا، أو نقترح اتّباعه، وبهذا فهو يمثّل معيارا، حتى وإن كان يعتبر حالة خاصة»²، ومداره على شخص صالح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب؛ وإنما يصلح كذلك للحضّ على عمل ما اقتداء به ومحاكاة له، ونسجا على منواله وسيرا على شاكلته.³ ويقتضي النموذج من الشخص الذي يذكره أن يقبل القيمة التي يمثّلها.⁴ وبعض النماذج قد لا تتمتع في الواقع بالهيبة والنفوذ، ولكنّ المحاجج يضيف عليها هذه الصفة.⁵

وينبغي للشخص القدوة أن يسهر على تلميع صورته؛ لأنّ أيّ هفوة يرتكبها قد تُستخدم تسويغا لعشرات الانحرافات من قبل غيره، ونجد في الخط الموازي للنموذج اللانموذج الذي يأتي للحضّ على الانفصال عنه وليس الاقتداء به؛⁶ ولأنّ المحاجج مجال فسيح وحقل خصب فمفهوم الأنموذج أو القدوة يتسع ليشمل إلى جانب الشخص القيم المجردة، مثل: مبادئ الإسلام في صراعه من الأديان الأخرى.⁷

1-المرجع السابق، ص: 180.

2-فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص: 54.

3-ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص: 54.

4-ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص: 54.

5- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 245.

6- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص: 56.

7-ينظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص: 176.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «لقد أوجد الإسلام أكبر مجتمع في العالم لا يتعاطى المسكرات. يوجد حوالي ألف مليون مسلم في العالم، وهم في عمومهم لا يعاقرون المسكرات ولا يشربون الخمر. هذه هي الثمرة»¹، والنموذج هنا من شقّين، الأوّل: هو الدين الإسلامي الحقّ برسالته السمحة، وهديه الرشيد القويم الذي استطاع أن يخلق مجتمعا عفيفا شريفا كريما عظيما، فالخمر التي يشربها المسيحيون كالماء، لا يعاقرها المسلمون أبدا؛ لأنّها محرّمة عليهم، والمسلمون هم النموذج الثاني بعدّهم شعوبا راقية تريا بنفسها عن مسالك تغييب العقل، وتعاطي هذه المادة المسكرة؛ لما فيها من أضرار كبيرة على الفرد والمجتمع، ولا يمكن للقسّ جيمي سواجارت أن ينكر ذلك مهما جهد، فهي حقيقة ساطعة كالشمس.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المناظر المسلم: «هذا هو موقف المسلمين من ولادة عيسى، فالله قادر على خلق عيسى بدون أب من البشر كلمح البصر، وهو قادر لو شاء على خلق مليون شخص مثل عيسى بدون أب أو أمّ كلمح البصر»². والنموذج هنا هم المسلمون في نظرهم لشخص المسيح عيسى عليه السلام مستقين ذلك من معين القرآن وتعاليم الإسلام؛ لأنّ الله تعالى قادر على كلّ شيء، وقادر على الخلق من عدم، ولن يعجزه خلق عيسى، ولا خلق غير عيسى في لمح البصر، فقد خلق السماوات والأرض في ستّة أيام؛ وإنما أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ القرآن الكريم هو الذي يأمرنا أن نقبل هذا الموقف؛ إذ يقول لنا القرآن الكريم إنّه عندما يواجه المسلم بأيّ دعاوى زائفة من جانب أصحاب أيّ دين يخالف دين الإسلام، فمن الواجب أن يطالب صاحب الدعاوى بالبرهان على صحّة ما يدّعيه»³. فالحجّة التي استخدمها المحاجج المسلم

1- المناظرة الكبرى، ص: 124.

2- المرجع نفسه، ص: 137.

3- أخطر المناظرات، ص: 43.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

هي حجّة نموذج، والقدوة هنا هو القرآن العظيم الذي هو دستور خاتمة الرسالات وأجمعها، فقد جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم للعالمين من أجل أن يخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. ولئن كان المحاجج والجمهور المسيحي لا يؤمنون بالقرآن، فهم لا يستطيعون أن ينفوا وينكروا السماحة التي يدعو إليها؛ لأنّه جاء برسالة الإسلام العظيمة، فالقرآن الكريم نموذج بليغ في إقامته للحجّة؛ إذ دعا وما يزال يدعو أصحاب الرسالات الأخرى إلى تقديم الأدلة والبراهين على صحّة أقوالهم، والشيخ أحمد ديدات بعدّة مسلما يطيع ما يأمره به القرآن الكريم، فلا يمكنه أن يقبل الدعاوى التي يثيرها خصمه المسيحي حول مسألة موت المسيح، ولذلك فهو يقدّم القرآن قدوة يدعو بها القس فلويد كلارك -ضمنيا- لتبّي منهجه في الدعوة والافتداء بهذا المنهج السليم الذي يفرض عليه أن يقدّم أدلته وبراهينه على صحّة دعواه، وإن فشل في ذلك فإنّ كلامه مرفوض ومردود، والبيّنة على من ادّعى.

كما وردت حجّة نموذج في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «هل يمكن أن يكون هنالك توضيح وتحديد لنهاية شأن المسيح عليه السلام مع قومه أكثر من هذا التوضيح والتحديد»¹. فقد جعل الشيخ أحمد ديدات من القرآن الكريم حجّة أمّوزج وقدوة في ذكره لقصة الرسول العظيم عيسى بن مريم عليه السلام، وبلاغته الفائقة في تحديد نهاية المسيح، فهو لم يقتل ولم يصلب، والذي حدث أنّ الله ألقى شبهه على شخص آخر، ولكنّ المسيحيين يفترون على الله، ويغالطون الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم الذي هو دستور الرسالة الخاتمة، وبما أنّ النصارى لا يؤمنون بالإسلام ولا يقبلون القرآن، فالشيخ أحمد مضطر إلى ينقض عقيدتهم من داخلها.

كما وردت حجّة نموذج في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «هل يمكن أن يكون هنالك موقف أكثر موضوعيّة أو أكثر عدلا أو أكثر إنصافا أو أكثر تساهلا وتسامحا من

1-المرجع السابق، ص: 43.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

هذا الموقف»¹. والشيخ أحمد ديدات يريد أن يقدم المسلمين بعدهم نموذجا من خلال منهجهم المعتدل القائم على الحق، والمستند على البرهان والدليل الملزم، وكان هذا دأبهم دائما، وسيبقى دأبهم إلى الأبد، فلم يشهد التاريخ أمة خيرا من هذه الأمة، وعليه فإنّ المسيحيين لا يمكنهم أن ينكروا أنّ المسلمين قوم عادلون؛ لأنّهم يلتزمون بما يأمرهم به ربهم وكتابهم المحفوظ، بينما قام النصارى بتحريف كتابهم، وحادوا عن طريق الحق.

كما وردت حجة نموذج في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ عيسى كرسول من رسل الله لم يكن يكذب أبدا»². وفي هذا النصّ يؤكّد المحاجج المسلم أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو قدوة وأسوة حسنة وأتمّوذج يجب أن يُقتدى به ويُستقّ بنهجه ويُتبع أثره وأن لا يُقوّل ما لم يقل، وأن لا يُنسب إليه ما لم يصف به نفسه، شأنه في ذلك شأن جميع رسل الله المكرّمين المعصومين الذين يؤدّون الرسالة التي أوحى بها الله عزّ وجل إليهم وأمرهم بتبليغها، فلم يدّع محمد صلوات ربي وسلامه عليه، ولا موسى، ولا يوسف، ولا إدريس، ولا يونس، ولا نوح و لا غيرهم من الأنبياء والرسل أنّهم آلهة أو أبناء الله، ولم يكذبوا، ولم يعتدوا، ولم يظلموا، ولم يريدوا الدنيا وزينتها، والمسيح عليه السلام كذلك لم يدّع الألوهية.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «ولذلك كان طبيعيا ألا تستخدم كلمة الإنجاب في القرآن الكريم فيما يتصل بالله سبحانه وتعالى بأيّ حال من الأحوال، بينما نجد من أسماء الله الحسنى الدالة على صفات الله سبحانه وتعالى كلمات مثل كلمة "السلام"³. وفي هذا النصّ حجة قدوة مدارها القرآن الكريم الذي نفى أن يتخذ الله صاحبة وولدا، فقد نزّه الذات الإلهية من الصفات التي تدنّس علوّها وهيبته؛ لأنّ النظرة الإسلامية إلى الإله منطلقها "ليس كمثل شيء"، فالدين الإسلامي انطلقا مما ورد في القرآن الكريم هو القدوة والنموذج في التعامل

1-المرجع السابق، ص: 43.

2-مناظرة العصر، ص: 50.

3-المرجع نفسه، ص: 91.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

مع هذه المسائل العقديّة، بينما تنحط الديانة النصرانيّة إلى مدارك الزور والبهتان، حين تسوّي بين الإله والإنسان.

1-4-حجّة المقارنة:

مدارُ المقارنة في أصلها هو دراسة واستنباط أوجه الاتفاق والاختلاف بين عنصرين أو أكثر في مجال من المجالات المختلفة أو حقل من الحقول المعرفيّة المتنوّعة، وقد يكون هدفها البحث في الصلاتِ والروابط التي تجمع بين هذه العناصر. أمّا المقارنة التي نرومها هنا، فهي تقنيّة حجاجيّة يوظّفها المحاجج في خطابه بعدّها «عملية تجريبية منشدة إلى عملية بناء الواقع، خاصة وأنّ المقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعيّة؛ بل قد تكون مبتدعة لا أساس لها إلّا سياق النصّ وخيال المحتجّ»¹.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبرى في قول المحاجج المسلم: «..نسخة الملك جيمس... يبدأ بالإنجيل كما رواه متى... الإنجيل وفقا للقديس مرقس... الإنجيل وفقا للقديس لوقا... الإنجيل وفقا للقديس يوحنا... وهو [سواجارت] في كتبه لا يقول: وفقا لجيمي سواجارت»². فالشيخ أحمد ديدات من أجل بيان التحريف الذي قام به النصاري في حقّ الكتاب المقدّس يشير إلى أنّ الإنجيل لا ينسب لله مباشرة ولا إلى المسيح مباشرة وفق النسخ المنتشرة والمعتمدة في جميع أرجاء العالم؛ بل إلى الكتّاب الأربعة "لوقا، يوحنا، متى، مرقس" من خلال استخدام لفظة "وفقا ل"، وهذا لا يتّسق بتاتا مع كتاب يعدّ مقدّسا، ويقارن بين هذا وبين كتب محاججه جيمي سواجارت التي ذكر منها كتاب "اللواط لأسبابه"، وفي غلافه نجد "تأليف جيمي سواجارت" على الرغم من أنّه اجتهد بشري فقط، فلا يستقيم من خلال المقارنة أن يكون الكتاب الإلهي غير مباشر والكتاب البشري مباشرا!

1- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 261.

2- المناظرة الكبرى، ص: 114.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

وورد في موضع آخر قول المحاجج المسلم: «اسمحو لي أن أعطي هذا المثال هذه المقارنة بين ما ورد في كتبكم وما ورد في القرآن الكريم»¹. والمناظر المسلم يعقد بموجب هذا مقارنة وازنة بين آيات قرآنيّة ونصوص مسيحيّة تتحدّث عن ولادة المسيح عليه السلام، ليثبت الفرق الكبير بين التصوير الإسلامي الدقيق والسمح الذي يراعي عظمة الله عزّ وجلّ بحكم أنّه القادر على كلّ شيء، في حين نجد تصوّر المسيحيّ لهذه الحادثة يهبط إلى درجة الإسفاف، ويغوص في مدارك تنتقص ذات الله عزّ وجلّ، وتحطّ من عظمتها، وتحدّ من قدرته، وتنسب إليه ما لا يليق به، وتلصق به صفة نزهة نفسه عنها (الولادة).

وورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «إنّ الذي حدث أنّ الكتب العبرية وكذلك الكتب العربية كانت تكتب بدون تشكيل، وبدون حروف المدّ، وفيما يخصّ أبناء اللغة أنفسهم، كان من السهل عليهم أن يفهموا المقصود، أمّا بالنسبة لأجنبيّ فإنّه لا ينطق باللفظ الصحيح بدون حركات التشكيل وحروف المدّ»². والشّيخ هنا يقارن بين أبناء اللّغة الأصليين وبين الأجنبيّ، فالمتحدّثون الأصليّون لا يحتاجون لحروف المدّ حتّى يقرؤوا النصوص ويفهموها، بعكس الأجنبيّ عن اللّغة الذين ينبغي أن تكون النصوص واضحة بالنسبة إليهم، وتوضّح لهم مواضع المدّ حتّى لا يختلط عليهم الأمر.

كما ورد في المناظرة نفسها قول المحاجج المسلم: «يوجد حسب قول الأخ سواجارت أحد عشر مليون سكّير، وأربعة وأربعون مليون من مدمني الخمور هذه هي أمّتكم... أما في الإسلام فلا شرب حتّى على سبيل المجاملات الاجتماعيّة، والنبيّ يقول: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»، فلا عذر في قليل أو كثير... تحريم كامل...»³. والمقارنة هنا واضحة بين ما يحدث في الأمّة الأمريكيّة العظيمة وبين أمّة الإسلام، فالتدنيّ الشكليّ المسيحيّ عندهم، نشأ عنه ملايين من مدمني

1- المرجع السابق، ص: 135-137.

2- المرجع نفسه، ص: 122.

3- المرجع نفسه، ص: 124.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

الخمور، وشاربي كل أنواع المسكرات الذين يرتكبون كثيرا من الأفعال التي تناقض الأخلاق الإنسانية وحتى الإرشادات التي جاء بها الإنجيل، في حين إن تعاليم الإسلام واضحة ومحترمة بشكل كبير، والمسلمون يطبقون تعاليم الإسلام، وإرشادات الرسول الأعظم التي أوحى إليه الله بها، فلا مجال للشرب والسكر بكثير أو قليل.

وورد في موضع آخر قول المحاجج المسلم: «المشكلة في اللغة اللغة القرآنية هي: إذا قضى الله أمرا، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾¹، أما لغة الإنجيل فهي لغة دنيوية»². ونلفي الشيخ هنا يقارن بين اللغة القرآنية واللغة الإنجيلية، فالأولى وحي إلهي محفوظ معصوم، والثانية عبث بشري محرف ومزيف؛ ولذلك فهناك فرق كبير وخلاف جلي بين التصورين الإسلامي والمسيحي في شأن المسيح عليه السلام. المؤمنون يقولون أنه ولد ميلادا معجزا، وهو نبي كريم ورسول عظيم، والنصارى ينصبونه إلهًا يعبد، ويدعون أنه الابن الوحيد لله!

وورد في موضع آخر قول المحاجج المسلم: «لا يوجد شيء اسمه نصوص مختلفة في القرآن، لقد قلت توجد فقط ترجمات، أما ما عندكم فنصوص... نحن نختار الكلمات فهي ليست نصوصا، أما هذه فهي نسخة، وهذه نسخة، مقاطع.. ومقاطع حذفت... إنها نسخ مختلفة»³. والشيخ يقارن هنا ردًا على افتراءات جيمي سواجارت بين نصوص القرآن ونصوص الإنجيل؛ فنصوص القرآن ثابتة لا تتغير والتغيير يكون في الترجمة؛ أي في ترجمة الكلمات التي تُنتقى وتُختار في اللغة المترجم إليها، في حين أن نصوص الإنجيل مختلفة، والأمر لا يتعلّق بالترجمة والبحث عن مقابل للكلمات، بل بنصوص تم تحريفها عمدا ونقلها أو حذفها، ولذلك فالقرآن كتاب صحيح، والإنجيل كتاب مزيف.

1-البقرة/117.

2-المناظرة الكبرى، ص: 138.

3-المرجع نفسه، ص: 138.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

وورد في موضع آخر قول المحاجج المسلم: «حين تقول: باسم الأب تتراءى لك صورة ذهنيّة معيّنة... وحين تقول الإله الابن تفكر في شاب وسيم»¹. والمناظر المسلم يحاول أن يقارن بين الصورتين اللّتين تتراءيان للذهن من تصوّر المسيحي للتثليث، فلا جرم أنّ الصورة التي تعتمل في ذهنه للإله الأب ليست الصورة نفسها التي ترسم للإله الابن، فهناك فروق واضحة؛ ولذلك فالمحاجج المسيحي مخطئ؛ لأنّه يقول أنّهما شيء واحد.

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «إنّ المسيحيين يعتبرون أنّ المسيح هو الأقنوم الثاني من أقانيم التثليث المسيحي، والإخلال بترتيب الأقانيم كفر لدى المسيحيين. ولكن من وجهة النظر الإسلاميّة نجد أنّه لم يرق أحد من البشر ليصبح إلها على الإطلاق»². فالشيخ أحمد ديدات من خلال النص السابق عقد حجّة مقارنة يريد من ورائها التأكيد على أنّ هناك اختلافا وتشاكسا في مسائل الاعتقاد بين الديانتين النصرانيّة والإسلاميّة، وخصوصا في مسألة التوحيد؛ فالإسلام يقرّ أنّ الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وليس له شريك في الملك، ولا يمكن لبشريّ أن يصير إلها على الإطلاق، ولم يوجد بشري قطّ وصل إلى مرتبة الربوبيّة، بينما يتفسّح ذهن المسيحي ويذهب في طريق زائغ؛ حيث يزعم النصارى أنّ هناك ثلاثة أقانيم تشكّل الآلهة "الأب، والابن، والروح القدس"، ومن التحديف والكفر أن يخلّ أحد بهذا الترتيب، والكارثة الكبرى أنّ الأقنوم الثاني هو بشريّ صار إلها.

ومن نماذج هذه الحجج أيضا ما ورد في أخطر المناظرات؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «هناك فرق كبير بين رؤية الحواريين بالحجرة العلوية للمسيح وبين رؤية المسيح من جانب بولس الذي كان اسمه شاول وقام بتغيير اسمه اليهودي الصّرف إلى اسم يوناني بحت هو بولس»³. يقدّم

1- المرجع السابق، ص: 142.

2- مناظرة العصر، ص: 65.

3- أخطر المناظرات، ص: 49.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

الشيخ أحمد ديدات حجة مقارنة عقدها بين رؤية الحواريين للمسيح في الحجرة العلوية وتناوله الطعام معهم، وأمره لهم بتحسّسه ليتأكدوا من أنه حي يرزق، وبين رؤية شاول اليهودي التائب حسب ما ورد في "أعمال الرسل" من العهد الجديد؛ إذ ورد نصّ تحدث عن أنّه كان ذاهبا إلى دمشق فسمع صوتا يقول له لماذا تضطهدني يا شاول، فتاب عن غيّه وأتبع المسيح عليه السلام وصار قديسا نصرانيا بارزا له مكانته، فلا ينبغي حسب الشيخ أحمد الخلط بين الرؤيتين؛ لأنّ الرؤية الأولى رؤية جسد، بينما الرؤية الثانية لا يوجد ما يؤكد حصولها بالنظر، بل يشير النص إلى أنّ شاول سمع صوتا فقط.

وورد في مناظرة ستوكهولم الثانية قول المحاجج المسلم: «نقول بسم الله الرحمن الرحيم لنصف الله بالرحمة، ولا يوجد أيّ حرف من حروف العطف المقابلة للكلمة الإنجليزية "and" بين الصفات المذكورة في البسملة. إنّ أدوات العطف تستخدم لبيان التعدّد؛ تعدّد الأشخاص أو الأشياء التي ينطبق عليها وصف واحد أو لا ينطبق. بينما نجد أنّ باسم الآب، والابن، والروح القدس اثنتان من أدوات العطف "و" ومحتوى الصيغتين يختلف اختلافا هائلا»¹. والشيخ هنا يردّ على الادّعاء الباطل الذي ادّعه أنيس شروش؛ حيث زعم أنّ عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم" تشبه عبارة "باسم الآب، والابن، والروح القدس"، فيعقد أحمد ديدات مقارنة بين العبارتين، ويشير من خلال عقد مقارنة بين بنيتيهما اللفظية إلى أنّ معنهما مختلف ومتباعد، فالرحمن والرحيم صفتان للعليّ الكبير، بينما الآب والابن والروح القدس ثلاثة شخوص مختلفة، ولا ينطبق عليهم تصوّر ذهنيّ واحد؛ ولذلك فلا يمكن بتاتا القول بتمائل الجملتين.

1-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 103.

2- الحجج المؤسّسة بواسطة التمثيل:

لقد سعت فلسفة أفلاطون إلى استخدام التمثيل حجائياً؛ نظراً لما يقدمه لنا من تصوّر للأشياء، في حين لا يرى الاختباريون التمثيل إلا مماثلة مشوّهة للأشياء وغير محقّقة؛ حيث يمكن أن نعدّ التمثيل عامل خلق وإبداع وابتكار، ولا يمكن عدّه وسيلة برهنة واستدلال.¹ ولا يُنظر للاستدلال بالتمثيل هنا حسب شايم بيرلمان بوصفه صورة أسلوبية؛ وإتّما بعدّه تمثيلاً مكثّفاً له هدف حجّاجي.² ويقتضي الاستدلال بالتمثيل «تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معيّن عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر»³. والهدف من الاستدلال بالتمثيل التأثير في المتلقي أثناء الحجّاج، وتتميّز هذه الحجج بكونها تتأسّس وفق قياس منطقي يتكوّن من مقدّمتين كبيرى وصغرى، ثمّ نتيجة دعوى الحجّاج، مع العلم أن المرسل أثناء الحجّاج يستخدم قضايا من واقع المتلقي تشكّل المقدّمتين الكبيرى والصغرى، وهذا ما يدفعه لاستنباط المقصود.⁴

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة الكبيرى؛ إذ يقول المحاجج المسلم: «إنّك حينما تقرأ أو تشاهد هذه الأشياء فإنّها تفعل فعل المخدر.. مثل الماريجوانا أو الأفيون أو الهروين أو الكحول.. إعطاء هذه الأشياء يفعل فعل المخدر»⁵. وفي هذا النصّ نجد حجّة مؤسّسة للواقع عن طريق التمثيل؛ حيث يشبّه الشيخ أحمد ديدات الأثر السلبي الناجم عن مشاهدة المواد الإباحية وقراءتها - وهو يشير ضمناً إلى الإنجيل أيضاً - بالأثر الذي ينتج عن تعاطي المخدرات والمواد المهلوسة التي تؤثّر في متعاطيها، وتحدث تغييرات فظيعة في الجانبين الجسدي والنفسي. ويمكن أن نمثّل لهذه الحجّة بالمخطط الآتي:

1- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجّاج، دراسات وتطبيقات، ص: 56.

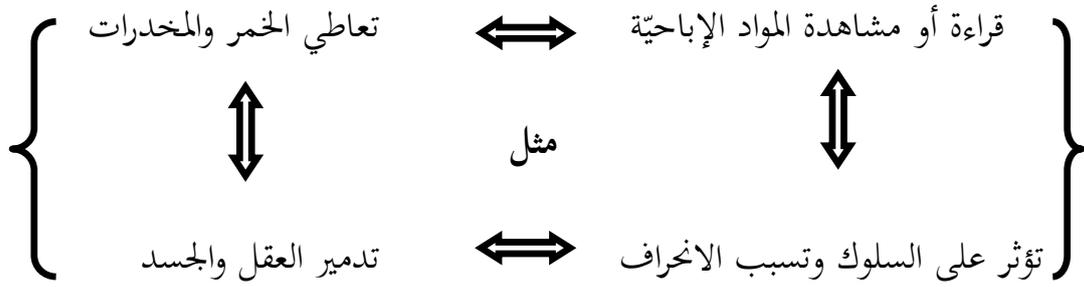
2- ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجّاج، ص: 54.

3- سامية الدريدي، الحجّاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، ص: 245.

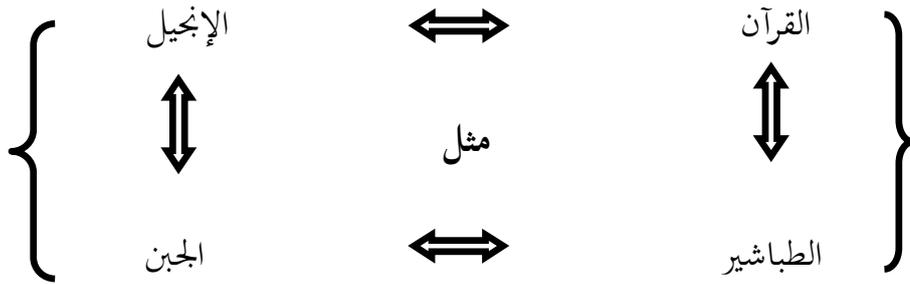
4- ينظر: حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الإقناعي في كلبلة ودمنة لابن المقفع، ص: 216.

5- المناظرة الكبيرى، ص: 110.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات



وورد في المناظرة نفسها المحاجج المسلم: «الفرق بين الإنجيل والقرآن كالفرق بين الطباشير والجبين»¹. والشيخ أحمد ديدات يشبه من خلال هذا التمثيل الاختلاف الحاصل بين القرآن والإنجيل في ما يخص حديث الكتابين عن معجزة خلق المسيح بالفرق بين الطباشير والجبين. ويمكن أن نمثل لهذه الحجّة بالمخطط الآتي:

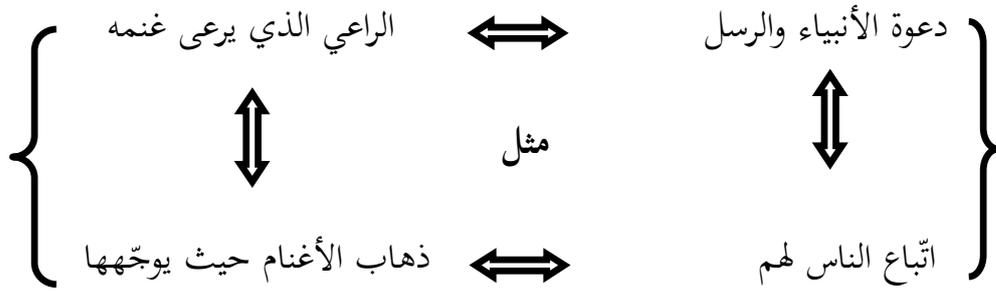


ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في مناظرة العصر بين الشيخ أحمد ديدات والقس أنيس شروش؛ حيث يقول المحاجج المسلم «وفيما يتعلّق بأمر العقيدة يتبع الناس رسلهم وأئمتهم كما تتبع الخراف الراعي، وتذهب حيث يوجهها»². وفي هذا النصّ حجّة مؤسسة للواقع عن طريق التمثيل، فقد شبه المحاجج المسلم طاعة الناس واتباعهم الرسل بطاعة الخرفان للراعي الذي يوجهها؛ لأنّ المطلوب من أتباع الأنبياء أن يكونوا صادقين وطيعين، ليؤمنوا بالرسالة ويؤدوا ما عليهم من واجبات، فيطيعوا الأوامر ويجتنبوا النواهي؛ لأن الرسل لا ينطقون عن هوى بل يوحى إليهم فيبلغون رسالات ربهم كما أمرهم. ويمكن أن نمثل لهذه الحجّة بالمخطط الآتي:

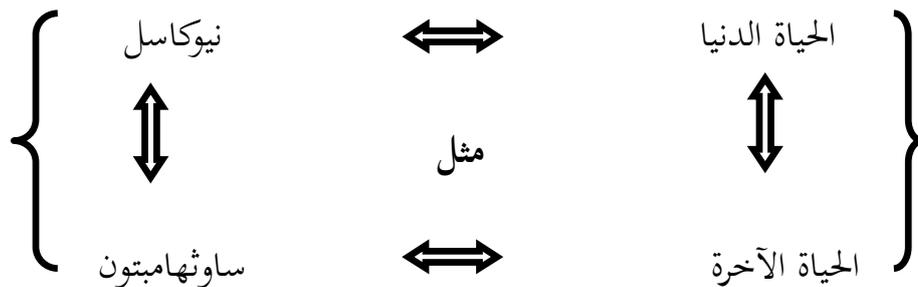
1-المرجع السابق، ص: 137.

2-مناظرة العصر، ص: 72.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات



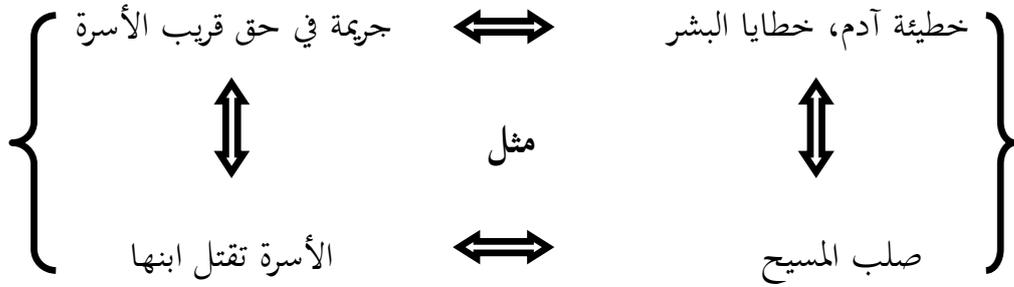
ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «كان المسيح يحدثهم عن رحلة روحية، وكانوا يفكّرون في رحلة عادية؛ مما يقوم به الناس عندما ينتقلون ويسافرون مرتحلين من مكان إلى مكان بعيد. ظنّوا أنّه يحدثهم عن الطريق الذي سيرحلون فيه من خلال عملية سفر حقيقية ظنّوا أنّه سيحدّد لهم معالم جغرافية كتلك المعالم التي نجدّها ويتحدّد بها الطريق من "نيوكاسل" إلى (ساوثهامبتون" مثلا أو إلى غيرها من المدن على سطح الأرض»¹. وفي هذا النصّ حجّة مؤسّسة للواقع عن طريق التمثيل، والقضية تتعلّق بالطريق التي رسمها المسيح لليهود حين حدّثهم عن الرحلة الروحية؛ إذ قال لهم بأنّه هو الطريق والحق والحياة وبأنّه سيذهب ليعدّ لهم مكانا، لكنّهم ظنّوا أنّه يحدثهم عن طريق حقيقي؛ أي ظنّوا أنّ القضية تتعلّق برحلة عادية وتوقّعوا أن يرسم لهم معالمه ومناظره، ويبيّن لهم اتجاهه ومقصده. ومن أجل أن يوضّح الشيخ أحمد ديدات الفكرة للجمهور الحاضر ضرب لهم مثلا من الواقع؛ حيث شبّه الرحلة الروحية التي عنها المسيح ومبتدؤها من الدنيا ومنتهاها إلى الآخرة بالرحلة التي يقوم بها الشخص من مدينة نيوكاسل التي تقع في شمال إنجلترا إلى مدينة ساوثهامبتون التي تقع في الجنوب. ويمكن أن نمثّل لهذه الحجّة بالمخطط الآتي:



1- المرجع السابق، ص: 89.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

ومن نماذج هذه الحجج ما ورد في المناظرة نفسها؛ حيث يقول المحاجج المسلم: «ولو فرضنا أنّ شخصا قد ارتكب جريمة قتل ضد أحد أفراد أسرتك، هل تعاقبه بقتل أحد أبنائك أو بقتل ابنك الوحيد؟»¹. وفي هذا النصّ حجّة مؤسّسة للواقع عن طريق التمثيل، فقد شبه الشيخ أحمد ديدات تصوّر المسيحي لعقيدة الصلب والفداء التي يعتقد النصارى على أساسها أنّ الله قدّم ابنه الوحيد فداء لخطيئة آدم وخطايا البشر، بمن يرتكب جريمة قتل في حق قريب أسرة ما، فتقوم عائلة القتل المتورّة بقتل ابنها الوحيد لتكفّر عن خطيئة القاتل! ويمكن أن نمثّل لهذه الحجّة بالمنخطط الآتي:

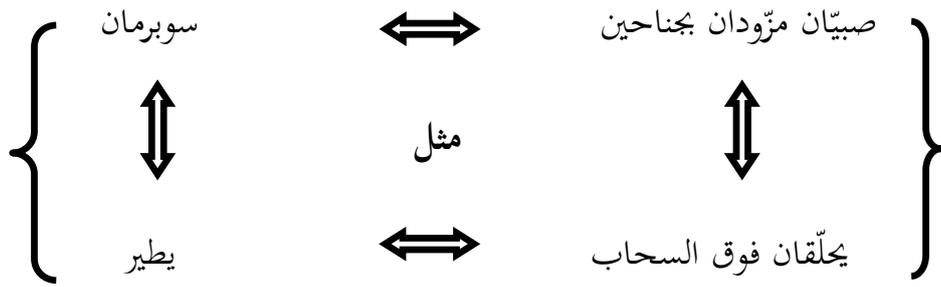


ومن نماذج هذه المناظرة ما ورد في مناظرة ستوكهولم الأولى؛ حيث ورد قول المحاجج المسلم: «وتستطيعون أيّها السادة- أن تشاهدوا في الصورة تمثالين لصبيّين مصنوعين من الرخام، وهما يطيران بأجنحة تمّ تزويد كلّ واحد منهما بزوج منها، يطيران فوق السحاب كما يطير سوبرمان»². والشيخ هنا يبيّن انحراف تصوّرات المسيحيّة التي تستند إلى الخيال الممنّح الذي يخلّق في مدارات ينسجها النصارى لأنفسهم، وليس لهم من دليل عليها، سوى تحرّصات يقيمون بها دينهم، ومنها الرّسومات الكثيرة المنتشرة في الكنائس، ومنها تلك الموجودة في الفاتيكان، وبالتحديد رّسمة موجودة في الكنيسة لصبيّين كلّ منهما مزوّد بجناحين يطيران بواسطتهما فوق السحاب، مثل سوبرمان. ويمكن أن نمثّل لهذه الحجّة بالمنخطط الآتي:

1-المرجع السابق، ص: 92.

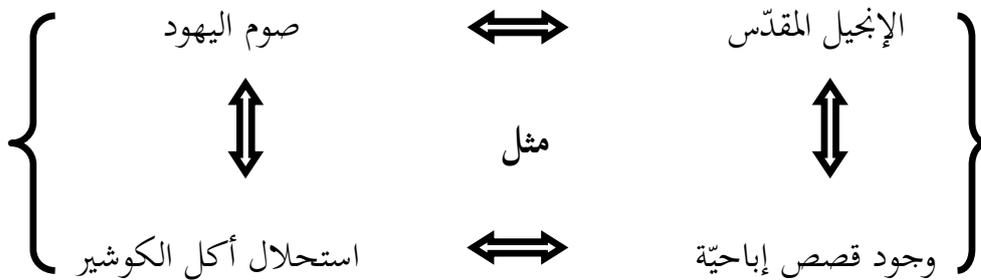
2-مناظرتان في ستوكهولم، ص: 36.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات



كما وردت حجّة مثل في المناظرة نفسها أيضا في قول الشيخ أحمد ديدات: «في جنوب إفريقيا يتعرّض الشّخص الذي يعمل هذا العمل إلى السّجن بعضة أعوام، ولكن عندما يتمّ طبعها ونشرها بين دفتي الإنجيل الكتاب الذي يقول إنّ كتاب الله تصبح حلالاً مثل الكوشير أيام صوم اليهود»¹.

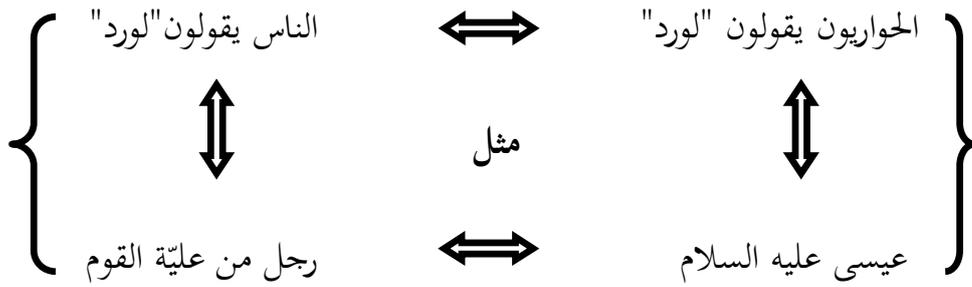
المحاجج المسلم هنا يستغرب من وجود قصصٍ إباحيةٍ في الإنجيل على الرغم من أنّه كتاب مقدّس يتعبّد به النصارى، ويرون له حرمة كبيرة ويدافعون عنه بشراسة، ولا يرون في هذا المحتوى أيّ خلل ولا سقوط، في حين أنّ مثل هذه القصص مرفوضة حتّى في الكتابات العادية التي يكتبها النّاس، ويضرب الشيخ مثلا لذلك بأنّهم في بلده جنوب إفريقيا يعاقبون الأشخاص الذين يطبعون مؤلفات تتحدّث عن مواضيع إباحية، ويشبّه استحلال النصارى لوجود مثل هذه القصص في كتابهم، باستحلال اليهود أكل طعام الكوشير وهم صائمون. ويمكن أن نمثّل لهذه الحجّة بالمخطط الآتي:



1- المرجع السابق، ص: 34.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

وورد في مناظرة ستوكهولم الثانية قول المحاجج المسلم: «عندما تقولون لأحد من الناس الذين يحملون لقب "لورد" يا سيدي اللورد فليس معنى ذلك أنكم تقولون "يا الله"... كلمة لورد تستخدم للدلالة على الله أحيانا كما أنها في مواضع أخرى تستخدم كأحد الألقاب التي تعطى لعلية القوم»¹. والشَّيخ أحمد ديدات هنا يريد أن يبيِّن عن طريق التمثيل أنَّ ما يزعمه النصراني من حمل كلمة "Lord" على معنى الألوهية فقط باطل، فهم أنفسهم يخاطبون القادة وعلية القوم بهذا اللَّفظ، ومن المرجَّح أنَّ الحواريين كانوا يخاطبون عيسى عليه السلام بلقب "Lord" من باب الاحترام والتقدير والتبجيل له، لا من باب أنه إله معبود وربّ مدبّر. ويمكن أن نمثّل لهذه الحجّة بالمنخطط الآتي:



خلاصة الفصل:

نخلص في ختام هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

- الحجج والبراهين التي يوظفها المحاجج تتفاوت في القوّة والضعف، وليست كلّها ملزمة للطرف الآخر.
- دعم المحاجج المسلم خطابه الإقناعي بحشد وافر من الحجج المتنوعة (حجج شبه منطقيّة، حجج مؤسّسة على بنية الواقع، حجج مؤسّسة لبنية الواقع).
- لم يحتج المناظر المسلم بالقرآن الكريم ولا بالسنة النبويّة إلّا في مواضع قليلة؛ لأنّ النصراني لا يؤمنون بهما.

1- المرجع السابق، ص: 180.

الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات

- جنح المحاجج المسلم إلى هدم أركان الديانة المسيحية من داخلها من خلال البحث عن التناقضات التي يعجّ بها الإنجيل.
- استطاع المحاجج المسلم أن يرسم خصومه في صورة مهلهلة عن طريق استحضار أخطائهم وسقطاتهم التي لا تتسق مع المقام العالي الذي يمثلونه عند جمهور المسيحيين.
- تميّزت حجّة الشاهد بحضور قويّ في خطاب المحاجج المسلم الذي يتمتّع بذاكرة قويّة وذكاء حاد؛ حيث استحضر الشواهد بدقّة حفظاً وفهماً، ووظّفها لمصلحته ضدّ خصومه.
- استند الشّيخ إلى السّياق والمجاز في تفسير بعض النصوص والآيات التي أوّلها النصارى على غير وجهها، وتمخّلوا فيها باطلاً لخدمة مآربهم.
- كشف الشّيخ التحريفات التي قام بها النصارى عامدين، واعترفَ بها بعض علمائهم؛ حيث إنّها مسّت كثيراً من نصوص الإنجيل في العهدين القديم والجديد.
- لجأ الشّيخ إلى التبسيط في العرض الحجاجي من خلال توظيف الحجج المؤسسة بواسطة التمثيل حتى يوضّح القضايا والأفكار التي صعب على الجماهير الحاضرة فهمها.

خاتمة

بعد هذه الجولة البحثية العلمية التي حاولنا فيها إمادة اللثام عن آليات الحجاج في مناظرات الشيخ أحمد ديدات الدينية توصل البحث إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمال أبرزها في النقاط الآتية:

- الحجاج يعني توظيف الحجج والبراهين والأدلة من أجل تغيير منطلقات وقناعات الآخرين وإقناعهم بالأفكار والآراء التي يدافع عنها المحاجج. ويتقاطع مصطلح الحجاج مع مصطلحات أخرى، مثل الجدل، والظاهر أن الحجاج أوسع من الجدل، فكل حجاجٍ جدلٌ، وليس كل جدلٍ حجاجًا.
- الحجاج قديمٌ نشأ عتيقُ الممارسة؛ إذ يعود تاريخه إلى أقدم العصور، وقد مرّ بمراحل عديدة، عرف خلالها ارتقاءً في مراحل معينة، وانحساراً وأفولاً في أخرى. وكانت بداية الحجاج عند الإغريق من خلال المحاورات التي كانت تجري بين الفلاسفة، والأبسوطات التي قدموها، ودافعوا عنها لإثباتها وترسيخها.
- تمفصل الدرس الحجاجي الحديث عند الغرب في اتجاهين: اتجه ارتوى من النزعة التداولية في اللغويات الحديثة، وآخر مثّله أعمال الخطابة الحديثة، وعرف الدرس اللغوي العربي القديم ممارسات حجاجية تطبيقية عديدة تجلّت بشكل واضح في الدرس البلاغي، والفلسفي، والأصولي، والنحوي.
- عرف الدرس الحجاجي الحديث اهتماماً كبيراً عند بعض الباحثين العرب الذين قدموا في إطاره جملة من الدراسات والبحوث من أمثال: عبد الله صولة، وأبي بكر العزاوي، وطه عبد الرحمن. وقد تشرّب الدرس الحجاجي في العصر الحديث من معين حقول معرفية عديدة، فصار مهيعاً مطروقاً وسبيلاً مسلوفاً؛ نظراً لقدرته الكبيرة على التماهي في الأشكال الخطابية المختلفة.

- المناظرة تعني المحاوره التي تحصل بين شخصين في مسألة من المسائل من أجل استلهاهم الصواب والوصول إلى الحق. وللمناظرة أركان وشروط تحكمها، ولها ضوابط وآداب، ومتى ما غابت عنها افتقرت إلى الحكمة المرادة منها، وابتعدت عن إصابة الهدف المنشود من ورائها، وصارت مجادلة لا تقوم بحق، ولا تنزل بباطل.
- للمناظرة في الفكر العربي الإسلامي القديم حضور بارز وقوي منذ العصر الجاهلي، فالعرب هم أمة الحجاج والنظر والذكاء والفتنة. وقد سحرّ نارها وأشعل أتونها ظهور المذاهب الدينيّة، والفرق الكلاميّة؛ حيث عمل كلّ منها على تثبيت أفكاره والاحتجاج لمذهبه بالأدلة النقليّة والعقليّة لدحض ادّعاءات الآخر.
- يعدّ العصر العباسي عصر المناظرات الذهبي بحق في ميدان الفلسفة، والنحو، والعقيدة، ومن أبرز المناظرين أبو حنيفة، الإمام الشافعي، وأحمد ابن حنبل، وفرقة المعتزلة. وقد أفلت جذوة المناظرة في الدولة الإسلاميّة بسبب الانحطاط والتأخّر الكبير الذي رزحت تحت وطأته الشعوب الإسلاميّة قرونا عديدة.
- يعدّ الشيخ أحمد ديدات رائد المناظرات في العصر الحديث، فقد حمل على عاتقه مهمّة الدفاع عن الإسلام من خلال خوض جملة من المناظرات مع العلماء المسيحيّين الذين كانوا يحاربون الإسلام ويشوّهون صورته.
- قامت الروابط الحجائيّة (لكن، بل، لأنّ) بدور كبير في سبك الخطاب الحجاجي، ورفض الملفوظات المختلفة التي وظّفها أحمد ديدات في معرض محاجته لخصومه المسيحيين؛ حيث جاوزت البعد الأيقوني السطحي، وتعلّق حضورها بمدارك إقناعيّة، فتزوّدت بمحمولات جدليّة، مما رجّح كفة المحاجج المسلم.
- كان للعوامل الحجائيّة (عامل النفي، عامل القصر والحصر، عامل الشرط) وأدواتها أثر بالغ في التنسيق بين القضايا التي تناولتها المناظرات المدروسة، وتجلّى دورها في دحض

الأطروحات التي زعمها الخصوم المسيحيون، ورميها بعيدا عن طريق تقديم الأطروحة المقابلة، ونقض القضية بالحجج والبراهين الصلبة.

■ شكّل أسلوب الاستفهام واحداً من أهم التقنيّات الحجاجيّة الشائعة التي استند إليها المحاجج المسلم في مناظراته الخمس، فلم تخلُ منه أيّ واحدة، وانقسم إلى ثلاثة أقسام: (تقريري، وإنكاري، وتبكيّتي). وقد أحسن الشّيخ أحمد ديدات توظيفه في مواضع مختارة بدقّة وعناية منقطعة النظر، فقام بدور هامّ في إضفاء قوّة إقناعيّة كبيرة، وأسهم في دحر المحاججين النصارى وتوريطهم، واستحلاب إقرارهم واعترافهم، كما أنّه أدّى وظيفة إخراجهم والسخرية منهم ومن الأبسوطات الغثّة والضعيفة يقدّمونها.

■ كان لأسلوب التكرار حضوراً بارزاً في مناظرات الشّيخ أحمد ديدات، شأنه في ذلك شأن أسلوب الاستفهام، وقمنا بتقسيمه تماشياً مع أغراض المقاربة المستند إليها في هذا البحث إلى ثلاثة أقسام: (تكرار الروابط الحجاجيّة والعوامل الحجاجيّة، وتكرار الألفاظ، وتكرار التراكيب والأساليب)، وقام بدور فاعل في تقوية الخطاب الحجاجي الديداتي؛ حيث شكّل طاقة مؤثّرة في المتلقي الذي يُحمل تحت تأثيره إلى الإذعان والتسليم، كما أنّه يثير حماسه أكثر لاستقبال الكلام المرصّع بالحجج المختلفة، والتفاعل الإيجابي معه، وبالتالي تتغيّر أفكاره وقناعاته.

■ ربّ المحاجج المسلم حججه وبراهينه المختلفة ترتيباً منطقيّاً، ووصفها رصفاً انسيابياً، وعلّق بعضها ببعض تعليقا محكما، أثبتته الدراسة الاستقصائيّة للسلاّم الحجاجيّة التي وظّفها، فقد سار خطابة الحجاجي في نسق تراثي، بعيد كل البعد عن الجزائيّة والعبثيّة واللجاج الذي جنح إليه خصومه الذين فشلوا في مجاراته، فتدرّجت وتواترت الحجج وانساب ظهورها، لتخدم القضية المبسوطة على طاولة المناظرة.

■ وظّف المحاجج المسلم الأفعال الكلاميّة المختلفة (الإخباريات، التوجيهيات، الإلزاميات، التعبيريات، التصريحيات) التي قامت بدور كبير في ثنايا مناظراته الخمس المدروسة، فقد

تجاوز دورها البعد الظاهري السطحي؛ لأنّ ربطها ببعدها التداولي يجعلنا إلى استشفاف مدى تفسّحها في فضاءات الأغراض الإنجازيّة التي رامها الشيخ أحمد ديدات. كما أنّ توظيفها في حدّ ذاته جاء في مواضع مخصوصة يستدعيها الموقف والسّياق، فقامت بأداء وظيفتها على أكمل وجه، والمتمثّلة في إقناع المتلقّين بصدق القضايا المبسوطة.

■ حفلت مناظرات الشيخ أحمد ديدات بحشد وافر من الحجج والبراهين والأدلة التي تنوّعت مصادرها ومراجعها؛ مما يثبت موسوعيّته وقدرته الكبيرة على المحاججة والمجادلة. فضلا عن سرعة البديهة التي يتمتّع بها، والذكاء الكبير الذي يميّز به، وكلّ هذا سمح له باستحضارها وتوظيفها في مكانها ومقامها، على الرغم من ضيق الوقت والضغط الكبير الممارس عليه من طرف الجماهير والخصوم. وهذه الحجج كانت بمثابة السيف الذي بتر جميع الادّعاءات التي تدثّر بها خصومه، فقد ردّ عليها واحدة واحدة في مقام الدفاع عن أبسوطاته، ثم اتّخذ وضعيّة الهجوم في هدم أركان العقيدة المسيحيّة والطعن في ركائزها انطلاقا من الكتاب المقدّس نفسه الذي كان يحفظه عن ظهر قلب، ويحيط بكلّ كليّاته وجزئياته.

وفي الختام يمكن القول إنّ الشيخ أحمد ديدات وفّق كثيرا في مناظراته، فالانتصار كان حليفه أمام مناظريه المسيحيّين الذين عجزوا أمامه وحواروا جوابا، ولم يستطيعوا أن يردّوا ضرباته القويّة فتساقطوا أمامه واحدا واحدا تساقط أوراق الخريف، فأنشؤوا يكيدون له ويراوغون ويعتذرون بأعذار أوهى من بيت العنكبوت. وأبان الشيخ عن صلابة كبيرة، ومقدرة استثنائية على مواجهة خصومه في بلدانهم، وأمام جماهيرهم، ولم يتوان عن فضح أكاذيبهم، وردّ افتراءاتهم، بالحجج الدامغة والأدلة الثابتة والبراهين الساطعة، فرفع الله به راية الإسلام، وأثبت لأعدائه أنّ في الإسلام رجالا لا يتوانون عن الدفاع عنه، والذب عن حياضه.

ولئن كان مدارُ دراستنا مخصوصًا في مناظرات الشيخ أحمد ديدات بغية استجلاء آلياتها الحجاجية، فهي وباقي مؤلفاته تبقى مدونات خصبة ورجبة متسعة الأفق لدراسات لغوية أخرى من أجل استجلاء الكنوز الثرة التي تزخر بها، وتقديمها في شكل دراسات أكاديمية مُنهجة تُخدم البحث العلمي وتثري المكتبة العربية.

قائمة المصادر

والمراجع

• القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولاً: الكتب باللّغة العربيّة:

* ابن الأثير (أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الشيباني الجزري ت 606 هـ):

1- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: أحمد بن محمد الخراط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (د.ط)، (د.ت).

2- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1403هـ-1983م.

* ابن تيميّة (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام ت 728 هـ):

3- النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1420 هـ.

4- درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1411هـ-1991م.

* ابن جنّي (أبو الفتح عثمان ت 392 هـ):

5- الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

* ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ت 456 هـ):

6- الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

قائمة المصادر والمراجع

* ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ت 808 هـ):

7-المقدمة، دار البلخي، دمشق، ط 1، 1425هـ-2004م.

* ابن خلّكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ت 681 هـ):

8-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

* ابن عطية (أبو محمد عبد الحق الأندلسي ت 586 هـ):

9-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح وتعل: الرحالة الفاروق وآخرون، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط2، 1428هـ-2007م.

* ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ت 395 هـ):

10-معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

* ابن مضاء (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي ت 592 هـ):

11-الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1366 هـ-1947م.

* ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرنجي ت 711 هـ):

12-لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

قائمة المصادر والمراجع

*ابن نور الدين (أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب الموزعي ت 820 هـ):

13-مصاييح المغاني في حروف المعاني، تح: عائض بن نافع العمري، دار المنار، القاهرة، ط1، 1414هـ-1993م.

*ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري الخزرجي ت 761 هـ):

14-مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1411هـ-1991م.

*ابن وهب (أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر ت 335 هـ):

15-البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

16-البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، العراق، ط1، 1967م.

*ابن يعيش (أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا ت 643 هـ):

17-شرح المفصل، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.

*أبو بكر العزاوي:

18-اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 1426 هـ-2006 م.

*أبو بكر العزاوي وآخرون:

19-التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1427هـ-2006م.

*أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس البغدادي ت 414 هـ):

20-الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

*أبو حيان الغرناطي (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي ت 745 هـ):

21-تفسير البحر المحيط، تح وتعد ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م.

*أحمد الجدع:

22-أحمد ديدات حياته، نشاطه، مناظراته، دار الضياء، عمان، ط1، 1410 هـ-1990 م.

*أحمد المتوكل:

23-اللسانيّات الوظيفية، دار الكتب الجديدة، المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010م.

*أحمد الهاشمي:

24-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

*أحمد أمين:

25-ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2003 م.

*أحمد حجازي السقا:

26- أفانيم النصارى، بيان ونقد، مكتبة النافذة، الجيزة، ط1، 2006م.

*أحمد ديدات:

27- الاختيار بين الإسلام والنصرانية، نقله إلى العربية: أكرم ياسين الشريف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1429 هـ-2008م.

28- أخطر المناظرات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، تر: علي الجوهري، دار البشير، القاهرة.

29- بين الإنجيل والقرآن، تر وتع: محمد مختار، المختار الإسلامي، القاهرة.

30- العرب وإسرائيل، شقاق أم وفاق، نقله إلى العربية: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.

31- ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد صلى الله عليه وسلم، تر وتع: وليد عثمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1410 هـ-1990م.

32- مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروش، تر: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.

33- المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القس سوبجارت والشيخ ديدات، تقديم وتع وتع: محمود علي حمادة، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط2، 2005م.

34- مناظرتان في ستوكهولم بين داعية العصر أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد ستانلي شويرج، تر: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.

*أحمد مطلوب:

35-معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م.

36-معجم النقد العربي، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م.

*أحمد ناصر:

37-النحو الميسر، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط1، 1431هـ-2010م.

*امحمد بن لخضر فورار:

38-الشعر الأندلسي في ظلّ الدولة العامرية، دراسة فنية موضوعية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م.

*أيمن أمين عبد الغني:

39-الصرف الكافي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

40-النحو الكافي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د.ط)، 2010م.

*الباجي (أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي ت 474 هـ):

41-المنهاج في ترتيب الحجاج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1987م.

*البَغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء ت 516 هـ):

42-معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميريّة وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (د. ط)، 1409هـ-1989م.

* الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري ت 255 هـ):

43- البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

44- البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ-1998 م.

45- البيان والتبيين، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.

* الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت 471 هـ):

46- دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م.

* جميل حمداوي:

47- التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، الرباط، ط1، 2015م.

* جميل عبد المجيد:

48- البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1998م.

* جهاد التُّرْباني:

49- مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى، القاهرة، ط1، 1431 هـ-2010 م.

قائمة المصادر والمراجع

* الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حمّاد ت 393هـ):

50- تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1404هـ-1984م.

* الجويني (عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوة ت 478 هـ):

51- الكافية في الجدل، تقديم وتح وتعليق: فؤاد حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، (د.ط)، 1399هـ-1979 م.

* حافظ إسماعيل علوي وآخرون:

52- الحجاج مدارس وأعلام، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م.

53- الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م.

54- الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م.

* حبيب موني:

55- الواحد المتعدد النص الأدبي بين الترجمة والتعريب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005م، ص: 75.

* حسان الباهي:

56- منهجية الحوار والتفكير النقدي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2004م.

* حسن شحاتة:

57- الكتابة الإقناعية الحجاجية، فكر جديد من النظرية إلى التطبيق، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 1433هـ- 2012 م.

قائمة المصادر والمراجع

*الحسين بنو هاشم:

58- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، مارس 2014 م.

*حسين صدّيق:

59- المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، دار نوبار، القاهرة، مصر، ط1، 2000 م.

*حنفي ناصف وآخرون:

60- دروس البلاغة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433هـ-2012م.

*حمادي صمود:

61- من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1420هـ-1999م.

*حمادي صمود وآخرون:

62- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، (د.ط)، (د.ت).

*حمد بن إبراهيم العثمان:

63- أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1425 هـ-2004 م.

* حمزة مصطفى ميغا:

64- الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة وأهمّ مجالاته التطبيقية الممكنة مع دراسة تهديدية موسّعة عن الإسلام والمسلمين في جنوب إفريقيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1373 هـ-2005م.

* خالد ميلاد:

65- الإنشاء في اللغة العربية التركيب والدلالة، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ-2001م.

* خليفة بوجادي:

66- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م.

* الخليل الفراهيدي (أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ت 170 هـ):

67- العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، (د. ط)، (د. ت).

* خولة طالب الإبراهيمي:

68- مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م.

* الذهبي (عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت 748 هـ):

69- سير أعلام النبلاء، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1402هـ، 1982م.

*الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ت 502 هـ):

70-المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز،
(د.ط)، (د.ت).

*رشيد الراضي:

71-الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة،
بيروت، ط1، 2010م.

*رفيق العجم:

72-موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1،
1998 م.

*زاهر بن مرهون الداودي:

73-الترايط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1431هـ-
2010م.

*الزبيدي (المرتضى محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق 1205 هـ):

74-تاج العروس من جواهر القاموس، تح: نخبة من العلماء، مطبعة حكومة الكويت، (د. ط)،
(د. ت).

*الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن عمر ت 538 هـ):

75-أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

قائمة المصادر والمراجع

76-المفصّل في علم العربيّة، تح: سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.

*سامية الدريدي:

77-الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 1432هـ-2011م.

*سعيد الأفغاني:

78-في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1407هـ-1987م.

79-الموجز في قواعد اللّغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ-2003م.

*سعيدة علي زيغد:

80-تحليل الخطاب الحوارية في نظرية "النحو الوظيفي"، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2015م.

*السكوني (أبو عليّ عمر بن محمد بن حمد بن خليل ت 717 هـ):

81-عيون المناظرات، تح: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، (د.ط)، 1976 م.

*سليمان معوض:

82-حروف المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (د.ط)، 2008م.

*سناء محمد سليمان:

83- فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

*السيوطي (عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيرى ت 911هـ):

84- الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1985م.

*الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي الشريف الحسنى الجرجانى ت 816 هـ):

85- معجم التعريفات، تح ودراسة: محمد صديق المشاوى، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

*صابر الحباشة:

86- التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، الإصدار الأول، 2008م.

*صبحى إبراهيم الفقى:

87- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1431هـ-2000م.

*صلاح إسماعيل عبد الحق:

88- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993م.

قائمة المصادر والمراجع

*طالب عويد نايف الشمري و حسام قدوري عبد:

89- نظرية الحجاج... الجذور والاستواء، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، (د.ط)، (د.ت).

*طه عبد الرحمن:

90- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.

91- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

الطوفي (نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري ت 716 هـ):

92- علم الجدل في علم الجدل، تح: قولفهارت هاينريشس، دار النشر فرانز شتاينر بقيسبادن، (د.ط)، 1408 هـ- 1987 م.

*عباس حسن:

93- النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

*عباس حشاني:

94- خطاب الحجاج والتداولية، قراءة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، 2013م.

*عبد الجليل العشراوي:

95- آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2016م.

قائمة المصادر والمراجع

96-الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م.

*عبد الرحمن حسن حبنكة:

97-ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، صياغة للمنطق وأصول البحث متمشيّة مع الفكر الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط 4، 1414هـ-1993م.

*عبد الرحمن عبد الحميد علي:

98-الأدب العربي في العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1426 هـ- 2005 م.

*عبد السلام عشير:

99-عندما نتواصل نغيّر، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا للنشر، الدار البيضاء، المغرب، (د. ط)، 2006م.

*عبد العزيز محمد عيسى:

100-الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

*عبد العليم السيّد فودة:

101-أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة.

*عبد الفتاح فيود بسيوني:

102-علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ-2015م.

*عبد الكريم محمّد يوسف:

103- أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه وإعرابه، مكتبة الغزالي، دمشق، ط1، 2000م.

*عبد اللطيف عادل:

104- بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، ط 1، 1434 هـ-2013 م.

*عبد الله المايورقي:

105- تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب، تق وتح وتع: محمود علي حمّاية، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د.ت).

*عبد الله صولة:

106- الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م.

107- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلاني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.

*عبد الله مصطفى المراغي:

108- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، وزارة الأوقاف، مصر، 1366 هـ-1947م.

*عبد المجيد تركي:

109- مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، تر وتح وتع: عبد الصبور شاهين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1406 هـ-1986 م.

*عبد الملك الزغبى:

110-أصول المناظرة وروائع المناظرات، دار التقوى للنشر والتوزيع، شبرا الخيمة، ط1،
1432هـ-2011م.

*عبد النبي بن عبد الرسول نكزي:

111-دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تح: قطب الدين محمود بن غياث
الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1975م.

*عبد الهادي بن ظافر الشهري:

112-استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1،
2004م.

*عز الدين الناجح:

113-العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2011م.

*العز بن عبد السلام (أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن
حسن السُّلَمي الشافعي ت 660 هـ):

114-القواعد الكبرى، تح: نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق، (د.ط)،
(د.ت).

115-مساجلة علميّة بين الإمامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح، تح: ناصر الدين
الألباني ومحمد زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1405 هـ.

*عزة محمد شبل:

116-علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ-2009م.

*العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ت 420 هـ):

117- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989 م.

*عصام شرتج:

118- ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005 م.

*علي الجارم ومصطفى أمين:

119-البلاغة الواضحة، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

120- دليل البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت).

*علي الشبعان:

121-الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديد

المتحدة، بيروت، ط1، 2010م.

*علي بوملحم:

122-المناحي الفلسفية عند الجاحظ، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأخيرة،

1421هـ-2000م.

*علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي:

123-المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، ط2، 1414هـ-1993م.

*علي محمد علي سليمان:

124- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله أنموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2010م.

*علي محمود حجي الصراف:

125- في البراهماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ-2010م.

*عمارة ناصر:

126- الفلسفة والبلاغة، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1430هـ-2009م.

*فرج الله عبد الباري:

127- مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004م.

*فضل حسن عباس:

128- البلاغة فنونها وأفانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، إربد، ط4، 1414هـ-1997م.

*قدور عمران:

129- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م.

قائمة المصادر والمراجع

*القرطاجني (أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم ت 684 هـ):

130-منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986 م.

*القرطبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر ت 671 هـ):

131-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م.

*مثنى كاظم صادق:

132-أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على الصور المكئية، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1436هـ-2015م.

*مجمع اللغة العربية:

133-المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، ط4، 1425هـ-2004م.

*محمد أبو زهرة:

134-تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، يناير 1934م.

*محمد الأمين الشنقيطي:

135-آداب البحث والمناظرة، تح: سعود بن عبد العزيز العريفي، عار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، (د.ط)، (د.ت).

*محمد الطاهر بن عاشور:

136- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م.

*محمد العبد وآخرون:

137- التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م.

*محمد العمري:

138- البلاغة الجديدة، بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2012م.

139- في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيّة، أفريقيا الشرق،

الدار البيضاء، ط2، 2002م.

*محمد الولي:

140- الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1،

2005م.

*محمد حسن الشريف:

141- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ-

1997م.

*محمد حمزة بن علي الكتاني:

142- معجم فقه ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2009 م.

قائمة المصادر والمراجع

*محمد رضا مبارك وزهار صبيح عنتاب:

143- الفهم والتفسير نحو تحليل حجاجي للنصوص، مقارنة منهجية، مجلة الباحث الإعلامي، كلية الإعلام، جامعة بغداد، ع 16، 2012م.

*محمد سالم محمد الأمين الطلبة:

144- الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008 م.

*محمد صالح العثيمين:

145- تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الدمام، ط 1، 1423هـ.

146- شرح البلاغة، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم، السعودية، ط 1، 1434هـ.

*محمد طروس:

147- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2005م.

*محمد عبد الرحمن مرحبا:

148- من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، دار منشورات عويدات، ط 2، 1982 م.

*محمد عبد القادر الفقي:

149- قال لي ديدات، حوار ساخن مع داعية العصر، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

قائمة المصادر والمراجع

*محمد عبيد الحمزاوي:

150- فنّ الحوار والمناظرة في الأدبين الفارسي والعربي في العصر الحديث، دراسة مقارنة، تح: محمد زكي العشماوي، مركز الإسكندرية للكتاب، ط1، 2001 م.

*محمد عبيد:

151- أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عام الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 2006 م.

*محمد مفتاح:

152- التلّقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994م.

*محمود أحمد الصغير:

153- الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2001م.

*محمود عكاشة:

154- النظرية البراجماتية اللسانية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013م.

*مختار الفجاري:

155- الفكر العربي الإسلامي، من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم، عالم الكتب الحديث، تونس، ط1، 2009 م.

قائمة المصادر والمراجع

*مسعود صحراوي:

156-التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، جويلية 2005م.

*مصطفى العطار:

157-لغة الخطاب الحجاجي، دراسات في آليات التناظر عند ابن حزم، دار كنور المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1438 هـ-2017م.

*معاذ بن سليمان الدخيل:

158-منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2014م.

*مليقة غبار وآخرون:

159-الحجاج في درس الفلسفة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م.

*وهبة الزحيلي:

160-التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 1430هـ-2010م.

ثانيا: الكتب المترجمة:

*أرسطوطاليس:

161-الخطابة، تر: إبراهيم سلامة، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط2، 1953م.

قائمة المصادر والمراجع

162-الخطابة، حَقِّقه وعلَّق عليه: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، (د.ط)، 1979م.

*أليكسي جورافسكي:

163-الإسلام والمسيحية، تر: خلف الله محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1996.

*آن روبول وجاك موشلار:

164-التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003م.

*أوزفالد ديكر وجان ماري سشايفر:

165-القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (د.ط)، (د.ت).

*جميل صليبا:

166-المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة واللاتينيّة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982 م.

*جون سيرل:

167-العقل واللّغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1427هـ-2006م.

*سايمون كوين:

168-المرشد في فن المناظرة، تر: عبد الجبار الشرفي، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، دولة قطر، 2010 م.

*فرانسوا مورو:

169-البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جرير، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 1989م.

*فرانسواز أرمينكو:

170-المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، (د.ط)، 1986م.

*فيليب بروتون وجيل جوتيه:

171-تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 1432هـ-2011م.

*كريستيان بلانتان:

172-الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م.

*الكتاب المقدس:

173-دار المشرق، بيروت، ط3، 1988م.

ثالثا: الكتب باللّغة الأجنبيّة:

***Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca:**

174-L'argumentation : la nouvelle Rhétorique, Bruxelles, Editions de l'université de Bruxelles, 2009, Et Le champ de l'argumentation, Bruxelles, Editions de l'université de Bruxelles, 1969.

***Le grand robert :**

175-Dictionnaire de la langue française, paris. 1989.

***Longman :**

176-Dictionary of Contemporary English, Longman, 1989.

***Michel Meyer :**

177-Logique : Langage et Argumentation, Edition Hachette université, Paris, 2^{eme} édition, 1982.

***Mounir Baalbaki Ramzi And Mounir Baalbaki :**

178-Al-Mawrid Al-hadeeth, A modern English Arabic dictionary, Dar El-Ilm Lilmalayin, Beirut, Lebanon.

***Oswald Ducrot/Jean Claud Anxombre :**

179-L'argumentation dans la langue, Pière Mardaga, Editeur 2, Galerie des princes, 1000 Bruxelles.

رابعاً: المجلات والدوريات:

*الطاف إسماعيل أحمد الشامي:

180-العوامل الحجاجية في شعر البردوني النفي أنموذجاً، مجلة كلية العلوم الإنسانية، بغداد، العدد 43، ذو الحجة 1436هـ - سبتمبر 2015م.

*أوليفي روبول:

181-هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ تر: محمد العمري، مجلة علامات في النقد، ج22، 1996م.

* بدر عبد العال حسين محمد:

182- بلاغة التكرار في الحديث الشريف ومقاماته، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ج 6، ع 19، 1436هـ-2015 م.

* حامد ناصر الظالمي و عايدة جدوع حنون:

183- نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، العدد 73، 2015 م.

* حجّت رسولي ورائد عبود شنان:

184- حجاجية السؤال في المناظرة الأدبية، مناظرة رئيس الخوري وطه حسين نموذجاً، مجلة دراسات في نقد الأدب العربي، جامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران، مج 8، ع 1، 2018 م.

* حسن خميس المّلخ:

185- الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، مج 40، ع 2، أكتوبر وديسمبر 2011 م.

* حسن محمد مرزوقي:

186- مدخل إلى الحجاج، مجلة التربية، البحرين، ع 15، 2005 م.

* حكيمة بوقرومة:

187- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع 03، 2008 م.

*الحواس مسعودي:

188-البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل أنموذجاً، مجلة اللّغة والأدب، معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع 12.

*سعد مصلوح:

189-نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهليّة، مجلّة فصول، مج 10، ع 1 و2، جويلية 1991م.

*عايد جدوع حنون وثائر عمران شهدان:

190-العوامل الحجاجيّة في آيات الأحكام، مجلة أروك، بغداد، مج 9، ع 4، 2016م.

*عباس حشاني:

191-مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلّة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 9، 2013م.

*عبد الرحمن بن حميدي المالكي:

192-الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع 19، ج2، 2018م.

*عبد الزهرة إسماعيل آل سالم:

193-حجاجية القصص القرآني قصة نوح عليه السلام أنموذجاً، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع 107، 2014م.

* عبد الله خليفة السويكت:

194- البنية الحجاجية في المناظرات الأدبية، مناظرة الآمدي بين صاحبي أبي تمام والبحثري
أنموذجا، دراسة تداولية، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، ع 7، 2015م- 1436 هـ.

* علي كاظم علي المدني:

195- التقنيات البلاغية الحجاجية في شعر السيد الحميري، مجلة القادسية في الآداب، كلية
التربية، جامعة القادسية، العراق، ع 76، 2017/04/20م.

* فاطمة كريم رسن:

196- بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد،
العراق مج 1، ع 204، 1434هـ-2013م.

* قحطان صالح الفلاح:

197- مدخل إلى الحوار والمناظرة، المعرفة، مجلة ثقافية شهرية، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية
السورية، العدد 551، شعبان 1430هـ- أوت 2009م.

* لمهابة محفوظ ميارة:

198- مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية، مجمع اللغة العربية، دمشق، مج 81،
ج 3، 2008م.

* محسن بن عامر:

199- البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عربشاه، الباب الثالث أنموذجا، مجلة كلية الآداب
واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 10، 11، جانفي وجوان 2015م.

*محمد الولي:

200-مدخل إلى الحجاج... أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، العدد 2، أكتوبر-ديسمبر 2011م.

*محمد مشبال:

201-التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 40، العدد 2، أكتوبر-ديسمبر 2011م.

*ميلود نزار:

202-الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدامى والمحدثين، مجلة علوم إنسانية، ع 44، جانفي 2010م.

*هادي سعدون هني العارضي:

203-وسائل الحجاج في خطب علي بن أبي طالب، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، مج 1، ع 33، 2014م.

خامسا: الرسائل والأطروحات الجامعية:

*إبراهيم بن صالح الحميدان:

204-أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام، دراسة تحليلية تقويمية للمناظرات التي جرت في أمريكا الشمالية في الفترة من 1400 إلى 1410 هـ، أطروحة دكتوراه، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1414هـ-1994م.

*امحمد عرابي:

205-البنية الحجاجية في قصّة سيدنا موسى عليه السلام، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة السانية، وهران، الجزائر، 2009م.

*حمدي منصور جودي:

206-بنية الخطاب الإقناعي في كلية ودمنة لابن المقفع، أطروحة دكتوراه، مخطوطة، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 1436هـ-2015م.

*سعيد فاهم:

207-معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، السور السبع الطوال أنموذجا، مذكرة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011 م.

*عبد القادر شطبية:

208-الحجاج في كتاب عيون المناظرات لأبي عمر السكوني، رسالة ماجستير، مخطوطة، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2016 م.

*ليلي جغام:

209-الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، أطروحة دكتوراه، مخطوطة، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 1434هـ-2013م.

*مالك عوادي:

210-الخطاب الحجاجي عند الإمام محمد الغزالي، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان العربي، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 1497هـ-2016م.

*محمد إبراهيم شريف البلخي:

211-أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، مخطوطة، قسم الأدبيات، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، 2007م.

*محمد آدم الزاكي:

212-النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، عرض ونقد، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1405هـ-1985م.

*ميلود نزار:

213-آليات الحجاج في الخطاب الأدبي عند المعتزلة، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1438-1439هـ/2017-2018م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

/	شكر وعرهان
أ-و	مقدمة
60-7	الفصل الأول: الحجاج، المفهوم، والنشأة
8	توطئة
19-9	I- في مفهوم الحجاج
11-9	1- مفهوم الحجاج لغة
14-12	1-1- الحجاج في النص القرآني
16-15	1-2- مصطلح الحجاج في المعجم الأجنبي
19-16	2- مفهوم الحجاج اصطلاحاً
49-20	II- الحجاج في الفكر القديم
30-20	1- الحجاج في الفكر الغربي القديم
21-20	1-1- عند السفسطائيين
30-22	1-2- عند الفلاسفة العقليين
25-22	1-2-1- أفلاطون
30-25	1-2-2- أرسطو
49-30	2- الحجاج في الفكر العربي القديم
40-31	1-2- الحجاج في الدرر البلاغي
36-32	1-1-2- الجاحظ
38-37	1-2-2- حازم القرطاجني
40-38	1-2-3- ابن وهب
49-40	2-2- الحجاج في الدرر الأصولي والفلسفي والنحوي
42-40	1-2-2- الدرر الأصولي (ابن حزم)
44-42	2-2-2- الدرر الفلسفي (ابن سينا)

فهرس الموضوعات

49-44	2-2-3-الدرس النحوي (ابن مضاء)
60-49	III-الحجاج في الدرس الحديث
51-50	1-أنسكومبر وديكرو
54-51	2-بيرلمان وتيكيتاه
57-54	3-ميشال ماير
59-57	4-طه عبد الرحمن
60	خلاصة الفصل
110-61	الفصل الثاني: المناظرة، مفهومها، ونشأتها في الفكر العربي
63-62	توطئة
68-63	1-مفهوم المناظرة
66-63	1-1-مفهوم المناظرة لغة
68-66	1-2-مفهوم المناظرة اصطلاحاً
74-68	2-بين المناظرة والمجادلة
76-74	3-أركان المناظرة
79-76	4-شروط المناظرة
81-79	5-ضوابط المناظرة
85-81	6-آداب المناظرة
96-85	7-المناظرة في الفكر العربي
110-96	8-أحمد ديدات رائد المناظرات في العصر الحديث
100-69	8-1-نبذة عن الشيخ أحمد ديدات
101-100	8-2-أهم مؤلفاته
110-101	8-3-مناظرات الشيخ أحمد ديدات
104-102	8-3-1-المناظرة الأولى

فهرس الموضوعات

105-104	2-3-8- المناظرة الثانية
108-105	3-3-8- المناظرة الثالثة
110-109	4-3-8- المناظرة الرابعة والخامسة
110	خلاصة الفصل
184-111	الفصل الثالث: الروابط الحجائية والعوامل الحجائية
112	توطئة
137-114	I- الروابط الحجائية
116-114	1- مفهوم الرابط الحجائي، وأقسامه، وأهميته
137-116	2- الروابط الحجائية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات
122-116	2-1- الرابط لكن
129-122	2-2- الرابط بل
137-130	2-3- الرابط لأنّ
184-137	II- العوامل الحجائية
138-137	1- مفهوم العامل الحجائي، وأقسامه، وأهميته
184-138	2- العوامل الحجائية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات
155-138	2-1- عامل النفي
144-139	2-1-1- النفي بلا
150-144	2-1-2- النفي بلم
155-150	2-1-3- النفي بليس
169-155	2-2- عامل القصر والحصر
163-156	2-2-1- القصر بآتما
169-163	2-2-2- الحصر بيآلا
184-170	2-3- عامل الشرط
177-171	2-3-1- الشرط بلو

فهرس الموضوعات

184-177	2-3-2-الشرط بإذا
184	خلاصة الفصل
257-185	الفصل الرابع: حجائية الاستفهام والتكرار
186	توطئة
227-188	I-حجائية الاستفهام
189	1- مفهوم الاستفهام لغة واصطلاحا
189	1-1- مفهوم الاستفهام لغة
189	1-2- مفهوم الاستفهام اصطلاحا
190-189	2- أدوات الاستفهام
191-190	3- أغراض الاستفهام
192-191	4- الاستفهام في الدرس الحجاجي
227-192	5- التقنيات الاستفهامية الإقناعية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات
202-192	5-1- الاستفهام التقريري
216-202	5-2- الاستفهام الإنكاري
227-216	5-3- استفهام السخرية والتهكم
257-227	II-حجائية التكرار
228-227	1- مفهوم التكرار لغة واصطلاحا
228-227	1-1- مفهوم التكرار لغة
228	1-2- مفهوم التكرار اصطلاحا
229-228	2- أقسام التكرار
231-230	3- أغراض التكرار وأهميته في الدرس الحجاجي
257-231	4- حجائية التكرار في مناظرات الشيخ أحمد ديدات
239-232	4-1- تكرار الروابط الحجائية والعوامل الحجائية

فهرس الموضوعات

234-232	4-1-1- تكرار الروابط الحجائية
239-234	4-1-2- تكرار العوامل الحجائية
246-239	4-2- تكرار المفردات
257-246	4-3- تكرار التراكيب والأساليب
257	خلاصة الفصل
337-258	الفصل الخامس: السلايم الحجائية والأفعال الكلامية
259	توطئة
298-260	I- السلايم الحجائية
261-260	1- مفهوم السلم الحجائي وشروطه
262	2- أهمية السلم الحجائي
265-262	3- قوانين السلم الحجائي
298-265	4- السلايم الحجائية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات
267-266	4-1- السلم الحجائي العام
298-267	4-2- السلايم الحجائية الجزئية
274-267	4-2-1- المناظرة الكبرى
279-274	4-2-2- أخطر المناظرات
287-279	4-2-3- مناظرة العصر
292-287	4-2-4- مناظرة ستوكهولم الأولى
298-292	4-2-5- مناظرة ستوكهولم الثانية
337-298	II- حجائية الأفعال الكلامية
299	1- مفهوم الفعل الكلامي
300-299	2- شروط الفعل الكلامي
337-300	3- أقسام الفعل الكلامي
312-303	3-1- الإخباريات

فهرس الموضوعات

319-312	2-3- التوجيهيات
324-319	3-3- الإلزاميات
330-325	4-3- التعبيريات
337-330	5-3- التصريحيات
337	خلاصة الفصل
418-338	الفصل السادس: أقسام الحجج في مناظرات أحمد ديدات
339	توطئة
363-340	I- الحجج شبه المنطقية
347-340	1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية
343-341	1-1- التناقض وعدم الاتفاق
346-344	1-2- التماثل والحد في الحجج
347-346	1-3- الحجج القائمة على العلاقة التبادلية
363-348	2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية
352-348	2-1- حجج التعدي
356-352	2-2- تقسيم الكل إلى أجزاءه
361-357	2-3- حجج الاشتمال
363-361	2-4- حجج الاحتمال
389-363	II- الحجج المؤسسة على بنية الواقع
371-364	1- حجج التابع أو الحجج السببية
375-371	2- الحجج الغائية
380-375	3- حجج الاتجاه والانتشار
384-380	4- الشخص وأعماله
389-385	5- حجج السلطة

فهرس الموضوعات

419-389	III- الحجج المؤسّسة لبنية الواقع
411-389	1- الحجج المؤسّسة للواقع التي تعتمد على الحالات الخاصّة
397-390	1-1- حجّة الشّاهد
403-397	1-2- حجّة المثال
407-403	1-3- حجّة النموذج
411-407	1-4- حجّة المقارنة
417-412	2- الحجج المؤسّسة بواسطة التمثيل
418-417	خلاصة الفصل
424-419	خاتمة
458-425	قائمة المصادر والمراجع
466-459	فهرس الموضوعات

ملخص الأطروحة باللغة العربية:

تندرج هذه الدراسة الموسومة "آليات الحجاج في مناظرات الشيخ أحمد ديدات" في إطار الدرس الحجاجي الذي كان له حضور بارز في الفكر القديم، ومرّ بفترة من الانقطاع والأفول، ثمّ استجمع قواه وغداً حالياً أنجع المقاربات في تحليل النصوص المختلفة، خصوصاً وأنّ هذا العصر الذي نعيش فيه يعجّ بالخطابات المتنوعة، والتي أثبت الحجاج قدرته على التماهي فيها ووصفها. واخترنا مناظرات الشيخ "أحمد ديدات" الدينيّة لتكون مدوّنة تطبيقية نغياً استشفاف الآليات الحجاجية التي وظّفها المحاجج المسلم فيها أمام خصومه المسيحيين من أجل بزّهم بالدليل والبرهان والحجّة، ولا جرم أنّ المناظرات تعدّ خطاباً ثرياً بالظواهر اللغوية المختلفة.

وقد استند المحاجج المسلم في معرض مجابته للعلماء والقسيسين النصارى على حشد من الآليات الحجاجية المتنوعة (اللغوية، والبلاغية، والتداولية)، كما اهتم بترتيب وتنسيق حججه حتى يتمكن من إيصال فكرته على أكمل وجه، وإقناع الحضور بصحّة القضايا التي يبسطها، وتغيير آرائهم وقناعاتهم؛ فحفلت المناظرات بجملة من الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية التي قامت بدور كبير في سبك الخطاب الحجاجي عنده، والرّبط بين الأفكار والقضايا التي أوردها في مناظراته، وكذلك نقض ادّعاءات المحاججين النصارى، وتبيان زيفها وبطلانها. ويعدّ الاستفهام أبرز عناصر الاشتغال الحجاجي في المناظرات؛ حيث ييسط شبكته على جميع أطوارها، وله حضور فاعل في مدارها، كما شكّل أسلوب التكرار واحداً من التقنيات الحجاجية الهامة التي وظّفها أحمد ديدات في مناظراته الدينية أمام النصارى. وتميّز المحاجج المسلم بحسن ترتيب حججه التي تنصهر في بوتقة الموضوع الذي يدافع عنه أو يدفعه؛ مما يحيل إلى تحضيره المسبق للمنهج الذي سيسير في إطاره أمام مناظريه، كما وظّف المحاجج المسلم جملة من الأفعال الكلامية بذكاء واقتدار واختار لها السياق المناسب الذي ساعد على شحنها بقوة إقناعية وخطابية أفحمت خصومه وأجمتهم. ودعم المحاجج خطابه الإقناعي بحشد وافر من الحجج المتنوعة التي تتفاوت في القوّة والضعف، وانتهج طريق هدم أركان الديانة المسيحية من داخلها من خلال البحث عن التناقضات التي يعجّ بها الإنجيل؛ فاستطاع في النهاية أن يرسم خصومه في صورة مهلهلة عن طريق استحضار أخطائهم وأخطاء الدين المحرّف الذي يدافعون عنه.

Summary of the thesis in foreign language:

This study is entitled "**argumentative Mechanisms in the debates of Sheikh Ahmed Deedat**" is joined in the field of the "argumentation", which had a prominent presence in the old thought, and it passed through a period of interruption and decline, and then gathered strength and become the most effective approaches in the analysis of various texts currently, especially as this era in which we live It is replete with various discourses, in which "argumentation" have proved its ability to Solubility in them and describe them. We chose the religious debates of "Sheikh Ahmad Deedat" to be an applied corpus, in order to stand on the "argumentative mechanisms that used by the Muslim debater in front his Christian debaters in order to defeat them with the evidences and arguments. and there is no dispute that the debates are a rich discourse in various linguistic phenomena.

The Muslim debater in confronting Christian scholars and priests was based on a variety of argumentative mechanisms (Linguistic, Rhetorical, and Pragmatic), and arranged and coordinated his arguments in order to be able to communicate his idea to the fullest, and convince the audience the validity of the issues that he has given, and change their views and convictions. the Debates include a number of "argumentative links" and "argumentative factors" which played a major role in the coherence of the argumentative discourse, and linking the ideas and issues mentioned in the debates, as well as the blow up of the claims of the Christian debaters, and show out the falsehood side in it. and The question is considered as an important element among the argumentative styles in the debates; because it simplifies its network at all its phases, and has an active presence in its orbit, and the style of recurrence was one of the important argumentative techniques employed by Ahmed Deedat in his religious debates in front the Christians. And the Muslim debater are characterized by the good order of his arguments, which are fused into the crucible of the subject which he defends or pushes; this is referring to his pre-preparation of the curriculum in which he will go before his counterparts. He also employed a number of verbal acts with Intelligently and ably Which helped ship them with persuasive and rhetorical power and chose her appropriate context, so he overcome his opponents and Restrain them. He argued his persuasive rhetoric with a plethora of varied arguments that varied in strength and weakness, and he supported his Convincing speech with multitude of diverse arguments in the path of demolishing the pillars of Christianity from within by looking for the contradictions in the gospel itself; Therefore he was able to put his opponents in a critical situation by evoking their mistakes and the mistakes of the religion they defend.